٦

محمد بن الخوجة

# تاريخ معالم التوحيد
## في القديم وفي الجديد

تحقيق وتقديم

الجيلاني بن الحاج يحيى  حمادي الساحلي

دار الغرب الإسلامي

مكتبة العربية
www.almaktabah.net

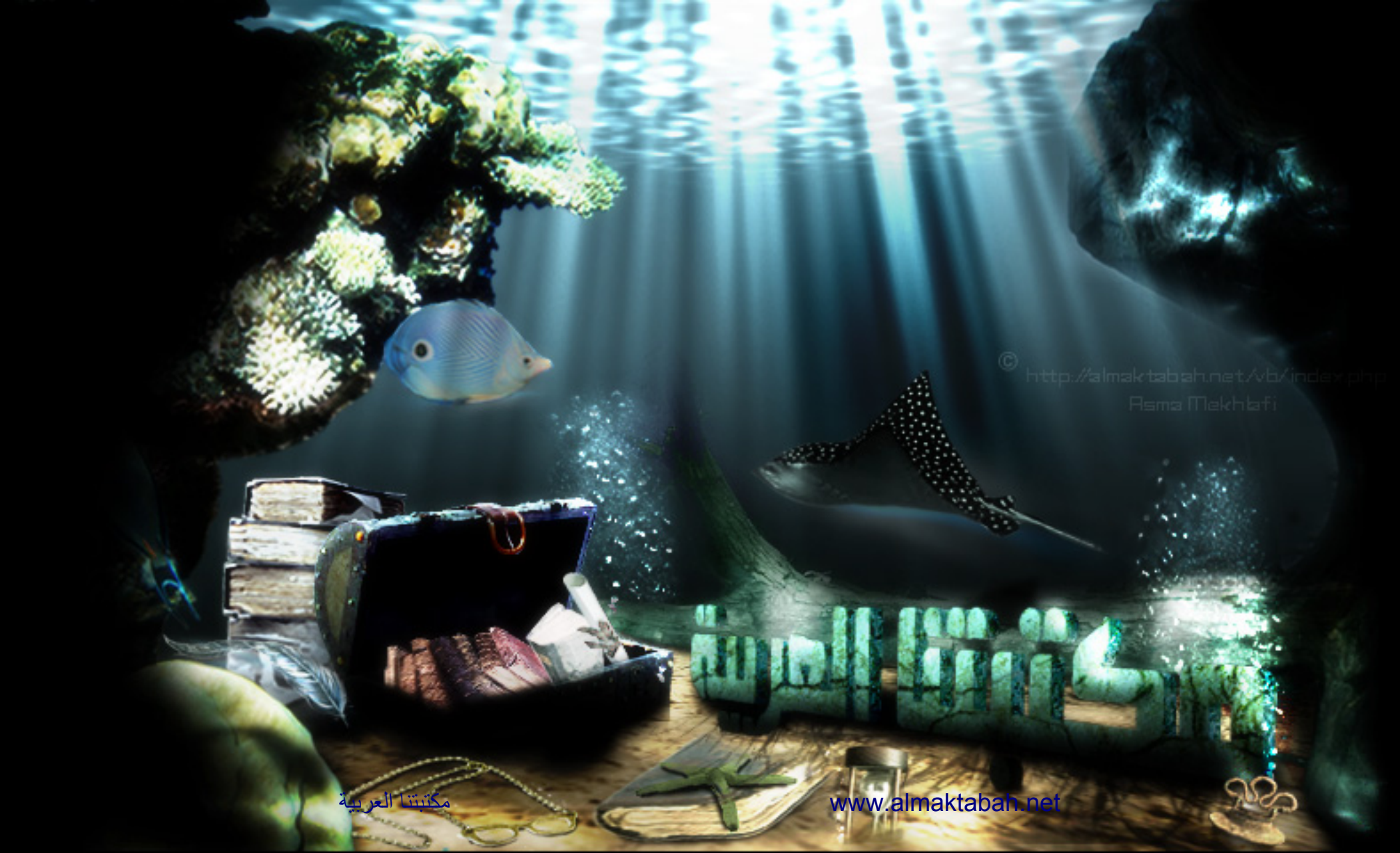
مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

٢١٨,٤
خ م . ت

محمّد بن الخوجة

# تاريخ معالم التّوحيد
## في القديم وفي الجديد

٣٣٧٩٤

تحقيق وتقديم

الجيلاني بن الحاج يحيى

حمّادي السّاحلي

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان

www.almaktabah.net
مكتبتنا العربية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

1985

دار الغرب الإسلامي

ص.ب: ١١٣/٥٧٨٧

بيروت - لبنان

مكتبتنا العربية

www.almaktabah.net

صورة المؤلف المرحوم محمد بن الخوجة



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

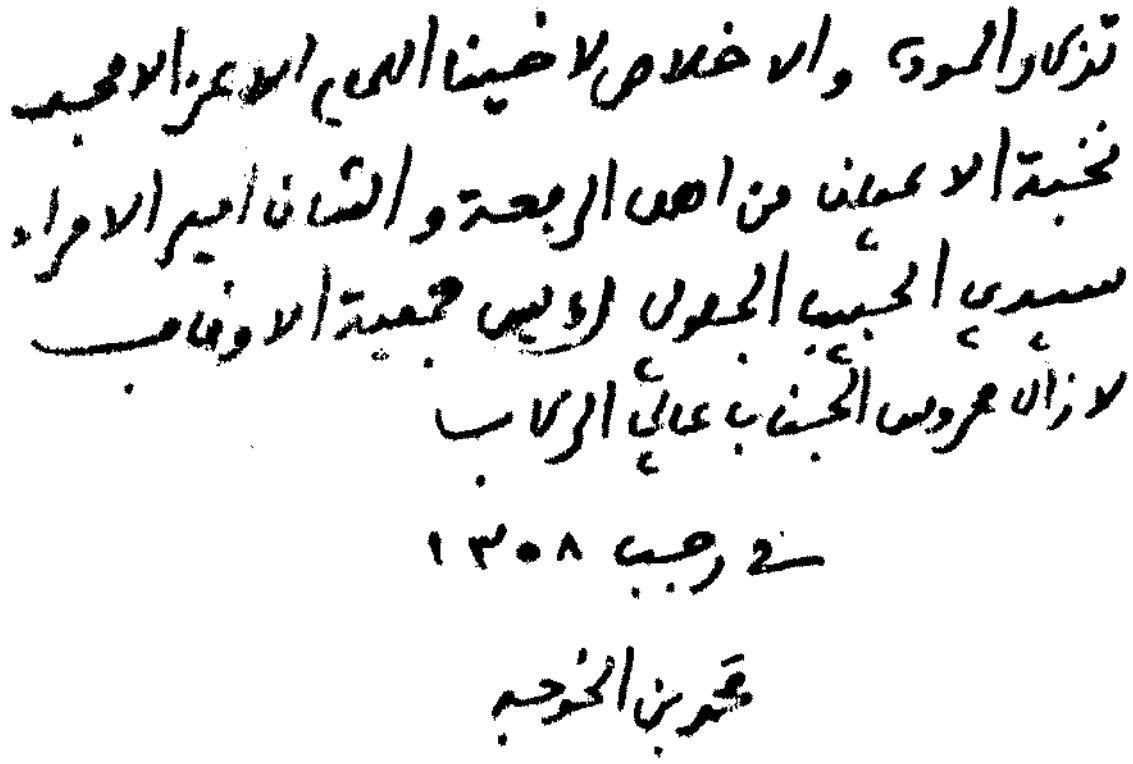

نموذج من خط المؤلف



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

# تمهيد

ليس من باب المبالغة أن نقول إن كتاب المرحوم مَحمد بن الخوجة «تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد» يعتبر من أنفس المصنّفات التي لها مساس بتاريخ المعالم الإسلامية بمدينة تونس ، ويمثّل أفضل مساهمة قام بها أحد المحقّقين التّونسيين الذّائعي الصّيت ، للتّعريف بالآثار التّاريخية التي مازالت قائمة الذّات بالعاصمة التونسيّة .

فلقد وصف لنا المؤلف ـ برّد الله ثراه ـ ببراعة فائقة ، وقدرة بالغة على التّمحيص والاستقصاء كلّ ما ضمّته تونس الخضراء من جوامع ، ومساجد ، ومدارس ، وصوّر لنا أحسن تصوير جميع ما قطعته تلك المعالم الخالدة من مراحل عبر تاريخ تلك المدينة الحافل بجلائل الأعمال ، مستعملاً لأجل ذلك كلّ ما عثر عليه من وثائق تاريخيّة ، ومستندات أثريّة ، ومخطوطات نادرة ، حتى بعد تقديم كتابه للطّبع ، ومبرزاً ما يتمتّع به من خصال المحقّق الحاذق ، والباحث الحازم .

ولا غرابة في ذلك ، فإنّ مَحمد بن الخوجة قد تفرّغ لتأليف ذلك الكتاب الثّمين ، بعد اعتزاله حياة الوظيف ، فاستفاد ـ بدون شكّ ـ ممّا اكتسبه طوال حياته الإدارية والعلمية من خبرة فائقة ، وثقافة واسعة . فلقد سبق له أن طالع منذ شبابه الباكر أمّهات الكتب العربية التي كانت تزخر بها مكتبة والده الشّيخ محمد البشير بن الخوجة بن شيخ الإسلام محمد بن



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الخوجة ، كما اطّلع على الكثير من المخطوطات التونسيّة التي لم تكن في متناول جميع النّاس، لا سيما كتاب المؤرّخ التّونسي الشّهير الشّيخ أحمد بن أبي الضِّيَاف « إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان » ، واتّصل بالعديد من علماء عصره للاستفسار حول تاريخ بعض المعالم الأثرية بمدينة تونس ، أو ترجمة بعض الأعلام التونسيين الذين لهم صلة بالموضوع المستأثر باهتمامه .

فكانت تلك الأبحاث والدراسات العلمية « معينة على تمام نضج ثقافته واطّراد رقيّ كتابته » على حدّ تعبير المغفور له الشيخ محمد الفاضل بن عاشور[1]. وكان كتابه « تاريخ معالم التّوحيد» « خاتمة موسم نتاجه الفكري الذي دام ثلاثة وأربعين عاماً ». ونتيجة لذلك فقد جاء ثريّاً بالمعلومات الدّقيقة ، والتّقييدات القيّمة ، والأخبار الصّحيحة حول مختلف نواحي تاريخ العاصمة التونسيّة من علميّة وفقهيّة واجتماعيّة وسياسيّة ، مع حرص شديد على الدّقّة والضّبط والتّحرّي في رواية ونقل الأخبار ، والإشارة إلى مراجعها ومصادرها .

ويحتوي الكتاب على مقدّمة وخمسة أبواب وخاتمة .

1 ـ **المقدمة** : وقد أعطى فيها المؤلّف بسطة عامّة عن الجوامع التي كانت موجودة بمدينة تونس عند ظهور الكتاب ( أي في سنة 1939 )، وهي المساجد التي تقام بها صلاة الجمعة وصلاة العيدين . وقد كان عددها آنذاك ـ حسب إحصاء المؤلف ـ 19 جامعاً بين مالكي وحنفي ، « أوّلها جامع الزّيتونة المحدث في أواخر القرن الأوّل للهجرة ، وآخرها جامع العمران المحدث في أواسط هذا القرن ».

وبعد صدور الكتاب ، وعلى وجه التّحديد بعد استقلال البلاد التونسيّة سنة 1956، ازداد عدد المساجد والجوامع ، ولله المنّة والحمد .

---

(1) تراجم الأعلام ص 314.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ولقد أقيمت بوجه خاصّ في الأحياء الجديدة التّابعة لمدينة تونس ، مثل حيّ المنزه ، وحيّ الخضراء ، وحيّ ابن خلدون ، وحيّ التّحرير ، وحيّ الزّهور الخ . . . كما بنيت جوامع جديدة في الأحياء التي كانت حكراً على الأوروبيين في عهد الاستعمار ، آخرها جامع « الفتح » الذي أقيم بعناية أهل البرّ والإحسان ، في قلب المدينة الحديثة ، بشارع الحرّيّة ، وأقيمت فيه الصّلاة لأوّل مرّة ليلة دخول شهر رمضان المعظّم سنة 1404هـ / 1984م . هذا بالإضافة إلى الجوامع القديمة التي سهرت الدّولة التّونسيّة المستقلّة على ترميمها وتجديد بناء البعض منها ، وقد وجدتها في حالة يرثى لها .

بحيث أصبح عدد جوامع الخطبة بمدينة تونس يفوق اليوم الأربعين جامعاً .

2 ـ **الباب الأوّل** : وهو يبحث في تاريخ جوامع الخطبة التي تقام بها الصّلوات حسب قواعد مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس ، وفي مقدّمتها جامع الزّيتونة المعمور الذي استأثر باهتمام المؤلّف ، باعتباره جامع صلاة ومعهد علم. حيث خصّص له في الطّبعة الأولى من الكتاب الصّادرة في سنة 1939 ، 57 صفحة من مجموع السّتّ وسبعين صفحة المخصّصة للجوامع المالكية ، أي أكثر من الثّلثين .

كما خصّص قسماً لا بأس به لتراجم أيمّة وخطباء الجامع الأعظم ، مستنداً بالخصوص إلى ما كتبه حول هذا الموضوع كُلٌّ من المؤرّخ أحمد ابن أبي الضّياف في « الإتحاف »[1] والشيخ محمد السنوسي في « مسامرات الظّريف »[2] .

---

(1) « الاتحاف » ج 7

(2) « مسامرات الظريف » ج 1 ـ تحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر تونس 1983.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

3 ـ **الباب الثّاني** : وهو مخصّص لتاريخ الجوامع التي تقام بها الصّلاة حسب المذهب الحنفي ، الذي هو مذهب الأسرة المالكة في ذلك التّاريخ ، إلّا أنّه منذ الاستقلال وإعلان الجمهورية ، لم يعد هناك أيّ تمييز بين الجوامع المالكية والحنفية . ولقد عهد بكثير من الجوامع الحنفية السّابقة إلى أيمّة تابعين للمذهب المالكي الذي هو المذهب السّائد بالبلاد منذ عدّة قرون .

وختم المؤلف هذا الباب ببحث طريف حول الطُّقوس الدّينية المعمول بها آنذاك في الجوامع الحنفية ، وذلك منذ الفتح العثماني سنة 1573 .

وممّا يزيد في الأهمّية التّاريخية لتلك الطّقوس ، أنّها أخذت تنقرض شيئا فشيئا ، ولم تبق سارية المفعول جزئياً إلّا في جامع صاحب الطّابع بحيّ الحلفاوين .

4 ـ **الباب الثّالث** : وهو يتعلّق بالمساجد التي تقام بها الصّلوات الخمس دون صلاة الجمعة والعيدين ، والمنتشرة في كافّة أحياء المدينة ، وقد أحصاها المؤلّف بدقّة مثيرة للإعجاب .

والملاحظ أن بعض تلك المساجد ـ ولا سيما منها الواقعة في المدينة العتيقة ـ قد صارت معطّلة الآن لنزوح عدد كبير من السّكّان إلى الأحياء الجديدة التي ظهرت بعد الاستقلال. أما المساجد القديمة التي بقيت إلى الآن قائمة الذّات، فقد اهتمّت بها الحكومة التونسية التي تولّت ترميمها وإنقاذها من الخراب.

5 ـ **الباب الرابع** : وهو مخصّص لموضوع الإمامة ، وقد لخّص فيه المؤلّف أهمّ ما كتبه الفقهاء والمفسّرون حول ذلك الموضوع، لا سيما ما جاء في كتاب « الأحكام السّلطانية » للإمام أبي الحسن الماوردي .

6 ـ **الباب الخامس** : وهو يرمي إلى التعريف بالمدارس التي كانت



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مخصّصة آنذاك لسكنى طلبة جامع الزّيتونة وفروعه بالعاصمة .

والجدير بالذّكر ، أنّ تلك المدارس قد تعطّلت منذ توحيد التّعليم التّونسي في سنة 1958 ، وتحويل تلامذة جامع الزّيتونة وفروعه إلى المعاهد الثّانوية العصرية . والجهود مبذولة الآن لترميم تلك المدارس وإنقاذها من التّداعي ، وتحويلها إلى مؤسّسات ثقافية وتعليمية . وهذا ما تمّ بالفعل بالنّسبة لبعض المدارس الهامّة ، مثل مدرسة النّخلة التي تحوّلت إلى مدرسة لتلاوة القرآن الكريم ، والمدرسة المرادية التي أصبحت مركز تدريب للصّناعات التّقليدية ، والمدرسة العاشورية التي تأوي الآن عدداً من الجمعيات الثقافية التونسية .

7 ـ **الخاتمة** : وأخيراً فقد خصّص المؤلّف القسم الأخير من الكتاب لدراسة موضوع أختام الحديث الشّريف بالرّواية والدِّراية ، والمواكب التي كانت تقام بتلك المناسبة في مختلف جوامع العاصمة التّونسية وضواحيها[1] .

وممّا يكسب هذا الموضوع قيمة تاريخية ، أنّ أختام الحديث الشّريف بالجوامع قد تعطّلت منذ سنة 1957، باستثناء الختم الذي مازال يقام بجامع الزّيتونة المعمور يوم 26 رمضان المعظّم من كلّ سنة بعد صلاة العصر بإشراف أيمّة الجامع ، وبحضور جمهور غفير من المسلمين ، كما يقام في نفس اليوم بعد صلاة العشاء موكب آخر يحضره رئيس الدولة أو من ينوبه ، ويتولّى أثناءه مفتي الجمهورية إلقاء محاضرة دينية تنقلها الإذاعة والتلفزة مباشرة .

* * *

هذا واعتباراً لما يكتسبه كتاب « تاريخ معالم التّوحيد» من أهمّية

---

(1) انظر حول هذا الموضوع « الأختام في تونس » لفضيلة الشيخ محمد الشّاذلي النيفر « مجلة الهداية » عدد 1/ سنة 11. سبتمبر / أكتوبر 1984.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

علمية وتاريخية بالغة ، فقد أصبح منذ صدوره سنة 1939 مرجعاً للدّارسين ، ومستنداً للباحثين . ولكن الطّبعة الأولى قد نفدت منذ عدّة سنين ، وأصبح هذا التّأليف النّفيس في عداد الكتب النّادرة ، إن لم نقل المفقودة، إذ لا يمكن أن تطّلع عليه إلا قلّة قليلة من الباحثين .

لذلك رأينا من الفائدة إعادة نشر هذا الأثر الجليل ، حرصا منّا على إحياء تراث أحد علمائنا البارزين من جهة ، وعلى جعل الكتاب في متناول جميع الدّارسين والباحثين من جهة أخرى .

وقد تمثّل عملنا في هذه الطّبعة الجديدة فيما يلي:

1 ـ تصحيح النّصّ وإصلاح ما تسرّب إلى الطّبعة الأولى من أخطاء مطبعيّة أو غيرها .

2 ـ مقابلة التّاريخ الهجري الذي اعتمده المؤلّف، بالتّاريخ الميلادي ، تيسيراً للمراجعة . وقد وضعنا التّاريخ الميلادي المقابل بين حاصرتين [ ] .

3 ـ التعريف ببعض الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب ، ممّن لم يترجم لهم المؤلّف ، أو الإحالة على المراجع المتعلّقة بتراجمهم .

4 ـ الترجمة لمؤلّف الكتاب .

5 ـ إضافة بعض الملاحظات والتّعليقات التي من شأنها المزيد من التّوضيح ، وقد ميّزناها عن تعليقات المؤلّف بأرقام مسبوقة بحرف « م » : (م - 1) (م - 2) (م - 3) الخ . .

6 ـ وضع فهارس للأعلام والأماكن والكتب والآيات القرآنية .

ولا يسعنا في الختام إلّا أن نتقدّم بأخلص عبارات الشكر والامتنان إلى حفيد المؤلّف الأستاذ المنصف بن الخوجة محافظ البنك المركزي التّونسي الذي رخّص لنا في تحقيق ونشر هذا الكتاب . كما لا يفوتنا أن


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ننوّه بما وجدناه لدى صديقنا المحترم السيد أحمد الجلولي من عناية فائقة ومساعدة نفيسة. وامتناننا يمتد إلى الأخت سعاد العمراني بدار الكتب الوطنية التونسية التي ساعدتنا على وضع فهرس الأعلام، وإلى الصديقين الأستاذين جمال حمادة وحسين المزوغي على مزيد رعايتهما واهتمامهما.

وأخيرا نقدم جزيل شكرنا للصديق الحاج الحبيب اللّمسي صاحب دار الغرب الاسلامي ببيروت الذي تحمّس لإصدار هذا الكتاب في إخراج أنيق.

والله ولي التّوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تونس في 1985/2/25

**المحقّقان**



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

# ترجمة المؤلف

مؤلّف كتاب « معالم التّوحيد » هو المرحوم مَحمّد ( بفتح الميم ) بن الشيخ محمد البشير بن شيخ الإسلام محمّد بن الخوجة . وُلِدَ بمدينة تونس في شهر فيفري 1869. وهو رابع أولاد البشير بن الخوجة الذّكور . ينحدر أبوه من أسرة تركيّة عريقة استقرّت بتونس خلال النّصف الثّاني من القرن السّادس عشر ميلادي وأنجبت عدداً وافراً من كبار الموظفّين والعلماء والفقهاء الذين تجاوزت شهرتهم حدود البلاد التونسية . ولم تمض على ولادة مترجمنا أكثر من خمس سنوات حتى تقلّد الوزارة الكبرى الجنرال خير الدّين الخالد الذّكر ( سبتمبر 1873 ) وشرع في تطبيق برنامجه الإصلاحي، ومن بينه إنشاء المدرسة الصادقية لتوفير ما تحتاج إليه البلاد من كفاءات في شتّى الميادين . وأسرع أعيان الحاضرة إلى إرسال أبنائهم إلى تلك المدرسة التي كانوا يعلّقون عليها آمالا عريضة ، لبثّ المعارف ونشر العلوم الحديثة وتوفير أسباب النّهضة العصريّة للبلاد . وكان في مقدّمة أولئك الأعيان الشيخ محمد البشير بن الخوجة الذي كان يشغل آنذاك خطّة رئيس القسم الأوّل في الوزارة الكبرى . فما إن بلغ ابنه مَحمّد السّابعة من عمره حتى وجّهه إلى الصّادقية مع ثلّة من أقرانه التّابعين إلى الرّعيل الثّاني من تلامذة تلك المدرسة . وتميّز الطّفل من أوّل وهلة بالميل إلى اللغة العربية التي كان يفضّلها على سائر المواد الأخرى دون أن يهمل دراسة اللغة الفرنسية والتّاريخ والجغرافيا والرّياضيات .



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وبعدما أتمّ دراسته بالمدرسة الصادقية وبالمدرسة العلوية التي أنشئت سنة 1883 لتخريج معلّمي اللغة الفرنسية اختار الانخراط في سلك الوظيفة العمومية ، اقتداء بالفوج الأوّل من خرّيجي المدرسة الصادقية . فتمّ تعيينه سنة 1887 مترجماً بالكتابة العامّة للحكومة التونسية . ومن قسم التّرجمة انتقل إلى قسم المحاسبات الذي كان يشرف عليه صديقه أبو النّهضة التّونسية الثّاني المرحوم البشير صفر . وما لبث أن ارتقى إلى خطّة رئيس قسم مساعد ، إلى أن انتقل البشير صفر إلى جمعية الأوقاف سنة 1892، فخلفه في رئاسة قسم المحاسبات ، مبرزاً ما كان يتميّز به من ثقافة واسعة وقدرة على الاستيعاب وحبّ للنّظام والعمل .

وبفضل جميع تلك الخصال لفت إليه انتباه رئيسه المباشر الكاتب العامّ برناروا ( Roy ) الذي كان معروفاً بشغفه بالدّراسات الأدبيّة والبحوث التاريخيّة والأثريّة ، فعيّنه عضواً في اللجنة المكلّفة بتأليف الفهرس العلمي لمكتبة جامع الزيتونة المعمور .

وإلى جانب عمله في السّلك الإداري ، ساهم مَحمد بن الخوجة مساهمة فعّالة في الحياة الثّقافية والفكرية . فكان من بين المؤسّسين لأوّل جريدة عربيّة تونسيّة غير رسمية ، وهي جريدة « الحاضرة » التي صدر العدد الأوّل منها في 2 أوت 1888، بإدارة الكاتب البارع علي بوشوشة، وبمشاركة نخبة من رجال الفكر والأدب أمثال الأستاذ البشير صفر ، والشيخ مَحمد السنوسي ، والأستاذ علي الورداني ، والشيخ محمد الحشايشي ، وغيرهم من المحرّرين الذين كانت تستأثر مقالاتهم وفصولهم بإعجاب المثقّفين التّونسيين . ولقد تخصّص مَحمد بن الخوجة منذ ذلك الحين بالمباحث التاريخية ، تحت تأثير والده المعروف بشغفه بالتّاريخ التّونسي ، فكان ينشر بالحاضرة الفصول تلو الأخرى لإحياء بعض الفترات من التّاريخ التونسي الحديث والمعاصر ، والتّعريف بعدد من مشاهير التّونسيين القدماء والمحدثين .



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وبعد مرور فترة من الزّمن شعر أعضاء أسرة الحاضرة بأنّ جريدتهم ، بالرّغم ممّا أحرزته من نجاح باهر ، لا تكفي وحدها للنّهوض بالبلاد . ففكّروا في إنشاء مؤسّسة حرّة للتّعريف أوّلا بالحضارة التّونسية العربيّة الإسلامية التي يحاول الاستعمار طمس معالمها ، ثمّ لتلقين العلوم الصّحيحة لطلبة جامع الزّيتونة الأعظم الذين كانوا محرومين منها إلى حدّ ذلك التّاريخ . وتحقيقاً لتلك الغاية أسّسوا في سنة 1896 الجمعيّة الخلدونية التي ستسعى بدون كلل ولا ملل إلى تحقيق ازدهار البلاد التونسيّة . وقد كان مترجمنا من أبرز المؤسّسين لتلك الجمعية وأحد أعضاء هيئتها المديرة ، إلى أن فارقها صديقه ورئيسه السّابق الأستاذ البشير صفر سنة 1908 .

وفي نفس تلك السّنة شارك مع ثلّة من أعضاء « حركة الشّباب التّونسي » في مؤتمر شمال إفريقيا المنعقد بباريس ، وقدّم بحثاً حول القضاء الشّرعي في الإسلام ، نال رضى كافّة المؤتمرين . وحالما رجع إلى تونس ، نقل ذلك البحث الى اللغة العربيّة ونشره في رسالة منفردة تحت عنوان « بحث تاريخي يتعلّق بالقضاء الشّرعي وخطّة شيخ الإسلام في تونس »[1] .

وكان قد شرع قبل ذلك التاريخ في إصدار « الرّزنامة التونسية » التي استمرّت في الظّهور كلّ سنة بانتظام من 1902إلى 1918 . كما ألّف ونشر على التّوالي رحلة رئيس الجمهورية الفرنسية أرمان فليار إلى تونس تحت عنوان « الرحلة الفلیارية » (1912) ورحلة محمد الناصر باي إلى باريس تحت عنوان «الرّحلة النّاصرية » (1913).

وممّا ساعده على نشر وطبع تلك المؤلّفات ، تعيينه مديراً للمطبعة الرّسمية التّونسية من سنة 1902 إلى سنة 1915 . « وذلك ما كان له مسهّلاً

---

(1) طبعت تلك الرسالة بالمطبعة الرسمية بتونس سنة 1326هـ / 1908م .



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

لترويج محرّراته ومعيناً على إحياء كثير من الكتب المهمّة بعنايته مثل معالم الإيمان ، وذيل تاريخ حسين خوجة ، وتاريخ الوزير السّرّاج»[1] .

وباتّفاق بين المقيم الفرنسي ( ألابوتيت ) والأمير الناصر باي الذي كانت تربطه بالمترجم علاقات ودّية وثيقة ، استقرّ الرّأي على نقلة مَحمد ابن الخوجة من الكتابة العامّة للحكومة التّونسية ، حيث أظهر كلّ ما هو قادر عليه ، وتعيينه في خطة أخرى تكون ملائمة أكثر لمواهبه الدّبلوماسية . فما إن شغر منصب مدير التّشريفات السَّنِيَّة ، إثر إحالة الجنرال ( فلنسي ) على التّقاعد سنة 1914، حتى عُيِّن مترجمنا خلفاً له . وفي السّنة الموالية ارتقى إلى رتبة أمير لواء، ثم إلى رتبة أمير أمراء . « وقد اعتزّ بذلك اعتزازاً عظيما ، واعتزم الطّريقة الإفرنجية في تسمية نفسه بعنوان رتبته العسكرية بمرادفها الفرنسي ، مضموماً للقبه بدون اسم ( الجنرال ابن الخوجة ) ، وكتبها في أوراق زيارته ، واشتهر بها»[2] .

وخلال تولّيه لذلك المنصب دُعِي إلى تدريس التّعريب والنّقل والتّاريخ بالمدرسة العليا للغة والآداب العربية بتونس فاستجاب إلى ذلك الطّلب بالرغم ممّا كانت تفرضه عليه وظيفته من التزامات .

وفي سنة 1916 سافر إلى المغرب الأقصى، مبعوثاً من العاهل التونسي محمد الناصر باي إلى السلطان المغربي مولاي يوسف ، لتوطيد العلاقات بين القطرين الشقيقين .

وعلى إثر انتهاء الحرب العالمية الأولى ، شهدت البلاد التّونسية بعض التّغييرات في صلب الإدارة العليا ، واضطرّ الجنرال ابن الخوجة إلى التخلّي عن وظيفة مدير التّشريفات (1919) وسمّي عاملاً ( والياً ) على قابس ، ومنها انتقل إلى الكاف ، ثم إلى بنزرت سنة 1924 ، في مدّة

---

(1) تراجم الأعلام للشيخ محمد الفاضل ص 315.

(2) نفس المرجع ص 303.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الأمير محمد الحبيب باي الذي ارتقى إلى العرش سنة 1922، خلفاً للأمير الرّاحل النّاصر باي . وقد كانت بنزرت عهدئذ ميناء حربياً هامّاً، ومحطّة إرساء الأساطيل الأجنبية ، ومقرّ قيادة اللّواء البحري الفرنسي ، وممرّ العديد من الشّخصيّات التّونسية والأجنبية المرموقة من ملوك ورؤساء دول ، ووزراء، فكان من الضروري أن يعيّن على رأسها رجل من ذوي النّفوذ، يجمع بين لباقة الدبلوماسي ، وحزم القائد القادر على مواجهة جميع الاحتمالات . ولقد اضطلع الجنرال ابن الخوجة بتلك المهمّة مدة عشر سنوات .

وعندما بلغ مترجمنا سنّ التقاعد سنة 1934، سمّي في الخطّة الجديدة المحدثة من أجله ، وهي خطّة مستشار الحكومة التونسية التي احتفظ بها إلى آخر حياته .

وبعد خروجه من سلك العمّال ( الولاة )، تفرّغ لدراساته وبحوثه التّاريخية ، وأقبل على المطالعة وتحرير الفصول القيّمة المنشورة على صفحات مختلف الجرائد والمجلّات التونسية ، لا سيما « المجلة الزيتونية » .

أمّا مصّنفاته التي سجلها في آخر الطبعة الأولى من كتاب « معالم التّوحيد » فهي :

1 ـ تاريخ معالم التّوحيد في القديم وفي الجديد ( وهو هذا ) .
2 ـ تاريخ الحجّ وعمارة البيت الحرام ( نشر ملخّصاً بالمجلّة الزّيتونية ) .
3 ـ القضاء الشّرعي ( نشر ملخّصاً بأربعة أعداد من المجلّة الزّيتونية )[1] .

---

(1) طبع هذا البحث على انفراد سنة 1326هـ / ( 1908م ) بعنوان « بحث تاريخي يتعلق بالقضاء الشرعي في الإسلام وخطة شيخ الإسلام في تونس ».



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

4 ـ الفتاوى الشّرعية في المستجدّات والحوادث العصرية ( مخطوط ) .
5 ـ تحفة الأنجاد في المقابلة بين تاريخي الهجرة والميلاد ( طبع ) .
6 ـ وزراء تونس قبل الحماية وبعدها ( نشر ملخّصاً بالمجلّة الزّيتونية ) .
7 ـ جيش الدّخيل في اللّسان التّونسي الأصيل في جزءين ( مخطوط ) .
8 ـ رسالة في تاريخ مقبرة الزّلّاج ( مخطوط ) .
9 ـ كشف عن أحوال تونس في عصر الحماية ( طبع ) .
10 ـ تكملة عقد الدّرّ والمرجان في سلاطين آل عثمان وشرحها ( مخطوط ) .
11 ـ مجموع فقهي في مسائل إنزال الأحباس والكردار والخلوات ( طبع ) .
12 ـ العيون النّرجسيّة في الأنظمة التّونسية في جزءين ( مخطوط ) .
13 ـ الرّزنامة التّونسية من سنة 1319حتى سنة 1335 ( طبع ) .
14 ـ تاريخ البايات والدّايات في الدّولتين المرادية والحسينية ( مخطوط ) .
15 ـ وفيات أعيان التّونسيين في العصر الحسيني ( مخطوط ) .

## رحلات

1 ـ سلوك الإبريز في مسالك باريز ( طبع ) .
2 ـ الرّحلة المشيريّة الصّادقية للعاصمة الجزائرية ( مخطوط ) .
3 ـ توادد الكرام ، وهي رحلة المولى محمد الهادي باي لباريس في سنة 1904 ( طبع ) .
4 ـ الرّحلة النّاصرية ( طبع ) .
5 ـ الرّحلة الحبيبية ( مخطوط ) .



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

6 ـ الرّحلة الفلياريّة ( طبع ) .
7 ـ الرّحلة المغربيّة ـ في جزءين ( مخطوط ) .

## مصنّفات أخرى بالفرنساوية

1 ـ الخلافة ( مخطوطة ) .
2 ـ رسالة في المرأة المسلمة ( طبع ) .
3 ـ رسالة في الحجّ ( طبع ) .
4 ـ الألفاظ العربيّة الدّخيلة في اللّغة الفرنساوية ( مخطوط ) .
5 ـ فهرس في كتب التّاريخ المحفوظة بخزائن جامع الزيتونة ( بمشاركة مسيوروا والشيخ محمد الحشايشي ) ( طبع ) .
6 ـ رسالة في مقابلة السّنين المسيحية بالسّنين الهجرية لمدّة ألف وأربعمائة عام ( طبع ) .
7 ـ رسالة في الشّرع الإسلامي بعنوان مؤتمر إفريقيا الشّمالية بباريس في عام 1908 ( طبع ) .

ولكن نشاطه الفيّاض لم يقتصر على النشر والتأليف ، بل انتهز فرصة إحالته على التّقاعد ، للقيام بعدّة رحلات دراسية إلى الخارج ، وبالخصوص إلى فرنسا ، والجزائر ، والمغرب الأقصى . وتكرّرت زياراته إلى البلدين الأخيرين ، بوصفه أحد مؤسّسي جمعية أوقاف الحرمين الشّريفين ، مع صديقه المغربي المرحوم قدور بن غبريط .

كما كرّس جهوده خلال السّنوات الأخيرة من حياته لتأليف كتابه : « معالم التّوحيد في القديم وفي الجديد » الذي صدر بتونس سنة 1358 هـ / 1939 م . « وهو يمثّل نتاج عمل غير منقطع ، وبحوث دائبة ومضنية ، قام بها صاحبها بلا هوادة ، رغم جميع ما شهدته حياته الإدارية والسّياسية من تقلّبات . وسيبقى لأجل طويل المرجع الوحيد والثّمين بالنّسبة إلى مؤرّخي المستقبل ، الحريصين على التّعمّق في بعض المسائل التي



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

أشار إليها المؤلّف إشارة خاطفة ، إمّا لضيق الوقت أو لقلّة الإمكانيات »[1].

واستمرّ مَحمد بن الخوجة بعد صدور ذلك الكتاب، قائماً بأعباء البحث والتّنقيب في خبايا التّاريخ التّونسي القديم والحديث ، إلى أن اختاره الله لجواره في سنة 1942، ففقدت البلاد التونسية بوفاته محقّقاً بارعاً ، ومؤرّخاً نابغة ، وعالماً جليلاً.

رحمه الله رحمة واسعة، ونفعه بما خلفه من آثار نافعة .

**المحققان**

(1) التّابعون . للصادق الزمرلي (Les successeurs) ص 178. الدار التونسية للنشر ـ تونس 1976.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

# تصدير التاليف ، بالخط الملكي الشريف[1]

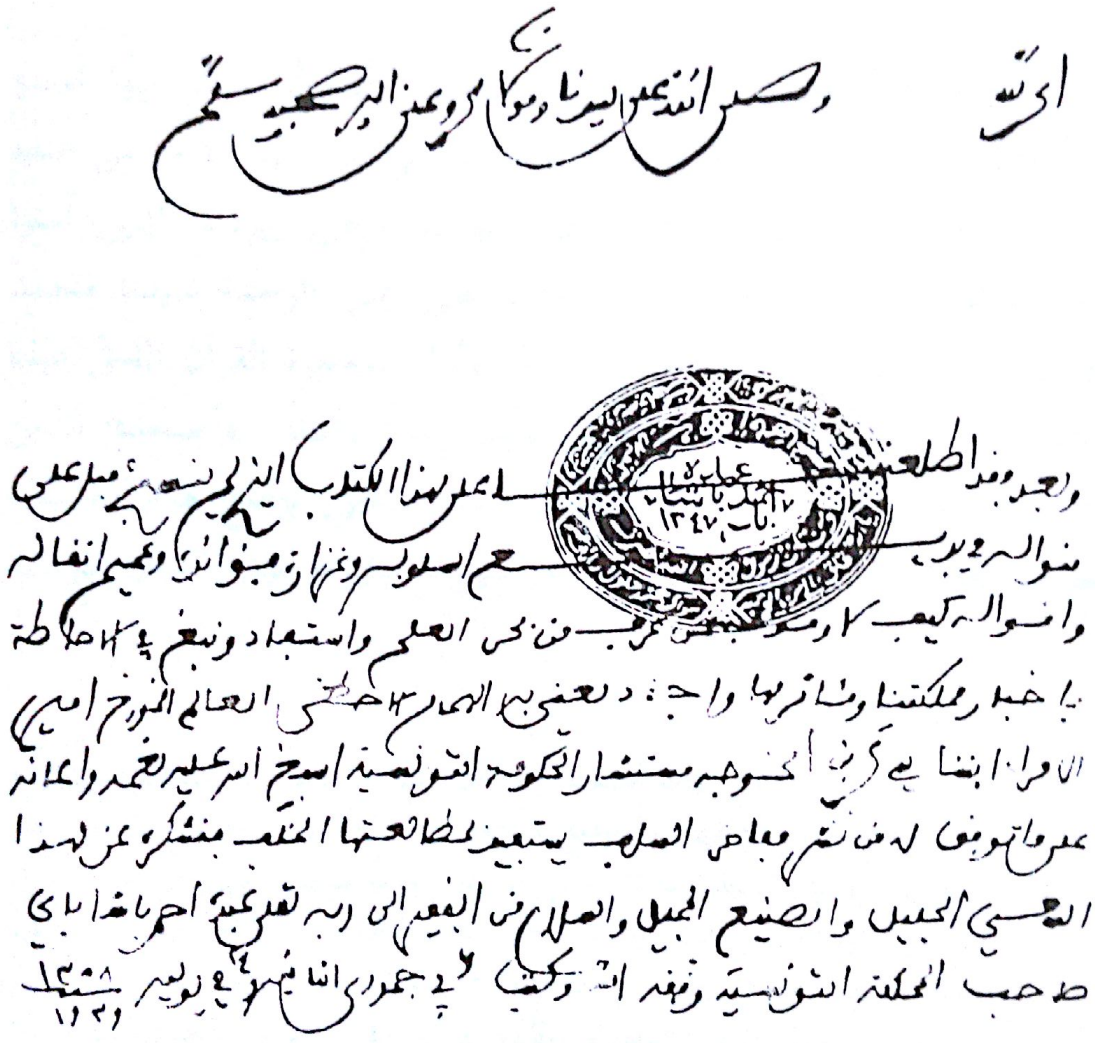

(١) الطبعة الأولى (1939).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

## [ خطبة الكتاب ]

الحمد لله الذي رفع لمعالم الدّين شأناً. وأذن أن يذكر فيها اسمه ومن أعظم من الله أمراً وأذاناً. وخصّ الساعين في عمارتها بالأجر من عنده تفضّلاً منه وإحساناً. ليرتاب الذين في قلوبهم مرض ويزداد الذين آمنوا إيماناً. والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على عين الرحمة سيدنا محمد الذي قادنا نور نبوّته لطريق التوفيق وهدانا. وأرانا بمعجزة القرآن الحقّ عيانا وللنجاة دعانا. وعلى آله الذين كان حبّهم إيماناً وأماناً. وأصحابه الذين كانوا له أنصاراً وأعواناً. وبعد فإن السّبب الذي دعاني لوضع هذا التصنيف الذي لم يتقدّمه[1] في عالم الطبع والنشر شيء من نوعه بهذه الديار التونسية

---

(1) كتب الشيخ محمد بيرم الرابع رسالة أسماها «التراجم المهمّة للخطباء والأيمة» عرّف فيها بمن تولّى الإمامة والخطابة من الفقهاء بالجوامع الحنفية دون المالكية وهذه الرسالة لم يكتب منها محرّرها فيما يلوح إلا قطعة ما زالت في مسودّتها بخطّ مؤلّفها. وهي من عيون خزانة الأستاذ العلامة الشيخ البشير النيفر وتلك القطعة وقفت عليها. وممّا جاء فيها ذكر خطباء جامعي القصر والقصبة مع من تولّى الإمامة بهما كل ذلك بسطه المؤلف بما يشفي الغليل مع الإشباع في الترجمة لأولئك الخطباء والأيمة ولكنه أبقى خلالها بياضات بنية الزيادة والتوضيح فيما يظهر وصدر حديث كلّ من الجامعين المذكورين بنبذة وجيزة في نشأتهما حسنة الإفادة لكنّها غير مستوفاة من الوجهة التاريخية. وانتقل بعد ذينك الجامعين للتعريف بجامع حمودّة باشا المرادي ووقف في تحريره عند السطر السادس مما يدلّ وأن الرسالة المتحدّث عنها لم يتمّها صاحبها كما أشرنا إليه، لأن القطعة الموجودة منها بخطّ المؤلف رحمه الله هي مسودّة التأليف ولا يعرف غيرها بين أهل العلم.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

هو وقوفي على كتاب باللسان الفرنساوي ظهر في هذه الأيام تضمّن تاريخ نشأة الكنائس النصرانية بتونس وافق نشره إقامة مهرجان فخم رتّبه يهود العاصمة بمناسبة إحداث بيعة جديدة لهم أسّسوها بتونس فقلت في نفسي: لا جرم أني وأبناء جنسي من المقصّرين نحو سلفنا الكريم الذين شيّدوا لنا معالم الدين، واستماتوا في سبيل التمسّك بحبله المتين، بينما نحن خلفهم في جمود وغفلة عن تمجيد ذكرهم لإحياء ما تنوسي من أخبارهم، وفي جهالة بأحوال أزمانهم، كادت أن تطمس مآثرهم لما نسج من عناكب النسيان، على معالم الحسان، وخشية أن يطوي مرور الأيام حديث تلك المآثر، بادرت إلى وضع هذا التأليف غيرة لهذه الحضرة أن تندرس منها الآثار، وحمية لمعالمها الإسلامية أن يكون لها من غمام التناسي استتار، وقد يسّر الله جمع تالده والطريف، على أسلوب محكم ظريف، تحت ظلّ عونه الوريف، بترتيبه على مقدّمة وخمسة أبواب وخاتمة:

المقدّمة في إجمال التعريف بظهور جوامع الخطبة بتونس على العموم، وفي حكم تعدّد الخطبة بالمصر الواحد، وفي ذكر عدد المساجد التي تقام بها الصلوات الخمس دون الجمعة والعيدين، مع بيان ما كان منها معطّلاً وذكر سببه.

الباب الأوّل: في تاريخ نشأة جوامع الخطبة التي تقام بها الشعائر على قواعد المذهب المالكي وآثرت تقديمها على الجوامع الحنفية لأنّ برأسها كعبة العلم جامع الزيتونة الذي هو أقدم بيوت العبادة بتونس.

الباب الثاني: في تاريخ نشأة جوامع الخطبة التي تقام بها الشعائر على قواعد المذهب الحنفي مع مقدّمة وجيزة في بيان ظهور هذا المذهب بالديار التونسية وأنه كان أظهر المذاهب بإفريقية، وختمت هذا الباب بذيل خاصّ في ذكر أحوال متلبسة بالجوامع الحنفية ظهرت بتونس على عهد حكم الأتراك بها.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الباب الثالث: في المساجد التي تقام بها الصلوات الخمس دون خطبة الجمعة والعيدين، مع بيان ما كان منها معطّلاً عن إقامة الشعائر وبيان مواقعها بالتفصيل.

الباب الرابع: في التعريف بالولاية على إمامة الصلوات.

الباب الخامس: في التعريف بمدارس طلبة العلم وهي من ملحقات جامع الزيتونة.

الخاتمة: في تاريخ نشأة أختام الحديث بتونس وبيان البقاع التي يُروى بها الجامع الصحيح وما لذلك من العلاقة بالجوامع والمساجد والمدارس التي هي مناخ الاحتفال بتلك الأختام.

وقد اخترت على بركة الله لهذا التأليف من الأسماء:

**تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد**

ولما تمّ تهذيبه وتنسيقه، وكمل ترتيبه وتنميقه، قدّمته هدية لخزانة صاحب الفضل المشهود، السالك في سبل البرّ المنهج المحمود، واسطة العقد المنضود، وبهجة الملك في سلسلة الآباء والجدود، المتوشّح بالمناقب والمحامد، وكرم الشمائل والشواهد، محيي الجوامع والمساجد، بعزمه القويّ الساعد، حضرة صاحب الجلالة والعظمة وليّ النعم المحفوف بسرّ السبع المثاني، سيدنا ومولانا أحمد باشا باي الثاني، أفاء الله على البلاد ظلاله، وبلّغه من سعادة الدارين آماله.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

# المقـــدّمَة

اعلم أن مدينة تونس من أعرق البلاد الإفريقية في الإسلام ظهـر بربوعها نور هذا الدين الحنيف في أواخر القرن الأول للهجرة على يد حسّان بن النعمان الغساني[1] وقد كانت ولم تزل بفضل الله من أكثر البلاد اشتمالاً لبيوت العبادة. قالوا إنّ المارّ في الطريق كان لا يمشي مائة خطوة أو نحوها إلّا ويجد جامعاً أو مسجداً مفتوحاً في وجهه للصلاة. وهذا التقدير وإن هو لا يخلو عن مبالغة فإنه يدلّ على كلّ حـال أنّ بيوت العبادة كانت منتشرة انتشاراً عمومياً بسائر جهـات البلد. وكيف لا والمسلمون كـانوا محافظين على صلواتهم ساعين لحضور الجماعة ولا يتخلّف عنها إلا من كان له عذر شرعي. فلا غرو أن كانت كل حومة(م - 1)محتوية على مسجد أو اثنين أو أكثر كما لم يزل أثره مشاهداً للعيان بغير ما مكان. والقدر الموجود بتونس من المساجد في هذا الزمان يبلغ بالعدد الصحيح إلى مائتين وستة وخمسين مسجداً منها اثنان وتسعون معطّلة والبقية يذكر فيها اسم الله. ويلوح أن هذه البقية وعددها 166 مسجداً لم يتناولها التلاشي في بحر هذه الأربعين سنة لأن هذا العدد نفسه كان موجوداً في حدود سنة 1318 [1900] كما يستفاد ذلك من إحصائية لعموم المساجد سبق منّي نشرها بالرزنامة التونسية في طبعتها الأولى عام 1319 [1901] ولأجله نسجّل هنا عبارات

---

(1) كانوا يلقبّونه في عصره بالشيخ الأمين.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الثناء على جمعية الأوقاف(م-2) بلسان عامة المسلمين لما توفّقت لـه من المحافظة على بيوت العبادة وصونها من التلاشي. أما المساجد المعطلة فالدّاعي لغلق أبوابها حسبما استفيد من أولي النظر هو استحواذ الخراب على بعضها ممّا يستوجب إصلاحها نفقات طائلة ليس في طاقة جمعية الأوقاف تحمّلها في هذه الأوقات التي مدّت فيها الأزمة العمومية جناحها على كامل البلاد. وفي الباقي كان سبب التعطيل هو وقوع بعض المساجد بالأحياء الإسرائيلية والأوروباوية التي كان يسكنها المسلمون ثم هجروها شيئاً فشيئاً إلى حدّ اعتبارها الآن في جملة أقسام الحارات غير الإسلامية بحيث صارت إقامة الشعائر بها متعذّرة لعدم وجود المصلّين هنالك. لذلك اضطرّت جمعية الأوقاف لغلق جملة من المساجد الواقعة ببعض الأحياء المعمورة بغير المسلمين صوناً لحرمتها واقتصاداً لِمصاريف وتكاليف(م-3) لا فائدة منها غير إثقال(م-4) عاتق ميزانية الأوقاف، زيادةً على ما هي عليه من الضائقة المالية المحدقة بها في هذه الأيام. وأما المساجد التي ما برحت بفضل الله عامرة بالمصلّين فإنّ الجمعية ما زالت ولا تزال باذلة مجهوداتها في القيام بشؤونها بما في الاستطاعة. وممّا تنشرح له المهج والصدور تَوَفُّقُ الكثيرين من لفيف المسلمين في هذا العهد للاجتماع ببعض هذه المساجد لحفظ القرآن بالإملاء السّماعي وهي حسنة كبرى تـوفّق لنشرهـا بتونس وبالآفاق الحافظ الشيخ عبد العزيز الباوندي(م-5) كثرّ الله من أمثاله .

وأمّا الجوامع التي تقام بها خطبة الجمعة والعيدين الموجودة بتونس لهذا الزمان فعددها 19 منها 12 لإقامة الصلوات على قـواعد المـذهب المالكي و7 لإقامتها على قواعد المذهب الحنفي. وهذه السبعة صرفت ولايتها للحنفية بعضها من حين التأسيس، وبعضها كانت إمامته بيد المالكية ووقع تحويلها للحنفية إثر الفتح العثماني(م-6) وإليك هي بأجمعها حسب تواريخ ظهورها بعنوان جوامع للخطبة:

1 ـ جامع الزيتونة



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

2 ـ جامع القصبة
3 ـ جامع التوفيق
4 ـ جامع باب البحر
5 ـ جامع أبي محمد
6 ـ جامع باب الجزيرة
7 ـ جامع سيدي يحيى
8 ـ جامع التّبّانين.
9 ـ جامع الحلق
10 ـ جامع القصر
11 ـ جامع يوسف داي
12 ـ جامع سبحان الله
13 ـ جامع حمودة باشا
14 ـ جامع محمد باي المرادي
15 ـ الجامع الجديد
16 ـ جامع صاحب الطابع
17 ـ جامع الحجّامين
18 ـ جامع السّبخاء
19 ـ جامع العمران

فتكون جملة جوامع الخطبة على المذهبين الزكّيين تسعة عشر جامعاً كما قدّمنا. أوّلها جامع الزيتونة المحدث في أواخر القرن الأول للهجرة وآخرها جامع العمران المحدث في أواسط هذا القرن. ويستفاد من تاريخ الشيخ ابن أبي دينار(م - 7)أنّ عدد الخطب بتونس كان سبعة في المائة الثامنة آخرتها أقيمت في حدود سنة 747 [1346] بجامع سيدي يحيى السليماني وأن الناس سخطوا عند إضافة هذه الخطبة للستّ خطب الموجودة قبلها(م-8). ولكنهم زادوا على ذلك خطبة ثامنة بجامع التّبّانين في أيّام السلطان أبي


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

عمرو عثمان الحفصي أثناء القرن التالي. ويلوح أن غضب الناس من أجل هذه الزيادات إنما أثاره مشهور المذهب المالكي من عدم جواز تعدّد الجمعة بالمصر الواحد، لأن بعض الفقهاء المالكية يرى عدم صحّتها في غير المسجد العتيق. والمسجد العتيق بتونس هو جامع الزيتونة. وممّا لا ينبغي إغفال ذكره هنا أن جامعي الخطبتين السابعة والثامنة كانا موجودين بعنوان مسجدين لإقامة الصلوات الخمس فحسب خلافاً للسّتّة الجوامع السابقة، فإنها بنيت من أصلها بعنوان جوامع للخطبة. ثم ذكر الشيخ ابن أبي دينار أن عدد جوامع الخطبة بتونس كان في زمنه ثلاثة عشر بين مالكي وحنفي. والشيخ ابن أبي دينار من رجال القرن الحادي عشر، أنهى تاريخه في سنة 1092 [1681] فتكون جوامع الخطبة في ذلك العهد هي الجوامع التي كانت موجودة بتونس عند سقوط الدولة الحفصية وقيام الدولة العثمانية مقامها وعددها تسعة بالضبط المدقق. وهي: جامع الزيتونة، وجامع القصبة، وجامع التّوفيق، وجامع باب البحر، وجامع أبي محمد، وجامع باب الجزيرة، وجامع سيدي يحيى، وجامع التّبّانين، وجامع الحلق، يضاف إليها الأربعة جوامع التي أقيمت بها الخطبة فيما بين تاريخ الفتح العثماني وعصر ابن أبي دينار. وهي: جامع يوسف داي، وجامع سبحان الله، وجامع القصر، وكان مسجداً للخمس قبل تحويله لجامع خطبة، وجامع حمودة باشا، وهو المتمّم لعدد الثلاث عشرة جامعاً التي عرّف بها صاحب المؤنس. وهذه الجوامع كلّها ما زالت موجودة لهذا اليوم ولله الحمد. وقد ذكر المؤرخ الشيخ الباجي المسعودي(م - 9)في كتاب عقد الفرائد أنه وقع في سنة 1235 [1819] على عهد المولى محمود باي(م - 10)إحصاء رسمي على يد شيخ المدينة (م - 11) وشيخي الربضين(م - 12) للجوامع والمساجد والمدارس والكتاتيب والزوايا الموجودة يومئذ بحاضرة تونس، فكانت جوامع الخطبة سبعة عشر، منها بقسم المدينة ثمانية هي: جامع الزيتونة، والجوامع الحنفية السبعة الموجودة لهذا الزمان، وبالربض الجوفي أي ربض باب السويقة خمسة جوامع هي: جامع باب البحر، وجامع أبي محمد،



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وجامع سيدي يحيى، وجامع التّبّانين، وجامع سبحان الله. وبالربض القبلي أي ربض باب الجزيرة أربعة جوامع هي: جامع الهواء، واسمه جامع التوفيق، وجامع باب الجزيرة البرّاني، وجامع الحلق، والجامع الرابع لا وجود له في هذا الزمان، ولعلّه تناوله الخراب وعمي أثره وضاع خبره. فتكون الجملة ستة عشر جامعاً بقطع النظر عن الجامع المفقود. وبإضافة جامع الحجّامين، وجامع السّبخاء، وجامع العمران التي ازدان بها عصر سيدنا ومولانا الملك الموجود(م-13) تكون جملة جوامع الخطبة بتونس في زماننا هذا (1357) [1938] تسعة عشر جامعاً، وهي التي ذكرنا أسماءها بالقائمة التي سبق إدراجها.

واعلم أن تعدّد خطبة الجمعة في البلد الواحد له أحكام شرعية أفاض القول فيها أيمة المذاهب واتّفق الحنفي والمالكي على أنّ الأصل فيها التوحيد، ثم أباح علماء المذهبين تعدّدها على شروط بتوسّع فيها لأهل المذهب الحنفي على أهل المذهب المالكي، أهمّها تعاظم المصر، وتلاوح أطرافه، كمدينة بغداد في العصر العباسي، ومدينة تونس في الزمن الحاضر. وهذه المسألة تكاثرت فيها الأقوال واختلفت الأنظار بين العلماء لأسباب منها كون الجمعة جاءت مشتملة في مشروعيتها على فائدة التعارف بين جماعة المسلمين من أهل المصر الواحد، فلا يجوز انقسامهم في مساجد كثيرة يفوت معها المقصود من مصلحة الاجتماع. يؤيّد هذه النظرية التي هي من أعظم المباديء السياسية في المجتمع كون صلاة الجماعة في المسجد من فوائدها تعارف أهل الحومة بالالتفاف حول بعضهم بعضاً وهي الدرجة الابتدائية في مقام التعارف، وفوقها درجة الاجتماع لصلاة الجمعة بالمسجد الجامع، لتعارف أهل المصر فيما بينهم، وفوق هذه الدرجة الوسطى، الاجتماع العام لكافة المسلمين من البلاد قاطبة، وهو التحاقهم ببعضهم بعضاً في موسم الحجّ بعرفات، وحول الكعبة المشرفة، وغيرها من البقاع المباركة، حتى إذا قام الدليل على استحالة اجتماع أهل المصر



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

لصلاة الجمعة في جامع واحد، جوّز جمهور العلماء إقامة خطبة ثانية بالمصر تحامياً من فوات صلاة الجمعة على من لم يسعهم مسجدها الأوّل .

قال الإمام أبو يوسف(م-14) بجوازه على شرط أن لا يتعدّاه. وقال الإمام محمد بن الحسن(م-15) بجواز تعدّد الجمعة في موضعين وثلاثة في المصر الواحد، دفعاً للحرج والمشقة عن الناس إذا كانت البلاد كبيرة ولا تجوز فيما زاد للاكتفاء بالصلاة في طرفي المصر ووسطه. وهذا القول يوافق مشهور المذهب المالكي. فإن أيّمة المالكية يجوّزون وجود ثلاثة مساجد جامعة لمدينة كمدينة تونس في هذا الزمان، واحد بوسطها، واثنان بطرفيها، والمصر في عرف الفقهاء هو البلد الذي فيه أمير وقاض للتنفيذ وإقامة الحدود. وعن أبي حنيفة رضي الله عنه: المصر هو البلدة الكبيرة التي فيها سكك وأسواق ولها رساتيق[1] وبها والٍ يقدر على إنصاف المظلوم من الظالم بحشمته وعلمه أو علم غيره يرجع الناس إليه فيما يقع من الحوادث. وعرف الإمام أبو يوسف المصر بقوله: هو كل موضع يكون فيه كل محترف، ويوجد فيه جميع ما يحتاج النّاس إليه في معايشهم، وفيه فقيه مفتٍ، وقاضٍ يقيم الحدود. وقال الإمام محمد في تعريف المصر: كل موضع مصّره الإمام فهو مصر، حتى لو بعث إلى قرية نائباً لإقامة الحدود والقصاص، يصير مصراً. فإذا عزله يلتحق بالقرى. وفي القهستاني تقع الجمعة فرضاً في القصبات والقرى الكبيرة التي فيها أسواق. وقال أبو القاسم(م-16) فيما حكاه عنه الشيخ ابن عابدين(م-17): (هذا بلا خلاف، أي إقامتها في القرى الكبيرة ذات الأسواق. وقال الشيخ ابن ناجي(م - 18)من أيمّة المالكية: ظاهر الكتاب (المدوّنة) منع تعدّد الجمعة في المصر الواحد وإن

---

(1) جمع رستاق وهي القرية كما في القاموس فالرساتيق هي المداشر والقرى حول المدينة وتسمّى في عرف أهل تونس بالأحواز.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

كان عظيماً وهو كذلك خلافاً لمحمد بن عبد الحكم(م - 19)في إقامتها في الأمصار العظام في مسجدين كمصر وبغداد. واستمرّ العمل بتونس على جواز تعدّدها وعدم الاقتصار على مسجدين، ففيها سبع خطب لكثرة الناس جداً) اهـ ونقله شارح العمل المطلق في شرح قوله:

وألـغ فـيهـا شـرط أن تـتّحـدا في المصـر بـل يجـوز أن تعـدّدا

والشيخ ابن ناجي توفي سنة 837 [1433]. والخطب التي كانت موجودة في عصره بتونس هي: خطب جامع الزيتونة، وجامع القصبة، وجامع الهواء، وجامع باب البحر، وجامع أبي محمد المرجاني، وجامع باب الجزيرة البرّاني، وجامع سيدي يحيى السليماني. والخلاصة أن مدينة تونس كانت منفردة بجامع واحد وهو جامع الزيتونة إلى أوائل المائة السابعة، وفيها ظهر جامع القصبة على عهد السلطان أبي زكرياء الحفصي(م - 20). ثم تكرّرت الخطب بها فكانت في آخر المائة السابعة ستّ خطب، وفي آخر المائة الثامنة سبع خطب، وفي آخر المائة التاسعة ثماني خطب، وفي آخر المائة العاشرة تسع خطب، تاسعتها خطبة جامع الحلق. ومن أوائل القرن الحادي عشر إلى هذا الزمان زيد عن ذلك عشر خطب أخرى آخرتها خطبة جامع العمران، وسبحان من هو كل يوم في شأن، لا ربّ غيره ولا معبود سواه.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مدخل جامع الزيتونة



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

# التعاليق

(م ـ 1) الحومة: بمعنى الحيّ. وهو استعمال شائع في اللهجة التونسية.

(م ـ 2) جمعية الأوقاف: عندما تولّى خير الدين باشا الوزارة الكبرى (1290 هـ 1875م)، لاحظ أن الأوقاف الإسلامية أصبحت مشتّتة، فرأى من الفائدة جمعها في إدارة واحدة تسهر على شؤونها وتحفظها من التلاشي، وعهد بإدارتها لأول مرة إلى الشيخ محمد بيرم الخامس. وبقيت جمعية الأوقاف قائمة الذات إلى أن استقلت البلاد في سنة 1956، فاقتضى النظر حل الجمعية وإحالة مشمولاتها إلى الوزارة الأولى.

(م ـ 3) في الأصل: أكلاف

(م ـ 4) في الأصل: تثقيل

(م ـ 5) الشيخ عبد العزيز الباوندي: عالم من علماء الزيتونة وواعظ. تزعم في الثلاثينات حركة واسعة النطاق لنشر تعليم القرآن الكريم في الجوامع والمساجد عن طريق الإملاء. توفي رحمه الله في سنة 1941.

(انظر المجلة الزيتونية، ماي 1941)

(م ـ 6) الفتح العثماني: عندما دخل الأتراك إلى تونس في سنة 981هـ 1573م لم يجدوا بها جامعاً تقام به الصلوات حسب قواعد المذهب الحنفي الذي ينتمون إليه، فخصصوا جامع القصبة لمذهبهم في انتظار بناء جامع حنفي جديد. وكذلك الشأن بالنسبة إلى جامع القصر الذي تحول ابتداء من ذلك التاريخ إلى جامع حنفي، وعوض منبره الخشبي بمنبر رخامي فخم.

(م ـ 7) ابن أبي دينار: هو محمد بن أبي القاسم الرعيني المعروف بأبن أبي دينار القيرواني، من علماء القرن الحادي عشر للهجرة. اشتهر بالخصوص بكتابه «المؤنس في أخبار إفريقية وتونس».

(انظر ترجمته في «عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب» للشيخ محمد النيفر، تونس 1351 هـ ج2، ص2).

(م ـ 8) المؤنس، تحقيق محمد شمام، تونس 1967 ص. 145.

(م ـ 9) الباجي المسعودي (1811 ـ 1880): شاعر ومؤرخ له كتابان منشوران: «الخلاصة النقية في أمراء إفريقية» و«عقد الفرائد».

(انظر ترجمته في «عنوان الأريب «ج2 ـ ص 134).

(م ـ 10) الأمير محمود باي بن محمد الرشيد بن حسين بن علي، تولى الإمارة من 21 ديسمبر 1814 إلى 28 مارس 1824.

(م ـ 11) شيخ المدينة: في ذلك العصر هو الحاج حميدة العماد (إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ـ ج3 ص 116).

(م ـ 12) الربض: ماحول المدينة من مساكن وبيوت. ومن المعلوم أن مدينة تونس تشتمل على المدينة العتيقة والربضين، وهما: الربض الجنوبي أو ربض باب الجزيرة، والربض



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الشمالي أوربض باب السويقة. وشيخا الربضين في ذلك التاريخ هما: علي مهاود شيخ ربض باب السويقة، والحاج علي بو عصيدة شيخ ربض باب الجزيرة. (المرجع السابق ص 121).

(م ـ 13) الملك الموجود: إشارة إلى الأمير أحمد باشا باي الثاني الذي تولى الحكم من 11 فيفري 1929 الى 19 جوان1942.

(م ـ 14) (أبو يوسف) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. ولد بالكوفة وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة وولي القضاء ببغداد، وهو أول من وضع الكتب في أصول الفقة على مذهب أبي حنيفة. (الأعلام للزركلي ج 9 ـ ص 252).

(م ـ 15) هو محمد بن الحسن بن فرقد من موالي شيبان، ولد بواسط ونشأ بالكوفة فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه. ثم انتقل إلى بغداد فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله. (الأعلام ج 6 ـ ص 307).

(م ـ 16) هو عبد الرحمان بن القاسم ويعرف بأبي القاسم. وهو فقيه جمع بين الزهد والعلم وتفقه بالإمام مالك ونظرائه. مولده ووفاته بمصر (الأعلام ج 4 ـ ص 97).

(م ـ 17) هو محمد بن عمر بن عبد العزيز ابن عابدين الدمشقي فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره (الأعلام ج 6 ص 268).

(م ـ 18) هو الشيخ قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني من فقهاء المالكية، تعلم بالقيروان وولي القضاء في عدة أماكن، اشتهر بكتابه الذيل والزيادات على «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» لابن الدباغ. (الأعلام ج 8 ـ ص 110).

(م ـ 19) محمد بن عبد الحكم: محدث حافظ فقيه على مذهب مالك من أهل مصر، من تآليفه: «أحكام القرآن» و« السنن على مذهب الشافعي ». (الأعلام ج 10 ص222 ).

(م ـ 20) أبو زكرياء الحفصي: هو السلطان أبو زكرياء يحيى بن أبي محمد. موطد الدولة الحفصية بتونس، تولى الحكم من سنة 625هـ 1228م إلى وفاته سنة 647هـ/ 1249م.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

# البَابُ الأوَّل

# فِي الجَوَامِعِ المَالكيَّة



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## - 1 -

# جامع الزيتونة(*)

خطبته هي الأولى في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وإمامه الأوّل في هذا الزمان هو الشيخ محمد حمدة الشريف نقيب السادة الأشراف.

اعلم أن بناء هذا الجامع متقدّم على ظهور مذاهب السّنّة بإفريقية، فكانت الصلوات تقام فيه على ما وصل لجماعة المسلمين بتونس من اجتهاد الصحابة والتابعين. والغالب على الظّنّ أن الشعائر أقيمت به على قواعد المذهب المالكي ابتداء من أواخر المائة الثانية، حيث ظهر يومئذ بمدينة تونس مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس على يد صاحبه الفقيه الشيخ علي بن زياد[1] واتفق المؤرخون على أنّه كان بالموضع الذي بني

---

(*) يوجد بتونس جامع آخر اسمه جامع الزيتونة وهو جامع الخطبة بباب البحر وهو الرابع في سلسلة جوامع الخطبة التي تضمنها هذا التأليف ويوجد بها أيضاً مسجد باسم مسجد الزيتونة لإقامة الصلوات الخمس دون الجمعة والعيدين وموقعه بزنقة أبو سعدية. كما يوجد بمدينة القيروان جامع باسم جامع الزيتونة وقد اتّفق لي زيارة مدينة أزمور بالمغرب الأقصى في سنة 1335 [1916] ومما زرته من معالمها الأثرية جامعها المسمّى أيضاً بجامع الزيتونة فيالها من شجرة مباركة يكاد زيتها يضيء.

(1) ترجم له المؤرخ الشيخ أحمد بن أبي الضياف(م - 1) بالنقل عن كتاب المدارك للقاضي =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

فيه جامع الزيتونة شجرة زيتون، وهي التي نسب إليها هذا الجامع كما سيأتي خبره. واختلفوا فيمن بناه(م-2) فبعضهم نسب تأسيسه لحسان بن

---

= عياض فقال: (علي بن زياد التونسي العبسي. قال ابن شعبان وغيره من عبس، وقال أبو العرب علي بن زياد من أهل تونس، ثقة، مأمون، عابد، بارع في الفقه، ممّن يخشى الله عز وجل، مع علوّه في الفقه. أخذ عن الإمام مالك وسفيان الثوري والليث ابن سعد وابن لهيعة وغيرهم. وسمع بإفريقية قبل هذا من خالد بن أبي عمران ولم يكن في عصره بإفريقية مثله. سمع منه البهلول بن راشد، وسحنون، وشجرة، وأسد بن الفرات وغيرهم. وروى عن مالك الموطأ، وكتب سماعه عن مالك.

قال أبو سعيد بن يونس: هو أوّل من أدخل الموطأ للمغرب وفسّر لهم قول مالك، ولم يكونوا يعرفونه، وكان قد دخل الحجاز والعراق في طلب العلم، وهو معلّم سحنون الفقه. ونقل أسد عن المخزومي وابن كنانة: ما طرأ علينا طاريء من بلد من البلدان كشف عن هذا الأمر مثل ما كشف علي بن زياد، وكان سحنون لا يقدّم عليه أحداً من أهل إفريقية. ويقول ما بلغ البهلول بن راشد شسع نعل علي بن زياد [ الشسع زمام للنعل بين الأصبع الوسطى والتي تليها ]. قال سحنون: وكان البهلول يأتي إلى علي بن زياد ويسمع منه ويفزع إليه ـ يعني في المعرفة والعلم ـ ويكاتبه إلى تونس يستفتيه في أمور الديانة. وكان أهل العلم بالقيروان إذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها إلى علي بن زياد ليعلمهم الصواب. قال: وكان عليّ خير أهل إفريقية في الضبط للعلم.

قال سحنون: ولو أن التونسيين يُسألون لأجابوا بأكثر من جواب المصريين، يريد علي بن زياد وابن القاسم.

قال أسد: كان علي بن زياد من نقاد أصحاب مالك. وإني لأدعو عقب صلاتي لمعلميّ وأبدأ بعليّ بن زياد لأنه أول من تعلّمت منه العلم. قال البلخي: لم يكن في عصر علي بن زياد أفقه منه، ولا أروع، ولم يكن سحنون يعدل به أحداً من علماء إفريقية.

وذكر ابن اللبان عن سحنون أن بعض قضاة إفريقية مات فقدم رسول الخليفة في جمع العلماء لاختيار قاضٍ، فتوجّه إلى تونس، وبعث واليها لعلي بن زياد، فتمارض، فقال الرسول: أمير بلد، ورسول الخليفة، يوجّهان إلى رجل من الرعية فيتثاقل عن المجيء؟ فمضى إليه الوالي ومعه الرسول، فلما دخلا عليه، وجداه قد حول وجهه إلى الحائط، فقال له الوالي: يا أبا الحسن، هذا الخليفة يستشيرك في قاضٍ، فحوّل وجهه إلى القبلة، وقال: وربّ هذه القبلة ما أعرف بها أحداً يستوجب القضاء، قوموا عنّي. وكتب البهلول مع سحنون إلى علي ابن زياد [ يأتيك رجل يطلب العلم لله، فلما وصل سحنون أتاه عليّ بن زياد ] إلى بيته بالموطأ، وقال له: والله لاسمعته عليّ إلا في بيتك، لأن أخي البهلول كتب إليّ: إنك ممّن يطلب العلم لله)اهـ. وتوفي الشيخ علي بن زياد رضي الله عنه سنة ثلاث وثمانين ومائة [799] ودفن بداره حيث مسجده المعروف بهذا الزمان(م-5).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

النعمان الغساني الذي فتح تونس في سنة 79 [698] للهجرة. وقال ابن الشباط إنّ الذي بناه هو عبيد الله بن الحبحاب(م - 3) وقال آخرون إن الذي بناه مسجداً هو حسان، وأن ابن الحبحاب هو الذي وسع فيه وكملت ضخامته على يده في سنة 114 [732]. وهذا القول الأخير يسلمه العقل والنقل لأن مدينة تونس افتتحها حسان بن النعمان في آن واحد مع قرطجنة حوالي سنة 79 للهجرة [698] وولاية عبيد الله بن الحبحاب على إفريقية في سنة 110 [728] على عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان، فلا يعقل أن جماعة المسلمين لم يكن لديهم مسجد جامع للصلوات فيما بين قدوم حسان سنة 79 وولاية ابن الحبحاب سنة 110[728]. ومنه يمكننا القول بأن الأساس الأول لجامع الزيتونة وضعه حسان بن النعمان، وعمارته تمت على يد عبيد الله بن الحبحاب. كما أن زيادة الله بن الأغلب الثاني زاد في تدعيم أبنيته وتفخيم شأنه، من ذلك القبة التي فوق المحراب وكان بناؤها سنة 250 للهجرة [864] ونقل الشيخ محمد بن مصطفى بيرم(م - 4) في صفوة الاعتبار(م - 5) أن جامع الزيتونة تم بناؤه سنة 141 [758] كما يستفاد ذلك من كلمة «اعلم» المنقوشة فوق القوس المسامت للتوابيت[1] ببيت الصلاة وهذه العبارة مكتوبة بخط أوّلي بسيط موافق لخط ذلك الزمان،

---

(1) هذه التوابيت كانت موجودة في الدولة الحفصية وكان القصد من إحداثها هو الانتفاع بها لوضع الأسفار فوقها. قال في المؤنس(م - 6) عند الكلام على وليّ العهد الأمير محمد المسعود الذي مات في حياة أبيه السلطان أبي عمرو عثمان الحفصي: (وله مآثر عديدة منها الختمة التي كتبها بيده في عدّة أسفار وأوقف عليها ربعا للاستغلال يقيم القاريء بها ويقرأ فيها كلّ يوم بعد صلاة الظهر نصف حزب أو ربعه بحسب الأيام، وجعلها على التوابيت بإزاء الربعة التي بها البخاري من حبس والده بالجامع الأعظم بتونس) اهـ قلت لا يبعد أن هذه التوابيت كانت في القرون الأولى بشكل صناديق كبيرة معدّة لحفظ أسفار مصاحف القرآن المخطوطة، وكانت هذه المصاحف مكتوبة على الرّقّ بخطوط منفرجة لا تستغرق الصفحة منها أكثر من آيتين أو ثلاث، فيتكوّن منها أجزاء كثيرة يتناولها القراء من المصلّين في أيام الجمعة وغيرها، لأن تلاوة القرآن التي هي من أفضل العبادات كانت هي ذكر الخاصّة والكافّة بين جماعة المسلمين. ومهما كان الحال فإن تلك الصناديق ولك أن تقول التوابيت تحوّلت وجهتها في القرون الأخيرة لجهل الناس بحقيقة حالها. فبعد أن كانت كما =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

يعني قبل تهذيب الخط الكوفي. ورأيت بكناش لبعض أهل العلم بنقله عن كناش للشيخ محمد بيرم الرابع ومن خط يده: أن الشيخ محمد بيرم الأول رأى منقولاً عن خط الشيخ ساسي نوينه وكان مفتياً بتونس على رأس الألف أن تونس خطت لثمانين من الهجرة [699] وخط جامع الزيتونة سنة 114 [732] وقيل في تاريخه «جامع» بحساب الجُمَّل الكبير، كما قيل في تاريخ أقواسه حروف «اعلم» وممن تسبب في بنائه عامل عبد الملك بن مروان (حسان بن النعمان) قال صرف عليه اثني عشر صندوقاً، في كل صندوق اثنا عشر الف دينار ذهباً اهـ. بلفظه وسمعت من الاستاذ الشيخ البشير النيفر(م-8) بنقله عن جده كبير أهل الشورى الشيخ الطيب النيفر أن البّناء الذي باشر بناء جامع الزيتونة مقبور بالتربة المتّصلة بدكان الفطايري بحلقة النعال[1].

ومهما كان الحال فإن جامع الزيتونة كان موجوداً في أوائل المائة الثانية. فهو من بيوت العبادة الممتازة بالعَتْق والأفضلية[2] وأما نسبته للزيتونة فقد قال ابن الشباط(م-9): أنه كان هنالك شجرة زيتون منفردة،

---

= قدّمنا مستودعاً أو محملاً للمصاحف في العصور الأولى وما إليها، صارت لعهدنا الحاضر محملاً لنعال المصلّين، وهي معرّة في وجه التاريخ فلينتبه إليها شيوخ العلم وأيمّة الجامع، ويحرصون على إعادة تلك التوابيت للشيء الذي وضعت لأجله، وينهون الناس عن وضع نعالهم فوقها، لأنها جعلت لحمل المصاحف لا لحفظ الأحذية وشبه ذلك.

(1) اسمها الأصلي حلقة النحال قلبوا حاءها عيناً لاعتقادهم أن كلمة النعال هي المناسبة لذلك لوجود سوق صنع الأحذية المجاور لها.

(2) قال في الشهاب السّادس من (كتاب الشهب المخرقة لمن ادّعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المخرقة) للشيخ أحمد بن مصطفى برناز الحنفي(م-13). وفي محفوظي أن الشيخ عبد الوهاب الشعراني قال في بعض كتبه: وجامع الزيتونة ببلاد المغرب مما يلحق بالمساجد الثلاثة اهـ وكتاب الشهب المخرقة اشتهر بين الناس باسم كتاب «الشهب المحرقة» بالحاء لا بالخاء وهو غلط، والصواب ما ذكرنا. وهذا الكتاب الذي احتوى على مائة وستين شهاباً لا يوجد منه غير نسختين إحداهما مفقودة لا يدرى أين هي ونصّها غير مطابق لنصّ النسخة الثانية المخطوطة والمحفوظة بخزانة جامع الزيتونة تحت عدد 4745 وهذه النسخة الثانية هي التي عليها الاعتماد كما نبّه لذلك المؤلف نفسه.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

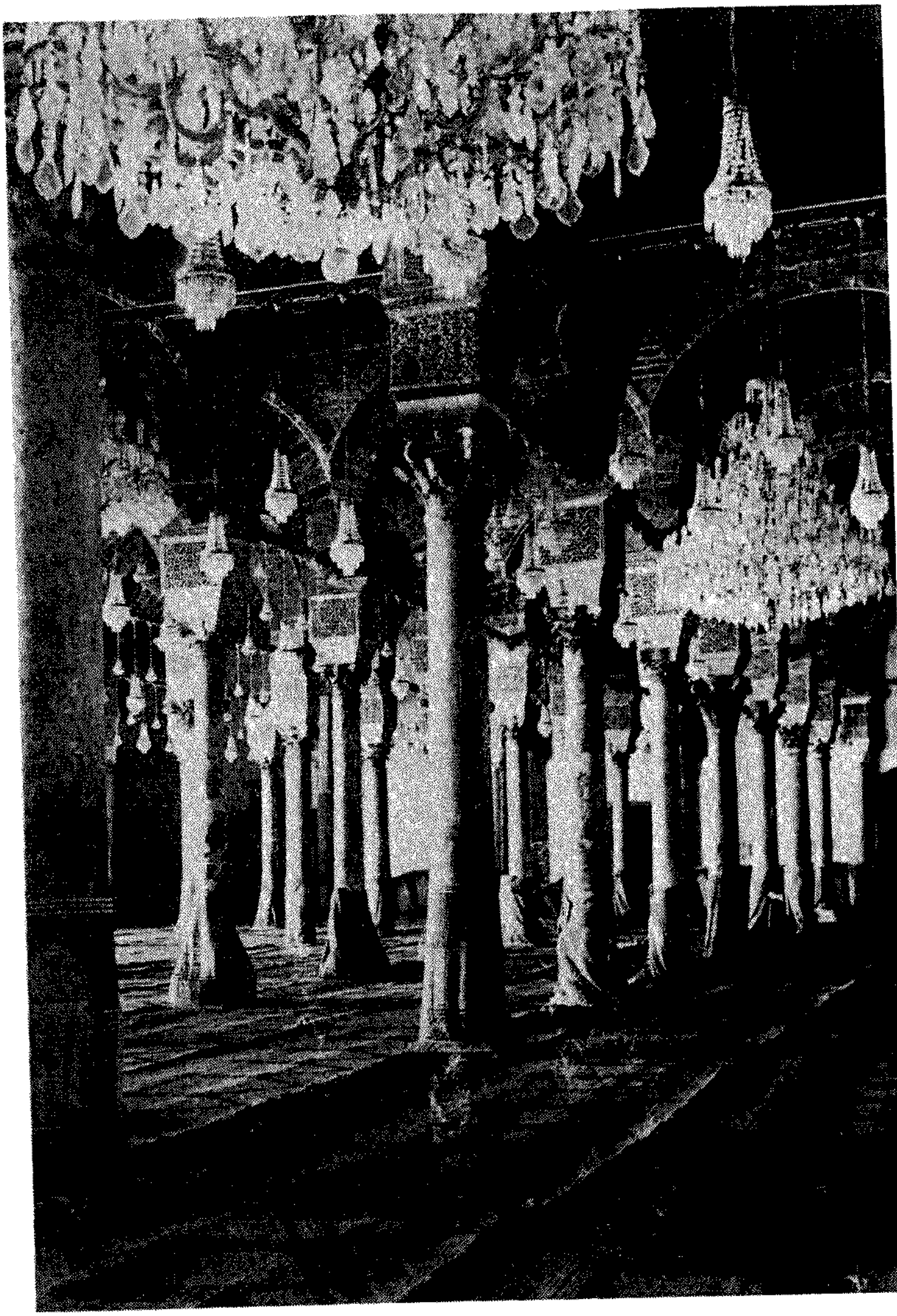

بيت الصلاة



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

فلما بنى المسلمون الجامع حذوها نسبوه إليها، فصاروا يقولـون جامـع الزيتونة. وهكذا استرسل الأمر إلى هذا الزمان. وروى بعض المؤرخين أن صومعته كان مكانها صومعة راهب. وعبارة الحلل السندسية(م - 10) صومعة رهبان بالجمع في زمن الفتح الإسلامي، وذلك الراهب هو الذي دلّهم على بقعة المحراب، حيث كان يرى فيها نوراً يتلألأ في ظلام اللّيل، فأقام المسلمون بها محراب الجامع. والعبد يستضعف هذه الرواية لأنها لو كانت صحيحة لما تخلّى الراهب عن اتّخاذ تلك البقعة محلاّ لعبادته، أو ضنّ بها على جماعة المسلمين الدخيلين بالنسبة إليه. ولا يصحّ في نظري الاعتماد على ذلك القول إلاّ في حالة واحدة، وهي اهتداء ذلك الراهب للإسلام، وهذا لم يقل به أحد من المؤرّخين. وعند استفحال أمر الشيعة بتونس مدّوا يد الفساد لبعض النقوش المكتوبة حول سقوف صحن[1] باب البهور(م - 11) لمحو آثار أهل السنّة. ولقد جمع المستعرب مسيوروا(م - 12) (Roy) كاتب الدولة العام في أيام حوله وطوله جميع ما حفظته الأزمان الماضية من عبارة النقـوش والوثـائق الأثريـة، وفهارس الخـزائن العلمية المـوجودة بجـامع الزيتونة، ورسم له خريطة بالطريقة الهندسية بنيّة تحرير تاريخ شامل لأخبار هذا البيت المبارك، ولكنه لم ينجز من مقصوده سوى نشر قسم من فهرست الكتب المحفوظة بخـزائن الجامـع تضمّن جميع مـا احتوت عليـه تلك الخزائن من كتب التاريخ والسير والتراجم، وقد شاركته في تحرير ذلك الفهرس(م - 15) الموضوع على أساليب برامج خزائن الكتب بأوروبا، يعني بالطريقة الفنية المتضمّنة للتعريف بالمؤلّفات والمؤلّفين. وكان هذا الفهرس التاريخي هو الباعث على وضع الفهرس العمومي الجـديد(م - 16) لكتب

---

(1) قال العبدري(م - 14) في رحلته ضمن كلامه على تونس إنهم كانوا يغطون صحن باب البهور بشقق الكتان (قلاع) يوم الجمعة في مدة الصيف كله لوقاية المصلين من حر الشمس. وقال في الحلل السنـدسية إن الـذي أمر بعمـل تلك القلاع هـو السلطان أبو عمـرو عثمان الحفصي، وهذا ليس بصحيح، لأن القلاع بصحن الجامع كانت موجودة في عام 688 [1289] الذي قدم فيه العبدري لتونس.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

جامع الزيتونة الذي ظهرت منه أربعة أجزاء بعناية الدولة التونسية ومعرفة لجنة التدوين التي نعلّق على همّتها الرجاء بإظهار بقية تلك الكنوز العلمية لأنه طال انتظار أحبّاء العلم لخروجها إلى عالم الإفادة والظهور، ونقدّر جملة هذا الفهرس الجديد بعشرة أجزاء لمجموع كتب خزائن الجامع وسنعود للكلام على هذه الخزائن العامرة عند الوصول لحديثها إن شاء الله .

ولنرجع بالقارىء لحديث الجامع فنقول إنّ سلاطين بني أبي حفص شملوا في مدّتهم جامع الزيتونة بعنايتهم وبعطفهم، فالسلطان المستنصر بالله(م - 17) جلب لقصره بأريانة حيث بستانه المعروف برياض أبي فهر ماء زغوان في سنة 648 [1250] وأجرى منه قناة لسقاية جامع الزيتونة. قال حازم في مقصورته(م - 18) مخاطباً السلطان المشار اليه:

وطـود زغـوان جـلبـت مـاءه  فلم يـزغ عن طـاعـة ولا ونـا

وقال في مسامرات الظريف(م - 19): إن السلطان يحيى بن المستنصر المذكور كسا الجامع وحسّنه في سنة 676 [1277] ثم في عام 716[1316] أمر السلطان زكرياء بعمل عوارض وأبواب من خشب لبيت الصّلاة[1] ثم إنّ

(1) في أيام هذا السلطان وقع أيضاً تجديد بعض سقوف بيت الصلاة منها سقف رواق المحراب، واتفق أن كان الإمام يومئذ هو الشيخ أبو إسحق إبراهيم بن عبد الرفيع، فأذن بتغطية ذلك الرّواق بالحصر حيث لا سقف له، فلما صعد للمنبر لخطبة الجمعة قام رجل اسمه أبو علي القروي مشهور بالصّلاح منكراً على الإمام خطبته بمكان لا سقف له وأغلظ عليه في القول على رؤوس الأشهاد، فأمر به الإمام فسجن يومين وأطلق في اليوم الثالث، ولما آلت الدولة للأمير محمد أبي ضربة ابن السلطان المتقدّم ذكره حكم على الشيخ ابن عبد الرفيع بالعزل انتقاماً منه، ثم سجنه بالمهدية في ماجل مدّة عامين ونيف، لأنه لما كان الشيخ ابن عبد الرفيع قاضياً للجماعة بتونس، حكم بالموت على الأمير محمد المذكور وهو وليّ عهد أبيه في نازلة قتل ثبت رسم التدمية فيها على ابن الخليفة. قال في تاريخ الدولتين(م - 20): إن ابنَ عبد الرفيع كان يقول سبب محنته هو تثقيفه للشيخ الصالح أبي علي القروي فكانت فدية سجنه إياه كلَّ يوم بعام لأنّه حبسه يومين وبعض يوم، فقضى هو بالماجل الذي سجن به في المهدية عامين ونيفاً. وسيأتي الكلام بزيادة بسط على الشيخ ابن عبد الرفيع في سلسلة أيمّة جامع الزيتونة.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

السلطان أبا عبد الله محمد الحفصي أنشأ فيه المقصورة التي بصحن الجنائز(م - 21) وبنى السّبيل الذي تحتها على رأس المائة العاشرة. ثم إن الأمير محَمد باي المرادي(م - 22) زاد في ارتفاع صومعته ووضع بصحنه الرخامة (مزولة) لتحرير دخول وقت الصلاة وكتب عليها اسمه. وفي سنة 1037 [1627] بنى إمام الجامع الشيخ محمد تاج العارفين البكري المجنبة الشرقية وكتب اسمه في سقفها اهـ.

وممّا ينبغي أن لا يغفل ذكره في هذا المقام ما حفظه التاريخ لعساكر الإسبانيول عند احتلالهم لتونس في المائة العاشرة. قال في تقرير رسمي للشيخ أحمد بن الخوجة(م - 23) كتبه رحمه الله في أحوال الجامع قبيل وفاته أواخر سنة 1313 [1895]، وكان رجال السبانيول وعساكره حيوانات ضارية في صورة أناسين. فمن قبائح فعلاتهم مع التونسيين وعبثهم في البلاد أن ربطوا خيولهم بجامع الزيتونة، وحفروا حفراً صغيرة في بلاط صحنه كي لا تعثر بهم خيولهم، واستباحوا ما بالجامع من الكتب العلمية فداسوها بخيولهم بعد أن ألقوها بالطرقات، ومزّقوها بسيوفهم، وغير ذلك من أفعال الحيوانات العجم اهـ.

هذا ولقد سبقت الإشارة فيما تقدّم للصّومعة التي كانت متعبّداً للرهبان حذو الجامع. فهذه الصومعة يزعم بعض المؤرخين ومنهم الشيخ ابن أبي دينار أنها كانت موجودة بذاتها في القرن الحادي عشر بعنوان مئذنة للصلاة وقدّروا ارتفاعها بنحو ثمانية أذرع. قالّ: وفي سنة 1063 [1652] زاد في ارتفاعها الباي محمد باشا المرادي وكان بواجهتها حجارة منقوش عليها أبيات من نظم الأديب الشريف السوسي مطلعها :

تأمل نقوش الحسن صنعن بالأيدي  فلطف البنا ينبيك عن جوهر الفرد

ومنها في الإشارة لاسم مجدّدها:

فمن مثل مولانا بحضرة تونس  محمد باي ثابت الفضل والمجد



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

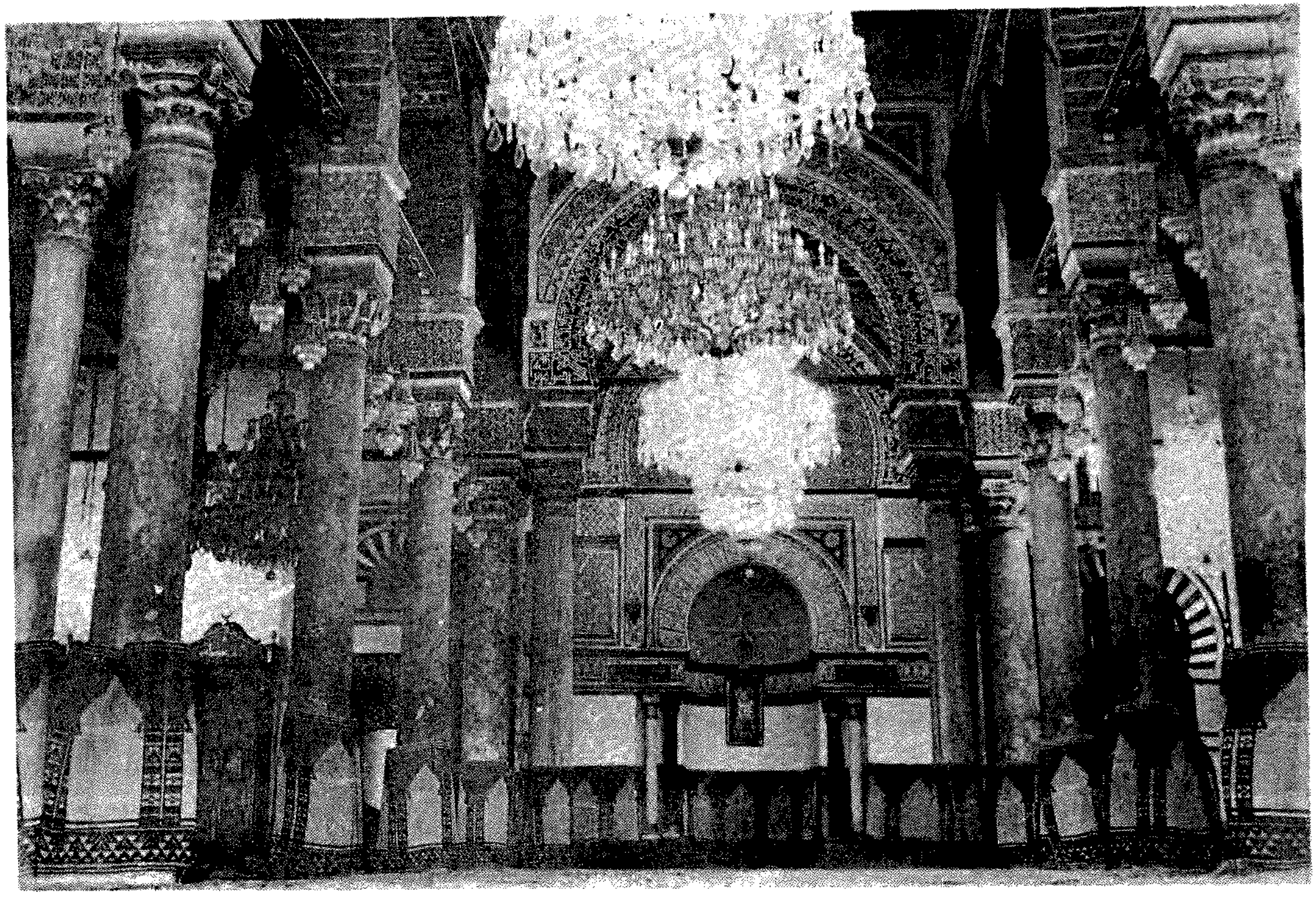

محراب جامع الزيتونة



مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

وبيت التاريخ:

ينـادي الـورى تم البنـاء فـارخـوا  بنـاءي عليه رونق الملك والسعـد

1063 [1652]

وكان ارتفاع تلك الصومعة بعد ذلك التجديد خمسين ذراعـاً (30 متراً). ودامت كذلك إلى أن أبلتها السنون فتداعت للسقوط في حدود سنة 1309 [1891] على ما هي عليه اليوم في ارتفاع ثلاثة وأربعين متراً بمعرفة الأمين أبي الربيع سليمان النيڤرو مهندس البناء، وأقيم فيها الأذان لأوّل مرة لصلاة عصر يوم 26 رمضان سنة 1312 [1894] بحضور المقدّس المولى علي باي الثالث(م - 24) وآل بيتـه ووزرائه والعلمـاء والأشراف والخـاصة والكافة. وبلغت مصاريف تجديدها على نفقة جمعيّة الأوقاف إلى مائة ألف وعشرة آلاف من الفرنكات بسّكة ذلك الوقت وهو مقدار يتجاوز المليون بسكّة هذا الزمان، ولما تمّ بناؤها كتبوا على واجهتها تاريخ تجديدها في قصيدة عصماء من نـظم العلامـة الأستاذ الشيـخ سالم بـوحاجب(م - 25) مطلعها:

نـال فـوزاً بـمنـاه كـلّ سـاع  كي يرى مشمول فضل ذي اتساع

ومنها في الإشارة لاسم أمير العصر:

حـضـرة البـاشـا عـليّ من لـه  فـي قـلوب الـخـلق لـلودّ ازدراع

وبيت التاريخ:

ولـسـان الـصـدق قـد أرّخـه  لـمنـار الـدّيـن حـق الارتـفـاع

1312 [1894]

ومن غريب الاتّفاق أن كان يوم افتتاح هذه الصومعة (26 رمضان) موافقاً في النظام الشمسي بحساب الزيج القديم المعروف بالأعجمي ليوم



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

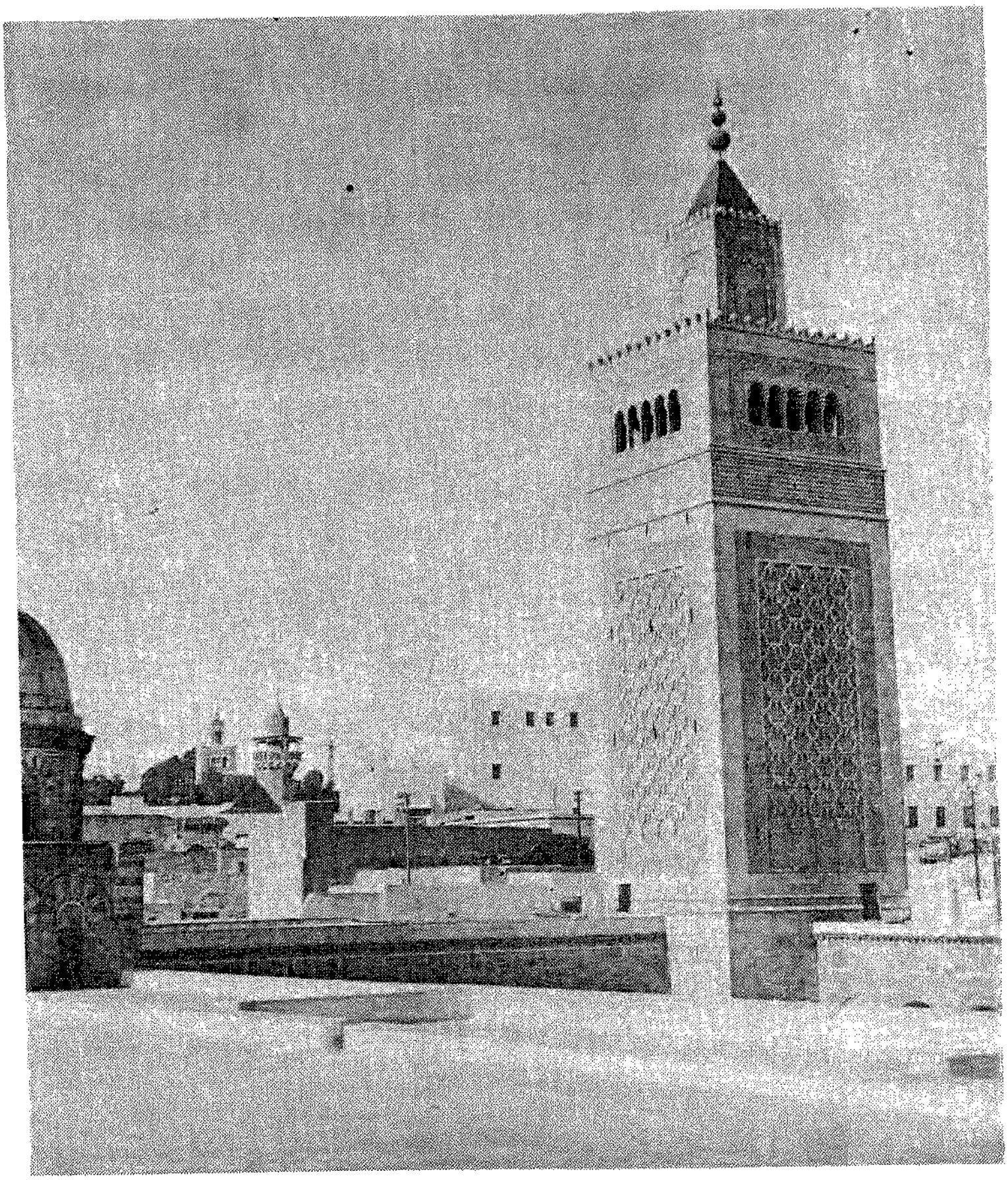

مئذنة جامع الزيتونة



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

«تاسع مارس» وهذان اللفظان يوافقان بحساب الجمل العدد 1312 الذي هو عام البناء كما سبقت الإشارة إليه.

وآخر إصلاح وقع إجراؤه بجامع الزيتونـة هو تجديد قبة محرابه في هذا العام ( 1357 [1938]) وهي من بقايا القرن الثالث كما تقدّمت الإشارة لذلك بنيت في زمن زيادة الله بن الأغلب[1]. قال في مسامرات الظريف م[26]: إن زيادة الله بن الأغلب بنى بالجامع الأبنية الضخمة حين بنى سور الحاضرة التونسية ونقش في القبة التي فوق المحراب اسم أمير المؤمنين المستعين بالله العباسي بتاريخ سنة خمسين ومائتين اهـ. وفي المؤنس(م - 27): أن السلطان أبا اسحق إبراهيم بن أبي يحيى الحفصي جدّد تلك الكتابة بالارزرد في سنة 760 [1358].

هذا وقد بلغت نفقة التجديد الأخير للقبة المتحدّث عنها في عامنا الحاضر إلى نحو ستين الف فرنك. ولا يسع الناظر في جمال هذه القبة التي أعيد بناؤها على قواعدها الأوّل إلا ترطيب لسانه بالدعاء لأمير هذا العصر لأن حسنة تجديدها كتبتها يد الأقدار بصحيفة مساعيه الجليلة في سبل البرّ. وبديهي أن لجمعيّة الأوقاف قصب سبق في هذه المنقبة التي خلّدت جميل الذكر لمديرها المفرد العلم صاحبنا أمير الأمراء السيد محمد سعد الله كثرّ الله من أمثاله وأثابه وأنابه.

---

(1) بنو الأغلب تولّى الإمارة منهم ثلاثة باسم زيادة الله وصاحب قبة جامع الزيتونة هو زيادة الله الثاني وكانت ولايته سنة 249 [863] وأما زيادة الله الأول فقد تولى الإمارة سنة 201[816] وزيادة الله الثالث تولاها سنة 290 [902] وهو قاتل أبيه، ومن يده خرج الملك من بيت الأغالبة سنة 296 [908].



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## التعاليق

(م ـ 1) إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الامان (النشرة الثانية) ج 1 ص 126 الدار التونسية للنشر، 1976.

(م ـ 2) تأسيس جامع الزيتونة: انظر حول هذا الموضوع «مسامرات الظريف بحسن التعريف» تأليف الشيخ محمد السنوسي تحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر ـ تونس 1983، وتاريخ جامع الزيتونة لمحمد الحشايشي، تحقيق الجيلاني بن الحاج يحي، نشر المعهد القومي للفنون والآثار.

(م ـ 3) عبيد الله بن الحبحاب: تولى الإمارة على إفريقية من قبل الدولة الأموية من سنة 116 / 734 إلى سنة 123 / 741 (المؤنس ـ ص 40).

(م ـ 4) هو الشيخ محمد بن مصطفى بن محمد بيرم يعرف باسم محمد بيرم الخامس (1205 ـ 1307 - 1850 - 1889). من أهم مؤلفاته «صفوة الاعتبار لمستودع الأمصار والأقطار».
(انظر ترجمته في «تراجم المؤلفين التونسيين » لمحمد محفوظ ج1 ص 191).

(م ـ 5) صفوة الاعتبار ج 1ـ ص 122.

(م ـ 6) لقد أزيل هذا المسجد عند إعادة تهيئة ساحة القصبة بعد الاستقلال (1956)، وبني مكانه مقام آخر للشيخ علي بن زياد حذو مستشفى عزيزة عثمانة .

(م ـ 7) المؤنس ص158.

(م ـ 8) الشيخ محمد البشير النيفر: (1889 — 1974) من كبار علماء جامع الزيتونة، باشر التدريس بالجامعة الزيتونية والمعهد الصادقي، وتولى خطة القضاء المالكي والفتيا إلى أن تم توحيد القضاء التونسي في سنة 1956. كما باشر الإمامة والخطابة بجامع أبي محمد وجامع الزيتونة. وقد جمعت خطبه الجمعية في كتاب صدر بتونس سنة 1974 بعنوان «نبراس المرشدين في أمور الدنيا والدين».

(م ـ 9) ابن الشباط: هو أديب وكاتب. أصيل مدينة توزر بالجريد التونسي شرح قصيدة عبد الله الشقراطسي وخمّسها .
(انظر ترجمته في «عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب» تأليف الشيخ محمد النيفر ـ تونس 1351 ـ ص 65).

(م ـ 10) الحلل السندسية في الأخبار التونسية. تأليف محمد بن محمد الوزير الأندلسي المعروف بالسراج (1070 — 1149 — 1659 — 1737).
(انظر ترجمته في الجزء الأول (1/1) ـ تونس 1970 ـ بقلم محمد الحبيب الهيلة).

(م ـ 11) باب البهور: هو الباب الأوسط من أبواب بيت الصلاة التي تفتح على صحن جامع الزيتونة.

(م ـ 12) برنارروا (Bernard Roy) ـ تولى خطة كاتب عام للحكومة التونسية من سنة 1890 إلى سنة 1910 ثم كاتب عام للأمور العدلية من سنة 1910 إلى سنة 1919.

(م ـ 13) هو القاضي أحمد بن مصطفى المعروف ببرناز ( 1074 — 1138 — 1664 — 1726) تولى القضاء الحنفي، وباشر التدريس بجامع الزيتونة، وكان يعتبر من ألمع فقهاء الحنفية في عصره. من أهم تآليفه: «الشهب المخرقة».



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

(انظر: تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ، نشر دار الغرب الاسلامي، بيروت ج 1 ـ ص 122).

(م ـ 14) هو أبو عبد الله محمد المشهور بالعبدري. بدأ رحلته سنة 688هـ وألف عنها كتاباً بعنوان: الرحلة المغربية.

(م ـ 15) هو كتاب «المنتخب من فهرس المخطوطات والمطبوعات العربية لمكتبة الجامع الأعظم» طبع بتونس سنة 1901.

(م ـ 16) فهرس المكتبة العبدلية والمكتبة الصادقية ـ تونس 1320هـ 1911م (4أجزاء).

(م ـ 17) السلطان المستنصر بالله: هو محمد المستنصر بن أبي زكرياء الحفصي، بويع بتونس أوائل رجب من سنة 647هـ ـ1249م، ولقب بالمستنصر بالله. تولى الإمارة ةإلى وفاته سنة 675/1277.

(م ـ 18) ورد البيت في مقصورة حازم هكذا:

وطود زغوان دعوت ماءه فلم يزغ عن طاعة ولاونا

(وزغوان: هي بلدة تبعد عن مدينة تونس بنحو 50كم، بها جبل توجد به عيون جارية تعرف به).

(انظر: قصائد ومقطعات، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق د. الحبيب بلخوجة ـ ص 23 ـ الدار التونسية للنشر 1972).

(م ـ 19) مسامرات الظريف ج1 ـ ص96.

(م ـ 20) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي ـ تحقيق الشيخ محمد ماضور ـ تونس 1966 ـ ص 62.

(م ـ 21) هي المقصورة الشرقية التي كانت تأوي المكتبة العبدلية. وقد أزيلت هي والسبيل الذي كان موجوداً تحتها عند ترميم جامع الزيتونة بعد الاستقلال.

(م ـ 22) محمد باي المرادي: تولى الإمارة سنة 1675م بعد وفاة أبيه مراد بن حمودة باشا. وتوفي سنة 1696م.

(م ـ 23) أحمد بن الخوجة: من كبار علماء جامع الزيتونة. تدرج في سلك الرتب العلمية والقضائية إلى أن ارتقى إلى مشيخة الإسلام الحنفية سنة 1877م.

أنظر ترجمته في «تراجم الأعلام» للشيخ محمد الفاضل بن عاشور ص 93.

(م ـ 24) علي باي الثالث: تولى الإمارة من 28 أكتوبر 1882 إلى 11 جوان 1902 وخلفه ابنه محمد الهادي باي.

(م ـ 25) الشيخ سالم بوحاجب (1829 — 1925).

باشر التدريس بجامع الزيتونة مدة 65 سنة، وتولى الإمامة والخطابة بجامع «سبحان الله» بتونس. أسندت اليه خطة الفتيا بالمجلس الشرعي، فتدرج في سلمها حتى بلغ رتبة مشيخة الإسلام المالكية.

(انظر ترجمته في «تراجم الأعلام» ص 219).

(م ـ 26) مسامرات الظريف ص 95.

(م ـ 27) المؤنس ص150.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## أيمة جامع الزيتونة (م - 1)

كانوا في الدولة الحفصية يولون الإمام الأول بعنوان خطيب الجامع ويضيفون إليه الفتْيَا الشفاهية في غالب الأوقات. ومن يولونه إماماً به لم يكن له حق في الخطبة إلا بطريق النّيابة. فكل خطيب إمام، وليس كل إمام خطيب.

وقد اتفق لبعض الخطباء من الأيمة البكريين في القرن الثاني عشر تفويض الأمر لهم بالولاية والعزل في خليفة الإمام[1] وناظر الأحباس،

---

(1) كانت السُّنَّة في القديم أنّ أيمة جامع الزيتونة ثلاثة، الإمام الأول، ويختصّ بالجمعة والعيدين، والإمام الثاني، ويسمّى الخليفة، ويختصّ بمباشرة الصلوات الخمس، والإمام الثالث، ويسمّى النائب، يستخلفه الإمام الثاني عند طروّ عذر عليه، وفي دولة المشير محمد الصادق باي(م - 2) زيدت خطة إمام رابع بعنوان نائب ثان، ثم زيدت خطة إمام خامس بعنوان صلاة التراويح، ثم ألغيت هذه الخطة في عهد المولى محمد الناصر باي (م - 3) وأعيد إحياؤها في عهد المولى محمد الحبيب باي (م - 4)، ثم ألغيت من جديد، واستقرّ قرار الإمامة بجامع الزيتونة لهذا الزمان (1357 [1938]) في الإمام الأول، وفي الإمامين الثاني والثالث وفي إمام رابع ونائب واحد عنهم.

وكانوا في أوائل الدولة الحسينية يسندون خطة الإمام الثاني خليفة الإمام الأول لقاضي الجماعة بتونس، فكان الشيخ محمد سويسي قاضياً وإماماً ثانياً بجامع الزيتونة ولما توفي في سنة 1202 [1787] خلفه في الخطتين الشيخ محمد الطويبي وتوفي سنة 1217[1802] فخلفه فيهما الشيخ عمر المحجوب. ولما صرف عنهما في سنة 1221[1806] فصل المولى حمودة باشا يومئذ بين الخطتين، فأولى الشيخ الطاهر بن مسعود إماماً ثانياً بالجامع، وأسند خطة القضاء لغيره من الفقهاء، وبطل التلازم بين الخطتين من يومئذ. قالوا: إنه فعل ذلك تفادياً =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وسائر أرباب الشعائر كما ستراه بمحله. وبالتالي وقع الجمع بين خطتي الخطابة والإمامة بجامع الزيتونة. وهي الحالة الموجودة لهذا الزمان وحيث كان المفهوم من معنى خطيب الجامع هو إمـام، ناسب اتّخـاذ العنوان المفتتح به هذا الفصل لذكر السلسلة الدريّة الجامعة لأسماء الأيمة الخطباء بجامع الزيتونة من أوائل المائة الثامنة إلى هذا العهد. اعتمدنا في ترتيب أسمائهم على ما جاء في تاريخ الوزير ابن أبي الضياف، وفي مسامرات الظريف. ولنبتدىء في ذلك باسم قاضي الجماعة الشيخ أبي إسحق إبراهيم ابن عبد الرفيع الذي فارق إمامة الجامع في حياته وتولّاها مكانه الفقيه الشيخ هارون الحميري وإليك البيان:

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| 1 | الشيخ إبراهيم بن عبد الرفيع | 733 [1332] | تولّى قضاء الجماعة بتونس وكان صاحب علم واسع، وعزيمة ثابـة، مع مهابة وإقدام في الحقّ لا تلوي عصاه شوكة أهل الدولة. ومن كان كذلك لا يخلو حاله من حسّاد وأضداد، لاسيما من أهل طبقته. قالوا إنّ من أكبر خصومه الشيخ محمد بن عبد السلام الهواري عمدة المذهب المالكي. وفي آخر عمره عاكسته الأيام، وكـان سبب نكسته حكمه بالموت على ابن السلطان أبي يحيى زكرياء ابن أبي العبـاس الحفصي لتعمّـده قتـل النفس بالباطل. قال في شجرة النور الزكية(م - 5): (ولما عفا |

= من مظنة أن بعض الخصوم ربّما لا يرضيهم إمامة القاضي فيؤمّهم وهم له كارهون. وفي الترمذي من حديث أبي أمامة: ثلاثة لا تجوز صلاتهم وآذانهم، العبد الآبق، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام أمَّ قوماً وهم له كارهون (أي بحق).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| | | | عنه أولياء القتيل بقي في حبس القاضي على مقتضى المذهب المالكي من سجن القاتل عاماً ثم ضربه مائة إن لم يقع القصاص كفارة للقتل إذا كان القتل بإقراره. ولبث في السجن حتى أخرجه أهل الحلّ والعقد منه، وبايعوه لما نفض أبوه يده من السلطنة) اهـ وقال في تاريخ الدولتين(م - 6): (إن هذا القاضي مات عن خمس وتسعين، منها ثلاثون يتردّد فيها القضاء بين تبرسق وقابس، ثم ترقّى الى قضاء تونس، فداوله في خمس دول أوّلها في جمادى الأولى عام 699 [1299] وكانت له معرفة بالوثائق والأحكام منفذاً لأحكامه، غير متهيّب للأمراء، مقبوض اليد، سالم العرض، وله تصانيف منها مفيد الحكام، ومنها الردّ على المتنصر، ومنها اختصار أجوبة ابن رشد، ومنها الأجوبة عن أسئلة أوردها القاضي أبو بكر الطرطوشي) اهـ. نسبة لطرطوشة مدينة قريبة من ساحل البحر المتوسط باسبانيا دمّرتها قنابل الحرب الداخلية القائمة باسبانيا لهذا الزمان (1357) [1938]. |
| 2 | الشيخ هارون الحميري(م - 7). | 729 [1328] | |
| 3 | الشيخ محمد بن عبد الستار التميمي | 749 [1348] | |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| 4 | الشيخ عمر بن عبد الرفيع | 766 [1364] | |
| 5 | الشيخ محمد بن عرفه الورغمي | 803 [1400] | قال في الحلل السندسية(م - 8): أوّل مرة رقى المنبر قال أيها الناس:<br>يرفع الدهر أناسا بعد أن كانوا سفاله<br>من له في الغيب شيء لم يمت حتى يناله<br>قلت: هو أشهر أيمّة المالكية بتونس في السابق واللّاحق. وافق تاريخ ولادته لفظ (سرور) بإضافته للمتكلّم (سروري: 716 [1316]). ووافق تاريخ وفاته لفظ (خراب) (803) [1400] بحساب الجمل، وقبره معروف ومزار بجبل الزلاج على مقربة من المقام الشاذلي(م - 9). كان معاصراً لوليّ الدين ابن خلدون، وكانا على طرفي نقيض، لم يجمع بينهما كأس الصفا، ولم يسعهما بساط الوفا. فاق ابن عرفة عَصْرِيِّه في علوم الشريعة، وفاقه ابن خلدون في علوم الاجتماع البشري ومنها التاريخ والسياسة. |
| 6 | الشيخ أبو مهدي عيسى الغبريني | 813 [1410] | تولّى قضاء الجماعة، ولما توفي دفن بالزلاج، وهو عمّ الشيخ أحمد الغبريني دفين جبل المنار، وهذا كانت وفاته سنة 770 [1368]. |
| 7 | الشيخ أبو القاسم البرزلي | 841 [1437] | ممّن انتهى إليهم العلم، كان يلقّب بشيخ الإسلام، مات عن مائة وثلاث سنين. قال في |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| | | | الحلل السندسية(م - 10): وممّن أخذ عن ابن عرفة الشيخ أحمد بن محمد الهنتاتي أبو العباس شهر الشماع (والد المؤرخ) قاضي محلّة السلطان أبي فارس. له نزاع مع البرزلي في مسألة العقوبة بالمال، ردّ فيها على البرزلي، وشنّع عليه غاية في قوله بجوازها، وألف فيها تأليفاً في كراريس سمّاه (مطالع التّمام ومنجاة الخواص والعوامّ في رد القول بإباحة غرم ذوي الإجرام) وذكر فيه أنه تواتر عنده عن شيخه ابن عرفة أنه كان يقول في سجوده: اللهمّ احفظ دين محمد صلى الله عليه وسلم من البرزلي اهـ. |
| 8 | الشيخ أبو القاسم الوشتاتي القسنطيني | 846 [1442] | توفي قتيلا عند سلامه من صلاة الصبح وهو جالس على سجادته عند باب البهور، حيث صلّى بالناس، وقتل قاتله في الحين تحت صومعة الجامع. |
| 9 | الشيخ عمر بن محمد القلشاني م-11 | 847 [1443] | صاحب شرح الطوالع ومختصر ابن الحاجب. والقلشاني نسبة لقلشانة بلدة قريبة من القيروان عفت رسومها لهذا الزمان. وبعض المؤرخين يكتبونها بالجيم فيقولون قلجاني لا قلشاني كالشيخ ابن ابي دينار، والعامّة صحفوها تصحيفاً آخر فجعلوها قرشاني، كأن لفظها مشتق من القروش المشرقية. قال في الحلل السندسية(م - 12): |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| | | | إنه مات سنة 848 [1444] والأرجح ما ذكرنا. كان فقيهاً ومدرّساً ولكنه لم يتولّ خطّة الفتوى بالجامع، خلافاً للقاعدة المعمول بها في ذلك الوقت. قال في ابتسام الغروس(م - 13): حصل نزاع بينه وبين الولي سيدي أحمد بن عروس(م-14): في شأن دار محبّسة على إمام جامع الزيتونة أفضى بالإمام للشكاية بالشيخ رضي الله عنه للقاضي الشيخ محمد بن عقاب، وهذا بدوره سعى لحمل الشيخ ابن عروس على الحضور لديه، فدعا الشيخ عليهما وماتا لقريب من ذلك ولكلّ أجل كتاب(م - 15). |
| 10 | الشيخ محمد المصراتي | 863 [1446] | |
| 11 | الشيخ محمد بن محمد بن عقاب التونسي | 851 [1447] | جمع بين قضاء الجماعة والخطابة بجامع الزيتونة، وتوفي في جمادى الآخرة سنة 851 [1447] وصلي عليه بجامع الزيتونة، ودفن بجبانة سيدي أبي سعيد اهـ (من الحلل). |
| 12 | الشيخ محمد بن أبي بكر الونشريسي | 853 [1449] | تولّى في ثالث محرم 852 [1448] ومنه يستفاد أن الخطبة بقيت شاغرة بعد وفاة سلفه أكثر من ستة أشهر وهو أمر غريب لا سابقيّة له في تاريخ الجامع. |
| 13 | الشيخ محمد بن سليمان البحيري | 858 [1454] | جمع بين قضاء الأنكحة والخطابة. |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| 14 | الشيخ أحمد القلشاني | 863 [1458] | لما توفي حضر السلطان جنازته قال في «الحلل السندسية»(م - 16): بعث السلطان (أبو عمرو عثمان ابن محمد المنصور بن أبي فارس) أم ولده (أبي العبّاس أحمد القلشاني يخيّره أن يتولّى خطابة جامع الزيتونة والفُتْيَا به بعد صلاة الجمعة عوض الشيخ البحيري مع القضاء، أو يترك القضاء ويبقى على خطبته خاصّة. فاستخار الله في ذلك، وكتب براءة بخطّه في ذلك في سابع رجب باختيار الخطبة والفتيا، واستعفاه عن قضاء الجماعة فأعفاه اهـ قلت: يستفاد ممّا تقدّم أن من سلاطين بني أبي حفص من كان يستعين بأهل حرمه في المصالح العامة كالسلطان أبي عمرو عثمان المتقدّم ذكره. ولا تنسى أن أمّ هذا السلطان كانت أوروباوية، وكذلك أم ولده محمد المسعود التي تمّت على يدها ولاية الشيخ أحمد القلشاني خطيباً بجامع الزيتونة ومفتياً به، فلعل انتفاعه بزوجته في أمور الدولة انجرّ له من أخلاق وعوائد جنس أمّه وزوجته. |
| 15 | الشيخ أحمد المسراتي | 882 [1477] | هو الذي تقدّم للصلاة على الشيخ سيدي أحمد ابن عروس عند وفاته في سنة 868 [1463]. |
| 16 | الشيخ محمد القلشاني | 890 [1485] | كان قاضياً ومفتياً وإماماً وخطيباً في وقت واحد وهو جد آل البيت المرادي لأمهم. |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| 17 | الشيخ محمد بن قاسم الرصاع | 498 [1488] | شارح كتاب حدود الإمام ابن عرفة. تولّى قضاء المحلّة، ثم قضاء الأنكحة، ثم قضاء الجماعة. ولقّب بالرّصّاع لأن جدّه كان نجّاراً يرصّع المنابر. وكان لهم في الدولة الحفصية زيادة على خطط القضاء المذكورة قاض للمعاملات، وقاض للأهلّة. قال في المؤنس(م - 17): وقاضي الجماعة بتونس هو قاضي القضاة في اصطلاح أهل المشرق. قلت وفي الدولة الحسينية كانوا يقدّمون من فقهاء المالكية لخطة قضاء المحلّة، ثم لخطة قضاء باردو، ثم لخطة القضاء أو الفتوى بتونس. وآخر من تولى القضاء بباردو الشيخ أبو حفص عمر بن الشيخ، ومنه انتقل للفتوى بالحاضرة، وهو أوّل من تولّى مفتياً بالعنوان الشرفي. وتوفى سنة 1329 [1911] وكانوا يولون إمام المحلّة من الفقهاء الحنفية وآخر من تولّى هذه الخطة المدرّس الشيخ حمدة الخوجة وماتت بموته في سنة 1318 [1900] |
| 18 | الشيخ محمد بن عصفور | 409 [1497] | حفيد الأستاذ النحوي أبي الحسن علي بن موسى الإشبيلي الملقب بابن عصفور. وفي حجره توفي الولي الشيخ سيدي منصور بن جردان(م - 18) بمقصورة الجامع الشرقية في سنة 904 [1498]. |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

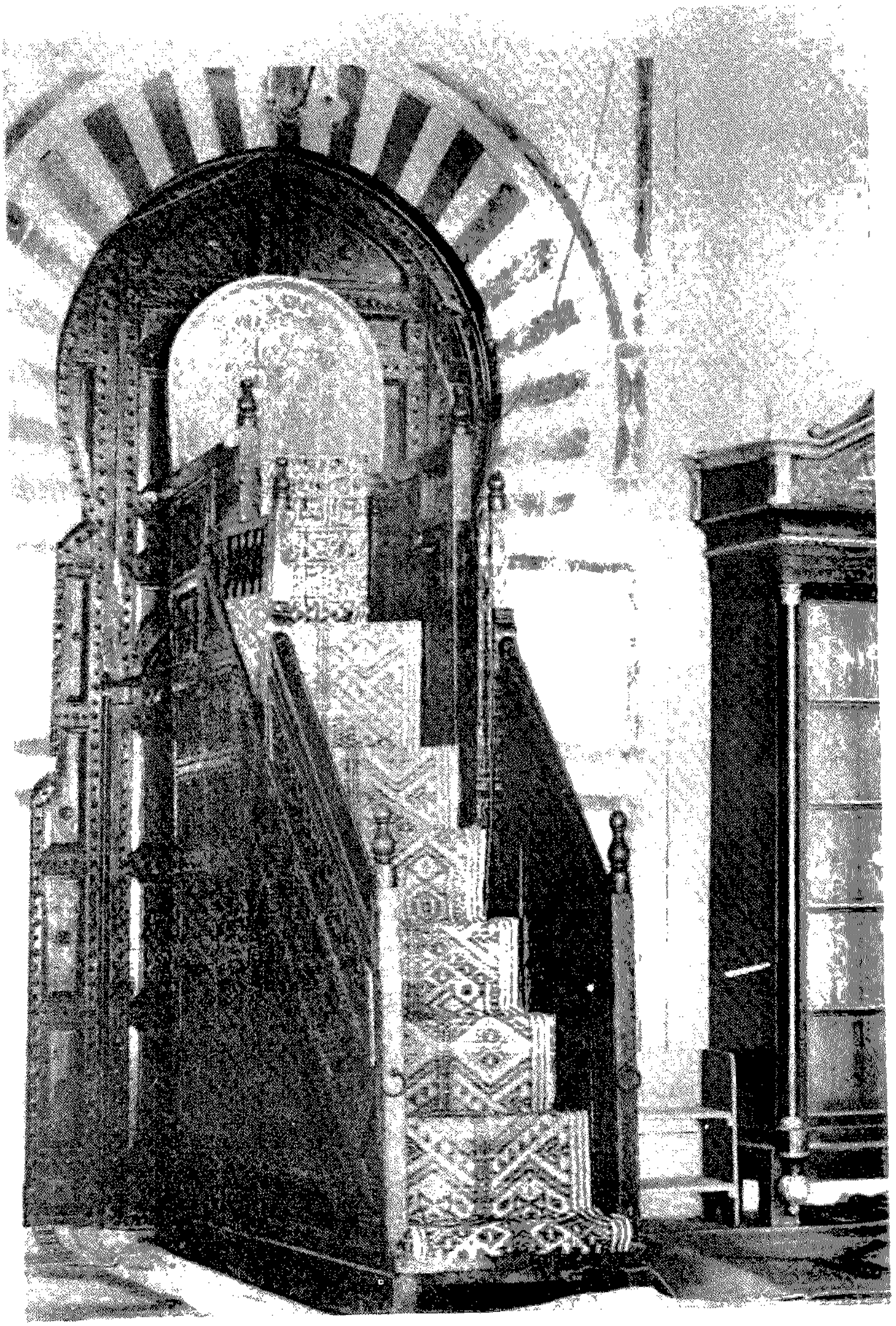

منبر جامع الزيتونة



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ومن هنا انقطع الخبر، وعمي الأثر، وطوي بساط تفاصيل أخبار العلماء لما دهم الحاضرة التونسية في المائة العاشرة من الهموم والغموم والمحن والفتن بتقلّص ظلّ الدولة الحفصية، واستيلاء الاسبانيول على تونس إلى أن تداركها الوزير سنان باشا(م - 19) بأمر السلطان سليم خان الثاني، فكان إمام الجامع إثر الفتح العثماني:

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| 19 | الشيخ محمد بن إبراهيم الاندلسي | | |
| 20 | الشيخ أبو الفضل ابن أبي القاسم البرشكي | 992 [1584] | |
| 21 | الشيخ محمد بن سلامه | 993 [1585] | |
| 22 | الشيخ محمد الأندلسي | 1017 [1608] | |
| 23 | الشيخ أبو يحي بن قاسم الرصّاع | 1034 [1624] | |
| 24 | الشيخ تاج العارفين البكري | | كان حياً في سنة 1037 [1627]. |
| 25 | الشيخ أبو بكر البكري | 1072 [1661] | جلس لإقراء صحيح البخاري دراية بجامع الزيتونة وعمره 17 سنة. |
| 26 | الشيخ أبو الغيث بن أبي بكر البكري | 1111 [1699] | قال في كتاب (الشهب المخرقة) إنه توفى ليلة الخميس ثاني عشر ربيع الأول سنة 1110 [1698]. |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| 27 | الشيخ علي بن حميدة الرصّاع | 1121 [1709] | |
| 28 | الشيخ علي بن أبي بكر البكري | 1123 [1711] | |
| 29 | الشيخ حمودة البكري | | وقفت على أمر ولايته الإمامة والخطابة وهو مؤرخ بأواسط شعبان 1123 [1711] صدر من الباي المولى حسين ابن علي(م - 20). |
| 30 | الشيخ أبو الغيث بن علي البكري[1] | | |

(1) أطلعني حفيده الفاضل السيد البشير البكري(م - 21) على مجموعة وثائق تاريخية نفيسة من آثار أجداده الأكرمين، فاقتطفت منها عيوناً أضفتها لما اشتملت عليه مكتبتي من الوثائق التاريخية، ومن ذلك أمر ولاية الشيخ أبي الغيث البكري الإمامة والخطابة بجامع الزيتونة، ننقل هنا عبارته بنصّها ليعلم منها القارىء كيفية المراسيم الملكية في ذلك الزمان، وما هي الامتيازات التي كانت ممنوحة لآل البكري الأعلام:

من عبد الله سبحانه المتوكّل عليه، المفوّض جميع أموره اليه، الراجي عفوه وغفرانه، يوم الوقوف بين يديه، المعّظم الأرفع، والصدر الهمام الأنفع، الواثق بالملك الحيّ، أبي عبد الله حسين باي، أدام الله أيامه، وأيد بالشرع العزيز أحكامه، آمين، بمنه وكرمه. إلى من يقف على أمرنا هذا من السادات العلماء الأعلام، والفقهاء الكرام، والمفتين والقضاة، والكواهي والأغوات، والخاصّ والعام، من ذوي الأحكام، بمحروسة تونس. أصلح الله أمر الجميع، ووفّق الكلّ إلى صالح القول وحسن الصنيع. أما بعد: فإننا قدّمنا على بركة الله تعالى المكرم الأجل الوجيه الأقبل الفقيه العالم المدرس السيد أبا الغيث ابن المنعم المرحوم برحمة الحي القيوم أبي الحسن علي البكري نفعنا الله ببركاتهم، وأعاد علينا من سحائب خيراتهم، آمين، إماماً بجامع الزيتونة بمحروسة تونس، وخطيباً به، وقدّمناه على ـ زاوية جدّه سيدي أبي الغيث القَشّاش(م - 22)، وعلى زاوية جدّه سيدي أبي بكر، وعلى أحباسهما، وعلى رعاياهما، حيث كانت على عادتهم السابقة المبينة بالأوامر التي بأيديهم، =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| 31 | الشيخ حموده الريكلي | 1161 [1748] | |
| 32 | الشيخ عثمان البكري[1] | 1176 [1762] | |

= وقدّمناه على الأحباس التي تحت نظره من زوايا ومدارس وغيرها على عادة والده وأجداده من قبله، كما سرّحنا له ما له من الأملاك والزرع الذي يحرثه بمواشيه، وعشره من الطعام والزيتون، ويأخذ فيتورة(م - 23) زيتونه كعادتهم السابقة، ؛ وكذلك سرّحنا له جميع ما هو في الأوامر السابقة التي بيده تسريحاً تامّاً مطلقاً موسّعاً عاماً من غير معارض له في ذلك ولا مدافع ولا مخاصم، وأوصينا برعيه ومراعاته واحترامه وعدم الجسارة عليه، بحيث لا تهتك له حرمة، ولا يهضم له جانب ولا يطرقه أحد بمضرّة، ولا بمكروه، ولا يقاس بما يقاس به غيره مع حمله على كاهل المبرّة والإكرام، وله منّا الحظّ الوافر ومزيد الاحترام، فعلى من يقف عليه أن يعمل بمقتضاه، ولا يخالف على ما فيه ولا يتعدّاه. وكتب عن إذنه حفظه الله تعلى ورعاه، ومن كلّ مكروه وسوء حماه، بتاريخ أواخر قعدة الحرام من عام ثلاثين ومائة وألف اهـ. [1717].

(1) هذا نصّ الأمر الصادر في ولايته من المرحوم محمد (الرشيد) باي(م - 24) وقد تضمّن عبارة التفويض له بالولاية والعزل كما سبقت الإشارة بذلك في فاتحة هذا الفصل وإليك ذلك:

من عبد الله سبحانه المتوكّل عليه، المفوّض جميع أموره اليه، الراجي عفوه وغفرانه، يوم الوقوف بين يديه، الفقير لرحمة ربه محمد باي وفقه الله وسدّده وأعانه وأرشده، إلى من يقف على أمرنا هذا من العلماء الأعلام؛ والفقهاء الكرام، والمفتين والقضاة والكواهي والأغاوات وسائر ولاة الاحكام، والخاص والعام، بالحضرة التونسية والمملكة الافريقية، سدّد الله أحوال الجميع، ووفّق الكلّ لصالح القول وحسن الصنيع. أما بعد: فاننا أولينا على بركة الله تعالى وحسن عونه المكرم الأجل العالم العلم الأكمل الزكيّ الأفضل سلالة الصالحين، وبقية العلماء العاملين، محبّنا الشيخ الفاضل أبا عمرو السيد عثمان البكري العثمان، وجعلناه إماماً خطيباً بالجامع الأعظم جامع الزيتونة داخل محروسة تونس، يصلّي به الجمعة والعيدين، وجعلنا له النظر على جميع أموره، وكافة أسبابه وشؤونه، عموماً وأطلاقاً، شمولاً واستغراقاً، على مقتضى ما بيده من الأوامر السابقة لأسلافه الكرماء، وسحبنا نظره في الولاية والعزل على الخليفة، ووكيل الأحباس، والزوار(م - 25)، وسائر خَدَمَة الجامع من مؤذّنين وَوَقّادة وغيرهم بحيث يكون جميع أمر الجامع المذكور تحت نظره وإشرافه، وأجريناه على عادة أسلافه في الرواتب والعوائد والرواية والدراية، فله ما لهم، =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| 33 | الشيخ حموده البكري | | |
| 34 | الشيخ أبو الغيث بن حموده البكري | | |
| 35 | الشيخ علي بن أبي الغيث البكري | 1227 [1812] | هو آخر الأيمة من بيت البكري دامت إمامة الجامع في بيتهم 193 عاماً. |
| 36 | الشيخ حسن بن عبد الكبير الشريف | 1234 [1818] | هو أوّل من تولّى إمامة جامع الزيتونة من آل بيت الأشراف الموجودين لهذا الزمان، وكان فقيهاً متوسّع المعرفة في علوم العربية مع براعة في النظم والنثر، ولكنه كانت به غفلة. تولّى الكتابة عن الباي حمودة باشا(م - 26)، ثم صرفه عنها بدسيسة دسّها له الوزير الكاتب الشيخ حمودة بن عبد العزيز. قال في مسامرات الظريف(م - 27): له ديوان في غاية النفاسة جمع به خطبه التي كان يخطب بها من إنشائه بجامع الزيتونة مما لا زال يتداوله خطباء تونس، وله حاشية جليلة على كتاب القطر |

= وعليه ما عليهم من غير معارض له في ذلك ولا منازع ولا مخاصم ولا مدافع ولا يد فوق يده ولا مشارك له في النظر مبجلاً مكرّماً موقّراً معظّماً مرموقاً بعين الاحترام، متناولا بيد الإكرام، مقابلاً بالمبرة والتعظيم، مجازى بالإجلال والتكريم. كما له منا مزيد الاحترام والبرور، والتوقير مدى الدّهور، إذ هو أهل لكلّ كريمة، مجانب لكل ذميمة، سالكاً في طريق السداد، مقتفيا سبيل الرشاد، موصى في جميع أموره بتقوى الله العظيم في السر والعلانية، إنه منه بالمرصاد لا تخفاه خافية، فعلى الواقف على أمرنا هذا أن يعمل بمقتضاه، ولا يخالفه ولا يتعداه، إن شاء الله تعالى والسلام. وكتب عن إذنه حفظه الله تعالى بتاريخ أوائل شهر ربيع الأول النّبوي سنة 1170 [1756] اهـ.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| | | | في النحو سلك فيها مسلك المحقّقين، وحاشية على شرح ميارة على لامية الزقّاق، وتأليف في الفقه سمّاه معين المفتي، مع كتابة حافلة على شواهد المغني. ولما توفي في سنة 1234 [1818] رثاه الشيخ أحمد الكيلاني بقصيدة مطلعها:<br><br>أيا عين فيضي واهطلي بسجام<br>أمام ضريح ضمّ أزكى إمام<br><br>ومنها قوله:<br><br>تآليفه قد طار في الأرض صيتها<br>بتحرير أبحاث وحسن نظام<br><br>وختمها بقوله:<br><br>عليك سلام الله ما هبّت الصّبا<br>وما لاح برق من خلال غمام<br>مدا الدهر ما قد قال فيك مؤرخ<br>فلله من رمس لأسمى همام<br>1234 [1818]<br><br>قال الشيخ ابن أبي الضياف(م - 28): لما وضعوه في قبره نزل أمير العصر وهو المولى حسين باي الثاني (م - 29)للقبر، وباشر لحده بنفسه رحمه الله تعالى ورضي عنه . |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| 37 | الشيخ محمد بن عبد الكبير الشريف | 1255 [1839] | قال في مسامرات الظريف(م - 30): إن هذا الإمام كان مطلوباً في نازلة شرعية عند القاضي الشيخ أحمد ابن الخوجه الأول، فأرسل اليه، فامتنع من القدوم عليه، فكرّر استدعاءه وتشدد عليه في ذلك، فلما كانت تلك الليلة، رأى القاضي النبيّ صلى الله عليه وسلم يأمره بمساعدته وقال له: إنه ولدي، وعندما أصبح سعى إليه بنفسه، وبمجرّد تلاقيهما أكبّا على بعضهما يبكيان، وتسامحا أحسن مسامحة. وعند ذلك بادر الشيخ الإمام إلى أداء ما عليه من الحقّ، رضي الله عنهما أجمعين اهـ. وهذه الواقعة هي التي أشار لها الشيخ السنوسي في قصيدته المسمّاة الأجنّة الدانية الاقتطاف، بمفاخر سلسلة الأشراف، حيث يقول(م - 31): |
| | | | والمصطفى أمر القاضي ببرّه في<br>فصل القضا حيث ما في حكمه جدل<br>فجاءه بترضي وهو سامحه<br>مبادراً لأداء الحقّ يمتثل |
| 38 | الشيخ ابراهيم الرياحي[1] | 1266 [1849] | كان من علماء الظاهر والباطن، استغرقت ترجمته في كتاب مسامرات الظريف أكثر من مائة |

(1) رأيت بخط بعض الأفاضل نقلاً عن كنّاش للشيخ محمد بيرم الرابع ومن خطّ يده قوله:
تساجل الشيخ محمد الخضّار والشيخ محمد بن الخوجة والشيخ إبراهيم الرياحي في رجب عام 1255 (غرة رجب 1255 توافق بالحساب الشمسي يوم 28 أغشت الأعجمي سنة =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| | | | صفحة، وقد توفّق حفيده الشيخ أبو حفص عمر الرياحي لجمع أخباره في كتاب (تعطير النواحي) المحتوي على جزءين تضمنا ترجمة الشيخ مع بعض فتاويه وخطبه وأشعاره. والشيخ ابراهيم الرياحي هو الذي نشر الطريقة التجانية بتونس، أخذ دستورها مباشرة عن صاحبها ولي الله الشيخ سيدي أحمد التجاني في سنة 1218 [1803](م - 32) |

= 1839) بالمجلس المنعقد بحلق الوادي بما يأتي:

قال الشيخ الخضار:

عجبت لمسلوب من الفضل يدّعي كمالاً وحظ النفس منه التقاعد

وقال الشيخ ابن الخوجة:

ولا ينفع الإنسان دعوى فضيلة إذا لم تكن منها عليها شواهد

وقال الشيخ الرياحي:

كمن يدّعي نيلاً لأعلى فضيلة من العلم وهو الدهر كسلان راقد

هذا ما وجد بكتاش الشيخ بيرم الرابع في حقّ هذا التساجل الذي ضبط تاريخه وموقعه، ولكنه لم يبيّن رموزه، وكأنه يشير بالمجلس المنعقد بحلق الوادي للاجتماع الدوري الذي كان يعقده سمّو الباي بسرايته لحضور أهل المجلس الشرعي لفصل النوازل بمرأى منه ومسمع. ولكن هذا المجلس المشار اليه بكتاش الشيخ الرابع وافق المدّة التي تولىّ أثناءها الشيخ إبراهيم الرياحي الإمامة الكبرى بجامع الزيتونة. وكنت أميل للظنّ بأن أبيات التساجل التي نقلنا نصّها قيلت بمناسبة هذه الولاية لولا أن هذا الظنّ - وبعض الظنّ إثم - لم يساعده تاريخ ولاية الإمامة المشار إليها وإن اختلف المؤرّخون في ضبطها بالتدقيق. فالوزير المؤرخ الشيخ أحمد بن أبي الضياق قال أوّلا(م - 33) في الجزء الثاني من كتابه عند ذكر حوادث سنة 1255 [1839]: إن إمام الجامع الشيخ محمد بن عبد الكبير الشريف توفي ليلة الإربعاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة 1255 [1839] وقدّم الباي عوضه الشيخ إبراهيم الرياحي، والإمام الثاني يومئذ هو الشيخ محمود محسن، ولم يستنكف من تقديم الشيخ إبراهيم عليه. اهـ.

ولكنه قال(م - 34) في الجزء الرابع من تاريخه عند التعريف بأيّمة جامع الزيتونة: إن الشيخ محمد بن عبد الكبير الشريف (المتقدّم ذكره) توفي في السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة 1255 [1839] ومن الغد تقدّم عوضه للإمامة الشيخ إبراهيم الرياحي اهـ. وهذان القولان خالفهما الشيخ محمد السنوسي في كتاب مسامرات الظريف=



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| | | | وزاويته المقبور بها هو المؤسّس لها، وتوفى الشيخ قبل إتمام عمارتها فأتمّها المشير أحمد باي في عام 1270 [1853] وقد أرّخ الشيخ الباجي المسعودي هذه العمارة بقصيدة مطلعها: |

= حيث قال(م - 35) : ولما توفي الإمام الشريف (الشيخ محمد بن عبد الكبير) تحرّى المشير أحمد باي فيمن يقدّمه للخطة المذكورة، فقدّم الشيخ إبراهيم الرياحي إماماً أكبر بجامع الزيتونة أواخر جمادى الثانية سنة 1255 [1839]اهـ ولم يتعرّض صاحب كتاب تعطير النواحي(م - 37) للشهر الذي تولىّ فيه جدّه الشيخ إبراهيم الإمامة، بل اكتفى بذكر عامها 1255 [1839] فقط وأردفها بقصيدة فاخرة في التهنئة بالإمامة من نظم الشيخ محمد بن يونس من تلاميذ الشيخ إبراهيم. وهذه القصيدة لم تتضمّن تلميحاً أو تلويحا لحادثة أبيات التساجل، ولم تشتمل من ناحية أخرى على إشارة لشهر الولاية. فالمؤرّخون الثلاثة على وفاق في أن عام الولاية هو سنة 1255، ولكن اثنين منهما اختلفا في شهرها، فالشيخ ابن أبي الضياف جعلها في أواخر جمادى الأولى، مع تقديم وتأخير بمقدار أسبوع، والشيخ السنوسي جعلها في أواخر جمادى الآخرة، وعزّز روايته بقوله: إن الباي تحرّى فيمن يختاره إماما عوض الشيخ محمد بن عبد الكبير الشريف. وإذا كانت رواية الشيخ السنوسي هي الصحيحة فمن المحتمل القريب أن الولاية المتحدّث عنها كانت في محاق شهر جمادى الآخرة. وهذا المحاق قد يكون في الحقيقة هو غرّة الشهر التالي، وحينئذ تكون أبيات التساجل عائدة لمجلس ولاية الشيخ إبراهيم الإمامة، ومنه نستخلص أن هاتيك الأبيات كانت ترمي لوجود شخص أو أشخاص مدّوا أعناقهم لتلك الخطة، وكان حظّها بالآخرة من نصيب الشيخ إبراهيم، لا سيما وأنه كان له يومئذ مِنَّة في رقبة الباي من أجل المأموريّة السياسية التي أنفذه المشير أحمد باي(م - 40) لقضائها في العام السابق (1254) [1838] لدى الباب العالي، وعاد منها كما كان يؤمّله الباي من عدم تحميل تونس خراجاً تدفعه سنويّاً للباب العالي. فلما حضرت فرصة الإحسان إليه بما يناسب مقامه، خلع عليه الباي بالإمامة الكبرى زيادة على رئاسة المذهب المالكي، التي كانت بيده من أيام المولى حسين باي. فكان الشيخ إبراهيم رحمه الله أوّل من جمع بين الرئاسة المذهبية وإمامة جامع الزيتونة في الدولة الحسينية. وقد أشرنا في بداية هذه التعليقة لكون المجلس الذي جمع بين الشيوخ في غرة رجب بحلق الوادي كان وقوعه في زمن المصيف، وهي المدّة التي كان المشير أحمد باي يقضيها بسرايته الواقعة على ضفة البوغاز من جهة باب رادس. أما قصره الموجود هنالك المسمى (بالبالاص) الذي هو الآن في تصرّف الإدارة العسكرية فإنه بناه مع جامع المكان في سنة 1269 [1852] وسكنه في العام بعده وبه ختم أنفاسه في رمضان 1271 [1854].



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| | | | قف بالمقام مقام إبراهيم<br>وانشق من الأرج العطير شميما<br><br>وبيت التاريخ:<br>يا من يؤمّل بابه كن آمناً<br>قف بالمقام مقام إبراهيم<br>1270 [1853]<br><br>ولما آلت الدولة للمشير الثاني محمد باي(م - 36)، شمل بعنايته الزاوية المذكورة، ورتّب بها ميعاد الطريقة التجانية التي كان سموّه ينتسب إليها، وعلى ذلك المنوال نسج أخوه المشير الثالث محمد الصادق باي، حيث أمر بالزيادة في تفخيم شأنها، فسعى الوزير خير الدين لإنجاز ذلك بطريقة جمعت بين ما صدر به الأمر وسين إحياء صناعة النقش حديدة(م - 38) التي تناولها الفتور بتونس وآثر لذلك قبّة الزاوية، وصرف في ذلك السبيل مائة ألف ريال بسكّة ذلك الزمان فجاءت بدعا في بابها، تحاكي جمال تخاريم الأبنية الأندلسية بقصور حمراء غرناطة. وكان تمام القبة المشار اليها مع تجديد عمارة الزاوية في سنة 1295 [1878] وهذا التجديد أرّخه الشيخ محمد بن عثمان السنوسي (م - 39) بقصيدة مطلعُها: |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| | | 1284 [1867] | لمقام إبراهيم فادخل آمنا تجلو به فضلاً عظيماً كامنا<br>وبيت التاريخ:<br>فهو الذي لمؤرخيه جوابه<br>لمقام إبراهيم فادخل آمنا<br>1295 [1878] |
| 39 | الشيخ محمود بن علي محسن[1] | | من آل البيت الأطهار يلتقي مع الفرع الشريفي في جدّهم الجامع الشيخ أحمد الشريف المشهور |

(1) وقفت على نصّ الظهير الصادر له بولاية الإمامة من المشير أحمد باي، وهو من إنشاء الوزير أبي العباس الشيخ أحمد بن أبي الضياف وعبارته بحروفها:

الحمد لله الذي جعل لخطباء هذه الأمة شاناً، ويسّر للخير منهم عملاً وأنطق بالصدق منهم لساناً. وهدى بمواعظهم قلوباً وفتح آذاناً، وجعل من السحر الحلال بياناً، وأقام على ربوبيته في كل شيء خلقه برهاناً، ليرتاب الذين في قلوبهم مرض ويزداد الذين آمنوا إيماناً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي هدانا، وإلى سبل النجاة قادنا ودعانا، وأرانا بمعجزاته الحقّ عياناً، وأنزل عليه قرآناً، تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً بكل شيء وهدى وتبياناً، وعلى آله الذين جعل حبّهم إيماناً وأماناً. ورجّح لهم بقوله: قل لا أسالكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى(م - 41) ميزاناً، وأصحابه الذين أسّسوا من قواعد المّلة أركاناً، وشيّدوا من معالمها بنياناً، وبلّغوا أحاديثه إلينا صحاحاً حساناً. أما بعد: فإن هذا المنشور، والخطاب المحرّر المسطور، صدر من الفقير إلى ربه تعالى المتوكّل عليه، المفوّض جميع الأمور اليه، المشير أحمد باشا صاحب هذه المملكة التونسية، لا زالت بألطاف الله محمية، إلى كل من يقف عليه من أهل مجلسنا العلي بالشريعة المحمّدية، ونوابنا في القضايا الشرعية، وأبنائنا أمراء الأمراء، أعيان الوزراء، وأمراء الألوية، وأمراء الألايات، وقائمي المقامات، وأمناء الألايات، والبنباشية، وسائر الأجناد العسكرية، والقواد والمخازنية، وأولي الولايات العرفية، سدّد الله أحوالنا وأحوالهم، وحسّن بمنة مآلنا ومآلهم، ليعلموا أن الفقيه النبيه الفاضل الكامل الزكي، القدوة الثقة، زكي الأوصاف، ولباب السادة القادة الأشراف، أبا الثناء محبّنا الشيخ سي محمود محسن، قدّمناه على بركة الله تعالى =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| | | | بإمام مسجد دار الباشا. تزوّج امرأتين ولدت كلتاهما ذكراً، كان اسم أحدهما محسناً، تلقّب به أعقابه وهم آل بيت محسن، وكبيرهم في هذا الزمان الشيخ محمود بن محمد محسن الإمام الثاني بجامع الزيتونة، والفرع الآخر هم الملقّبون بالأشراف وكبيرهم لهذا العهد الشيخ محمد حمدة الشريف الإمام الأكبر بالجامع بارك الله في آل كلا الفرعين وأدام وجودهم أماناً للنفس وقرّة للعين . |
| 40 | الشيخ محمد بن محمد محسن | 1289 [1872] | هو أخو المجذوب ولي الله الشيخ سيدي علي محسن المتوفى سنة 1298 [1880]. |
| 41 | الشيخ صالح النيفر | 1290 [1873] | جمع بين الإمامة وبين خطة باش مفتي المالكية، وتولىّ قبل ذلك (كاهية) (م - 42) لرئيس مجلس الجنايات مع خطة الحسبة، والنظر على بيت المال. رأيت في كنّاش لبعض شيوخ الحنفية من |

= إماماً أوّلا «كذا» وخطيباً بالجامع الأعظم، جامع الزيتونة عمّره الله بدوام ذكره، يقيم به الجمعة والعيدين، وما يتيسّر له من الصلوات الخمس، ويروي صحيح البخاري على العادة، فليقم بخطته عالماً بفخامة مقدارها، متّصفاً بما يحمد من آثارها، فإنها من شعاره وهو من شعارها، المتسبّب في طيب أخبارها، لأنها حلينا به جيدها، وأنرنا به جمعتها وعيدها، اخترناه لهذا المقام الفخيم، والرتبة التي لا ينالها إلاّ ذو القلب السليم، من أهل الإجلال والتعظيم، وهو الأهل لمنالها والمجلي من رجالها. وعلى من يقف على هذا الظهير، ويعلم قدر هذا التقرير، من الولاة، بسائر الجهات، أن يعرف مقدار النيابة في هذه الإمامة، ويقابل صاحبها بما يستحقّه من كلّ كرامة، إجلالاً لمنصبها الشريف، وتعظيماً لقدره المنيف، والله يهدي للتي هي أقوم. وكتب أواخر 29 رمضان المعظم سنة 1266 [1849] ستّ وستين ومائتين وألف اهـ.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| | | | معاصريه، حديث جملة من الوقائع حصلت في أوائل المحرم 1285 [1868] من ذلك قوله: وفي اليوم 5 منه مات سيدي عكاشة، وهو رجل معروف بالصلاح والخير، ومصطفى ولد سي حافيز باش خوجة بالمرض العام الواقع من شعبان عام 1284 [1867] وصليّ عليهما بجامع أبي محمد رحمهما الله تعلى يوم 6 الاثنين وفيه وصل أمر الحسبة ونظارة بيت المال للشيخ صالح النيفر وأجري له نصف ( 1000 ) عوائد ( 2000 ) الشيخ ابن عاشور المتوفى أواخر حجة 1284 [1867] رحمه الله تعالى، وأمر نقاية الأشراف لسيدي العربي البشير اهـ. قلت: لا شكّ أن السبب الداعي لتخفيض جراية ناظر بيت المال يومئذ لنصفها هو تضايق خزينة الدولة التي كانت قريبة من حالة الإفلاس في ذلك العهد، وكان يبيت بالجامع للقيام بصلاة العشاء، وبصلاة الصبح في زمن الصيف، واتفق له حجّ البيت الحرام مرّتين، وكان عالماً أعلم كتب أختاماً كثيرة على أبواب عدّة من الجامع الصحيح، وتصدّى لشرح موطأ أمام دار الهجرة مالك بن أنس وكتب في ذلك كتابة جليلة تضمّنت المقدار الذي درسه من ذلك بجامع الزيتونة . |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| 42 | الشيخ محمد الشريف | 1307 [1889] | جمع بين الإمامة والفتوى ونقابة الأشراف، وكان مستجاب الدعاء، غاضه أحد رجال الدولة في نازلة تمسّه من قريب، فدعا عليه عند قراءة البخاري في إحدى الليالي العشر، فمات الرجل يوم العيد، ولكلّ أجل كتاب(م - 43). |
| 43 | الشيخ أحمد الشريف | 1337 [1918] | كان الركن المستلم، والمثل الأعلى في حسن السّلوك، يحترمه الأمير والمأمور، محاطاً بمظاهر المهابة والإجلال، يحبّه المسلمون، ويتبرّكون بساحته، ويتيمّنون برؤية محيّاه، جمع بين نقابة الأشراف وبين الإمامة الكبرى، ورئاسة المذهب المالكي. وكان محلّ الرعاية والإجلال من لدن الوزراء المقيمين نواب فرنسا بتونس، ولقد اتّفق لي عفواً الترجمة بينه وبين الوزير المقيم مسيو ريني ميلي(م - 44) في مجلس جمعت فيه الصدفة بينهما بالسكة الحديدية بين المرسى وتونس، وكان السّاعي في مفاتحة الكلام هو الوزير المقيم. وممّا قاله له ضمن حديث طويل: إن هذا الاجتماع بفضيلته يعدّه من أسعد أوقاته، وأنه مع انتسابه ورسوخه في المسيحية، فإنه يحترمه ويجلّ قدره كأعرق تونسي في الإسلام.<br><br>ولما توفي رحمه الله حضر المولى محمد الناصر باي جنازته، وتبرك بحمل جسده الكريم بمشاركة آل |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء الأيمة | تاريخ وفياتهم | تعليقات تاريخية |
|---|---|---|---|
| 44 | الشيخ محمد حمدة بن أحمد الشريف(م - 46) بارك الله في أنفاسه | | بيته. وممّن حضر مشهد الجنازة مسيو فلاندان(م - 45) الوزير المقيم بتونس.<br>ورث عن أبيه النقابة والإمامة الكبرى، وسلك مسلكه في العبادة والتقوى، نفع الله به وبسلفه . |

# الأحزاب المرتبة بجامع الزيتونة

## تلاوة القرآن ورواية الحديث ودلائل الخيرات وغيرها

ليست رواية الحديث وحدها ممّا يقرأ بجامع الزيتونة، بل هو عامر بما هو أعمّ من ذلك وأشمل، ناهيك من تلاوة متواصلة لآيات الذكر الحكيم آناء الليل وأطراف النهار، ومن قراءة مسانيد، ومن صلاة وتسليم، فهو معطّر الأرجاء، محلّ الخشوع والخشية والرجاء، وكان ولم يزل بفضل الله محلّ الإجلال والإعظام، من الملوك السابقين واللاحقين، الذين تداولوا حكم هذه البلاد، ومن أوفرهم حظّاً في هذا السبيل السلطان أبو عمرو عثمان(م - 47) الحفصي، إذ كان هو الذي أسّس القراءة على الختمة بالجامع قبل صلاة الصّبح، وقبل صلاة الظهر، وقبل صلاة العصر، ووقف عليها الأوقاف الواسعة الجارية أرزاقها لهذا الزمان[1] مع ما أضيف لهذه المنقبة الخالدة من الحسنات التي توفّق لها غيره قبله وبعده كحزب السَّبع[2] الذي

---

(1) أرباع هذه الأوقاف تبلغ في هذا الزمان إلى نحو ستة وثلاثين ألف فرنك في العام.

(2) تسميه العامة حزب الصّبع، وبعض الخاصّة يقولون حزب الأسبوع واسمه الصحيح هو حزب السّبع كقولك حزب السّبعة يعني السّبعة أيام التي تبتدىء بيوم السبت وتنتهي بيوم الجمعة، ومن المعلوم أن القرآن بني على سبع.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

يختم فيه القرآن كلّ يوم جمعة، وهو من محاسن السلطان أبي العباس أحمد ابن أبي بكر (م - 48) الحفصي. وعلى قياسه حزب الترغيب والترهيب(م - 49) بعد صلاة العصر، ورواية الصحيح بين الظهرين، وهي من مآثر السلطان أبي فارس عبد العزيز(م - 50) مفخرة بني أبي حفص. وهذه الأحزاب تضم مجالسها خلائق لا تحصى من المسلمين، وربما يكون لها بين الظّهرين دويّ كدويّ النحل، وجملة الأحزاب المقروءة بجامع الزيتونة تتجاوز الخمسين حزباً في اليوم والليلة، يحْضرها بانتظام نحو الثّلاثمائة من القرّاء والذاكرين وفقاً لنصوص الواقفين، وعدد المؤذّنين، وقائمي الليل، والوقّادين بالجامع يبلغ عددهم لمثل ذلك، وكلّهم أصحاب مشاركة في ذكر الله تعالى. ومن أشهر هاتيك الأحزاب أحزاب المحسنة الكبيرة عزيزة عثمانة[1] وحزب الأميرة البرّة تركية ابنة علي باشا، وأحزاب الوزير صاحب الخيرات يوسف صاحب الطابع(م - 51) وحزبا الآغة أبي العبّاس أحمد الكبير، وغيرهم ممّا يضيق المجال عن ذكرهم، أحسن الله للجميع. أما استجابة الدعاء بجامع الزيتونة فأمرها بين الناس مأثور، وحديثها بين أهل الفضل مذكور، قالوا إنه لا يخلو من رجل صالح في كل زمان، وما زالت به الى الآن سارية تنسب لولي الله سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه (توفى سنة 413 [1022] بقرب مقصورة الإمام كما ينسبون دكانة باب الفكّة للولي سيدي منصور بن جردان (توفي في سنة 904) [1498] وكان الوليّ سيدي أحمد السقّا يجلس بباب البهور. قالوا إنه رمى بقربته بصحن الجامع فبقي أثرها بشكلها أزرق حتى اليوم، (توفي سنة 743) [1342] وآخر من عرف النّاس من الصّالحين الملازمين لجامع الزيتونة الولي المجذوب سيدي علي محسن (توفي سنة 1298 [1880] وحضر الباي جنازته) وكان جلوسه بالمكان المنسوب لسيدي منصور السالف الذكر رضي الله عنهم أجمعين.

---

(1) الحاجة عزيزة عثمانة ابنة أبي العباس أحمد بن محمد بن عثمان داي لها المآثر الخالدة في سبل البرّ والمعروف، توفّيت بتونس سنة 1080 [1669] وقبرها معروف بتربتها المشهورة بحلقة النحال جوار المدرسة الشماعية اهـ باختصار من كتاب شهيرات التونسيات(م - 52).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

# التعاليق

(م ـ 1) أيمة جامع الزيتونة :

ـ ذكر المؤلف أسماء أيمة جامع الزيتونة المعمور ابتداء من الشيخ عبد الرفيع إلى الشيخ حمدة الشريف الذي كان الإمام الأول للجامع عند صدور كتاب «معالم التوحيد» سنة 1939.

وقد اعتمد في ترتيبهم ما جاء في كتاب «الإتحاف» للشيخ أحمد بن أبي الضياف (الجزء السابع) وفي «مسامرات الظريف» للشيخ محمد السنوسي (الجزء الأول).

والملاحظ أن أول من ترجم لأيمة جامع الزيتونة هو الشيخ اسماعيل التميمي. وقد اعتمد عليه الشيخ ابن أبي الضياف مضيفاً إلى قائمته الأيمة الذين ظهروا بعد وفاته، أعني المشائخ: حسن الشريف، ومحمد الشريف، وإبراهيم الرياحي، ومحمود محسن.

وأضاف الشيخ محمد السنوسي بدوره إلى قائمة ابن أبي الضياف، المشائخ: محمد محسن، وصالح النيفر، ومحمد الشريف.

وأضاف صاحب «معالم التوحيد» إلى القوائم السالفة: الشيخ أحمد الشريف الذي تولى الإمامة والخطابة من سنة 1889 إلى سنة 1918، وابنه الشيخ حمدة الشريف الذي خلفه في تلك الخطة إلى وفاته سنة 1951. (انظر: برنامج الشيوخ المقدمين للإمامة والخطابة بالجامع الأعظم بتونس تأليف الشيخ اسماعيل التميمي، تحقيق محمد الزاهي . مجلة الحياة الثقافية ـ العدد 24نوفمبر ـ ديسمبر 1982).

(م ـ 2) محمد الصادق باي: مدة ولايته: 1859 — 1882.

(م ـ 3) محمد الناصر باي: مدة ولايته: 1906 — 1922.

(م ـ 4) محمد الحبيب باي: مدة ولايته: 1922 — 1929.

(م ـ 5) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية تأليف الشيخ محمد مخلوف القاهرة ـ 1350هـ ـ (مجلدان).

(م ـ 6) تاريخ الدولتين ص 70.

(م ـ 7) انظر: تراجم الأيمة الذين لم يترجم لهم المؤلف:

1 ـ الإتحاف ج 7.

2 ـ مسامرات الظريف ج 1.

(م ـ 8) الحلل السندسية ج 1 (3) ص 582.

(م ـ 9) المقام الشاذلي:

هو مقام الولي الصالح أبي الحسن الشاذلي، بناه الوزير الأكبر مصطفى خزنة دار على قمة جبل التّوبة المعروف في عصرنا الحاضر بجبل سيدي بلحسن، تقرباً لأتباع الطريقة الشاذلية.

(انظر: الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي لمحمد البهلي النيال ـ تونس 1965 ـ ص240).

(م ـ 10) الحلل السندسية ج1 (3) ص610.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

(م ـ 11) عمر القلشاني :

يقول الشيخ محمد الشاذلي النيفر في تعليقه على ما جاء في كتاب «مسامرات الظريف» حول هذا الإمام ما نصّه: «هو عمر بن محمد بن عبدالله القلجاني من مواليد باجة القمح بتونس. والصواب في نسبته القلجاني بالجيم لا بالشين كما هو متداول في كتب التاريخ».

(مسامرات الظريف قسم التعاليق ص 193).

(م ـ 12) الحلل السندسية ج1 (4) ص 1078.

(م ـ 13) كتاب ابتسام الغروس ووشي الطروس في مناقب سيدي أحمد بن عروس ـ تأليف الشيخ عمر بن علي الجواري الراشدي.

(م ـ 14) أحمد بن عروس: من رجال التصوف والصلاح.

(انظر ترجمته في كتاب محمد البهلي النيال ـ المرجع السابق ص 273).

(م ـ 15) سورة الرعد ـ الآية 38.

(م ـ 16) الحلل السندسية ج1 (3) ص625.

وجاء في «تاريخ الدولتين» للزركشي حول تولية الشيخ أحمد القلشاني إمامة جامع الزيتونة مايلي :

«وفي يوم السبت خامس عشر رجب من العام المذكور (858هـ)، بعث السلطان مزواره سعيد الزريزر لقاضي الجماعة الشيخ أبي العباس أحمد القلجاني بتونس فخيّره بأن يتولى خطابة جامع الزيتونة والفتيا به بعد صلاة الجمعة عوض الشيخ البحيري ويترك القضاء، أو يبقى على خطته خاصة. فاستخار الله في ذلك وكتب براءة بخطه في السابع والعشرين من رجب باختيار الخطابة والفتيا، واستعفائه عن قضاء الجماعة فأعفاه» (تاريخ الدولتين ص 149).

(م ـ 17) المؤنس ص 292.

(م ـ 18) منصور بن جردان: توفي سنة 904هـ 1498م وعمره 85 سنة ودفن بزاويته الكائنة بالنهج المسمى باسمه: نهج سيدي منصور بربض باب الجزيرة .

(م ـ 19) سنان باشا

هو القائد التركي سنان باشا الذي حرر البلاد التونسية من الاحتلال الاسباني بأمر من السلطان العثماني سليم خان (981 — 1573).

(م ـ 20) حسين بن علي: مؤسس الدولة الحسينية سنة 1705م.

(م ـ 12) البشير البكري :

من أحفاد الشيخ أبي بكر البكري مؤسس الزاوية البكرية بتونس. شارك في الوفد التونسي الذي أوفده الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1920 إلى باريس للدفاع عن القضية التونسية. تم استمالته حكومة الحماية إلى جانبها وعينته عضواً في القسم التونسي من المجلس الكبير.

(م ـ 22) أبو الغيث القشاش:

ولي صالح وعالم صوفي (1551 — 1621).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

(انظر ترجمته في كتاب محمد البهلي النيال ـ المرجع السابق ص 288).

(م ـ 23) فيتورة : الفتات الذي يتبقى من الزيتون بعد عصره.

(م ـ 24) محمد الرشيد باي :

محمد الرشيد بن حسين بن علي، تولى الحكم من سنة 1735 إلى سنة 1756.

(م ـ 25) الزوار: كذا في النص، ولعله المزوال، وهو محتسب الجامع على القراء والمؤذنين. (انظر الإتحاف ج 7 ـ ص 50).

(م ـ 26) حمودة باشا :

حمودة باشا (الحسيني) بن علي بن حسين باي، تولى الإمارة من سنة 1777 إلى سنة 1814.

(م ـ 27) مسامرات الظريف ص 135.

(م ـ 28) الإتحاف ج 7 ص 72.

(م ـ 29) حسين باي الثاني: تولى الحكم من سنة 1824 إلى سنة 1835.

(م ـ 30) مسامرات الظريف ص138.

(م ـ 31) مسامرات الظريف ص139.

(م ـ 32) في الأصل: 1318 والصواب ما أثبتناه.

(م ـ 33) الإتحاف ج 3 (النشرة الثانية) ص 34.

(م ـ 34) نفس المرجع ـ ج 7 ـ ص 72.

(م ـ 35) مسامرات الظريف ص 205.

(م ـ 36) محمد باي : تولى الإمارة من سنة 1855 إلى سنة 1859.

(م ـ 37) كتاب تعطير النواحي بترجمة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي تأليف عمر بن محمد بن علي بن إبراهيم الرياحي ـ تونس 1902 (جزآن).

(م ـ 38) نقش حديدة: نقش على الجبس حسب الطريقة الأندلسية.

(م ـ 39) الشيخ محمد بن عثمان السنوسي صاحب كتاب «مسامرات الظريف».

(م ـ 40) المشير الأول أحمد باي: تولى الإمارة من سنة 1837إلى سنة 1855.

(م ـ 41) سورة الشورى ـ الآية 23.

(م ـ 42) كاهية: معناها في اللهجة التونسية نائب أو مساعد.

(م ـ 43) سورة الرعد ـ الآية 38.

(م ـ 44) ريني ميلي (René Millet).

المقيم العام الفرنسي بتونس من سنة 1894 إلى سنة 1900.

(م ـ 45) فلاندان (Etienne Flandin).

المقيم العام الفرنسي بتونس من سنة 1919 إلى سنة 1921.

(م ـ 46) الشيخ حمدة الشريف: تولى الإمامة الكبرى بجامع الزيتونة إلى أن التحق بجوار ربه في شهر ديسمبر 1951. فعوضه الإمام الثاني الشيخ محمود محسن الذي توفي في شهر نوفمبر 1953 فخلفه ابنه الشيخ مصطفى محسن.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وبعد الاستقلال تولى خطة الإمامة الكبرى الشيخ البشير النيفر من سنة 1957 إلى سنة 1961.

وفي تلك السنة أسندت الحكومة التونسية تلك الخطة من جديد إلى الشيخ مصطفى محسن الذي ظل متقلداً لها إلى وفاته سنة 1980. وعند ذلك عوضه الشيخ عبد الكبير الشريف الإمام الأكبر الحالي لجامع الزيتونة.

(م ـ 47) السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان: دامت مدة ملكه 53 سنة (1435 ـ1488م).

(م ـ 48) السلطان أحمد بن أبي بكر: بويع بتونس سنة 1370م وتوفي سنة 1394م.

(م ـ 49) الترغيب والترهيب:

كتاب في الحديث النبوي الشريف للحافظ عبد العظيم المنذري المتوفى سنة 656هـ.

(م ـ 50) السلطان أبو فارس عبد العزيز: تولى الإمارة من سنة 1394 إليس سنة 1433م.

(م ـ 51) الوزير يوسف صاحب الطابع: (انظر ترجمته في الاتحاف ج 7 ص89).

(م ـ 52) كتاب شهيرات التونسيات تأليف المؤرخ التونسي حسن حسني عبد الوهاب.

(الطبعة الاولى 1934 ـ الطبعة الثانية 1966).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

# معهد العلوم بجامع الزيتونة

كان النّاس في البدء يأخذون العلم عن العلماء في بيوتهم وفي المساجد، وكانوا يرحلون من بلد لآخر في طلب مسألة أو سعياً لحلّ مشكلة، فكان الشيخ علي بن زياد في المائة الثانية، وهو أعلم أهل إفريقية في زمنه، يقريء الفقه ببيته لطلبة العلم، وكان القاضي أسد بن الفرات من فقهاء الحنفية، والإمام سحنون بن سعيد التنوخي من فقهاءِ المالكية بالقيروان، يعلّمان الناس، ويفتيانهم بالكتابة فيما يرد عليهما من الأسئلة والمطالب. وكان المربّي الشيخ محرز بن خلف في المائة الرابعة، يعلم الفقه ببيته لطلبة العلم بتونس، وليقس ما لم يقل. وبديهي أن جامع الزيتونة من أقدم معاهد العلم بتونس، فقد أثبت التاريخ أن العلوم كانت تقرأ به في المائة الثالثة ولكن لم يكن حالها منتظماً كما هو متعارف في هذا الزمان. وهكذا استرسل الأمر إلى قيام دولة بني أبي حفص، وفي عهدهم رسخ تدريس العلم بجامع الزيتونة، وتشعشعت أنواره بفضل ما أضافوا له من خزائن الكتب الجامعة. قالوا: إن تلك الخزائن كانت تحتوي على نحو ستة وثلاثين ألف مجلّد في المائة الثامنة، وفي تلك الأثناء ظهرت مدارس العلم بتونس وأقدمها فيما نعلم المدرسة الشماعية، فتكاثرت الدروس وأخذ حال التعليم في الانتظام بسبب ما وقفه أهل البرّ والإحسان من الأرزاق الجارية لإقراء علوم الشريعة، ولا سيما الفقه، والرواية، ثم تقاصر أمرها في مدّة احتلال عساكر إسبانيا لتونس، وكذلك في أواخر مدة



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الدولة المرادية، فإن العلم كان كشمس على مغيب لتلاشي الكتب، وفناء غالب أهل العلم. ومما زاد الأمر اختلالاً تعاقب الأوبئة في ذلك الزمان، ومنها وباء سنة 1100 [1688]. قال الوزير السراج: إن العلم انقطع من تونس بذلك الفناء المتعاقب، وبموت العلمـاء، ماتت كتب العلم، لأن الكتب لا تعيش طويلاً بين غير أهلها، ولما أراد الله إحياء ما اندرس من معالم العلم بجامع الزيتونة، وفق لانتشالها من دركات الحضيض الباي المولى حسين بن علي تركي(م - 1). قال الشيخ محمد سعادة(م - 2) من علماء دولة هذا الباي عند ذكر مآثره الحسان في كتابه المسمى (قرة العين بنشر فضائل الملك حسين الممجد ونجله الامير سيدي محمد)[1]:

ومن خيراته كفاه الله بمنه الاسواء، وسلك بنا وبه طريق الهـداية والتقوى، وحمى طالعه من النحوس، وأمنه بفضله في اليوم العبوس، ما رتبـه بجامـع الزيتـونة من الـدروس[2]، بعد أن أشـرف العلم منه على الانقراض والدروس، فتدعم بذلك الترتيب الآن أساسه، وحيي فضلاؤه وناسه، وانتشر فيه العلم أي انتشار، وارتحلت إليه الـطلاب من سائـر الأقطار، فحبوا من العلم بالوابل المدرار، وعمرت بذلك الربوع والديار، وأوسع لأهله العطايا، ونوه بارتفاع قدرهم في البرايا، بعد أن كانوا من كد العيش في خلال العامة محسوبين، وفي تحصيله بينهم جادين متعوبين، فعطف عليهم بمزيد رأفته وإحسانه، وأقام فيهم قواعد العدل بعد تهدم أركانه، ثم قال بلسان حال الجامع:

---

(1) كتاب مخطوط في القالب الكبير لا توجد منه غير نسخة واحدة وهي من عيون مكتبة الشاعر الفحل ممثل المجد والنبل السيد مصطفى آغة حفيد سميه الوزيـر الشهير أبي النخبـة مصطفى آغة وزير الحرب المتوفى سنة 1283 [1866].

(2) كان عدد المدرّسين بجامع الزيتونة ثمانية على عهد الدولة المرادية فلما آلت الدولة للمولى حسين بن علي اعتنى بأحوال التدريس بالجامع ورتّب به دروساً كثيرة إلى أن صار عدد المدرسين في مدته نيفاً وأربعين مدرساً رحمه الله وأثابه وأنابه.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

فقام لسان الدين ينشد قائلاً أمير الهدى حقّاً حسين المجد
أقام عمادي بالعلوم ونشرها فأصبح ربعي نوره يتوقد
ومن جاء مستفت ليعلم حكم ما دهاه يجد علماً صحيحاً ويرشد
وكلّ مصل قدسها في صلاته بنقص وزيد عالماً كيف يسجد
أما نظرت عيناك أعلام سؤددي لهم في طروس العلم بحث يسدد
وقد شدّت أحلاس المطايا إليهم وتحقيقهم في كل فنّ مجدد
وكل سليم العقل تشرق شمسهم عليه وذو جهل سقيم وأرمد
فلا زال من أحيا العلوم وأهلها حسين له ذكر جميل يردد
وأبقاه في أوج الفضائل سامياً أمير فخار من له الأمر يسند
مهاباً على كل الملوك مرقعاً يفوز لما يرجى ويحظى ويسعد
معاناً على كل الخطوب موفقاً لرأي سديد في النوازل يحمد

ثم قال: وقد شرع حفظه الله منذ نحو ثلاثة أعوام فارطة عن التاريخ في تجديد خزانة علم محيطة من كل فن من فنونه بالكثير، مبتدأ فيها بكتب الأحاديث النبوية والتفاسير، وحصل منها الآن جملة صالحة، وعزائمه في تكميلها بادية لائحة، وأوامره لتحصيل غرائبها في الأقطار غادية رائحة، ورتّب لاستكتابها نجباء الطلبة بمملكته التونسية وأعمالها، وأجرى لهم الأجر الوافر في تحصيلها وإكمالها، قاصداً بذلك نفعهم على الاشتغال بأعظم الخيرات، وإمدادهم منه بواسع الإحسان والمبرّات، وجعلها لأفاضل بلده أنفس عدة، وفي ميزانه يوم النشور أنفع عده، فشكر الله نيته الصالحة في نشر العلم، وكفاه من أمر الدارين كلّ مهمّ اهـ.

وعلى قياس صنيع المولى حسيين بن علي نسج آل بيته من بعده، فكان الباشا علي باي الأوّل(م - 3) من أهل العلم، ومن أنصاره، وكان واسطة عقدهم النضيد، في مسلكهم الحميد، عاشرهم في السلسلة الدريّة الحسينية، المشير الأول أحمد باي(م - 4)،فقد اعتنى أيّما اعتناء لتعمير جامع الزيتونة بخزائن الكتب النفيسة التي وقفها على طلبة العلم في سنة 1256



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

[1840] ثم رتّب به نظاماً مباركاً للتدريس في عام 1258 [1842] تحت رقابة أربعة نظار، وهما شيخا الإسلام الحنفي والمالكي، والقاضيان الحنفي والمالكي، ورتّب لهم جراية شهرية عن ذلك، فلكلّ من الشيخين الأوّلين مائة ريال في الشهر، ولكل واحد من زميليهما 90 ريالاً، وسيأتي التعريف بأسماء هؤلاء الشيوخ ـ برّد الله مضاجعهم ـ وجعل التدريس في طبقة واحدة مركّبة من ثلاثين مدرساً، نصفهم من علماء الحنفية، ونصفهم من علماء المالكية، وسنأتي على أسماء أهل هذا الرّعيل الأوّل في آخر الكلام على جامع الزيتونة. ومن هذا التنصيف في العدد ـ والتنصيف من الإنصاف ـ يظهر جليّاً أن مؤسّس دراسة العلم الموجودة اليوم بجامع الزيتونة، وهو حنفي المذهب، اعتبر من أصل الوضع المساواة في عدد المدرسين من المذهبين، وهو نفسه ذلك الأمير الذي أمر بالتسوية بين شيوخ المجلسين بدار الشريعة في الرتبة والمرتّب أيضاً. فلو سألنا روحه الطاهرة هل يجوز بعد ذلك خرق هذا النظام العادل، لأجابت بلا، ولو مع توفّر الدواعي وتمويهها بمذاب الذهب.

وقد رتّب المشير أحمد باي لأهل تلك الطبقة من المدرسين أرزاقاً من فواضل بيت المال كان مقدارها ريالين اثنين في اليوم[1] ثم زاد في

---

(1) لما تكرم المشير أحمد باي بايجاد هذه الحسنة الخالدة تسابق أهل العلم والفضل لشكر أياديه عما توفق إليه في سبيل نشر العلم. من ذلك أربعة أبيات من الشعر وقفت عليها بخط بعض الشيوخ النحارير من أهل ذلك الجيل، قيلت في مجلس ضم العالمين الشقيقين الشيخ الطيب والشيخ علي الرياحي، والعالمين الشقيقين الشيخ محمد والشيخ الطاهر بن عاشور.

قال الشيخ الطيب الرياحي:

جزى الله مولانا الأمير وزاده ... من العزّ والتمكين ما هو آمل

وقال أخوه الشيخ علي:

لقد سنّ في الاسلام أحسن سنة ... علوماً بها زانت لدينا المحافل

وقال الشيخ محمد بن عاشور:

وزيّن أجياد العلوم بدرّة ... فما مثله في العالمين مماثل =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

عنايته بجامع الزيتونة فأحدث به في سنة 1265 [1848] طبقة ثانية من المدرّسين على قاعدة النظام الأساسي المتقدّم بيانه، وحصر عددها في اثني عشر مدرّساً، نصفهم من الحنفية، ونصفهم من المالكية، ورتّب لكل منهم نصف ريال[1] في اليوم وبالتالي زيد لهم ربع ريال، ثم ربعاً آخر بحيث صارت الجراية ريالاً كاملاً في اليوم. وكانت هذه الأرزاق تجرى لهم من ريع أوقاف رواية تنبيه الأنام بجامع الزيتونة، لأن هذه الرواية عليها أوقاف واسعة، وهي عبارة عن كتاب احتوى على صيغ صلوات على النبي صلّى الله عليه وسلم للشيخ عبد الجليل عظوم، فجمعت الدولة يومئذ من تلك الأوقاف، ومن أوقاف دروس أخرى متفرقة ما جعلت من ريعه جراية أولئك

---

= وقال أخوه الشيخ الطاهر:

لعمري ما أوس أتى بمثاله ولا حاتم والأكرمون الأوائل

واتفق أن كان حاضراً بمجلس تلك الطائفة الصالحة من الفضلاء الأديب الشيخ محمد بن الحسن التطاوني فقال بإثرهم:

وكان لسان الحال ينشد قائلا ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل
فلا غرو أن بتنا نشاوى بذكره نراصد في مرضاته ونحاول
وننشد أبيات القريض تداولا ليحرز قصب السبق من هو عاجل
فدام لنا بالله عزة نصره وهذا دعاء للبرية شامل

(1) هذا أنموذج من أمر ولاية مدرس من الطبقة الثانية بجراية النصف ريال: إلى من يقف على أمرنا هذا من العلماء الأعلام، الفقهاء الكرام، أهل مجلسنا العليّ بالشريعة المحمدية، ونوابنا في القضايا الدينية، وأبنائنا الأركان، أمراء الأمراء، أعيان الوزراء، وأمراء الأولوية، وأمراء الألايات، وقائمي المقامات، وأمناء الألايات، والبنباشية، وكافة الأجناد العسكرية، وسائر أولي الولايات، فيما لنا من الجهات، سدد الله أمورهم، وأصلح بمنه مفردهم وجمهورهم، أما بعد: فإن الأكمل الخير الزكي الأقبل الثقة الفقيه الشيخ أحمد بن الهمام العلامة الحجة الشيخ سي محمد بن الخوجة قدمناه على بركة الله تعالى شيخ تدريس بالجامع الأعظم جامع الزيتونة عمّره الله تعالى بدوام ذكره من الرتبة الثانية في جماعة الحنفية، يقريء درسين في اليوم، أجريناه في ذلك مجرى أمثاله في مرتب النصف ريال، وأوصينا برعيه واحترامه وإجلاله وإكرامه، وعلى الواقف على أمرنا هذا أن يعرف منحاه، ويعمل بمقتضاه، والأمر كله لله تعالى. والسلام من الفقير إلى ربه عبده المشير أحمد باشا باي وفقه الله آمين في 14 ذي القعدة الحرام سنة 1266[1849] اهـ.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الاثني عشر مدرّساً بجامع الزيتونة، منهم عشرة لتدريس العلوم المتداولة بالجامع، وخصت الاثنين الباقين برواية تنبيه الأنام تحقيقاً لنصّ الواقف. وهذان الاثنان هما الشيخ محمود الأبّي من علماء الحنفية، والشيخ علي السقانجي من علماء المالكية. ثم بتطاول الزمان تنوسيت رواية تنبيه الأنام، والتحق مدرساها ببقية مدرسي الطبقة الثانية. قالوا: إن هذه الطبقة الثانية في نظام التدريس بجامع الزيتونة أحدثها الباي ترضيةً للفقيه الشيخ محمد برناز لأن الشيخ محمد بيرم الرابع قدّم عليه غيره للتدريس ممّن يراه هو دونه في العلم، حيث كانت خطّة التدريس تمنح يومئذ لصاحبها باجتهاد الشيوخ والاختيار لا بالمناظرة والاختبار.

ولما أحدثت هذه الطبقة الثانية من المدرّسين الذين جعلت جرايتهم من فواضل الأوقاف كما تقدّم بيانه[1] اشترط سموّ الباي أن لا يتولّى مدرّس بالطبقة الأولى إلا بعد تدريسه بالطبقة الثانية المحدثة، ولكن هذه القاعدة لم يعمل بها عند تقديم العلامة الشيخ محمود قابادو(م - 5) للتدريس، فإن المشير الثاني محَمد باي(م - 6) أولاه بداية مدرسا من الرتبة الأولى بإشارة من صهره العلامة الشيخ محمد بيرم الرابع متخطّياً به أعناق مدرّسي الطبقة الثانية، وفي ذلك يقول الشيخ قابادو من قصيدة ميميّة تضمّنها ديوانه(م - 7):

بسعيك تبلغ الرتب العظام وتستعدي على الدهر الكرام
وهل ظفرت بمكرمة يمين وليس لها بعروتك اعتصام

كما انخرمت تلك القاعدة مرتين أخريين، مرّة عند ولاية العلامة الشيخ الطاهر النيفر حيث تولّى دفعة واحدة مدرّساً من الرتبة الأولى عوضاً

---

(1) جراية مدرسي الطبقة الأولى من أصلها جراية دولية لا حبسية وقد تناولها التغيير بالزيادة فكانت ثلاثة ريالات في اليوم أثناء سنة 1287 [1870] وبالتالي رفعت إلى خمسة ريالات كما رفعت جراية مدرسي الطبقة الثانية إلى ريالين، كان ذلك بأمر المشير محمد الصادق باي. وأصدر رحمه الله بمناسبة تحسين حالة شيوخ التدريس ظهيراً كريماً تضمن شتى الوصايات والتأكيدات في الحث على نشر العلم وضبط أحوال التدريس بجامع الزيتونة.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

عن والده الذي تنازل له عن خطته، ووافقه على ذلك شيخ الإسلام الشيخ محمد بيرم الرابع، فكتب لسموّ الباي مكتوباً بذلك هذه عبارته:

«أدام الله تعالى إشراق سماء الدولة المشيرية المحمدية(م-8) بأقمار مآثرها النيرة البهية، وأضفى ظلال جودها وبرها حتى تتفيأه كل البرية، ولا عدمنا منها أذناً لاستماع العرف مصغية، ونفساً بإنفاذه سخية. أما بعد سلام يعبق بحضرتها طيبه، ويقوم بناديها مفصحاً بما يجب من الإجلال خطيبه، فإن الشيخ سيدي محمد النيفر مفتي حضرتكم، المعدود في سمط العلماء من محاسن دولتكم، تاقت نفسه إلى معاودة زيارة المصطفى، والورود من الحج منهله الأصفى، وحسن ظنه بمولانا في إسعافه بمأموله، وبعبدكم حيث جعله طريقاً إلى حصوله، والمقطوع به من كرم سيدنا أن لا يخيب قاصديه، لا سيما مثل هذا الرجل في هذا المطلب الذي يزاوله ويعانيه، كما علق أمله بنزوله عن الدرس الذي بيده لابنه الأنبه الأنجب الأزكى محمد الطاهر الذي هو مباشر للتدريس مدة طويلة معدود مَن نجباء الطلبة وليس قصده الانكفاف عن الإقراء بعد الرجوع بل عزمه الذي تدعوه إليه الجبلة الاستمرار عليه وإنما مراده رؤية قرة عينه متوجاً بتاج كرامة أمثاله. ومن المألوف تبرّع الآباء النجباء بمثل ذلك، وهذا المطلب يرجو تعجيله له الآن ولا يعكر عليه تقديمه على ذوي الطبقة الثانية، فإن هذه وظيفة صاحبها موجود رأى أن يحل فيها ولده محله فكأنها باقية بيده، على أن أهل هذه الطبقة تلامذة له لا ينازعون شيخهم في قلادة كانت بعنقه، أن يحلّي بها جيد ولده، وأنا الكفيل بطيب نفوسهم، ولمولانا النظر العالي والبصيرة المنورة الداعية إلى إنجاح الرغبات، والتقرّب إلى الخالق بإدخاله على عبيده أنواع المسرّات، لا زلنا نمرح في حلل برّه الحفي، ونبثّه مطالبنا وهو بإنجازها يفي. والسلام في ثامن جمادى الثانية عام 1272 [1855] اهـ».

وأما المرّة الثالثة التي عدل فيها عن قاعدة الاختيار من الطبقة الثانية



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

للولاية بالطبقة الأولى، فإنها حصلت عند تقديم العلامة الشيخ أحمد الورتتاني(م - 9)، وصورة ذلك أن الشيخ الورتتاني ذُكر اسمه بحضرة شيخ الإسلام الشيخ محمد معاوية للولاية مدرّساً من الرتبة الثانية، فقال شيخ الإسلام: ذلك رجل له صلة بالمخازنية. وحقيقة كان للشيخ الورتتاني صلة وانتساب للوزير مصطفى خزندار، ونقلت اليه كلمة الشيخ معاوية فاستصدر الوزير من الباي مكتوباً للمشائخ النظار باختيار الشيخ الورتتاني مدرّساً من الطبقة الأولى، وهكذا تمّ العمل، وكان ذلك في رجب سنة 1287 [1870].

هذا وقد اتفق لشيوخ النظارة العدول عن طريقة الاختيار بالركون لطريقة المناظرة بين المتزاحمين حول مورد التدريس ـ والمورد العذب كثير الزحام ـ عند ظهور اعتراض وجيه من بعض الراغبين في الخطّة، كما وقع ذلك على عهد العلامة المرحوم الشيخ محمد معاوية السالف الذكر، فإنه كان في عزم تقديم أحد الفقهاء من بعض البيوت المشهورة لخطة كانت شاغرة بالطبقة الأولى الحنفية، ولكن الشيخ أبا النخبة مصطفى رضوان(م - 10) من مدرّسي الطبقة الثانية إذ ذاك قام محتجّاً على ذلك الاختيار، وطلب المناظرة بأبيات نثبتها هنا بالنقل عن كتاب (عنوان الأريب) ونصّها(م - 11):

أيا شيخ إسلام وقدوة أمّة ... مقامك أعلى من مديحي وأعظم
معاوية الأستاذ هل من معنّف ... فلا العلم مغبون ولا الحق يكتم
عهدناك قبل اليوم تشكو تأخرّاً ... وتقديم من لا يعلمون وتعلم
أعيذك من أن أشتكي منك مثلها ... فعدلك يأباها ورأيك أحزم
فلا تجعلني واو عمرو وإنني ... أنا الميم والأيام أفلح أعلم
هديتم إلى رشد فخذ قول منصف ... سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم
وإني على عليك أثني مسلماً ... ولست لمن قدّمتموه أسلّم

واستمرّ الحال جارياً على قاعدة ولاية التدريس من رتبتيه الأولى والثانية اختياراً باجتهاد المشائخ النظّار إلى زمن المولى علي باي الثالث. ففي سنة 1309 [1891] صدر أمر كريم بجعل المناظرة على التدريس هو



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الأصل المعوّل عليه في الولاية، وبذلك بطل ما كان للشيوخ من حقّ الاختيار. ولكن أهل العلم كرهوا لأوّل العهد بظهور هذا الترتيب المشاركة في المناظرة المفروضة، وكارموا بعضهم بعضاً. فقد ولي المرحوم الشيخ محمد جعيط التدريس من الرتبة الأولى بدون مناظرة في سنة 1310 [1892] وفي العام نفسه تولّى المرحوم الشيخ الطاهر الرياحي التدريس من الرتبة الثانية بدون مناظرة أيضاً، ثم في العام بعده تولّى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد بن يوسف(م - 12) شيخ الإسلام الحنفي الموجود بارك الله في أنفاسه خطة التدريس من الرتبة الأولى بدون مناظرة اعترافاً له بالأفضلية من أقرانه الموجودين في ذلك الزمان(1). وأوّل مناظرة مالكية على التدريس بمقتضى أحكام الأمر الصادر في عام 1309 [1891] كان النجاح فيها من نصيب المرحوم الشيخ صالح الشريف(م - 13)، كما أن أوّل مناظرة حنفية حسب النظام المذكور كان الحائز قصب السبق فيها المرحوم الشيخ محمد رضوان، ثم استرسل العمل بالمناظرة إلى هذا الزمان (1357 [1938]) ولم تشذ هذه القاعدة بعد ذلك إلا ثلاث مرات في أحوال استثنائية، مرّة في سنة 1321[1903] وأخرى في سنة 1339[1920] وثالثة في سنة 1345[1927].

واعلم أن النظام الأصلي في ترتيب تدريس العلوم بجامع الزيتونة هو ما تضمّنه الظهير الشريف المسمّى بالمعلّقة المرسومة عبارتها بمذاب الذهب بجوار باب الشفاء بالجامع، وعلى منوالها نسج المشير الثالث محمد الصادق باي في سنة 1292 [1875] عند إحداثه للمكتبة الصادقية المعروفة بالعبدلية(م-14)، وضبط أحوال الدروس والمدرسين بعناية وزيره خير الدين. وكان لهذا الباي رغبة زائدة في تنشيط طلبة العلم، ناهيك أنه أمر بإسقاط ضريبة المجبى على المنقطعين منهم للقراءة، الأمر الذي أنطق ألسنة الشيوخ بحمده وشكره. من ذلك قصيدة للعلامة المفتي الشيخ الطاهر

---

(1) سمعنا منه أدام الله به النفع أنه تولى التدريس بالطبقة الثانية عند ما كان مرتبها في الجملة ستين ريالاً في الشهر.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ابن عاشور الأوّل، يقول في مطلعها:

لئن نال منها الجهد عزّ منالها  فقد حمدت أيدي السرى في منالها

وبالتالي أضيف لذلك ملحقات كثيرة في عهد المرحوم المولى علي باي الثالث: منها تنظيم أحوال المناظرات، وجعل رقابة على الدروس، وترتيب راحة سنويّة في الصيف يتمتّع بها المعلّمون والمتعلّمون، وجعل ترتيب خاصّ بالامتحانات السنوية. وفي مدّة المولى محمد الناصر باي أعيد النظر في عموم أحوال التدريس بالجامع، وكانت النتيجة ظهور الترتيب المؤرخ بخامس شوال 1330 [1911] وفي سنة 1345[1927] أصدر المولى محمد الحبيب باي أمره[1] بجعل الجامع اليوسفي(م - 15) فرعاً علميّا لجامع الزيتونة لتضايق عرصاته عن جمع نحو 3000 تلميذ في وقت واحد، ووقع تعزيز هذا الفرع بإقامة فرع آخر بالجامع الحفصي في سنة 1351[1932]

(1) هذا نص الظهير الكريم الذي أصدره المولى محمد الحبيب باي في تأسيس هذا الفرع الأوّل لجامع الزيتونة ننقله هنا لأنه لم يتقدّم نشره:

الحمد لله الذي جعل العلم سلّم المنازل الرفيعة، وخصّ بمزيد الشرف علم الشريعة، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المنقذ من الجهل، والمرشد لأمته بالعمل والقول الفصل، وعلى آله وأصحابه العاملين بسنّته، وكل من تبعهم من أمته. أما بعد: فقد دلّ على شرف العلم الكتاب والسنّة والعقل، وتواتر بفضل أهله النقل، وبيمن دولة مولانا الملك المطاع، المنعقد على فضله الإجماع، والآتي من صنوف البرّ بما فوق الأطماع، المحفوف بسرّ السّور والآي، سيّدنا ومولانا الباشا محمد الحبيب باي، انتشر العلم وكثر طلّابه، حتى اكتظ الجامع الأعظم جامع الزيتونة وضاقت بتلامذته رحابه، وحيث كان نشر العلم غاية مراده، والواسطة العظمى لسعادة بلاده، أمر أبقاه الله كهفاً حصيناً، وملجأً أميناً، ينقل أهل الرتبة الأولى الابتدائية من الجامع الأعظم إلى الجامع اليوسفي، توسعة لرحاب العلوم الشريفة، وحفظاً لأهلها من الملمات المخيفة، واختار أن يكون الفرع أميناً، من أصله، إعلاناً بامتزاجه به وعدم فصله، وعيّن له من القيّمين والكتبة ما يفي بالأمنية، وجعل جميع ذلك لنظر النظارة العلمية. وحكم بذلك وأمضاه، وألزم العمل بموجبه ومقتضاه، وذلك بمساعدة دولة الحماية، وموافقة عميدها ذي الشهامة والدراية، المشهود له نحو الجانب العلمي بالعناية، وأذن مولانا الأمير، بتسطير هذا الظهير، ووضعه بهذا الجامع في صدره، حرصاً على حفظه وتنفيذ أمره، والمرجوّ من الله في دولته السعيدة، أن تكون فروع الجامع عديدة، ودوحة العلم زاهرة، وألسنة الشكر غير فاترة. وكتب في شوال سنة 1345 وفي أفريل سنة 1927 اهـ.



مكتبتنا العربية  www.almaktabah.net

على عهد أمير هذا العصر أدام الله أيامه، ثم زيد في عدد المدرّسين ثمانية بعنوان الطبقة الثانية بدون تقيّد بمذهب، وأحدثت بعد ذلك في سنة 1356 1937] طبقة ثالثة للتدريس، وهم المعاونون نيطت بعهدة ستين متطوّعا من المنتصبين للإقراء بجامع الزيتونة، وأحدثت فوق جميع ذلك في سنة 1351 [1932] رتبة استثنائية للتدريس العالي، لقبوا صاحبها بالأستاذ، وحصروا عدد هؤلاء الأساتذة في ثمانية، نصفهم من الحنفية، ونصفهم من المالكية، بحيث صارت أحوال التدريس بجامع الزيتونة في هذا الزمان منتظمة على الوجه الآتي بيانه:

## الأساتذة والمدرسون بجامع الزيتونة في هذا الزمان

| | |
|---|---|
| 4 | مدرسين حنفيين من الرتبة الاستثنائية بلقب أساتذة |
| 4 | مثلهم مالكيين |
| 11 | مدرسين حنفيين من الرتبة الأولى |
| 11 | مثلهم مالكيين |
| 6 | مدرسين حنفيين من الرتبة الثانية |
| 6 | مثلهم مالكيين |
| 8 | مدرسين من الرتبة الثانية بدون تقيد بمذهب. |
| 1 | مدرس للتجويد من الرتبة الأولى |
| 1 | مدرس للتجويد من الرتبة الثانية |
| 4 | مدرسين للتجويد من الرتبة الثالثة |
| 65 | مدرسين من الرتبة الثالثة بدون تقيد بمذهب |
| 1 | معلم للهيأة والميقات |
| 1 | معلم للخط |
| 1 | حكيم لتعليم حفظ الصحة. |
| 113 | جملة المدرسين والمعلمين من كل الأصناف |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## طلبة العلم بجامع الزيتونة وفروعه[1]

| | |
|---|---|
| 272 | طلبة التعليم العالي |
| 669 | طلبة التعليم الثانوي |
| 469 | طلبة التعليم الابتدائي من طبقة السنة الثالثة |
| 438 | طلبة التعليم الابتدائي من السنة الرابعة |
| 1848 | جملة الطلبة بجامع الزيتونة |
| 695 | طلبة التعليم الابتدائي بالفرع اليوسفي من طبقة السنة الأولى |
| 504 | طلبة التعليم الابتدائي بالفرع الحفصي من طبقة السنة الثانية |
| 3047 | جملة الطلبة بالجامع وفروعه |

## برنامج العلوم

العلوم التي تقرأ اليوم بجامع الزيتونة وفروعه هي التي اقتضاها قانون رابع حجة 1351[1932]. وهذه أسماؤها مع بيان أعداد دروسها من درجات التعليم الثلاث في هذا الزمان:

| اسماء العلوم | درجات التعليم وعدد الدروس من كل درجة | | |
|---|---|---|---|
| | العالي: | الثانوي: | الابتدائي: |
| التوحيد | 1 | | 25 |
| القراءات | 6 | 14 | 35 |
| التفسير | 4 | 3 | |
| الحديث | 2 | 3 | 12 |

(1) فروع جامع الزيتونة هي: جامع يوسف داي، واسمه الفرع اليوسفي. وجامع القصبة، واسمه الفرع الحفصي. ومعهد ابن خلدون(م-16) بصفة موقتة لتعليم العلوم الرياضية والجغرافية. وهذا المعهد مستقل بإدارته الداخلية.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| أسماء العلوم | درجات التعليم وعدد الدروس من كل درجة | | |
|---|---|---|---|
| | العالي: | الثانوي: | الابتدائي: |
| أصول الفقه | 5 | 11 | |
| الفقه | 3 | 12 | 60 |
| تاريخ التشريع | 1 | | |
| الفرائض | | 9 | 6 |
| التوثيق | | 9 | |
| الأقضية والشهادات | | 13 | |
| الإجراءات الشرعية | 3 | 3 | |
| النحو | 3 | 10 | 48 |
| الصرف | | 9 | 23 |
| البلاغة | 3 | 10 | 6 |
| العروض | | 3 | |
| اللغة والأدب | | 3 | |
| الخط | | 8 | 17 |
| الرسم | | | 17 |
| الأخلاق | | | 25 |
| المنطق | | 9 | 6 |
| آداب البحث | | 3 | |
| السيرة النبوية | | 6 | |
| التاريخ | | 6 | |
| الجغرافيا | | | 25 |
| الحساب والجبر | | 6 | 25 |
| الهندسة والمساحة | | 6 | 25 |
| الهيئة والميقات | | 3 | |



www.almaktabah.net مكتبتنا العربية

| أسماء العلوم | درجات التعليم وعدد الدروس من كل درجة | | |
|---|---|---|---|
| | العالي: | الثانوي: | الابتدائي: |
| خصائص الأشياء ..... | | | |
| صناعة التعليم ..... | 3 | 3 | |
| حفظ الصحّة ..... | | | 25 |
| المصطلح ..... | 1 | 3 | |
| مقاصد الشريعة ..... | 2 | | |
| الإنشاء ..... | 4 | 9 | 23 |
| الخطابة ..... | 1 | | |
| نقد الشعر ..... | 2 | | |
| المنتخبات العربية ..... | 4 | | 25 |
| تاريخ الأدب ..... | 2 | 3 | |
| جملة الدروس | 403 | 177 | 50 |
| | 630 | | |

ويلتحق بهذه الدروس أربعة دروس أخرى لها أوقاف خاصة جارية للقيام بها وهي :

| | |
|---|---|
| درسان في العلوم أسّسهما الوزير خير الدين | 2 |
| درس في العلوم أسسه الحاج قاسم بن يوسف | 1 |
| درس في الكفاية من الفقه المالكي أسسه أمير اللواء صالح خوجه | 1 |
| جملة الجمل | 634 |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## مشيخة الجامع(م - 17)

مشيخة الجامع هي إدارته. ومركزها بالرواق المعروف بمحكمة ابن عصفور. وهذه الخطة الشريفة لا يتولّاها إلا أحد كبار الشيوخ من أقطاب العلم، وهي لهذا الزمان بعهدة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر قاضي الجماعة الشيخ صالح المالقي نفع الله به. وشيخ الجامع هو الممثل للحكومة بالمعهد وفروعه، وهو المكلّف بتنفيذ جميع التراتيب الخاصّة بالمعهد المذكور، وهو المسؤول عن استقرار الهدوء وحفظ النظام، وله حقّ التخاطب رأساً مع الوزير الأكبر، أي لا واسطة بينه وبين الدولة. هذا ولشيخ الجامع نائبان من كبار المدرسين لإعانته على مباشرة مهام خطته، أحدهما مالكي يباشر مراقبة التعليم بجامع الزيتونة وبالفرع الخلدوني، والآخر حنفي يباشر النظر على التعليم بالفرع اليوسفي والفرع الحفصي. وقد اقتضى ترتيب الجامع جعل مجلس عال وظيفته الإشراف على سير العلم بجامع الزيتونة وفروعه، ورئاسة هذا المجلس لجناب الشيخ باش كاتب وزير القلم، وكاهيته بالأصالة فضيلة شيخ الجامع والنظر الأعلى فوق الجميع من حقوق جناب المولى الوزير الأكبر. ومن المقرّر المعلوم أنه لا يبتّ في شيء ذي بال بخصوص جامع الزيتونة إلّا بعد عرضه على الأسماع الملوكية الشريفة، وصدور الأمر المطاع بإجراء تنفيذه.

## خزائن الكتب[1] بجامع الزيتونة

من مشمولات الجامع مكتبته الأحمدية، والمكتبة العبدلية، وتفصيل ما بالمكتبتين من الكتب المحبسة هو الآتي بيانه.

الكتب المحفوظة بمكتبة الجامع هي من تحابيس المشير أحمد باي

(1) انظر تاريخ هذه المكاتب وما كانت عليه في القرون الوسطى بالصفحة 71 وما بعدها من المجلّد الأول للمجلّة الزيتونية.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الأول وقفها على أهل العلم في سنة 1256 [1840] وكان عددها يومئذ 2527 جزءاً أضيف لها بعده تحابيس كثيرة صدرت من بعض الوزراء، وبعض العمّال، وبعض العلماء، وغيرهم من أهل البرّ والمعروف، بحيث صارت جملة المجموع: 7851 من الأسفار. فالكتب المحفوظة بالمكتبة العبدلية وهي من حسنات المشير محمد الصادق باي أسسها في سنة 1292 [1875] مع ما أضيف لها بعده من التحابيس الصادرة من أخيه المولى علي باي الثالث، ومن ابنه المولى محمد الهادي باي، ومن الوزير خير الدين، ومن غيرهم من المحسنين: 5900.

الكتب الدراسية المجعولة على ذمّة الطلبة: 7622.

جملة الكتب : 21373 [1].

هذا وقد اقتضت نصوص الواقفين تمكين المستعير لكتاب من خزانة الجامع للانتفاع به مدة حول. لا يحمل مستعير الكتاب على إرجاعه قبل مضيه.

أما المكتبة العبدلية فإن الانتفاع بكتبها إنما يقع داخل المكتبة إذ اشترط مؤسّسها عدم إعارة كتبها للانتفاع بها خارجها. وبمقتضى هذا النظام فإن الطلبة يقصدونها للمطالعة على دور العام. وقد بلغ عدد المطالعين بها أثناء السنة المدرسية الأخيرة (1937) الى 10887 نفس، كما بلغ عدد الوافدين عليها للنساخة والكتابة زيادة على أولئك المطالعين إلى 5000 نفس في المدّة المذكورة.

وبديهي أن لكلتا المكتبتين وكلاء ، وظيفتهم رقابة المكتبتين،

---

(1) آخر ما وقع تحبيسه من الكتب على خزانة جامع الزيتونة هي كتب الحرة المحسنة لؤلؤ بنت المرحوم المدرس الشيخ عمر عاشور وجملتها 28 سفراً وصلت للجامع في سنة 1356[1937] تقبّل الله سعيها. وآخر تحبيس لفائدة المكتبة العبدلية هي طائفة من الكتب منها صحيح الإمام البخاري بشرح القسطلاني وقفها الفاضل الأمير ألاي أبو الحسن علي عبد الوهاب في السنة المذكورة أحسن الله إليه وأنابه.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ومناولة الكتب للراغبين فيها، وهؤلاء الوكلاء عددهم:

لخزانة الكتب الحنفية بالجامع ..2
ولخزانة الكتب المالكية .....2
ولخزانة المكتبة العبدلية .....4
جملة وكلاء الكتب: .....8

هذا ولا بدّ وأنه سيكون لمكتبتي الجامع، ولوكلاء كتبه شأن في مستقبل الأيام بعد انتهاء طبع فهارس الكتب على النحو الجديد، لأن هاته الفهارس وقع تحريرها بالطريقة الفنية القاضية بإسناد خطّة المحافظين على الكتب لأعوان فنيين من أهل العلم لا يصحّ اختيارهم في المستقبل من غير طبقة العلماء المشاركين في الفنون .

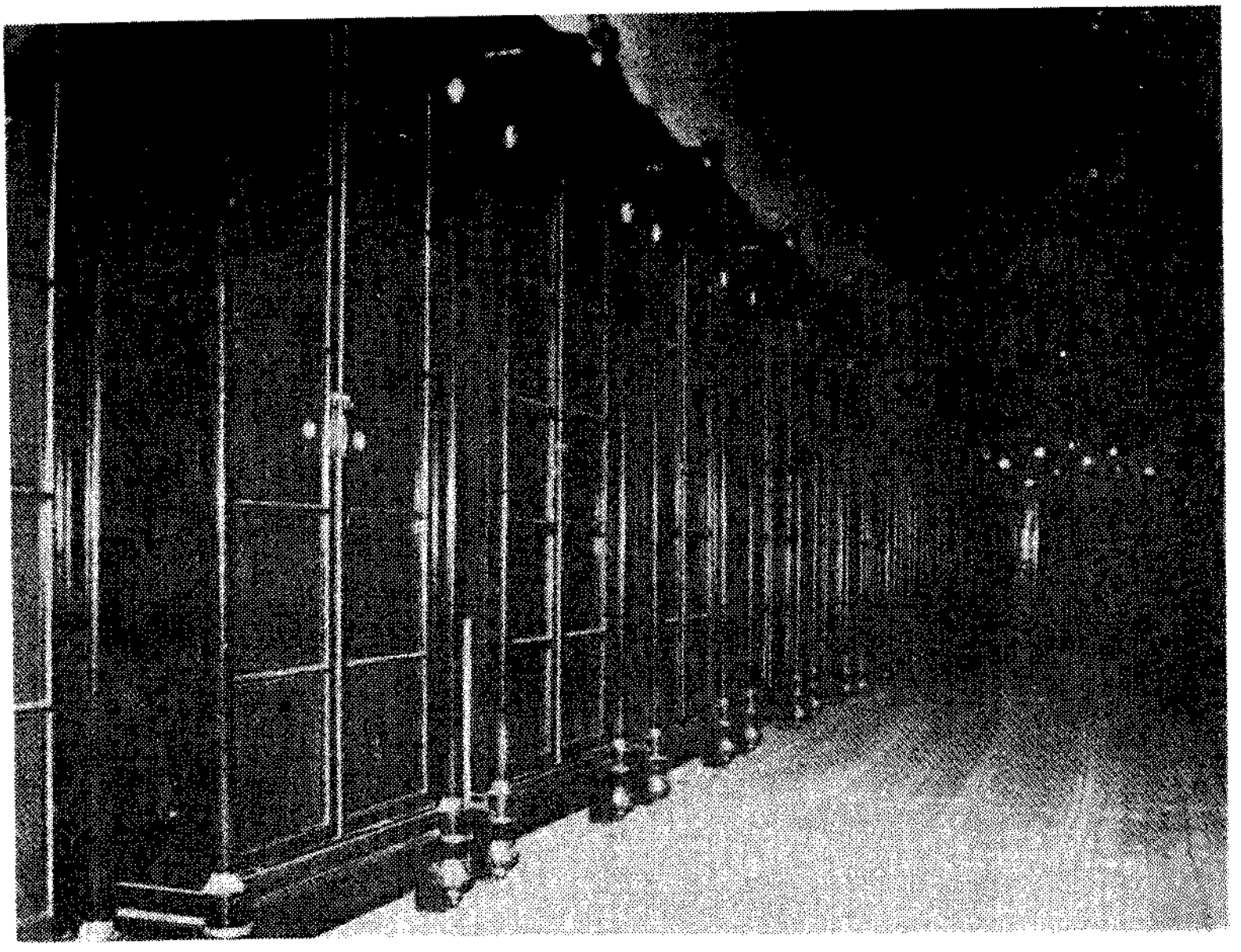

خزائن الكتب بجامع الزيتونة



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## مشائخ النظارة والمدرسون الأوّلون

ننقل هنا على وجه البركة أسماء أهل هذه الطبقة الصالحة من العلماء الأعلام الذين انتصبوا لمباشرة النظارة والتدريس بجامع الزيتونة عند تأسيس قانون دراسة العلوم به في سنة 1258 [1842].

### النُّظَّار

الشيخ محمد بيرم الثالث شيخ الإسلام
الشيخ محمد بن الخوجة القاضي الحنفي
الشيخ إبراهيم الرياحي باش مفتي المالكية
الشيخ محمد بن سلامه القاضي المالكي

### المدرسون

| الحنفية | المالكية |
|---|---|
| الشيخ محمد معاوية[1] | الشيخ محمد الشاهد[2] |
| الشيخ حسن بن الخوجه | الشيخ الشاذلي بن صالح |
| الشيخ محمد البارودي | الشيخ محمد الخضار |
| الشيخ محمد قاسومه | الشيخ أحمد عاشور |
| الشيخ حسن فرشيش | الشيخ محمد الشنقيطي |
| الشيخ مصطفى بيرم | الشيخ علي العفيف |
| الشيخ حسن قلايجي | الشيخ محمد بن عاشور |

(1) آخر من التحق بالدرا الآخرة من أهل طبقته الحنفية وذلك في سنة 1294 [1877]
(2) آخر من التحق بالدار الآخرة من أهل طبقته المالكية وذلك في سنة 1311 [1893]



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| | |
|---|---|
| الشيخ محمد بيرم الرابع[1] | الشيخ الشاذلي بن المؤدب |
| الشيخ محمد الأبيّ | الشيخ الطيب الرياحي |
| الشيخ محمد الستاري | الشيخ محمد النيفر |
| الشيخ حسين البارودي | الشيخ محمد البنا |
| الشيخ محمود بن باكير | الشيخ أحمد القروي |
| الشيخ حمدة عباس | الشيخ محمد القبايلي |
| هالشيخ محمد بن الرايس | الشيخ فرج التميمي[2] |
| الشيخ علي الدرويش | الشيخ العربي الشريف |

## لجان إصلاح التعليم بجامع الزيتونة

نختم حديث جامع الزيتونة بتلخيص الكلام عما ظهر به في هذا القرن من الأزمات التي تناوبته خلال هـذه الأربعين سنة، واستوجبت لفت الأنظار نحوه بنيّة السعي لإصلاح سير العلم بساحته الطاهرة، ولذلك نقول: في بحر هذه الأربعين سنة عينت الدولة خمس لجان في أوقات مختلفة للنظر في إصلاح التعليم بجامع الزيتونة باشرت أولاها العمل في سنة 1316 [1898] برئاسة الوزير العلامة الشيخ محمد العزيز بوعتّور، وكان تركيب هذه اللجنة الأولى كما يأتي:

### لجنة الإصلاح الأولى

الرئيس: الشيخ محمد العزيز بوعتور الوزير الأكبر

الأعضاء: الشيخ محمد بيرم شيخ الإسلام

---

(1) أوّل من شغرت خطته من الحنفية بتقدّمه لمشيخة الإسلام في سنة 1259 [1843]

(2) أوّل من التحق بالدار الآخرة من أهل طبقته وتقدّم عوضه للتدريس الشيخ الطاهر بن عاشور الأوّل باختيار المشائخ النظار.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الشيخ أحمد الشريف باش مفتي المالكية
الشيخ عمر بن الشيخ المفتي المالكي
الشيخ إسماعيل الصفايحي القاضي الحنفي
الشيخ الطيب النيفر القاضي المالكي
أمير الأمراء السيد محمد الجلولي وزير القلم والاستشارة وباش كاتب
مسيو روا كاتب الدولة العام ـ Roy
مسيو ماشويل مدير المعارف ـ MACHUEL
المدرس الشيخ سالم بوحاجب
المدرس الشيخ الطاهر جعفر
المدرس الشيخ محمود بن محمود
المدرس الشيخ صالح الشريف
المدرس الشيخ عمر بن عاشور
المدرس الشيخ مصطفى بن الخوجه
المدرس الشيخ محمد بن القاضي
السيد البشير صفر المكلف بالنظر في مالية الأوقاف

ووافق إيجاد هذه اللجنة الأولى، ظهور لائحة برنامج دبّرته إدارة المعارف لضبط شؤون التعليم بكتاتيب القرآن. ومما اشتمل عليه هذا البرنامج جعل سورة معلومة من طوال المفصل حدّاً لا يتعدّاه التلميذ في الحفظ، ينتقل منه للتعلم إن شاء بجامع الزيتونة. واجتهد مسيو ماشويل مدير المعارف يومئذ في توسيع نطاق مشاركته في أحوال التعليم بجامع الزيتونة نفسه، وكان من حقوقه إبداء رأيه عند ولاية المدرسين، وربما كان سبباً في تعطيل صدور الأمر بولاية بعضهم مدة شهور طويلة رغم نجاحه في الامتحان، وكانت الامتحانات تقع بمقتضى قرارات وزيرية تصدر بعد أخذ رأيه في ذلك بحيث كانت العراقيل كثيرة، والتداخلات أكثر منها في شؤون الجامع، وهو مدرسة دينية ليس من الحكمة ولا من المعقول أن يكون النظر



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

في أحوالها لغير أهلها من المسلمين. ونسبوا في تلك الأثناء عبارة لمدير المعارف، وهي قوله إن مشروع الخلدونية المحدثة في سنة 1314 [1896] جاء كلقاح جديد لزيتونة الجامع التي مضت عليها القرون، فارتاع بعض أهل العلم لهذا التشبيه الجائر الذي دفعه شيخ الإسلام بعزة وقوّة، وأفضى في تلك المناسبة المدرس الشيخ صالح الشريف أحد أعضاء اللجنة المشار إليها بتصريحات حارة استلفتت نحوه الأنظار، وتدخّلت جريدة الحاضرة(م - 19) في القضيّة بمشاركتي ومشاركة صاحبي المرحوم السيد البشير صفر دفاعاً عن ساحة الجامع وانتصاراً لحزبه. وكانت النتيجة والقول الفصل في ذلك هو ما أشار به رئيس اللجنة المولى الوزير الأكبر من جعل التعليم بكتاتيب القرآن غير مقيّد بقيد لا من جهة السنّ ولا من جهة الحفظ وإنّما يضاف للتلميذ حفظ بعض المتون المهيأة للتعلم بجامع الزيتونة كالجوهرة، والألفية، وابن عاشر، وشبه ذلك. واستقرّ الرأي مع ذلك على أن يكون النظر في أحوال التدريس بجامع الزيتونة من متعلّقات الوزارة الكبرى وحدها، وعلى أن يكون تعلّم مبادىء العلوم الرياضية، والتاريخ، والجغرافيا، من الفنون الاستكمالية، لما في مزاولتها من المنفعة للطلبة. كلّ ذلك مع الاحتفاظ التامّ بالصبغة الدينية البحتة المتلبسة بتدريس علوم الشريعة بجامع الزيتونة .

هذه خلاصة ما راج من الأعمال على يد لجنة الإصلاح الأولى .

## لجنة الإصلاح الثانية

هذه اللجنة الثانية وقع تأسيسها في سنة 1328[1910] على عهد الوزير الفقيه العالم الشيخ يوسف جعيط. وكان اجتماعها برئاسة الشيخ باش كاتب نيابة عن الوزير الأكبر وتركيبها على الوجه الآتي :

الرئيس: أمير الأمراء السيد الطيب الجلّولي وزير القلم والاستشارة وباش كاتب

الأعضاء: الشيخ أحمد بيرم المفتي الحنفي



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الشيخ محمود بن محمود القاضي الحنفي
الشيخ محمد القصار القاضي المالكي
مسيو فلوري كاهية الكاتب العام ـ FLEURY
المدرس الشيخ محمد بن يوسف
المدرس الشيخ محمد النيفر
المدرس الشيخ الطاهر بن عاشور النائب لدى النظارة العلمية
المدرس الشيخ محمد بن الخوجة النائب لدى النظارة العلمية
السيد خير الله بن مصطفى المترجم المحلف بالمجلس المختلط

وكانت نتيجة مساعي هذه اللجنة ظهور الترتيب الصادر في خامس شوال 1330 [1911] وهو نظام لا بأس به، ولكنه تعتوره أنقاص كثيرة. وكان من متفرعّاته نظام التعليم بالآفاق في خمس مدن؛ القيروان، وسوسة، وصفاقس، وتوزر، وقفصة، حسب أحكام الأمر الصادر بذلك في شعبان 1330 [1911] ولكن هذا التعليم الآفاقي لم يأت حتى الآن بنتيجة مذكورة[1] لعدم ترتيب أساليبه وعدم إمداده بالمال الكافي لقوام أوده. نعم إن الهمّة جارية في هذا الزمان لانتشاله وتوسيع نطاقه وجعله في درجة واحدة مع التعليم الابتدائي بجامع الزيتونة وفروعه.

## لجنة الإصلاح الثالثة(م - 20)

كان إحداث هذه اللجنة الثالثة في سنة 1342 [1924] وتوالت اجتماعاتها في السنة بعدها برئاسة الوزير الأكبر، وكان ترتيبها كما يأتي:

الرئيس: أمير الأمراء السيد مصطفى دنقزلي الوزير الأكبر

(1) اعترافاً بالفضل لذويه نقول إن فرع مدينة صفاقس أخذ يتدرّج في مدارج الرقيّ بحيث إن حالته الحاضرة تبشّر بحسن مستقبله إن شاء الله.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الأعضاء : الشيخ أحمد بيرم شيخ الإسلام
الشيخ سالم بوحاجب باش مفتي المالكية
الشيخ الطاهر بن عاشور المفتي المالكي
الشيخ محمد بن يوسف المفتي الحنفي
الشيخ محمد رضوان القاضي الحنفي
الشيخ الصادق النيفر القاضي المالكي
أمير الأمراء السيد خليل بوحاجب وزير القلم والاستشارة وباش كاتب
مسيو هانري بونصو مدير الداخلية العام [HENRI PONSOT]
أمير الأمراء السيد الهادي الاخوة رئيس القسم الأول.
السيد عمر البكوش كاهية رئيس القسم التونسي بالمجلس الكبير
السيد محمد الصالحي العضو بالمجلس المذكور
المدرس الشيخ أحمد بن مراد النائب لدى النظارة العلمية
المدرس الشيخ صالح المالقي النائب لدى النظارة العلمية
المدرس الشيخ محمد بن القاضي
المدرس الشيخ بلحسن النجار
المدرس الشيخ علي السنوسي
السيد محمد الاصرم المعلم بالمدرسة الصادقية وبمدرسة اللغة والآداب العربية
السيد الطاهر العجيمي رئيس خزنة المكاتيب العامّة.

وهذه اللجنة الثالثة تمّ على يدها تحرير لائحة مستكملة في إعادة نظام التدريس وفي أحوال المدرسين وطلبة العلم، إلا أن هذه اللائحة لم تبرز من القوّة إلى الفعل في وقتها، واتفق التحاق رئيسها الوزير السيد مصطفى دنفزلي بالدار الآخرة، فبات مشروعه في زوايا النسيان، إلى أن أحيته لجنة الإصلاح الرابعة .



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## لجنة الإصلاح الرابعة

هذه اللجنة الرابعة انتصبت للعمل في سنة 1349 [1930] برئاسة الوزير الأكبر وكان تشكيلها على الوجه الآتي:

الرئيس : أمير الأمراء السيد خليل بوحاجب الوزير الأكبر

الكاهية : الشيخ أحمد بيرم شيخ الإسلام

الأعضاء : الشيخ الطاهر بن عاشور باش مفتي المالكية

الشيخ محمد العزيز جعيط المفتي المالكي

الشيخ بلحسن النجار المفتي المالكي

الشيخ محمد رضوان القاضي الحنفي

الشيخ صالح المالقي القاضي المالكي

مسيو غودياني كاهية مدير الداخلية [GAUDIANI].

أمير الأمراء السيد محمد بن الخوجه عامل بنزرت(م - 21)

أمير الأمراء الشيخ علي بن مصطفى مستشار وزارة العدلية

أمير الأمراء السيد الشاذلي العقبي شيخ المدينة

السيد محَمد شنيق كاهية رئيس القسم التونسي بالمجلس الكبير

السيد عمر البكوش العضو بالمجلس المذكور

السيد علي السقاط مدير الأوقاف

السيد مصطفى صفر كاهية القسم الأول

المدرس الشيخ محمد بن القاضي النائب لدى النظارة العلمية

المدرس الشيخ الطيب سيالة النائب لدى النظارة العلمية

المدرس الشيخ عثمان بن الخوجة.

ولقد وافق انتصاب هذه اللجنة الرابعة حدوث ضجّة عظيمة(م - 22) بين أهل العلم تصدّعت لها عرصات الجامع لم يتقدّمها ما يشبهها في



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الزمن الماضي، إلاّ ما قصّه علينا التاريخ من مرض التنافس الذي ظهر في أواخر المائة الثامنة بين أهل العلم بتونس، ومنهم الفقيه الشيخ محمد بن عرفة إمام جامع الزيتونة، ومعاصره [ الكاتب ](م - 23) العلامة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ المشهور، وما طرأ يومئذ من التقاطع بين ذينك الشيخين الجليلين جمع الله بينهما تحت جناح رحمته وغفرانه في صعيد واحد، أفضى بارتحال ابن خلدون، ومبارحته للأوطان، ولم يعد بعد لتونس مسقط رأسه. قال في جملة ما ترجم به لنفسه في آخر الجزء السابع من (كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر): «فأقبل عليّ السلطان (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي) واستدناني لمجالسته، والنجاء في خلوته، فغص بطانته من ذلك، وأفاضوا في السعايات عنده، وكانوا يعكفون على إمام الجامع وشيخ الفتيا محمد بن عرفة، وكان في قلبه نكتة من الغيرة من لدن اجتماعنا في المرسى بمجالسة الشيوخ، فكثيراً ما كان يظهر شفوفي عليه وإن كان أسنّ منّي إلى أن اسودّت تلك النكتة في قلبه ولم تفارقه» ثم قال بعد تذمّر وتشكٍّ(م - 24): «ثم كثرت سعاية البطانة بكل نوع من أنواع السعايات، وابن عرفه يزيد في إغرائهم متى اجتمعوا إليه إلى أن أغروا السلطان أن يتفادى من مقامي معه خشية على أمره منّي بزعمه، وتواطوا على أن يشهد ابن عرفة بذلك للسلطان» إلى أن قال: «وكان بالمرسى سفينة لتجار الإسكندرية قد شحنها التجار بأمتعتهم وعروضهم، وهي مقلعة إلى الإسكندرية فتطارحت على السلطان وتوسّلت إليه في تخلية سبيلي لقضاء فرضي، فأذن لي في ذلك، وخرجت إلى المرسى، والناس متسائلون على أثري من أعيان الدولة والبلد وطلبة العلم، فودّعتهم، وركبت البحر منتصف شعبان من السنة (784) [1382] وقوضت عنهم بحيث كانت الخيرة من الله سبحانه». اهـ.

وكانت نتيجة مساعي هذه اللجنة الرابعة ظهور قانون التدريس الصادر في 4 حجة 1351 [1932] واتّفق في تلك الأثناء اغترار بعض طلبة العلم


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

بالنزول لمعمعان السياسة، والركون لبعض العاملين عليها. والسياسة ما دخلت رأساً إلا أفسدته، كما نبّه له حكيم الإسلام الشيخ محمد عبده رحمه الله ورضي عنه، فطاشت شرارة الهرج، ونزلت بساحة الجامع، وآل ذلك لاعتصابات كثيرة، وإضراب عن التعلم(م - 25) أفضى لتوقيف التعليم بالجامع مراراً متعدّدة وشهوراً متوالية إلى غير ذلك من الأحوال الأسيفة الماسّة بكرامة أهـل العلم. ودام ذلك الاختـلال، والحالـة بين الخوف والرجاء، إلى أن تداركتها الدولة برأيها الحصيف، وعزيمتها الماضية في سنة 1356 [1937] باتخاذ التدابير الحاسمة لتهدئة الأفكار، ولإرجاع نظام التدريس لنصابه، الأمر الذي شكرها من أجله شيوخ العلم وأهل العقول الراجحة.

وفي تلك الأثناء واصلت الحكومة عنايتها بأحوال الجامع على معنى تخصيص اعتمادات مالية معتبرة بالميزانية العامة[1] لتحسين حال المعلّمين والمتعلّمين، مع تعاطي النظر في الاقتراحات التي قدّمت للوزارة الكبرى من لدن مشيخة الجامع، ومن شيوخ التدريس، ومن طلبة العلم. ولأجل إنجاز هذه الغاية المحمودة صدر الإذن باجتماع مجلس الإصلاح الـذي اقتضاه قانون الجامع بعد الزيادة فيه بالتوسيع، رغبة في الحصول على النّتيجة المطلوبة، فكان هذا الاجتماع هو اللجنة الخامسة.

## لجنة الإصلاح الخامسة

هذه اللجنة انتصبت للعمل في سنة 1357 [1938] وأسندت رئاستها

---

(1) هذه العناية ظهرت فعلاً مقدماتها أثناء تحريرنا لهذا الكتاب، حيث وسعت الدولة في أرزاق مدرّسي الجامع من الطبقات الثلاث، وفي أرزاق الهيأة الجليلة المشرفة على التعليم ومن التحق بها من الأعوان، كمـا وسعت أيضاً في جـرايات مـدرسي المدن الخمس(م - 26) بالآفاق، وما هي إلا مقدمة خير نرجو من الله توفيق أولي الأمر للتمادي عليها.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

للشيخ باش كاتب نيابة عن المولى الوزير الأكبر(م - 27)، وكان تشكيلها على الوجه الآتي :

الرئيس : أمير الأمراء السيد أحمد بن الرايس وزير القلم والاستشارة وباش كاتب

الكاهية : الشيخ صالح المالقي شيخ جامع الزيتونة وفروعه

الأعضاء : الشيخ محمد الطيب بيرم المفتي الحنفي

الشيخ محمد العزيز جعيط المفتي المالكي

الشيخ بلحسن النجار المفتي المالكي

الشيخ محَمد دامرجي القاضي الحنفي

الشيخ الطيب سيالة القاضي المالكي

مسيو صوماني مدير الإدارة العامة والبلديات [SAUMAGNE]

أمير الأمراء السيد محَمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

أمير الأمراء السيد مصطفى صفر شيخ المدينة

أمير الأمراء السيد محمد سعد الله مدير الأوقاف

أمير اللواء السيد محمد قاسم رئيس القسم الأول

السيد الصادق التلاتلي العضو بالمجلس الكبير

السيد البشير البكري العضو بالمجلس المذكور

الأفوكات(م - 28) السيد مصطفى الكعاك

الأستاذ الشيخ الصادق المحرزي

الأستاذ الشيخ محمد الصالح بن مراد

المدرس الشيخ محمد الزغواني

المدرس الشيخ المختار بن محمود

المدرس الشيخ الفاضل بن عاشور

المدرس الشيخ الشاذلي ابن القاضي



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

المدرس الشيخ معاوية التميمي
المدرس الابتدائي الشيخ أحمد شلبي
المدرس الابتدائي الشيخ التهامي الزهار(م - 29)
المتطوع الشيخ علي التريكي
المتطوع الشيخ الصادق أبو السرور

وقد وقع افتتاح هذه اللجنة بحضور فخامة المقيم العـام، وجناب المولى الوزير الأكبر، وجناب كاتب الدولة العام، وجناب كاهيته، وجناب مدير الإدارة العامة والبلديات. ولما استوى بالحاضرين المقام، ألقى جناب المقيم مسيو أرمان قيون [ARMAND GUILLON] خطاباً متين المبنى، رشيق المعنى، جمع فيه بين الفصاحة وبين الإلمام المفيد بأحوال جامع الزيتونة، مع التنويه بشأنه والثّناء على متخرّجيه، وما تسديه هذه الجامعة الإسلامية للديار التونسية من بثّ الثقافة العربية ولغة الناطقين بالضّاد، ثم تخلّص للتصريح بما للدولة من عظيم الاهتمام بجامع الزيتونة، وأنها لا تزال ساعية لتحسين حالة أساتذته الكرام، وطلبته النجباء، من الوجهتين المادية والأدبية، وتعرّض بهاته المناسبة لمقترحات المدرسين، وجعل لها قياساً بين حالتهم الحاضرة وحالتهم في الماضي، مستنتجاً من ذلك تواصل العناية الناطقة بما للدولة من الاهتمام بشأنهم، وأنهم لو قايسوا بينها وبين ما للدولة من الاهتمام بمتوظّفي الإدارات والمصالح الأخـرى، لوجـدوا حالتهم الراجحة في كفة الميزان، وختم خطابه بتعليق الأمل على نجاح هذه اللجنة في مأموريتها الشريفة، ثم بارح المجلس بين مظاهر الإكرام والاحترام .

ويلوح من طلائع المجهودات الرشيدة التي توفّق اليها أعضاء هـذه اللجنة بنظرهم المتواصل في سبيل إصلاح أحوال الجامع من الناحيتين العلمية والإدارية، أن مساعيهم المحمودة ستجد إن شاء الله عند طرحها على بساط النظر، حيث يجب العناية والمساعدة على وضع برنامج نهائي للمعهد الزيتوني


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مناسب للزمان والمكان، كافل بسير علوم الدين والعربية في مدارج الرقي والسؤدد الذي يستحقّه هذا المعهد الديني المتمتّع من فضل الله بسمعة عالمية في بلاد الإسلام قاطبة، وحافظ من جهة أخرى لكرامة أهل العلم بمنحهم(م - 30) ما تستحقه منزلتهم العالية في المجتمع، ومجهوداتهم الفاضلة في كفة ميزان العدالة والإنصاف. ويرى القاريء الكريم أنه تكرّر منّي في هذا الباب وصف جامع الزيتونة بمعهد ديني، وهو نعت كرّرته عن قصد، دفعاً لكل التباس، لأن دراسة العلم بالجامع التي مضت عليها نحو عشرة قرون إنما هي كانت كما لم تزل بحمد الله مؤسّسة على دعامة الدين. فعلوم الشريعة هي الأساس الصالح، والمقصد الرئيسي من إيجاد نظام التدريس الذي مضت عليه أحقاب بجامع الزيتونة ودرج عليه ملوك الدول التي تولّت حكم تونس منذ القديم، ولا سيما ساداتنا وموالينا ذوو القدر العلي، والفخر الجلي، ذرية المولى حسين بن علي، والشيء الذي أداني لذكر هذه الحقيقة وتسجيلها هنا هو اعتقادي بسلامة جامع الزيتونة ما دام متلبّساً ومتجمّلاً ومتحلّياً بصبغته الدينية التي أكسبته شهرته العالمية، وجعلت أساتذته بالمنزلة المغبوطة والدرجة العليّة:

وكيف يصحّ في الأذهان شيء  إذا احتاج النّهار إلى دليل

## تتمّة

واستدراك على الحاشية عدد[1] بالصفحة 88 من هذا الكتاب.

قلت في الحاشية المشار إليها إن جراية مدرسي الطبقة الأولى بالجامع الأعظم كانت ثلاثة ريالات في اليوم أثناء سنة 1287 [1870] وأن المشير محمد الصادق باي رفعها إلى خمسة ريالات بمقتضى ظهير كريم تضمن شتى الوصايات في الحث على نشر العلم، وقد تضمن ذلك القول الذي نقلته بالسماع غلطاً في مقدار الجراية المشار إليها إذ إن سمو الباي المذكور رفعها من ريالين لخمسة ريالات، لا من ثلاثة لخمسة. استفدت



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ذلك بالوقوف بعد طبع الصفحة 42(*) من هذا الكتاب على نص الظهير الملوكي المذكور الصادر في الحث على نشر أنوار العلوم بين أهـل البلاد. ولما تضمنـه هذا الخطاب الميمون من الوصايات النفيسة لأهل العلم، ولما احتوى عليه من دلائل عناية المشير محمد الصادق باي بجامع الزيتونة بالتوسيع في أرزاق شيوخ التدريس، وضبط أحوال التعليم لم نر بدّاً من نقل عبارته هنا إتماماً للفائدة ونصّه:

« الأفاضل الأزكياء الثقاة المشائخ المدرّسون بالجامـع الأعظم من الطبقة الأولى والثانية أدام الله إكرامهم. أما بعد السلام عليكم ورحمة الله، فإنكم بمكان علميّ لا يعزب عن المتصدر له ما في الإقبال على العلم الشريف ونشره، والحرص على إيصال النفع للمتعلمين من المصالح الدينية والدنيويّة لا سيما إذا تيسّرت أسبابه، وفتحت أبوابه، وللحرص على هذا المطلب المهم الذي يجب الاعتناء به، اقتضى نظرنا أن نعين من دخل الدولة مقداراً سنوياً لإعانة المشائخ المدرسين على ما هو المقصود من انتصابهم للإفادة، وذلك بأن يزاد للمشائخ النظار نظير ما يستحقونه بمقتضى نصّ المعلقة، وثلاث ريالات كلّ يوم لكل من المشائخ المدرّسين بالطبقة الأولى، وريـالاً يـومياً لكل من المشائخ المدرّسين بالطبقة الثانية زيادة على ما يستحقه أهل الطبقة الأولى من بيت المال، وما يستحقه أهل الطبقة الثانية من دخل الأحباس المخصّصة بهم، ويجري حكم هذه الزيادة على مقتضى حكم المعلقة، وحكم الأحباس المخصّصة نصّ سواء. ولما كان لوكلاء الكتب بالجامع الأعظم دخل في التحريض على هذا المقصد، جعلنا لكل واحد منهما في اليوم ريالاً واحداً زيادة على ما يأخذه عن ولايته، وذلك من المقدار المعين المذكور، وأمرناهم بالمواظبة كل يوم لبيان من يحضر من المشائخ ومن يتخلّف منهم ليرفع للوزارة بواسطة المشائخ النظار في كل شهر إعلام يتضمّن بيان من حضر ومن غاب لتبنى عليه معـرفة أحـوال

---

(*) الطبعة الأولى: (الصفحة 88 من هذه الطبعة).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

المجتهد من غيره، وليتحرر بمقتضاه ما يلزم من المرتب المزيد، إذ لا يستحق المدرّسون هذه الزيادة إلا بقدر أيام التدريس في الشهر، فالعمل أن تجتهدوا في المواظبة على الوجه الذي تحمد به آثاركم وتستحقّون به المزيد مما أنتم أهله، وسنعين من أعيان المتوظفين بدولتنا من يخبرنا بما شاهده من سيرتكم في المواظبة، والظنّ أنكم لا تحتاجون لمزيد التوكيد فيها، والله ولي الإعانة والتوفيق، الى أقوم طريق. والسّلام من الفقير إلى ربّه تعالى عبده المشير محمد الصادق باشا باي وفّقه الله وكتب في 1 رجب الأصب من سنة 1287 [1870] اهـ».

## لبوس أهل العلم بتونس

هذا الفصل هو ختام الكلام على جامع الزيتونة وفروعه، فقد استوفينا الكلام عنه من حيث هو بيت عبادة ثم ألحقنا بذلك أخباره بمزيد بسط من حيث هو مدرسة لتعليم علوم الدين ووسائلها، وقد رأيت من تمام الفائدة أن نلمّ هنا بحديث لبوس أهل العلم المنتصبين للتدريس بالجامع وإليك البيان:

لبوس شيوخ العلم بتونس في هذا الزّمان هي العمامة البيضاء وما أجملها لو أبقوها على ضخامتها وفخامتها الأصلية عوض التطوّر الذي تناولها بطريق التضاؤل وهو من القضايا المعكوسة، ويلبسون معها الجبّة الواسعة الموشاة الطوق بما يسمّونه الأشمس الحريرية، ويحملون فوقها البرنس البربري من نسيج الصوف الأبيض موشى الحواشي بضفيرة من الحرير، وأحذيتهم هي البشماق، والرِّيحية، الصّفراوان من الجلد الفيلالي. وفي أيام الأعياد يعتاضون عن العمامة بالزّمالة الفارسية ذات اللفّ المشحوط اللطيف، وهي من لبوس مشيخة الترك كما تراه ببعض الرسوم القديمة منها رسم فارس الجهاد وبطل الأبطال الباشا خير الدين بربروس صاحب الكرّ والفرّ أيام الاحتلال الاسبانيولي لتونس. وكان أهل العلم ـ ومنهم العدول ـ يلبسون في القرون الماضية القفطان ويتحاشون عن لبس


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الجبّة. وفي أوائل القرن الماضي كانوا يلبسون الطيلسان والملّوسة التي هي اليوم شعار أهل المجلس الشرعي العلي باختلاف قليل بين الحنفي والمالكي في شكلها الأسطواني. وقد تضمّن كتاب (تعطير النواحي) أبياتاً للشيخ إبراهيم الرياحي، قالها مستشفعاً من لبس تلك الملّوسة لأحد الفقهاء من العدول واسمه الشيخ منصور الورغمي، وكان فيما يقال بشع الخلقة، فأعفاه منها الشيخ محمد بيرم الثالث. والأبيات معروفة بين أهل العلم ومطلعها:

كبرت عليهم إنها لكبيرة  منصوبة علماً على التمييز

ومنها في الإشارة لقبح من لم يُخلق رأسه لحملها، ولمن كان رأسه مواتياً لها:

فعلى فريق منهم هي مثلة  ولبعضهم زلفى إلى التبريز

أما البشماق والريحية المتقدّم ذكرهما فأولهما، هو حذاء نساء الأتراك في البيوت يشاركهن في لبسه الرجال كلبس القفطان بالنسبة لأهل المغرب فإنه يلبسه الرجال والنّساء على حد سواء لا فرق في ذلك بينهما. وأما الريحيّة فهي من أوضاع العرب، وكانت موجودة في الدولة الحفصية. وممن حمل يومئذ على لبسها الإمام الشيخ محمد بن عرفة لأنه كان يتوضأ ويدخل للمسجد حافياً على عادة البوادي، فأنكر عليه ذلك بعض أضداده من فقهاء الحضرة(م - 31)، وأوجبوا عليه اتّخاذ الريحيّة، وكان لهم معه في مقام التنكيت والمضايقة أحاديث مروية، منها نازلة منعه من أكل التين إلى غير ذلك مما لا يسعه مجال هذا الكتاب. قال في المؤنس(م - 32) عند التعرّض لإفتاء بعض العلماء بقتال أولاد سعيد من عرب إفريقية: «وابن ناجي أفتى بتحريم مبايعتهم آلات الحرب حتى الأتمقة والرّواحي(م - 33) التي يلبسها الإفريقيون من العرب»اهـ قلت: لعل الريحية في العصر الحفصي كانت أوسع وأشمل لوجه الساق من ريحية الشيوخ في هذا الزمان، لأن وضعها



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الأصلي فيما يلوح كان القصد منه حفظ الساق من تأثيرات البرد، ومن غبار الطريق، الأمر الذي قام به في هذا العهد لبس الكلاسط (جمع كلسيطة من Calzetta في اللغة الطليانية) وهي ضرب من الجوارب التي يلفّ بها الرّجل رجله، وشذّ من الشيوخ من يلبس قفازاً بيديه كشذوذ من يلبس منهم المست وهو نوع مهذّب من أنواع الخفّ.

ويمتاز فضيلة شيخ الجامع عن بقية الشيوخ من أساتذة ومدرّسين بلبس شعار أهل المجلس الشرعي حيث هو منهم بصفته قاضياً للجماعة بالعنوان الشرفي، زيادة على خطة المشيخة .

ولبوس المجلس الشرعي هي الملّوسة والطيلسان، أعني الشال الكشمير، والكابة للمالكية، التي تقابلها الفرّاجة عند الحنفية. ويلوح أن لفظ كابة مشتقّ من Cappa في الطليانية كما سبق مني بيان ذلك بإشباع في كتابي (جيش الدخيل في اللسان التونسي الأصيل) لأن مادّة هذا اللفظ في العربية لا تساعد تفاعيلها على الكابة المالكية. وأما الفراجة الحنفية فلفظها مشتق من الانفراج الذي هو شكل هذا القفطان الواسع. وأوّل من اتّخذ زيّاً خاصّاً بالقضاة هو الإمام أبو يوسف صاحب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنهما، وكان قصده من ذلك التأثير على فكر العامّة حتى يكون القاضي في نظرهم من طبقة راقية عن بقيّة الناس، ولا يقول بغير هذا إلاّ الوسواس الخنّاس.


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الشيخ معاوية التميمي
بالجبّة بالشّمس (الأشمس)



مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

لبوس أهل العلم
الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور
الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## التعاليق

(م ـ 1) حسين بن علي تركي مؤسس الدولة الحسينية، تولى الإمارة من جويلية 1705 إلى سبتمبر 1735.

(م ـ 2) انظر عن الشيخ محمد سعادة وكتابه قَرّة العين»:

1 ـ أحمد عبد السلام «المؤرخون التونسيون في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر» (باللغة الفرنسية).

2 ـ محمد الحبيب الهيلة «المادة التاريخية من كتاب قرّة العين لمحمد سعادة» المجلة التاريخية المغربية العدد 23 ـ 24 نوفمبر 1981.

(م ـ 3) الباشا علي باي الأول: مدة ولايته (سبتمبر 1735 ـ ماي 1740).

(م ـ 4) المشير الأول أحمد باي: مدة ولايته (أكتوبر 1837 ـ ماي 1855).

(م ـ 5) محمود قابادو (1813 — 1871).

من كبار علماء الزيتونة ورجال الإصلاح في القرن التاسع عشر. له ديوان مطبوع في جزءين- تولى التدريس بجامع الزيتونة والمدرسة الحربية بباردو. وأسندت إليه في آخر حياته خطة الفتيا.

(م ـ 6) المشير الثاني محمد باي: مدة ولايته (ماي 1855 ـ سبتمبر 1859).

(م ـ 7) ديوان قابادو ـ تونس 1973 ج2 ص28.

(م ـ 8) إشارة إلى دولة المشير الثاني محمد باي.

(م ـ 9) الشيخ أحمد الورتاني: عالم من علماء جامع الزيتونة (انظر ترجمته في «تراجم الأعلام» ص 59).

(م ـ 10) الشيخ مصطفى رضوان: أحد مدرسي الجامعة الزيتونة (انظر ترجمته في «عنوان الأريب» ص 167).

(م ـ 11) انظر «عنوان الأريب» ص 171.

(م ـ 12) الشيخ محمد بن يوسف: من مواليد سنة 1858م. بعد تخرجه من جامع الزيتونة باشر التدريس مدة أربع وخمسين سنة. وتولى خطة الفتيا سنة 1931، ثم أسندت إليه مشيخة الإسلام الحنفية سنة 1932. توفي سنة 1939م (انظر «تراجم الأعلام» ص 259).

(م ـ 13) الشيخ صالح الشريف: مدرس بجامع الزيتونة، وأحد رجال الحركة الوطنية التونسية الأولى، انظر ترجمته في:

1 ـ «تراجم الأعلام» ص 207.

2 ـ «المجلة التاريخية المغربية» العدد 23 ـ 24 نوفمبر 1981.

(م ـ 14) المكتبة الصادقية «وتسمى أيضا «المكتبة العبدلية» وهي مكتبة قديمة ترجع إلى العهد الحفصي. وقد جدد رصيدها الوزير خير الدين باشا سنة 1875 في عهد الصادق باي، وأصبحت تدعى «المكتبة الصادقية».

أما «المكتبة الأحمدية» فقد أسسها أحمد باشا باي الأول سنة 1840. وبمقتضى أمر



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مؤرخ في 7 سبتمبر 1967 تم نقل مخطوطات المكتبتين المذكورتين إلى دار الكتب الوطنية بتونس.

(م ـ 15) الجامع اليوسفي: هو جامع يوسف داي

(م ـ 16) معهد ابن خلدون: هو معهد للتعليم الحر تابع للجمعية الخلدونية التي تأسست بتونس سنة 1896م.

(م ـ 17) أول من تقلد خطة شيخ جامع الزيتونة هو الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وذلك في سنة 1932. ثم عوضه الشيخ صالح المالقي سنة 1933، وقد بقي على رأس إدارة الجامع حتى شهر ديسمبر 1939. وفي ذلك التاريخ أسندت الخطة إلى الشيخ محمد العزيز جعيط إلى سنة 1944 أي قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية، فخلفه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي أدخل إصلاحات هامة على نظام التعليم بجامع الزيتونة وفروعه. وفي سنة 1951 اعتزل ذلك المنصب، فكلفت الحكومة النائب الأول الشيخ علي النيفر بالإشراف على شؤون التعليم الزيتوني إلى سنة 1956.

(م ـ 18) في الأصل: 1256 والصواب ما أثبتناه.

(م ـ 19) جريدة الحاضرة: أول جريدة تونسية غير رسمية باللغة العربية أصدرها بعض المثقفين التونسيين بإدارة المرحوم علي بوشوشة.

(م ـ 20) لجنة الإصلاح الثالثة: انظر محاضر جلسات تلك اللجنة والأمر القاضي بتركيبها في: «المجلة التاريخية المغربية» عدد 21 ـ 22 أفريل 1981.

(م ـ 21) محَمد بن الخوجة: صاحب كتاب «معالم التوحيد».

(م ـ 22) يشير المؤلف إلى الخلاف الذي ظهر بين شيخ الإسلام الحنفي الشيخ أحمد بيرم المؤيد من طرف الوزير الأكبر خليل بوحاجب، وبين المكلف بمشيخة الإسلام المالكية الشيخ الطاهر بن عاشور. وقد تفاقم الخلاف حتى اضطر الباي إلى إعفاء الوزير الأكبر من مهامه سنة 1932، وتعويضه بالسيد الهادي الأخوة، وإقالة الشيخ أحمد بيرم وتعويضه بالشيخ محمد بن يوسف.

(م ـ 23) في الأصل: كاتب.

(م ـ 24) في الأصل: تشكي.

(م ـ 25) يشير المؤلف إلى الإضرابات التي شنها الطلبة الزيتونيون سنة 1933، احتجاجاً على سياسة حكومة الحماية الرامية إلى تجنيس المسلمين التونسيين بالجنسية الفرنسية، وقد أفتى علماء الزيتونة بكفر المتجنس.

(م ـ 26) فروع جامع الزيتونة بالآفاق هي في ذلك التاريخ: صفاقس، وسوسة، والقيروان، وقفصة، وتوزر.

(م ـ 27) الوزير الأكبر في ذلك التاريخ هو الهادي الاخوة الذي تولى الوزارة الكبرى من سنة 1932 إلى شهر جانفي 1943.

(م ـ 28) **الأفوكات**: المحامي:

(م ـ 29) أرمان قيون (Armand Guillon)



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

هو المقيم العام الفرنسي بتونس من سنة 1936 إلى سنة 1939 وهو معروف بنزعته الاشتراكية.

(م ـ 30) في الأصل: امناحهم.

(م ـ 31) الحضرة أو الحاضرة: أي العاصمة التونسية.

(م ـ 32) «المؤنس» ص 170.

(م ـ 33) الأتمقة والرواحي:

أتمقة: جمع «تماق» ورواحي: جمع «ريحية» وهي أحذية خفيفة تلبسها النساء.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## ـ 2 ـ

# جامع التوفيق[1]

خطبته هي الثالثة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس، وإمامه في هذا الزمان الشيخ أحمد الشاهد المتطوّع(م - 1) في العلوم بجامع الزيتونة.

هذا الجامع يسمّى أيضاً جامع الهواء(م-2)، وهو من مآثر المحسنة الأميرة عطف[2] زوجة الأمير أبي زكرياء، وأم السلطان محمد المستنصر ثاني ملوك بني أبي حفص أسّسته في سنة 650 [1252] ثم تنوسي اسمه الأصلي أي جامع التوفيق، ولعلهم أطلقوا عليه اسم جامع الهواء لحسن

(1) يوجد بمقبرة الجناح الأخضر بالقيروان مسجد باسم جامع التوفيق يقال إنه عتيق كان بناؤه حوالي المائة الثانية للهجرة.

(2) اتفق المؤرخون على أنـها كانت نصرانية واهتدت للإسلام. قلت لم تكن هي الأميرة الوحيدة التي نبذت الديانة النصرانية، واعتنقت الإسلام في الدولة الحفصية. فإن أكثر سلاطين بني أبي حفص كانت أمّهاتهم وزوجاتهم نصرانيات، ودخلن في الإسلام عن طيب نفس، وأسّسن الجوامع والمدارس وغير ذلك من مساعي البرّ التي قصّها علينا التاريخ. وهذا باب حومة العلوج بتونس سمّي كذلك حيث كان به مساكن أخوال السلطان أبي عمرو عثمان بن محمد بن أبي فارس الحفصي، وكانوا نصارى وفدوا عليه لتهنئته عند ولايته الملك وكانت أمّه اسمها مارية في النصرانية فصارت مريم في الإسلام، ومعنى مريم في العبرية العابدة. كما أن معنى المسيح، سلطان ولم نر بالتاريخ من شذت منن النصرانيات الكثيرات اللاتي تزوجن بالملوك التونسيين ببقائها على ملتها سوى أم الأمير رمضان باي المرادي، فإنها ماتت على دينها. ومن بروز ابنها بها أن بنى لأجلها كنيسة باب قرطجنة =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مناخه وارتفاع موقعه. ورأيت في بعض التواريخ أن تسميته بجامع الهواء وكذلك مدرسته التي سيأتي الكلام عليها في باب المدارس كانت دارجة في العصر الحفصي، فهي ليست بحديثة كما يتوهمه بعضهم. وفي تاريخ ابن خلدون ما يفيد أن السلطان محمد المستنصر المتقدم ذكره رتب بهذا الجامع دروساً في العلم عهد بها لبعض مشيخة أهل الأندلس الوافدين في زمنه على تونس. وقد رأيت في بعض المجاميع أن ممن تولّى به الإمامة القاضي أبا العباس أحمد بن عبد الرفيع، وأن السلطان خلع عليه عند ولايته بثوبين من النوع القدسي، أحدهما أبيض والآخر أخضر[1] وقال الوزير السراج في الحلل السندسية(م-3): إن من أيمة جامع الهواء الشيخ الأبّي شارح صحيح مسلم وهو من تلاميذ الإمام أبي عبد الله محمد بن عرفة الورغمّي، وبالتالي تولّى إمامته جماعة من مشاهير فقهاء المذهب المالكي، واستقرت أواخر القرن الماضي في بيت المفتي العلامة شيخ الشيوخ أبي عبد الله محمد بن حمزة الشاهد. والتاريخ يفيد أنه كانت لهذا الجامع ومدرسته أوقاف واسعة تلاشت بانتقال الدولة من بني أبي حفص للأتراك حتى إن الشيخ ابن أبي دينار ذكر في المؤنس أن مدرسة هذا الجامع عفت رسومها في زمنه (القرن الحادي عشر) فتكون مزيّة إحيائها من مفاخر العصر الحسيني لأنها قائمة الذات في هذا الزمان، ولأن جمعية الأوقاف عقدت العزيمة على توسيع ساحتها بالزيادة في عمارتها إسعافاً لأهل العلم وبَرّاً بهم، وشهرة جامع الهواء في الخصاصة مشهورة بين

= الموجودة لهذا الزمان، ودفنها بها. ويلوح أنها كانت على مذهب البروتستان، لأن هذه الكنيسة تابعة لأهل هذا المذهب، والمذهب البروتستاني انتظمت أحواله بأوروبا في أواخر القرن السادس عشر للميلاد، وهذا الزمن يوافق مدة رمضان باي وأوائل القرن الحادي عشر للهجرة، كما يوافق ابتداء ظهور من ينتسب للمذهب البروتستاني في تونس على ما أفاده المؤرخ بلانتي [Plantet]في الجزء الأول من كتابه(م-4).

(1) هذا اللون الأخضر كان مرغوباً فيه بين الفقهاء، ولعلهم كانوا يستنسمون منه رائحة أهل الجنة. وفي بعض كناشات البيت الخوجي ما يفيد وأن الشيخ العم الأكبر أبا العباس أحمد ابن الخوجه لما تلقى التقليد بمشيخة الإسلام في سنة 1294 [1877] خلع عليه المشير محمد الصادق باي بفراجة خضراء تسرّ الناظرين.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

جوامع تـونس ومعروفـة بين الأدباء. يـروى أن الأديب أبا الحسن علي الغراب(م - 5) من شعراء صفاقس (توفى سنة 1183 [1769]) نظر يوماً شاباً يقتطف حبّ الزيتون فقال متغزلاً وفيه تورية:

جمعت هوى ظبي وقد كان جامعا  زيتـونـة من فـوق أغصـانهـا استـوى
أيا جامـع الزيتـونة الفـاتن الورى  تعـطّف بمعروف على جـامـع الهـوا

وهذا الجامع ينعقد به ختم الحديث في الثامن والعشرين من شهر رمضان.

بقي عليّ إضافة كلمة لما تقدّم على وجه التعريف بالمنبر الموجود لهذا الزمان بجامع الهواء، فهذا المنبر مكتوب عليه رقم سنة 899 [1493] وكان مقرّه بجامع أبي محمد والسنة المذكورة تشير لتاريخ صنع هذا المنبر الذي وقع نقله في سنة 1312 [1903] من جامع أبي محمد لجامع الهواء، وأقيم مقامه بجامع أبي محمد منبر أتقن منه صنعاً كانت جمعية الأوقاف عرضته بالقسم التونسي بمعرض باريس سنة 1900. ولما وقع استرجاعه من باريس بعد إغلاق أبواب المعرض، استقرّ الرأي على نصبه حيث هو الآن بجامع أبي محمد. فلله هو من منبر كان فطامه على ضفاف نهر السين ولكنه أبى إلا أن يعود لبيت الركـعّ السجود.

## ـ 3 ـ

## جامع باب البحر(م - 6)

خطبته هي الرابعة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وإمامه في هذا الزمان المدرس الشيخ أحمد المهدي النيفر.

هذا الجامع كان يسمّى في البداية جامع الزيتونة، وغلب عليه اسم جامع باب البحر لموقعه على مقربة من مياه البحيرة المتّصلة بالبحر، وأيضاً دفعاً للالتباس بجامع الزيتونة كعبة العلم بتونس. أسّسه الدعيّ أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المسيلي(م - 7) في حدود سنة 681 [1282] على عهد



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

السلطان الحفصي أبي إسحق إبـراهيم بن أبـي زكـريـاء. قـال في المؤنس(م-8): «إنه كان سفّاكاً للدماء، خسّيساً، فاجراً، كذاباً، لم تكن له منقبة غير أنه رفع النزول عن أهل تونس، وبنى جامعاً للخطبة خارج باب البحر، وآل أمره للطواف به على حمار خلال الشوارع والأزقة بالحضرة ثم قطع رأسه»اهـ. قلت إنما أحدث هذا الجامع الذي بناه في مبادي أمره مكان فندق كانت تباع به الخمور ورفع النزول[1] عن أهل تونس ليستجلب

---

(1) ضجر أهل تونس من هذه السخرة المعروفة بالنزول في الدولة الحفصية فصدر أمر السلطان في سنة 772 [1370] بإجراء إحصائية لجملة دور الحاضرة فكانت نحو سبعة آلاف دار، وظف عليها السلطان مقداراً من المال يساوي مبلغ كراء شهرين لتلك الدور، فتحصل من ذلك ثلاثون ألف دينار، اشترى بها السلطان داراً سمّوها دار الضيوف، وأبطلوا عادة النزول على الناس. هذا وقد دام وجود دار للضيوف بتونس إلى موفى القرن الماضي، وكان وكيلها في عهد المشير محمد الصادق باي الأمير ألاي أبو الفداء إسماعيل بن عبد الله. وممن كان ينزل بها بطريقة مطردة أعيان الطرابلسيين الذين يفدون على تونس عن إذن واليهم في قضاء بعض مهمّات الولاية كاشتراء الخيل وغير ذلك. وممّن كان يسكنها أيضا أشراف المغاربة، وأعيان المشارقة الذن يفدون على تونس بقصد السياحة. وقد وقفت على تقييد بخطّ الشيخ الوالد تضمّن قدوم نفرين من أعيان داغستان في سنة 1291 [1874] وقع إسكانهما بدار الضيوف على يد وكيل الحرمين المرحوم محمود عزيز، بلغ مصروف إقامتهما بتونس إلى ريالات 1120. كما نزل بتلك الدار العالم الأديب الشيخ محمد علي اليمني الهندي الوافد على تونس في عام 1296 [1878] وكانت الدولة التونسية كما ذكرنا تمون أولئك الضيوف، وتحسن قراهم. وآخر من نزل بهذه الدار الشيخ مصطفى أفندي إمام جامع مالطة حيث كان يقدم في أواخر رمضان من كل عام لحضور صلاة العيد بتونس، ولقبض عوائده من الدولة وقدرها ألفا ريال (1200 فرنك). واتفق له كسابق عادته في سنة 1298[1881] إثر نصب الحماية على تونس فأقنعه الوزير محمد خزندار(م-9) بأن لا فائدة لـه في الرجوع في المستقبل وهكذا كان.

واعلم أن الدار المتحدث عنها غير سراية المملكة. فإن هذه الدار كان أمراء تونس يسكنون بهـا ضيوفهـم من أبناء الملوك المسلمين وغير المسلمين، ولقد كـان أطلعني المرحوم السيد الطاهر خير الدين(م-10) وزير العدلية على عدة وثائق تاريخية انجرت لـه من والده رحمه الله، فكان في جملتها مكتوب منه للمقدس المشير محمد الصادق باي مؤرخ في 18 ربيع الأنور سنة 1293[1876] نص محل الحاجة منـه: «بلغ لخديم الحضرة العليّة أن نفرين أحدهما من أبناء سلاطين الهـند قدما إلى تونس يوم التاريخ، وحيث إن عادة =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

خواطرهم، ويردهم عن طاعة السلطان الحفصي ليستفيد من وراء ذلك. وفي أثناء الاحتلال الإسباني لتونس، اغتصبت عساكرهم هذا الجامع وجعلوه مستودعاً لذخيرتهم، إلى أن استرجعه منهم الوزير سنان باشا بالقوّة القاهرة. وهذا الجامع تقلّد إمامته في القرون الأخيرة ثلّة من أهل العلم، منهم العلامة الشيخ محمد الحجيج الأندلسي، دفين تربة الشيخ عامر البطاش، وكانت وفاته في سنة 1108 [1689] ومنهم العلامة أبو عبد الله الشيخ محمد زيتونة الشهير، وتوفي سنة 1138 [1725] ثم صارت إمامته إلى آل بيت المحجوب، ومنهم المفتي الشيخ سليمان، المتوفى سنة 1267[1850] ومن بعده تقلد الإمامة به الشيخ محمد المحجوب، وكان صغير السنّ، فأقيم له نائب عنه، ثم صرف هذا النائب، وأسندت إمامة الجامع لرجل من قرّاء المآتم يعرف بالشيخ فارح، كانت له صلة بالمرحوم الشيخ مصطفى السماتي صاحب المكانة المعروفة من المشير أحمد باي، فأحب الشيخ مصطفى المذكور أن تكون له يد على الشيخ فارح فسعى له في ولايته الإمامة، وتوفى الشيخ فارح على عهد المشير الثاني محَمد باي، فتقدم للإمامة عوضه العلامة الشيخ علي العفيف قاضي المحلّة يومئذ، ولما توفي في سنة 1292 [1875] تولى مكانه العلامة قاضي الجماعة الشيخ محمد الطاهر النيفر. واعلم أن جراية إمام هذا الجامع أوسع جرايات جوامع الخطبة بعد جامع الزيتونة، وسبب ذلك أن وقف الجامع كان لنظر إمامه الشيخ علي العفيف، وهو رجل وافق اسمه مسمّاه، فوفّر من ريعه مائة ألف ريال أؤتمن عليها بعض ثقات التجار في ذلك العصر، ولكن اتفق أن

---

= الحضرة العلية دام علاها تكرم أمثال المذكورين بالنزول في سراية المملكة بالحاضرة من القادمين على الحضرة العلية من أوروبا، فإن النفرين المذكورين أحقّ بالإكرام، وقد وجهنا من يكشف عن تحقيق حال النفرين، وننتظر ما يصدر به الإذن العلي لنعتمده»اهـ.

وقد أجابه سموّ الباي بخطّ يده بقوله: «فقد اتصل بنا بطاقة من جنابكم (كذا) وما أخبرتنا فيها علمناه، فإن ثبتت عندكم من هاته الرتبة، فالواجب إكرامه للغاية لأن هذا أوّل قدوم أبناء سلاطين الهند لحضرتنا والسلام»اهـ.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

متولي الحسبة يومئذ طلبها من هذا الأمين بصفته محتسباً، فسلمها إليه، فقام الشيخ العفيف وقعد ورفع الأمر للوزير مصطفى خزندار، ورأى أن الأمين أخطأ في هذا التسليم، فتلطف الوزير في إقناع الشيخ بأن الأمين مصيب في تسليمه المال، ورأى أنّ من البرّ بالشيخ وإكرامه، رفع جراية الإمامة بالجامع إلى مائة وخمسين ريالاً في الشهر، ثم بالزيادات المتوالية فيما بعد صارت الجراية 150 فرنكاً في الشهر. هذا ومن نحو جيلين ماضيين تعاقبت ولاية الإمامة بهذا الجامع في ذرية المدرس العالم الشيخ الطاهر النيفر، وختم الحديث بهذا الجامع ينعقد في اليوم السابع والعشـرين من شهر رمضان.

## ـ 4 ـ

## جامع أبي محمد(م - 11)

خطبته هي الخامسة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس، على احتمال أن الخطبة السادسة هي خطبة جامع باب الجزيرة البراني، لأن الجامعين بنيا في عصر واحد، ولا يدرى أيّهما الأسبق. وإمامه في هذا الزمان الأستاذ الشيخ البشير النيفر.

اعلم أن الساعي في تأسيس هذا الجامع هو الشيخ أبو محمد عبدالله المرجاني بمشاركة بعض علماء عصره. والشيخ المرجاني من رجال المائة السابعة كمعاصره وسميه الشيخ أبي محمد عبد الله المغربي مؤسس جامع باب الجزيرة البراني الذي سيأتي الكلام عليه بمحله. قـال في (كتاب لطائف المنن في مناقب الشيخ المرسي وشيخه أبي الحسن) عند الكلام على الشيخ محمد بن سلطان أخي الشيخ ماضي بن سلطان ما نصّه: «حدثني الشيخ الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد الغربي المعروف بابن القصير. قال: لما أراد الشيخ أبو محمد المرجاني[1] وعلماء الوقت بناء

(1) كان له رباط يأوي اليه طلبة العلم وأصحاب الحاجات، وهو المدرسة المرجانية المنسوبة =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

جامع للخطبة بباب السويقة بتونس، أجمعوا على أن يكون بفندق البقل، وأذّنوا فيه وصلّوا صلاة. قال: فاجتاز الشيخ أبو عبد الله محمد وأنا أعلّم أولاده القرآن بالمكتب الذي قبالة جامع الخطبة الآن (كتّاب سيدي الرّصّاص) قال: فوقفت إليه وسلمت عليه فنظر إليّ وقال: يا أبا عبد الله، الفندق لا يزال يبيع البقل، وهذا هو جامع الخطبة، وأنت خطيبه. قال: فكان كما قال، وبقي هذا الفقيه خطيبه إلى أن مات»اهـ من نسخة مخطوطة. فهذا الجامع هو جامع أبي محمد، وتوفي الشيخ محمد بن سلطان في شوال سنة 701 [1301] وتوفي الشيخ أبو محمد المرجاني في جمادى الأولى سنة 699[1299] ومما ذكرنا يظهر أن الجامع المتحدّث عنه ليس من مآثر بني أبي حفص، ولم ينسبه إليهم أحد من المؤرّخين. على أن الأمراء الحفصيين لم يكن فيهم من تكنّى بأبي محمد قبل السلطان الحسن بن محمد الذي تولى الملك في سنة 932 [1525] يعني في المائة العاشرة، والجامع الذي هو موضوع الحديث كان يومئذ موجوداً بعنوان جامع خطبة. قال الفقيه الزركشي(م - 12) في تاريخ الدولتين أثناء كلامه على حوادث شهر محرم من سنة 852 [1448]: «وقدم (السلطان أبو عمرو عثمان) قاضي الأنكحة بتونس الشيخ محمد البحيري للفتوى بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة في الثامن للمحرم، فكان يخطب بجامع أبي محمد بربض باب السويقة الجمعة ويأتي للفتوى بجامع الزيتونة»اهـ. وقال ـ أي الزركشي ـ عند ذكر حوادث سنة 864 [1459] إن السلطان المذكور: «قدم خطيباً بجامع أبي محمد من ربض باب السويقة ومفتياً به بعد صلاة الجمعة

---

= إليه. وكان رضي الله عنه محل اعتقاد الخاصة والكافة، يقوم الناس لقيامه ويقعدون لقعوده، ونشبهه في جاهه وعلو مقامه بين جماعة المسلمين في عصره بالشيخ إبراهيم الرياحي في زمنه. قالوا إنه كان له من النفوذ في الدولة ما بلغ به لحد الإشارة بولاية من يستحق التقدم للملك على غيره من بني أبي حفص، وسيأتي الكلام على بقية أخباره عند التعريف بالمدرسة المرجانية في باب مدارس طلبة العلم.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ومـدّرساً بـالمنتصريـة وناظـراً في الأحباس الفقيـه أبـا عبـد الله محمـد البيدموري»(م - 13)اهـ.

وكان بهذا الجامع منبر من خشب مكتوب عليه كلمة الشهادة متبوعة بتاريخ سنة 899 [1493] ولعل هذه السنة تشير لتاريخ صنع المنبر المتحدّث عنه. وفي سنة 1321[1903] نقلوه لجامع الهواء، ووضعوا مكانه منبراً أحسن منه كان وقع عرضه بالقسم التونسي من معرض باريس عام 1900 صنعه المعلّم الأسطا الحاج جعفر النجار.

هذا وقد جرت عادة الأيمّة بجامع أبي محمد التأخير بصلاة الجمعة الى آخر وقتها، كي لا تفوت صلاة الجمعة على من تعذر عليه السعي إليها بالجوامع الأخرى. وفي أوائل هذا القرن، تداعت صومعة هذا الجامع، فتداركتها جمعية الأوقاف بالإصلاح والتجديد.

وممّا جرت به العادة من قديم في تونس أن افتتاح أختام الحديث في رمضان يكون بهذا المسجد الجامع، وكان موعده به يوم ثاني جمعة بعد عاشر الشهر ثم يسترسل انعقاد الأختام في مواعيدها بالجوامع الأخرى كما سترى حديثه في الباب الرابع من هذا الكتاب. وبذلك جرى عمل ملوك تونس في القرون الأخيرة، لكن هذه القاعدة تناولها التغيير في العهود المتأخرة، واستقرّ قرارها في هذا الزمان بتعيين اليوم الثامن من شهر رمضان لختم الحديث بجامع أبي محمد، سواء وافق يوم جمعة أم لم يوافقه.

وممّن تولّى إمامة هذا الجامع في العصر الحسيني، جماعة من العلماء الفحول منهم الشيخ إبراهيم الرياحي، وابناه الشيخان الطيب وعلي، والشيخ أحمد بن حسين القمار كبير أهل الشورى المالكية، وعنه ورث خطة الإمامة والخطابة به العلامة المفتي الشيخ محمد النيفر، ومنه تسربلت في عقبه من بعده. رحم الله السلف وبارك في الخلف.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## -5-

# جامع باب الجزيرة(م - 14)

خطبته هي السادسة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس، على احتمال أن الخطبة الخامسة هي خطبة جامع أبي محمد، لأن الجامعين بنيا في عصر واحد، ولا يدرى أيهما الأسبق. وإمامه في هذا الزمان الشيخ الشاذلي بلحسن شيخ المغارة الشاذلية.

اعلم أنه يوجد لهذا العهد بباب الجزيرة جامعان: يعرف أحدهما بالجامع الدخلاني، تقام به صلوات الخمس دون الجمعة والعيدين، وسيأتي الكلام عليه في التالي. والآخر يعرف بالجامع البراني، وبه تقام الصلوات مع خطبة الجمعة والعيدين، وهذا الجامع هو موضوع الحديث. ففي كتاب مناقب[1] الشيخ أبي محمد عبد الله المغربي من معاصري الشيخ أبي محمد عبد الله المرجاني في المائة السابعة ورد قوله: «ولما بنى (الشيخ المغربي) جامع الخطبة من باب الجزيرة فتح باب البيت الغربي فرأى النبي صلى الله عليه وسلّم، فسد الباب تعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يوطأ بالأقدام وعمل دنفاسه[2] هناك وعكازه، وبنى عليهما، وعمل بابين عوضه، والباب الآن ظاهر للناس. وأراد رحمه الله أن يخلطه لمسجد يلاصقه من شرقيه فمنعه الفقهاء أن يغير الحُبُس، فجاء الجامع صغيراً، وطلب أن يشتري طاحونة كانت تلاصقه من الجوفي، فامتنع صاحبها من بيعها له، فتغير من أجل ذلك فلم تعمر إلّا قليلاً فكان كل من

---

(1) هو مجموع مخطوط باليد محفوظ بالمكتبة العبدلية تضمن مناقب جملة من الأولياء والصالحين المشهورين بتونس في المائة السابعة وما قبلها أدرك مؤلفه أوائل القرن الثامن للهجرة.

(2) الدنفاسة: هي الحِرَام الذي يتأزر به الرجل العربي وكان هو لبس الشيوخ في الدولة الحفصية، ولفظ الحِرَام محرف عن لفظ الإحرام الذي يستعمله الحاج من نسيج لا مخيط فيه. وقد ورد ذكره كذلك في رحلة الشيخ ابن بطوطة.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

يعمرها تموت بهائمه، ويستسنح بها حتى خربت. ثم تخرب المسجد الذي يفتح للشرق من خلف الجامع فتهدم وبنته الحرة كاعب[1] أم أمير المؤمنين أبي بكر وأضيفت الطاحونة إليه كما أراد الشيخ رحمه الله تعالى»اهـ. بلفظه.

وسمعت من بعض من أثق بنقله من أهل العلم أن الشيخ أبا محمد المغربي بنى هذا الجامع بمشاركة أميرة حفصية من أهل البرّ والمعروف. والأميرات الصالحات كنّ كثيرات في الدولة الحفصية. ومهما كان الحال، فإن صنيع الشيخ المغربي جاء مماثلاً لصنيع عصريه الشيخ أبي محمد المرجاني، فهذا سعى لبناء الجامع المنسوب إليه خارج باب السويقة، والآخر أي الشيخ أبو محمد المغربي سعى لبناء الجامع المتحدّث عنه خارج باب الجزيرة. والجامعان كانا من جوامع الخطبة في المائة السابعة، وصاحباهما من علماء الظاهر والباطن، كانا يعيشان في زمن واحد، وفي بلد واحد. قال الفقيه الزركشي في تاريخ الدولتين(م - 15) عند ذكر حوادث شهر جمادى الأولى سنة 855 [1451] «إن السلطان أبا عمرو عثمان الحفصي قدم في أواخر الشهر المذكور، الفقيه محمد الزنديوي في جميع خطط الفقيه الغافقي، وذلك، التدريس بمدرسة المفرض[2]، والخطبة بجامع باب الجزيرة، والفتيا به، والقضاء ببلد باجة[3]»اهـ. وممّا تقدّم يظهر جلياً

---

(1) زوجة السلطان أبي اسحق إبراهيم بن أبي زكرياء الذي تولىّ الملك سنة 678 [1279].

(2) هذه المدرسة التي عفت رسومها كان موقعها بجهة الكتبية بحومة القشّاشين وقد رأيت في بعض التواريخ من أسماها بمدرسة المعرض بالعين لا المفرض بالفاء وعلى تقدير صحّة رسمها بالفاء ربما كان اسمها يشير وأنها كانت مركز جلوس قاضي الفريضة مقدّر النفقات الشرعية وشبه ذلك. أما على تقدير صحّة رسمها بالعين فربما كانت خاصّة بجلوس قوابل المعرض ممن كن لهن علاقة بالمحكمة الشرعية للرجوع إليهن في بعض نوازل النساء.

(3) لا بدّ وأنه كان له من ينوب عنه بإحدى البلدتين أو أنه كان يباشر القضاء بباجة في كامل الأسبوع ويأتي لخطبة الجمعة بتونس، ثم يجلس بعدها للفتوى. ومهما كان حاله فإن مباشرته لوظائفه بتلك الصفة كانت لا تخلو من مشقّة لفقدان أسباب المواصلات وصعوبة =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

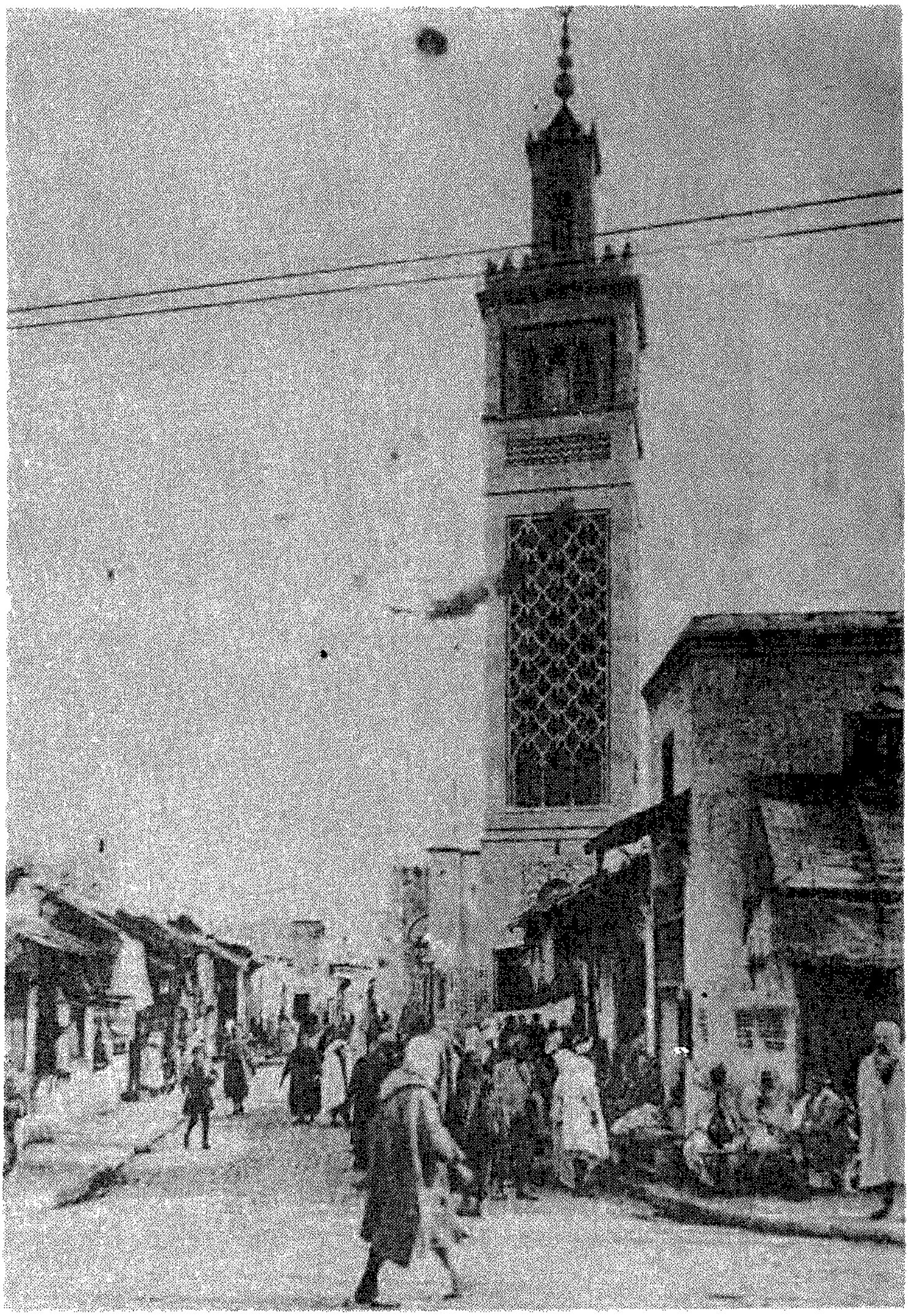

جامع باب الجزيرة



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

أنّ جامع الخطبة بباب الجزيرة كان بناؤه في المائة السابعة، وأن الخطبة كانت مقامة به في القرن المذكور وما بعده. غير أن صاحب المؤنس(م - 16) أورد في حق هذا الجامع عبارة مجملة نسب بها تشييده للمرحوم الحاج علي ثابت وزير يوسف داي(م - 17)، ونص كلامه: «ومن بعض حسناته (علي ثابت) تضخيمه للمسجد الذي بإزاء داره داخل باب الجزيرة (الذي سيأتي الكلام عليه) وكذلك تشييده للجامع خارج الباب المذكور»اهـ. لا جرم أن مقصوده من عبارة التشييد هو مجرد التجديد لشيء قديم. قالوا إن الوزير الحاج علي ثابت ـ وكان من أهل الفضل والمروءة ـ لما جدد عمارة جامع باب الجزيرة الدخلاني، سعى لجعله جامع خطبة، فحسده بعض منافسيه من أهل الدولة، ووشوا به لمتبوعه يوسف داي. وتفطن الوزير لهاته المكيدة، فتدارك أمره بتجديد عمارة جامع الخطبة المعروف بجامع باب الجزيرة البراني، بعد أن تناوله الخراب، فكان هو جامع الخطبة وحده بباب الجزيرة. قال الشيخ ابن أبي دينار(م - 18): «وكان خطيبه في زمنه الفقيه المحدث الشيخ سعيد المحجوب(م - 19) من علماء عصره»[1] هذا وقد اشتهر جامع باب الجزيرة الدخلاني باسم جامع حرمل نسبة لإمامه الذي نصبه به الوزير علي ثابت ودام يؤم الناس به زمناً حتى اشتهر باسمه ومقتضى ما تحصل لدي من الإفادات التاريخية التي التقطتها من هنا وهناك في حق هذا المسجد أنه كان موجوداً في المائة السابعة يقيناً، وكان يسمى بجامع

---

= المسالك في زمنه. وياليته أخبرنا بمجهوداته في ذلك السبيل لتكون عبرة لأبناء هذا الزمان، زمان السيارة والطيارة. والشيء الذي هو أهمّ من ذلك كلّه ههو أنهم كانوا في الدولة الحفصية يجمعون للفقهاء بين خطّتي الفتوى والقضاء على عكس القاعدة المعمول بها في هذا العهد.

(1) ترجم له في كتاب بشائر أهل الإيمان(م - 20) وقال إنه كان حافظاً للحديث وله سند عال في الكتب الستة، سار إلى الحج سنة 1211 [1796] فأدركه أجله بمرسى المبطوح على مقربة من الاسكندرية فجعلوه أمانة في تابوت، ولما عاد رفاقه من الحجّ وجدوه كما كان، فحملوه معهم لتونس ودفنوه بمقبرة الشيخ الولي الصالح سيدي منصور بن جردان.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

القنيطرة. ففي مناقب الشيخ محمد الزلاج محبس المقبرة المنسوبة إليه قال: «كان يوجد بباب الجزيرة في ذلك العهد جامع اسمه جامع القنيطرة، وإمامه رجل من أهل الصلاح اسمه الشيخ ميمون من معاصري الإمام الشاذلي رضي الله عنه»اهـ. وقد تحاشى الوزير علي ثابت عند تجديد هذا المسجد عن نسبته إليه مراعاة لمتبوعه، وولي نعمته، ودفعاً لشر مناوئيه من رجال الدولة في زمنه. واكتفى بنقش الثلاثة أبيات الآتية على نافذة المسجد من جهة الطريق العام، مخاطباً بها رسول الله صلى الله عليه وسلّم:

مشيبي علا فوق الشباب ولا يفي  فيا مرسلاً بالمؤمنين رحيم
مجيب لك الباري فسله ينجني  إذا برزت للمجرمين جحيم
قضى العمر يا خير الأنام مضيعاً  عبيدك يأتي الحشر وهو عديم

وممّن تولّى الإمامة بجامع حرمل المتحدث عنه قاضي الجماعة الشيخ سالم المحجوب، وتولّاها بعده ابنه، ثم صرف عنها فوليها العلامة الشيخ محمد النيفر الأكبر. وقد تضمن ظهير ولايته تسمية هذا الجامع بجامع القنيطرة وهو الذي جدّد صومعته، ثم تنازل عن الإمامة في حياته لابنه قاضي الجماعة الشيخ الطاهر النيفر في سنة 1267 [1850] ومنه انتقلت للمفتي الشيخ محمد النجار في سنة 1311 [1893] ثم لشيخنا المفتي الشيخ الطاهر الرياحي في سنة 1331 [1912] ولما التحق بالدار الآخرة في سنة 1341 [1922] وليها بعده العلامة الشيخ بلحسن النجار المفتي المالكي، وله فيه أختام نفيسة امتازت بالتحريرات الفائقة والمباحث الرائقة يشرف المولى الأمير مجلسها بحضوره في اليوم الحادي عشر من رمضان.

وبعد انتهاء تحرير ما تقدّم، وقفت على ما يؤيد أن البناء الذي أحدثه المرحوم الوزير علي ثابت إنما هو كان حقاً من قبيل التجديد لا الإنشاء. وهذه عبارة ما وجدت بدفتر مختوم بالشهادة العادلة، متضمن للعقارات والرباعات التي كانت موقوفة على هذا المسجد في سنة ألف ومائة. ونصّ



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

عبارته: «الحمد لله، بعد أن ظهر أنّ أحباس الجامع الجوفي المعروف بجامع القنيطرة المجدّد البناء على يد المعظم الوجيه المحترم الحاج الناسك أبي الحسن علي ثابت داخل باب الجزيرة من تونس المحروسة برسوم متفرقة خيف ضياعها أذن في جمعها من يجب أعزّه الله تعالى بتقدر (كذا) واحد حفظاً لها حسبما تضمّنه طابعه أعلاه بتاريخ أوائل شوال سنة 1100 [1688] ».

ولنرجع بك لجامع الخطبة بباب الجزيرة فنقول إن صومعته تناولها الهرم في أوائل هذا القرن فتولّت جمعية الأوقاف تجديد عمارتها بمساعي جميل الذكر صاحبنا السيد البشير صفر(م - 21) رئيس الأوقاف، وتمّ بناؤها في سنة 1325 [1907] على أبدع أسلوب بشكل أندلسي جميل، وبلغت يومئذ نفقة تجديدها إلى نيف وتسعين ألف فرنك. أمّا إمامة هذا الجامع وخطبته، فقد تولاّها جماعة من العلماء الأعلام في الدولة الحفصية. وكان خطيبه في أوائل القرن الثاني عشر الفقيه الشيخ محمد الزواي من معاصري الشيخ أحمد برناز صاحب كتاب الشهب المخرقة وفيه ترجم له مع غيره من علماء جامع الزيتونة. وفي عهد الدولة الحسينية قدم الباي حمودة باشا في سنة 1206 [1791] خطيباً لهذا الجامع العالم الشيخ عمر بن المؤدب شيخ المغارة الشاذلية، وابن شيخها، وتسربلت الإمامة في ذريته إلى هذا الزمان. فكان الإمام بعد الفاضل المتقدم، ولده القاضي الشيخ الشاذلي بن المؤدب، ثم أعقابه من بعده. وكل من تولى منهم إمامة الجامع وخطبته، تولى مع ذلك في وقت واحد مشيخة الطريقة الشاذلية، حتى غلب عليهم لقب بلحسن(م - 22) الذي هو اسم الإمام الشاذلي، وتنوسي لقبهم الأول. قال الشيخ ابن أبي الضياف(م - 23): «لما توفي الشيخ الشاذلي المذكور في سنة 1263 [1846] حضر جنازته صاحب الدولة المشير أبو العباس أحمد باي وحمل جثته بنفسه، ومشى خلف نعشه راجلاً، باعتبار أنه (الباي) من أبناء الطريقة الشاذلية»اهـ. وجامع باب الجزيرة البراني ينعقد به ختم الحديث في الثالث والعشرين من شهر رمضان.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

- 6 -

## جامع سيدي يحيى(م - 24)

خطبته هي السابعة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وإمامه في هذا الزمان الشيخ حسونة النيفر المتطوّع في العلوم .

ذكر بعض المؤلفين أن هذا الجامع أحدثه الشيخ يحيى السّليماني في سنة 810 [1407] والصحيح أن تأسيسه كان متقدّماً على ذلك التاريخ، بدليل أن الشيخ يحيى المذكور - وكان من الصالحين - توفي في أواسط المائة الثامنة. قال المؤرخ ابن الشمّاع(م - 25) في حوادث سنة 749 [1348]: «واشتدّ القلق في الطعام، فبلغ قفيز القمح ثمانية دنانير كبيرة، والشعير على شطر من ذلك، وكثر الوباء حتى انتهى عدد الأموات إلى ألف شخص، ومات جماعة من العلماء والصلحاء منهم الشيخ الفقيه القاضي محمد بن عبد السلام، والعابد الزاهد الفقيه الولي سيدي يحيى السّليماني، وكان يطلب عليه العلم ببيته، ثم شرع في العبادة وتقشف»اهـ. وقال في جهة أخرى أثناء الكلام على دولة السلطان عمر بن أبي بكر الحفصي: «وأحدث الأمير عمر خطبة سابعة بجامع سيدي يحيى السليماني، وكان يقال من علامة خراب تونس أن يكون فيها سبع خطب»اهـ.

ويستفاد من عبارة كتاب المؤنس(م - 26) أن إحداث هذه الخطبة السابعة كان في سنة 747 [1346] أي إثر ولاية السلطان عمر بن أبي بكر في ثاني رجب من العام المذكور، لأنه لم يلبث في الملك غير قليل، حتى ظهر بدولته الهرج والانقسام الذي آل به للفرار، ثم إلى القتل بحامة قابس في أواسط جمادى الأولى من العام الثاني. وممّا روى الشيخ ابن أبي دينار ضمن هذا الحديث قوله مؤيّداً لكلام سلفه ابن الشماع: وأبو حفص عمر زاد خطبة سابعة في جامع سيدي يحيى السّليماني، وكان يقال من علامة خراب تونس سبع خطب تكون بها، ثم زاد على ذلك قوله: قلت



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

اليوم بها ثلاث عشرة خطبة والعلم عند الله اهـ. وأنا أقول: وبها اليوم تسع عشرة خطبة، سبعة حنفية، واثنا عشرة مالكية. وممّا تقدّم يظهر جليًّا أن جامع سيدي يحيى كان موجوداً بعنوان جامع خطبة في سنة 747 [1346] فيكون هذا التاريخ هو المتعيّن اعتماده إذا اعتبرنا أنّ المقصود من هذا المختصر هو التعريف بجوامع الخطبة وإلاّ فمن المحتمل أن يكون تأسيسه بصفة مسجد متقدّماً على ذلك ببعض سنين على أوسع تقدير.

والمشهور أن إمامة هذا الجامع كانت من زمن قديم بيد ذريّة مؤسّسه، وآخرهم الشيخ يحيى السّليماني، المتوفى عام 1272 [1855] ومنه انتقلت الإمامة للعالم الشيخ أبي الفلاح صالح النيفر، ثم خلفه فيها ابنه المدرس الشيخ محمد المتوفى عام 1314 [1896] وهذا الجامع ليس به رواية للحديث.

## ـ 7 ـ

## جامع التّبّانين (م - 27)

خطبته هي الثامنة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس، وإمامه في هذا الزمان الشيخ عبد الرحمان البنّاني المفتي المالكي.

سمّي بجامع التّبّانين لقرب موقعه من موقف باعة التّبون في الزمن القديم حيث كانت معامل صنع البرادع للبغال والحمير، وما زالت منها بقية ضئيلة لهذا العهد. ويستفاد من تاريخ الدولتين للفقيه الزركشي، أنّ هذا الجامع كان يعرف بجامع سيدي جعفر في زمن هذا المؤرخ، وإن هو غلب عليه فيما بعد اسم جامع النفافتة لتعدّد من تولّى به الإمامة من آل بيت النفاتي العلماء الأعلام، وآخر من تولى إمامته منهم المرحوم الشيخ أبو العباس أحمد النفاتي المتوفى سنة 1289 [1872] ولم يبق منهم لهذا الزمان من له ذكر بين أهل العلم. والمشهور أن مؤسس هذا الجامع هو السلطان أبو عمرو عثمان الحفصي في أواسط دولته التي ابتدأت في سنة 839 [1435] وانتهت في



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

سنة 893[1487] لكن التواريخ التي بين أيدينا ومنها المؤنس للشيخ ابن أبي دينار، وابن الشماع، والزركشي، وهذا كان من معاصري السلطان أبي عمرو عثمان المذكور، لم يتعرض أحد منهم لهذا الجامع في جملة مآثر هذا السلطان وهي كثيرة، وغاية ما ذكر الشيخ محمد الزركشي(م - 28) هو قوله: «وفي أوائل ربيع الثاني من عام 855 [1451] أحدث بتونس (أي السلطان أبو عمرو عثمان) خطبة ثامنة بجامع سيدي جعفر بالتبانين بربض باب السويقة»اهـ. وهذه العبارة لا يستفاد منها أكثر من إقامة خطبة الجمعة، والعيدين بالجامع المذكور، بل يستروح منها أسبقية(م - 29) وجود الجامع المذكور عن تحويله لجامع خطبة بأمر السلطان عثمان الحفصي، والقرائن تؤيد ذلك، لاحتمال أن هذا الجامع كان موجوداً بعنوان مسجد للخمس يعرف في ذلك الزمان باسم جامع سيدي جعفر، ولو كان السلطان عثمان المذكور هو المحدث له لنسبه إليه كتاب التاريخ، وسجلوا مزية بنائه بصحيفة حسناته الكثيرة. والخلاصة أن جامع التبانين صار جامع خطبة ابتداء من سنة 855 [1451] وما زال كذلك إلى هذا الزمان. وقد ذكرنا فيما تقدّم اسم آخر شيخ تولّى إمامته من آل النفاتي، فلّما توفي هذا الشيخ في سنة 1289 [1872] كما سبقت الإشارة لذلك، خلفه في خطته الشيخ الطاهر النيفر، ثم نقل إلى إمامة جامع باب البحر، فتولى مكانه بجامع التبانين الشيخ عمر بن الشيخ(م - 30): قالوا إنه لم يؤم فيه ولو في صلاة واحدة، بل استخلف فيه من يوم توليته، ويخطب متنازلاً له عن الجراية بأكملها لأنه كان يشتهي الولاية فيما يقال بجامع باب البحر، فلما تقدم إليها غيره غضب من أجل ذلك، ولم يباشر خطته بجامع التبانين إلى أن توفي في سنة 1329[1911] فتقدم عوضه للإمامة والخطبة بالجامع المتحدّث عنه شيخنا المرحوم الشيخ الطاهر جعفر، وتوفي سنة 1334 [1915 ] فخلفه ابنه في الإمامة والخطابة، ثم التحق بالدار الآخرة فتقدم لمنبره ومحرابه إمامه الحالي بارك الله في أنفاسه.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## - 8 -

## جامع الحلق(م - 31)

خطبته هي التاسعة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس، وإمامه لهذا الزمان الأستاذ الشيخ محمد العزيز جعيط المفتي المالكي(م - 32).

اعلم أن التواريخ التونسيّة لم تتعرّض لنشأة هذا الجامع، وغاية ما رأيت في حقّه ورود ذكره عرضاً بتاريخ المؤنس(م - 33). قال مؤلّفه رحمه الله: «ومنهم (العلماء المعاصرون لصاحب المؤنس) الشيخ المعمّر المتورّع المتبرّك به أبو العباس أحمد عرف المهدوي وهو الآن (أواخر القرن الحادي عشر) خطيب بجامع الحلق قريباً من باب الجديد زاد الله في حسناته»اهـ. فهذه العبارة يستفاد منها أن جامع الحلق كان من جوامع الخطبة بتونس في القرن الحادي عشر، وكان عـدد هـذه الجوامع يومئذ ثلاثة عشر كما نبّه له الشيخ ابن أبي دينار في جهة أخرى من تاريخه، فلزم بحكم الضرورة البحث عن منزلة جامع الحلق في سلسلة جوامع الخطبة، ولأجل التوصّل لهـذه النتيجة سعيت لضبـط تلك المنزلة مـن الأعلى الى الأدنى، ومن الأدنى إلى الأعلى، فتحرر أن الخطب المتقدمة على خطبة جامع الحلق هـي خطبة جـامع الزّيتونة (أولى) أحدثت في أواخر القرن الأول للهجرة، ثم خطبة جامع القصبة (ثانية) أحدثت في سنة 629 [1231] ثم خطبة جامع التوفيق (ثالثة)، أحدثت في سنة 650 [1252] ثم خطبة جامع باب البحر (رابعة) أحدثت في سنة 681 [1282] ثم خطبة جامع أبي محمد (خامسة) أحدثت في المائة السابعة ، ثم خطبة جامع باب الجزيرة البراني ( سادسة ) أحدثت في المائة السابعة أيضاً، ثم خطبة جامع سيدي يحيى (سابعة)، أحدثت في سنة 747 [1346] ثم خطبة جامع التبانين (ثامنة)، أحدثت سنة 855 [1451] ثم بالنظر في تواريخ نشأة البقية الموجودة من جوامع الخطبة المحدثة في زمن المؤرخ ابن أبي دينار ابتداء من آخرها وضعا وهو جامع حمّودة باشا المرادي (ثالث عشر) أقيمت به الخطبـة سنة 1066 [1655]



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

والجامع الذي أقيمت فيه الخطبة قبله هـو جامع سبحان الله (ثاني عشر) كان بناؤه فيما بين سنة 1017 [1608] وسنة 1034[1624] والخطبة قبلها هي خطبة جامع يوسف داي (حادي عشر) تمّ بناؤه سنة 1021 [1612] والخطبة قبلها ترجع لجامع القصر (عاشر) أقيمت به سنة 1008 [1599] فتعين بحكم العقل والنقل أن خطبة جامع الحلق هي الخطبة التاسعة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس بعد الخطبة الثامنة المحدثة في العقد السادس من المائة التاسعة بجامع التبانين، وقبل الخطبة العاشرة المحدثة بجامع القصر في العقد الأوّل من القرن الحادي عشر، بحيث إن حدوث خطبة جامع الحلق كان فيما يلوح خلال المائة العاشرة أثناء هرم الدولة الحفصية. على أن هذا الجامع كان موجودا في أواخر المائة الثامنة. فقد أطلعني العلامة الثبت الأستاذ الشيخ البشير النيفر على كناش[1] له تضمّن وقوفه بالذات على عبارة منقوشة بحجارة موجودة إلى هذا اليوم بجدار صومعة جامع الحلق نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم. في بيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغُدُوِّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب(م - 34) جدّدت هذه المأذنة في رجب من عام سبعة وسبعين وسبعمائة»اهـ. وكون بناء الصومعة المشار لها بهذه العبارة كان تجديداً لعمارة سابقة أبلاها الزمان، فيه دلالة على أن جامع الحلق كان موجوداً في المائة السابعة وما قبلها، ولكن وجوده كان بعنوان مسجد للخمس لا للخطبة، لأنه لو كان جامع خطبة في وقت تجديد صومعته، لكانت خطبته الثامنة في السلسلة عوض أن تكون من نصيب جامع التبانين باتّفاق المؤرخين، فإنهم ضبطوا تاريخها في سنة 855 [1451] وجعلوا منزلتها الثامنة بالتصريح بعد خطبة جامع سيدي يحيى المحدثة في سنة 747

(1) لفظ كناش معرّب من السريانية ومعناه المجموعة والتذكرة والكنّش هم الجماعة اهـ (من شفاء الغليل).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

[1346] والتي هي السابعة في السلسلة بالتصريح أيضاً. والجوامع الستة المتقدمة على جامع سيدي يحيى يعني جامع الزيتونة، وجامع القصبة، وجامع الهواء، وجامع باب البحر، وجامع أبي محمد، وجامع باب الجزيرة، أسست كلها بعنوان جوامع خطبة من يوم بنائها، فتعين أن تكون الخطبة التاسعة هي خطبة جامع الحلق وهي آخر الخطب المحدثة في العصر الحفصي بناء على أن الخطبة العاشرة التي هي خطبة جامع القصر، كانت هي أولى الخطب المحدثة بتونس بعد الفتح العثماني، وكان جامع القصر قبل ذلك مسجداً مالكياً للصلوات الخمس. أما تسمية الجامع المتحدث عنه بجامع الحلق[1] فقد سمعت من الأستاذ الشيخ البشير النيفر بنقله عن جده كبير أهل الشورى المالكية(م - 35)، أن تأسيس هذا الجامع يرجع الفضل فيه لأمة زنجية من أهل العقيدة والنية الصالحة، كانت تملك حلقا ذهبية (أسورة) فباعتها، وأنفقت ثمنها في تأسيس هذا المصلّى تقرّباً إلى الله زلفى، فيكون إيجاد هذا المسجد في المائة السابعة، أو متقدّماً عليها، لأنه ثبت بنقل الحجارة الخالدة بصومعته أن هذه الصومعة وقع تجديدها في المائة الثامنة كما تقدّم بسطه، والتجديد يقتضي مرور قرن أو أكثر على البناء الأصلي، ومنه يلوح أن جامع الحلق ربما كان متقدّماً على الدولة الحفصية، وفي القرن الماضي تناوله التداعي فتوفقت جمعية الأوقاف لتجديد عمارته في سنة 1292 [1875] وكانت إمامته يومئذ بيد المرحوم الشيخ علي بو خريص، وتكرّرت في بيته قبله وبعده. وقد ازدان محرابه في هذا الزمان بإمامة صاحبنا العلامة المحقق المفتي الشيخ محمد العزيز

---

(1) سمعت من بعض شيوخ هذا العصر أنه كان وقف ـ ولا يدري بأيّ كتاب ـ على ما يفيد قطعاً وأنه كان يوجد بتونس سوق اسمه سوق الحلق. فعلى تقدير أنّ هذا السوق كان مكانه قريباً من جامع الحلق، فإن نسبة الجامع إليه تكون أمراً بديهيّاً. ولا ننسى أنه لم يزل موجوداً إلى اليوم على مقربة من هذا الجامع حوانيت كثيرة للحدّادين وسوق اسمه سوق السّلاح.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

جعيط، وله فيه أختام(م - 36) بين أهل العلم مذكورة، وبلسان الحق مشكورة، كثر الله من أمثاله.

وهذا الجامع من الجوامع التي وقع بها في مبادىء العقد السادس من هذا القرن تغيير ميعاد ختم الحديث، فقد كان الختم ينعقد به قدماً في يوم 25 رمضان، فجعلوه في يوم 14 منه. وهذا الختم من الثمانية أختام(م - 37) التي يتبرك بحضورها المولى الأمير في هذا الزمان، ضاعف [الله] له الأجر والإحسان.

وبعد تحرير ما تقدّم، عثرت على دفتر يشتمل على موقوفات هذا الجامع، وقع ضبطها بعناية محَمد باي المرادي(م - 38) في عام 1100 [1688] ومهما ورد ذكر تحبيس عليه رأيت قوله: حبساً على المسجد المذكور، ويعرف بجامع الحلق، مما يؤيّد وأنه كان مسجداً قبل تحويله لجامع خطبة كما أسلفناه.

## - 9 -

## جامع سبحان الله(م - 39)

خطبته هي الثانية عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس، وإمامه في هذا الزمان المدرس الشيخ إبراهيم النيفر.

هذا الجامع أسّسه أهل الجالية الأندلسية الأخيرة بعد استقرارهم بتونس، وعزّزوه بمدرسة لطلبة العلم وهي المدرسة الأندلسية المعروفة بمدرسة سيدي العجمي. وهذه المدرسة تم بناؤها في سنة 1034 [1624] فيكون تأسيس الجامع المتحدث عنه في المدة الواقعة بين عام 1016 [1607] الذي وصل فيه لتونس أهل الجالية الأندلسية، وبين عام 1034 [1624] الذي تم فيه بناء المدرسة المتقدم ذكرها. قال في الخلاصة النقية(م - 40): وفي أوائل أيامه (عثمان داي) سنة 1016 [1607] قدمت الأمم


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الجالية[1] من جزيرة الأندلس فأوسع لهم كنفه وأباح لهم بناء القرى في

(1) الأمم التي شملها هذا الجلاء الأخير بعد الجلاء الأعظم الذي تقدمه في المائة الثامنة لم يصل منهم لتونس إلا النزر اليسير بالنسبة لمجموع المهاجرين، فقد قدر بعض المؤرخين عدد الوافدين منهم على تونس بنحو مائة ألف بين رجال ونساء، وكان النساء أكثر عدداً من الرجال، خرجوا من إسبانيا في جملة من هاجر إلى شمال إفريقيا من المسلمين، ونزلوا بساحل المغرب ببحر الزقاق حيث مضيق سبتة بلاد عياض، ومن هنالك انتشروا في البلاد المغربية، قصد أكثرهم مدينة فاس الإدريسية والبقية قصدوا تلمسان، والجزائر، وقسنطينة، وعنابة، ومنهم من جد في السير حتى نزل تونس وأعملها، ولا سيما بجهات بنزرت، والعالية، وتستور، ومجاز الباب، وطبربة، وسليمان، وقرنبالية، وغيرها من البلدان التي أحدثوها ولم تكن موجودة قبلهم أو جددوا عمارتها وكانت موجودة من قبل، فكانوا في الجملة نحو المائة ألف أو يزيدون كما تقدم ذكره. استقبلهم عثمان داي، ويوسف داي من بعده بالإكرام والإسعاف، ووسعا عليهم بالنزول في ضيافة أعيان البلاد، كل عائلة ببيت من بيوت الأعيان، وكان أكثرهم لا يتكلم غير اللغة الإسبانية، وقليلهم من يفهم العربية، وكان لباسهم كلباس الإسبانيول لأن حكومة الملك فيليب الثالث ضيقت على المسلمين في هذا الدور الأخير لحملهم على التنصر، ونبذ دين الإسلام. وبالآخرة أفتى الراهب ريبيره أسقف بلنسية بوجوب إطرادهم جميعاً من أرض إسبانيا، ولم يسع الملك فيليب المذكور إلا الامتثال لما حكم به الأسقف. قال في معجم لاروس: إن حكومة إسبانيا خسرت خسارة عظيمة بطرد أهالي الأندلس من بلادهم، لأن التجارة ولا سيما الفلاحة، كانت في أيامهم زاهرة باسبانيا فلما خرج العرب منها بسط الخراب جناحه على هاتيك الديار التي غادرها نحو خمسمائة ألف نفس من المسلمين، وقامت ثورة بجبال بلنسية من العرب الباقين هنالك هلك فيها أربعون ألفاً من المسلمين اهـ. وقال في الكتاب المسمى التواريخ السنوية التونسية للمؤرخ روصو(م - 41) قنصل فرنسا كان بتونس أن المؤرخ بيصونيل(م - 42) الذي زار الديار التونسية في سنة 1724 أي بعد قدوم الوفد الأخير من الأندلس بأكثر من مائة عام وجد أهالي طبربة من أعقاب أولئك الأندلسيين يحسنون كلهم اللغة الإسبانية اهـ. وكان امتزاج الأندلسيين بأهل تونس كلقاح خصيب للأمة التونسية، لأن أسلافنا أخذوا عنهم أحوالا كثيرة في باب الصنائع اليدوية ومنها تجليد الكتب وزخرفتها بأبدع أسلوب، وتعلموا عنهم أيضا كيفية عرض البضائع للبيع بالحوانيت من جمعها، وضم المتشابه منها لبعضه، وكما أخذوا عنهم أيضا أساليب الفلاحة ولا سيما آلاتها غير المعروفة يومئذ بتونس، ومنها عربات جر الأثقال المسماة بالكريطة، ولفظ كريطة إسباني، فهي من المبتكرات الأندلسية. وكذلك ترجع إليهم مزية تمهيد الطرقات وتعبيدها، وكان لنسوة الأندلس فضل على بنات تونس، لأنهن علّمن ابنة البلاد تدبير المنزل من تأثيث، وطبخ، وحلاويات، وكانوا في تونس لا يحسنون قبل ذلك من أصناف الحلو غير الفالوذج، وهو عبارة عن سميد فسمن فعسل، ولك أن تقول حلوة المغارف المعروفة، وكانت موجودة في الدولة العباسية، أكل =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مملكته، فبنوا نحو العشرين قرية[1] واغتبط بهم أهل الحاضرة، وتعلموا حرفهم، وقلدوا ترفهم»اهـ. أما وجه تسمية هذا الجامع بجامع سبحان الله، فإنك تجد بيانه بديباجه مجموع الخطب المنبرية لإمامه العلامة المرحوم الشيخ سالم بوحاجب(م - 45) ونصّ محل الحاجة منه:

«ومن سعادته رحمه الله (أي مؤسس الجامع) أنه عدل عن إضافته لاسمه إلى تسميته جامع سبحان الله كأنه لاحظ إرجاع العبد وما ملكت يداه لسيده ومولاه. ولا يبعد أن يكون تخصيصه التسبيح من بين سائر الأذكار، تلميحاً لما استنبطته ثواقب الأفكار، من آية فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون(م - 46) من أنها شاملة لصلوات الليل والنهار، حيث أشير بحين تمسون لصلاتي المغرب والعشاء، وبحين تصبحون لصلاة الصبح، وعشياً لصلاة العصر، وحين تظهرون لصلاة الظهر. (وأخرت عن العصر في الآية مراعاة للفاصلة). وبهاته الملاحظة يكون معنى جامع سبحان الله، جامع الصلوات الخمس، فما أدقّ نظره رحمه الله ونفعنا ببركته وبركات جامعه المذكور التي منها إجابة الدعاء كما هو مجرب مشهور» اهـ.

---

= منها الإمام أبو يوسف على مائدة الخليفة، وهم الذين أوجدوا القناوية(م - 43) بهذه الديار لأن الطماطم لم تكن معروفة بتونس قبل وفودهم عليها وإنما ظهرت بها في مدتهم إلى غير ذلك مما يطول بسطه. وقد رأيت في بعض الكتب أن جملة المسلمين الذين هاجروا من إسبانيا إلى إفريقية الشمالية فيما بين المائة الثامنة وأوائل القرن الحادي عشر، كانوا يزيدون على ثلاثة ملايين بالحساب الصحيح، والله غالب على أمره.

(1) هذه القرى سماها الشيخ ابن أبي دينار بلدانا، وذكر أسماء أربعة عشر بلداً منها، أشهرها بلدة تستور ذات الصومعة المرصّعة بالمنجانة (منقالة)(م-44). ومن الشطط نسبة جميعها للأندلس فإن بعضها كان موجوداً في العصر الروماني، وللأندلسيين مزية عمارته وإحيائه لا إيجاده وإنشائه. فبلدان تستور، ومجاز الباب، وطبربة، وكثير غيرها مما ينسب تأسيسه للأندلس، هي بلدان رومانية معروفة بأسمائها في التاريخ، وإنما هجرت وخربت، فأحياها أهل الأندلس، وقد كنت اشتغلت بضبط المدن والقرى والمداشر التونسية الموجودة لهذا الزمان، والتي كانت قائمة ببقاعها في العصر الروماني، فاستغرقت في ذلك نحو المائة بلاد منها عاصمة المملكة، وكان اسمها عندهم توناس فصارت تونس:

وتونس تونس من جاءها وتدركه حسرة حيث سار


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ومن أشهر من ولي إمامة هذا الجامع العلامة الشيخ علي سويسي المتوفى سنة 1154 [1741] والشيخ محمد بن سلامة على عهد المولى مصطفى باي، ثم ابنه الشيخ الطاهر، ثم صرفه عن الإمامة المشير محَمد باي وأسندها إلى العلامة الصالح المدرس دفين البقيع الشيخ أبي محمد عبدالله الدراجي المتوفى سنة 1296 [1878] ووليها بعد هجرته العالم المدرس الشيخ الطيب السبعي وتوفي سنة 1306 [1888] فوليها الأستاذ العلامة أبو النجاة الشيخ سالم بو حاجب المتقدّم ذكره. وسمعت من بعض أهل العلم أن هذا الجامع لم يكن به رواية للحديث، فلما تولى قاضي الجماعة الشيخ محمد بن سلامة إماماً وخطيباً به سعى لتحويل رواية الحديث الموقوفة على زاوية سيدي المرجاني داخل باب البحر إلى الجامع الذي تولّى إمامته، وجلس به لختم الحديث[1] وبقي العمل في إقامة ذلك الختم، كما ذكر، إلى هذا الزمان، غير أن ميعاد الختم بالجامع المتحدّث عنه كان في اليوم 29 من شهر رمضان، فجعلوه في هذا العهد في 21 من الشهر، وهو من الأختام التونسية الثمانية التي يحضرها أمير العصر نضر الله وجهه.

---

(1) وقفت على بيتين للشيخ محمد بيرم الرابع قالهما في واقعة حال إثر انعقاد ختم الحديث بالجامع المذكور في سنة 1252 [1836] وصورة النازلة أن القاريء على الختمة قبيل الختم كان يقرأ سورة العلق، والشيوخ جلوس حول المحراب، فقال جدنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن الخوجة: أخبرني المرحوم الشيخ محمد البنّا والدسميه الشيخ المفتي، أن قارئاً حنفي المذهب، صغير السنّ، قرأ هذه السورة، وسجد، فنهاه شيخ مالكي حاضر عن السجود، فأخبر القاريء أباه بما وقع، فنظم الأب بيتين ينتهي آخر مصراع منهما بكلّا لا تطعه واسجد واقترب(م - 49). ولكنهما عزبا عن حفظ الشيخ الجدّ فاقترح الشيخ محمد بيرم الرابع، وكان ممّن حضر ذلك المجلس، على الشيوخ الحاضرين نظم إدخال على الآية المذكورة، ثم تولّى نظم ذلك بنفسه فقال:

أبُنَيَّ إنَّ بسورة العَلَق التي ... شَرُفَتْ سجوداً صحْ عن عالي الرُّتب
فإذا المخالف قد نهاك فلا تُطِعْ ... منه المقال بذاك واسْجُدْ وَاقْتَرِبْ



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## ـ 10 ـ

## جامع الحجامين(م - 47)

خطبته هي السابعة عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس، وإمامه في هذا الزمان المدرس الشيخ محمد الزغواني(م - 48).

هذا الجامع كان مسجداً يعرف بمسجد بوقريبة بالحجامين، اندرس منذ زمن بعيد، وتعطلت إقامة الصلوات به، فتوفّق رجل من أهل الخير وهو الشيخ الحاج أحمد بن الأمين أصيل جزيرة جربة لإحيائه وتوسيعه على نفقته، صرف في ذلك السبيل من حرّ ماله نحو المائتي ألف فرنك. وتمّت عمارته في سنة 1350 [1931] وفيها أصدر سيدنا ومولانا أمير العصر أمره المطاع بجعله جامعاً للخطبة، وفقاً لمرغوب جماعة المسلمين، سكان حومة الحجامين، وحضر أيده الله في موكب حافل لإقامة أوّل صلاة للجماعة به عند ظهر يوم الجمعة سادس ذي الحجة سنة 1350[1931] حضرها المولى الأمير وأهل دائرته، أفاض الله عليه من خيره ونعمته، وأوّل من تولى خطة الإمامة والخطابة به العلامة الفقيه الشيخ محمد الزغواني من كبار المدرسين بجامع الزيتونة، وليس بهذا الجامع ختم للحديث الشريف.

## ـ 11 ـ

## جامع السبخاء

خطبته هي الثامنة عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس، وإمامه في هذا الزمان المدرّس الشيخ أحمد بن زين العابدين النيفر.

هذا الجامع كان مسجداً تقام فيه الصلوات الخمس، دون الجمعة والعيدين، ويلوح أنه من آثار العصر الحفصي، تولاه الخراب، وتلاشت أحواله، وانعدم النفع به مدة طويلة، فتولى إحياءه وتجديد عمارته أبو الخيرات يوسف صاحب الطابع في حدود سنة 1229 [1813] سمعت من



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الأستاذ الشيخ البشير النيفر بنقله عن جدّه شيخ الشيوخ العلامة الشيخ الطيب النيفر كبير أهل الشورى المالكية أن هذا الجامع أقامه الوزير يوسف صاحب الطابع المذكور بطلب من أهل ربض باب الجزيرة، وكان في نيته أن يجعله جامع خطبة إلا أنه تعجل بإقامة الخمس فيه إثر تمامه، ولم يلبث أن فاجأه أجله. ولما تمّ بناؤه استشار الشيخ أبا إسحق إبراهيم الرياحي فيمن يعيّنه للإمامة به، فأشار عليه بتعيين الشيخ الزاهد الورع أبي عبد الله محمد البريني فكان أول إمام به، وتوفي على عهد المولى حسين بن محمود باي، فولي مكانه الشيخ محمد المساكني بسعي من صهره المرحوم عبد الوهاب بن يوسف الشارني باش حانبة، وكان يومئذ صاحب هذه الخطة من ذوي الوجاهة والجاه، تزوج بأخت الشيخ المساكني، ولم تمض على هذه المصاهرة سبعة أيام حتى شغرت خطة إمامة المسجد المتحدّث عنه، فقال الباش حانبة لسمو الباي: الرجاء في سيّدنا أن يتحف العروسة بولاية أخيها، فصدر الأمر المطاع بولايته، ولما توفي الشيخ المساكني تقدم للإمامة به الشيخ الطيّب النيفر المشار إليه، وتنازل عنها لحفيده المدرس الشيخ أحمد النيفر في سنة 1339 [1920] وفي أوائل سنة 1353 [1934] سعى أهل حومة السبخاء في إقامة خطبة لصلاة الجمعة بحيهم، فأجاب أمير العصر نداءهم وأسعفهم بتحويل ذلك المسجد لجامع خطبة، وأول جمعة أقيمت به في العشرين من جمادى الآخرة من العام المذكور. وهذا الجامع ينعقد به ختم الحديث في 17 رمضان .

## ـ 12 ـ

# جامع العمران

خطبته هي التاسعة عشرة والأخيرة بسلسلة جوامع الخطبة بتونس، وإمامه في هذا الزمان المدرس الشيخ عبد السلام التونسي.

هذا الجامع يشخص شباب جوامع الحاضرة التونسية حيث كان هو



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

أحدثها عهداً، توفق لتأسيسه بالاكتتاب العمومي جماعة من فضلاء سكان حومة العمران الحديثة بناحية حديقة البلفيدير، وتبرّع ببناء صومعته الجميلة من حرّ ماله رجل من أهل البرّ والمعروف وهو الخير المعتقد التاجر أبو الحسن علي طبقة، وتمّ بناؤه في شهر رمضان سنة 1354 [1935] وأوّل صلاة أقيمت به هي فريضة الجمعة الموافقة لثامن شوال من العام المذكور، حضرها أمير العصر، ووزراؤه، وأهل دائرته، وشيوخ العلم بالمذهبين، وأول خطيب به العالم الفاضل المدرّس الشيخ عبد السلام التونسي، وهو أوّل من ابتكر من أيمة الجوامع المالكية في هذا الزمان أسلوب الخطابة بالوعظ بدون قراءة من كتاب مسطور، حيث اعتمد على حافظته في إلقاء خطبه الجمعية التي هي من إنشائه، أو من منقوله، وكانت خطبته الأولى في فضل الساعين في عمارة بيوت الله. ولقد أعجب سمو المولى الأمير بفصاحته وحسن سلوكه، فخلع عليه بطيلسان من الكشمير شهادة منه إليه بجدارته وفضله. وهذا الجامع لا ينعقد به ختم الحديث الشريف.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## التعاليق

(م ـ 1) المتطوع: أي المحرز على شهادة «التطويع» وهي شهادة ختم الدراسة بجامع الزيتونة.
(م ـ 2) جامع الهواء: يقع برحبة الغنم (ساحة معقل الزعيم الآن) في ربض باب الجزيرة.
(م ـ 3) «الحلل السندسية» ـ ج1 (4) ص579.
(م ـ 4) بلانتي (PLANTET)
«مراسلات بايات تونس وملوك فرنسا ـ (1577 — 1830)»باريس 1893.

(م ـ 5) الشاعر أبو الحسن علي الغراب الصفاقسي:
(انظر ترجمته في «عنوان الأريب» ج 2 ص 32).
(م ـ 6) جامع باب البحر ـ يعرف اليوم بجامع الزرادعية ويقع بنهج المنجي سليم.
(م ـ 7) الدعي أحمد بن مرزوق: افتك الحكم من السلطان الحفصي أبي إسحاق إبراهيم سنة 1282م وبقي في الحكم مدة سنة ونصف (انظر ملخص خبره في «الإتحاف» ج1 (النشرة الثانية) ص 210).
(م ـ 8) «المؤنس» ص 140.
(م ـ 9) محمد خزندار: تولى الوزارة الكبرى من سنة 1877 الى سنة 1878، ثم عوض بالوزير مصطفى بن اسماعيل. وعاد إلى الوزارة الكبرى بعد انتصاب الحماية الفرنسية على تونس في سنة 1881 إلى وفاة الصادق باي في شهر أكتوبر 1882. (انظر ترجمته في «تراجم الأعلام» ص 35).
(م ـ 10) الطاهر خير الدين: ابن الوزير الأكبر خير الدين باشا، تولى وزارة العدل عند إنشائها (26 أفريل 1921)، واستعفى من الوزارة في شهر أفريل (1934) وتوفى سنة 1937. (انظر ترجمته في «تراجم الأعلام» ص 24).
(م ـ 11) جامع أبي محمد: يقع في مدخل نهج الحلفاوين من ربض باب السويقة.
ـ الشيخ أبو محمد عبد الله المرجاني: أحد رجال الصّلاح والتصوف (انظر ترجمته في «الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي» لمحمد البهلي النّيال ـ ص 264).
(م ـ 12) الزركشي «تاريخ الدولتين» ص 143.
(م ـ 13) نفس المرجع ص 152.
(م ـ 14) جامع باب الجزيرة: يعرف باسم جامع باب الجزيرة البرّاني (أي خارج سور المدينة العتيقة) ويقع في مدخل نهج سيدي البشير.
(م ـ 15) الزركشي ـ المرجع السابق ـ ص 145.
(م ـ 16) «المؤنس» ص 207.
(م ـ 17) مدة ولاية يوسف داي: من سنة 1610 إلى سنة 1637م. (انظر «المؤنس» ص 205).
(م ـ 18) «المؤنس» ص 316.
(م ـ 19) سعيد المحجوز (لا المحجوب) ـ (انظر المرجع السابق).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

(م ـ 20) «الذيل لكتاب بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمانَ» لحسين خوجة ـ تونس 1326هـ 1908م.

( ترجمة الشيخ سعيد المحجوز ص 118 و119).

(م ـ 21) البشير صفر، رئيس جمعية الأوقاف (1865 — 1917) (انظر ترجمته في «تراجم الأعلام» ص 195.

(م ـ 22) بقيت خطة إمام جامع باب الجزيرة وشيخ الطريقة الشاذلية محصورة منذ ذلك التاريخ في عائلة بلحسن إلى وفاة المرحوم الشيخ الهادي بلحسن في شهر نوفمبر 1984.

(م ـ 23) «الإتحاف» ج 8 ـ ص 63.

(م ـ 24) جامع سيدي يحيى: نسبة إلى الولي الصالح الشيخ يحيى السليماني المتوفى سنة 749/ 1348.

ويعرف هذا الجامع اليوم باسم «جامع البرج» وله بابان رئيسيان، باب قديم يفتح على نهج البرج بحي باب العسل، وباب جديد يفتح على شارع الهادي السعيدي.

وقد تم توسيع جامع سيدي يحيى بعد الاستقلال وجدد بناء صومعته، وذلك بعناية أهل البر والإحسان، وبفضل جهود إمامه الحالي الشيخ حسن الخياري.

(م ـ 25) هو المؤرخ محمد بن أحمد بن محمد المرجاني المعروف «بابن الشماع» له كتاب «الأدلة البينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية» حققه ونشره المرحوم عثمان الكعاك بتونس سنة 1936.

(م ـ 26) «المؤنس» ص 145.

(م ـ 27) جامع التبانين: ويعرف اليوم باسم جامع النفافتة أو جامع باب الأقواس لأنه يقع بنهج باب الأقواس في حي باب سعدون. وإمامه الحالي هو الشيخ محمد الشاذلي النيفر، عميد الكلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين سابقاً.

(م ـ 28) الزركشي «تاريخ الدولتين» ص 144.

(م ـ 29) في الأصل: سبقية، والصواب ما أثبتناه

(م ـ 30) الشيخ عمر بن الشيخ: من كبار علماء جامع الزيتونة (انظر ترجمته في «تراجم الأعلام» ص 161).

(م ـ 31) جامع الحلق: يقع في حي باب الجديد بالقرب من المركاض.

(م ـ 32) الشيخ محمد العزيز جعيط (1886 — 1970).

من كبار علماء جامع الزيتونة، تولى التدريس بالجامع الأعظم والمدرسة الصادقية. أسندت إليه خطة الفتيا، ثم مشيخة الإسلام المالكية سنة 1945، وعين وزيراً للعدل من سنة 1947 إلى سنة 1950. كما سمي بعد الاستقلال مفتياً للجمهورية.

(انظر ترجمته في «تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ»ج2 ص 37).

(م ـ 33) «المؤنس» ص 315.

(م ـ 34) سورة النور ـ الآية 36.

(م ـ 35) كبير أهل الشورى: هو الشيخ الطيب النيفر.

(م ـ 36) جمعت أختام الشيخ محمد العزيز جعيط في كتاب صدر بتونس سنة 1972 (في جزءين)



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

بعنوان «مجالس العرفان ومواهب الرحمان». كما جمعت خطبه الجمعية بجامع الحلق في كتاب «إرشاد الأمة ومناهج الأيمة» (تونس 1978).

(م ـ 37) في الأصل: الأختام

(م ـ 38) محَمد باي المرادي: محَمد باي بن مراد باي بن حمودة باشا تولى الإمارة من سنة 1675 إلى سنة 1696 (انظر المؤنس ص 229).

(م ـ 39) جامع سبحان الله: يقع هذا الجامع بربض باب السويقة نهج علي البلهوان (نهج الحلفا سابقا).

(م ـ 40) كتاب «الخلاصة النقية في أمراء إفريقية» تأليف محمد الباجي المسعودي ـ طبع بتونس (النشرة الثانية) 1905 — 1906 ص91.

(م ـ 41) روصو (A. Rousseau)

«الحوليات التونسية» (Annales Tunisiennes) باريس 1864.

(م ـ 42) بيصونيل (Peysonnel)

«رحلة إلى بلاد المغرب Relation d'un voyage en Barbarie 1724» باريس 1838.

(م ـ 43) القناوية: تعرف في الشرق باسم «البامية».

(م ـ 44) «المنجانة (المنقالة) بمعنى الساعة في الاستعمال التونسي.

(م ـ 45) «ديوان خطب» للشيخ سالم بوحاجب ـ 1913 ص 2 (بدون ترقيم).

(م ـ 46) ـ سورة الروم ـ الآية 17.

(م ـ 47) جامع الحجامين: يقع بنهج الحجامين في حي باب الجديد.

(م ـ 48) الشيخ محمد الزغواني: من كبار مدرسي جامع الزيتونة، تولى التدريس بالجامع الأعظم والمدرسة الصادقية أكثر من نصف قرن.

(انظر ترجمة حياته في «تراجم المؤلفين التونسين» ج2 ص423).

(م ـ 49) سورة العلق ـ الآية 19.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

# البَابُ الثَانِي

# فِي الجَوَامِعِ الحَنَفِيَّة

## وفي ظهور مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النّعمان بافريقية



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

لم يكن المسلمون الأولون مقيّدين باتباع مذهب معلوم من مذاهب أهل السنة قبل توحّد المذاهب السنية واستقرارها في الأربعة المعروفة، يعني المذهب الحنفي، (أسّسه الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت توفي ببغداد سنة 150 [767]) والمذهب المالكي (أسّسه إمام دار الهجرة مالك بن أنس، توفى بالمدينة المنورة سنة 179 [795]) والمذهب الشافعي، (أسسه الإمام محمد بن إدريس ابن شافع، توفي بمصر سنة 204 [819]) والمذهب الحنبلي، (أسسه الإمام أحمد بن حنبل توفي ببغداد سنة 241 [855]) بل إنهم كانوا يؤدون فرائضهم من صلاة وزكاة وصوم وحج حسب ما وصلهم من اجتهاد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

ومن أشهر مذاهب السنة في العصور الأولى، مذهب سفيان بن عيينة، ومذهب داوود علي الظاهري، ومذهب الأوزاعي، ومذهب محمد ابن جرير الطبري، وغيرهم من أصحاب الاجتهاد. فلما استقر قرار المذاهب السُّنِّية في الأربعة المعروفة، واتفق جمهور المسلمين على اعتمادها واتباعها، إلا من شذّ منهم، وبقي متبعاً بانفراده لبعض مذاهب السنة المتقدمة على المذاهب الأربعة المذكورة، أو المعاصرة إليها، أو لمذهب من المذاهب غير السنية، كمذاهب الشيعة، وهم شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان أول المذاهب ظهوراً وانتشاراً بإفريقية هو مذهب الإمام أبي حنيفة. وأبو حنيفة ولد بالأنبار في عصر الصحابة سنة


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ثمانين للهجرة [699] وتفقّه في زمن التابعين، ويلوح أن ناشر مذهب أبي حنيفة بإفريقية هو القاضي أسد بن الفرات، فإنه بعد أن أخذ عن الإمام مالك رضي الله عنه، ثم عن ابن القاسم، وعنه دوّن أسديته المشهورة، ترك أهل الرواية، ورجع لأهل الرأي الذين أخذ عنهم الفقه الحنفي بالعراق، منهم الإمام أبو يوسف، والإمام محمد بن الحسن الشيباني، وأسد ابن عمرو، من أصحاب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه.
قال الشيخ الدباغ(م-1) في كتاب معالم الايمان (جزء 2 صفحة 3 وما بعدها): «سمع أسد من علي بن زياد، ثم ارتحل إلى المشرق، فلقي من أصحاب أبي حنيفة القاضي أبا يوسف، ومحمد بن الحسن، وأسد بن عمرو، ثم سمع الحديث على يحيى بن زكرياء بن أبي زائدة، وعلى المسيب بن شريك، وهيثم بن بشير، وغيرهم. روي أنه سمع على هيثم اثني عشر ألف حديث، وسمع الفقه بمصر على عبد الرحمن بن القاسم، وعنه دوّن الأسدية، وقدم بها القيروان، فسمعها منه خلق كثير، منهم سحنون وغيره، ثم أظهر مذهب أبي حنيفة لقضية تركناها، وأخذه الناس عنه، وانتشرت إمامته» اهـ. قلت: القضية التي ترك ذكرها الشيخ الدباغ حكاها الشيخ ابن ناجي مذيل كتاب معالم الإيمان الذي نقلنا عنه هذه الأسطر، وهي طويلة، حكى فيها رحلة أسد للعراق، وما حصل له بعد رجوعه مع سحنون من الخلاف في رواية المدونة، وكيف استقرّ رأي أسد على اتّباع مذهب أبي حنيفة إلى أن قال ما حاصله: إن أسداً كان إمام العراقيين أي الحنفية بالقيروان كافة، وأنه تولّى بها القضاء في آن واحد مع الشيخ أبي محرز الكناني من أيمة المالكية، فكان هذا يقضي بمذهبه، وهذا بمذهبه. ولم يعلم بالقيروان قاضيان قبلهما في وقت واحد، وكان ذلك في سنة 204 [819] على عهد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب(م-2). وقال في كتاب وفيات الأعيان للقاضي ابن خلكان أثناء ترجمته للمعزّ بن باديس الصنهاجي(م-3): «وكان مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه بإفريقية أظهر المذاهب فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، وحسم مادة الخلاف في المذاهب، واستمرّ الحال من ذلك الوقت إلى هذا الزمان» (يعني زمان ابن خلكان توفي سنة 681 [1282]) اهـ قلت: إن المقصود من قوله حسم الخلاف في المذاهب هو مذاهب الشيعة لكثرة انتشارها بإفريقية في ذلك الزمان قال في المؤنس(م-4): «إن المذاهب التي كانت موجودة يومئذ بتونس، فمن السُّنِّيَة المذهبان الحنفي والمالكي، ومن غير السنية مذاهب الصفرية، والشيعة، والإباضية، والنكارية، والمعتزلة»اهـ وقال في رحلة الشيخ أبي محمد عبد الله التجاني(م-5) كان بإفريقية في المائة السابعة رجل واحد من أهل العلم ينتسب للمذهب الحنفي، وكان يسكن المهدية، وهو الشيخ الزناتي المعروف بالحنفي ونصّ عبارته: «ومن شعراء المهدية وعلمائها الذين حدثنا أشياخنا عنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عثمان الزناتي المعروف بالحنفي. ولد بها، ومن أعيانها، وارتحل إلى المشرق فدرس بدمشق مدّة، ثم انتقل إلى الموصل، فانتحل مذهب أبي حنيفة، واشتغل به حتى صار إماماً فيه، واشتهر بالنسبة إليه فلا يعرف في إفريقية إلا بذلك، ولم يكن في هذه العصور كلّها ببلاد إفريقية حنفي غيره، وكان إذا وفد على الحضرة (تونس) اجتمع بالأمير أبي زكرياء وجالسه» اهـ ثم نقل له شعراً في ذّم بلدة المهدية ووصف أهلها بالبخل (في زمنه) وأعقب ذلك بذكر بيتين من نظم الفقيه الحنفي المشار إليه، قالهما بمناسبة إجهاز فقيه على حياة قرد، حيث ذبحه لإذايته فلامه الناس في ذلك:

عاب عليه صنيعه نفر ... وما درى الجاهلون ما قصده
يذبح من كان شبه صورته ... لكي ترى في الوجود منفرده

والواقعة اشتملت على زيادة بسط وتفصيل لا يسعه هذا المجال. وتوفي الشيخ الحنفي في سنة 655 [1257]. ولما أمر المعزّ بلغو جميع المذاهب عدا المذهب المالكي كما تقدّم ذكره، دام أهل إفريقية مقلدين لمذهب إمام دار الهجرة بانفراده إلى أواخر المائة العاشرة. وفي سنة 981


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

[1573] تم الفتح العثماني على يد الوزير سنان باشا، فدخلت تونس في طاعة السلطان سليم خان الثاني، وعاد ظهور المذهب الحنفي بها من جديد. وحيث كان هو مذهب أهل العنصر الفاتح ـ وهم أهل الحلّ والعقد ـ لزمهم بحكم الضرورة اتخاذ بيوت للعبادة تقام بها الصلوات على قواعد مذهبهم بإزاء جوامع السادة المالكية، وكان المسلمون يومئذ محافظين على صلواتهم، وعمارة المساجد من أعظم القربات، فكان أول جامع اتخذه الأتراك لإقامة الشعائر على المذهب الحنفي، هو جامع القصبة، لوقوعه بمقر حكمهم، وحوله مساكنهم، ومعسكراتهم. وجامع القصبة من محدثات الدولة الحفصية، وهو ثاني جامع بني بتونس بعد جامع الزيتونة. وبالتالي تضاعفت أعداد المتمذهبين بمذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة إما بالولادة، وإما بقدوم أفراد آخرين من الأتراك على تونس، فنظروا عندئذ في تحويل جامع الزيتونة من المذهب المالكي إلى المذهب الحنفي، ولكنهم رجعوا عن هذه الفكرة، واكتفوا بتحويل جامع القصر، وكان مسجداً مالكياً للخمس، فجعلوه جامع خطبة على المذهب الحنفي، وذلك بعد الألف بقليل. وجامع القصر كان كنيسة قبل الفتح الإسلامي كما سترى خبره بمحله، ثم توسع الأتراك في إيجاد جوامع حنفية أخرى بالإنشاء، تبعاً لانتظام أحوال الدولة واستقرارها في الأمراء المراديين، وهم من الحنفية[1] فبنوا ثلاثة جوامع للخطبة أحدها الجامع المواجه للزاوية المحرزية(م-6) وهو أفخم وأضخم جوامع تونس في السابق واللاحق، والآخران هما: جامع البشامقية المنسوب لمؤسسه يوسف داي، وجامع حمودة باشا المرادي الملاصق للزاوية العروسية(م-7). وهذان الجامعان المتقدمان في الحدوث على الجامع الآخر المتقدم ذكره، وعلى قياس عمل أهل الدولة المرادية جرى العمل في الدولة الحسينية، فأسس المولى حسين باي بن علي تركي جامعه المعروف بالجامع الجديد بالصباغين، وأسس

(1) جد الأمراء المراديين أصله نصراني من جزيرة كرسيكة (Corse)



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الوزير يوسف خوجة(م-8) في عهد متبوعه الباي حمودة باشا، جامعه المعروف بالحلفاوين، فتكون جملة الجوامع الحنفية بحاضرة تونس سبعة لهذا الزمان[1] وإليك التعريف بتاريخ نشأتها حسب ظهورها في الوجود، أدام الله عمرانها بالركّع السجود.

— 1 —

## جامع القصبة

خطبته هي الثانية في سلسلة جوامع الخطبة بتونس، وإمامه في هذا الزمان الشيخ علي عباس المتطوّع في العلوم.

الاسم المشهور به هذا الجامع بين الناس، هو جامع القصبة. لأن موقعه بقلبها. وكانوا في المائة السابعة يسمّونه جامع الموحدين، نسبة لسلف مؤسّسه، وأطلقوا عليه في هذا الزمان اسم الجامع الحفصي في الأوساط العلمية من يوم جعله فرعاً مدرسياً لجامع الزيتونة سنة 1351 [1932] ونسبته للحفصي موافقة لحقيقة حاله، لأن الذي بناه هو السلطان أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص. ذكر المؤرخون، ومنهم ولي الدين ابن خلدون أن نسبهم يتّصل بالخليفة الثاني سيدنا الفاروق رضي الله عنه. شرع مؤسّسه في بنائه سنة 629 [1231] وفي السنة بعدها ابتدأ في بناء صومعته البديعة التي نوّه بحسنها ابن خلدون وما زالت لهذا الزمان أجمل وأفخم وأبهى صوامع تونس بلا استثناء، بناها صاحبها بشكل صوامع

---

(1) توجد عدة جوامع حنفية أخرى بجهات العمالة(م-9) لا سيما بالمدن الساحلية، كبنزرت، وغار الملح، ورأس الجبل، ونابل، وسوسة، والمهدية، والمنستير، وصفاقس، وغيرها من بقية العواصم التونسية كباجة، وزغوان، والكاف، وتوزر، وقفصة، الخ. ونقدر عدد المسلمين من سكان العمالة المتمذهبين بالمذهب الحنفي بعشر مجموع مسلمي المملكة التونسية على سبيل التقريب. وعدد هذا المجموع في الوقت الحاضر ألف ألف وثلاثمائة ألف وخمسة وثلاثون ألف وستمائة وثلاثة وعشرون نفساً حسب إحصائية عام 1936.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الأندلس والمغرب، لها شبه من قريب بصومعة جامع الكُتُبية[1] بمراكش ولكن هذه تفوقها بكثير، زيادة على كونها تناطح الأفلاك بارتفاعها. وقد اتفق لهذا العبد زيارتها ثلاث مرات في سنين مختلفة آخرتها سنة 1355 [1936] ولو أتيح لي العود إليها لرأيت ذلك من حسن الحظّ وزهاء الطالع.

ولما تمّت عمارة الجامع الحفصي في سنة 633 [1235] كان السلطان أبو زكرياء هو أول من أقام فيه الأذان لصلاة صبح يوم الجمعة سابع شهر رمضان من تلك السنة[2] هكذا حكاه الوزير السرّاج في الحلل السندسية. ويرى الناظر في واجهة تلك الصومعة إطارين عظيمين مكتوبين بالقلم الغليظ تضمنا الإشارة لصنيع السلطان أبي زكرياء مع ذكر اسمه وأسماء سلفه، وبقربهما لجهة اليمين حجارة صغيرة تضمنت اسم الرجل الذي باشر هندسة بنائها وعبارتها: «كان الناظر على بنائها عبدهم علي بن محمد بن قاسم عريف البناء»اهـ والضمير في عبدهم يشير للأسماء الشريفة التي تضمنها الإطاران المذكوران. ولقد كنت شاركت إدارة الانطكخانة (م - 12) في تقديم تعريف تاريخي بحق ذينك الإطارين عند عرض صورتهما بمعرض باريس عام 1900، فكان رسم ذينك الإطارين المصاحب لذلك التعريف محل إعجاب الناظرين، وجاءتني من أجل ذلك الجائزة المتوقّعة وهي ميدالية فضيّة مع سجل بالشكر.

واعلم أن خطبة جامع القصبة هي الخطبة الثانية التي ظهرت بتونس بعد مضي أكثر من خمسة قرون على خطبة جامع الزيتونة الذي كانت الجمعة لا تقام إلا به وحده وفقاً لقواعد المذهب المالكي الذي لا يرى

---

(1) حصل به تداع في الأزمنة الأخيرة فتداركته وزارة الأحباس بالمغرب في عهد صاحب الجلالة السلطان الحالي سيدي محمد بن يوسف بن الحسن (م - 10) وأنفقت في ذلك السبيل أكثر من مليونين. ومما يستحبّ ذكره في هذا المقام أن نفقة تحصير (م - 11) جوامع المغرب في سنة 1355[1936] استغرقت نحو الخمسمائة ألف فرنك، وكان صنع تلك الحصر بمدينة سلا، وحصرها من أجمل وأدق ما أنتجه الذوق العربي في ذلك، ونسبة حصر نابل من حصر سلا كنسبة العبد من الحرّ.

(2) شهر رمضان 633 يوافق شهر يونيه 1235 للميلاد.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

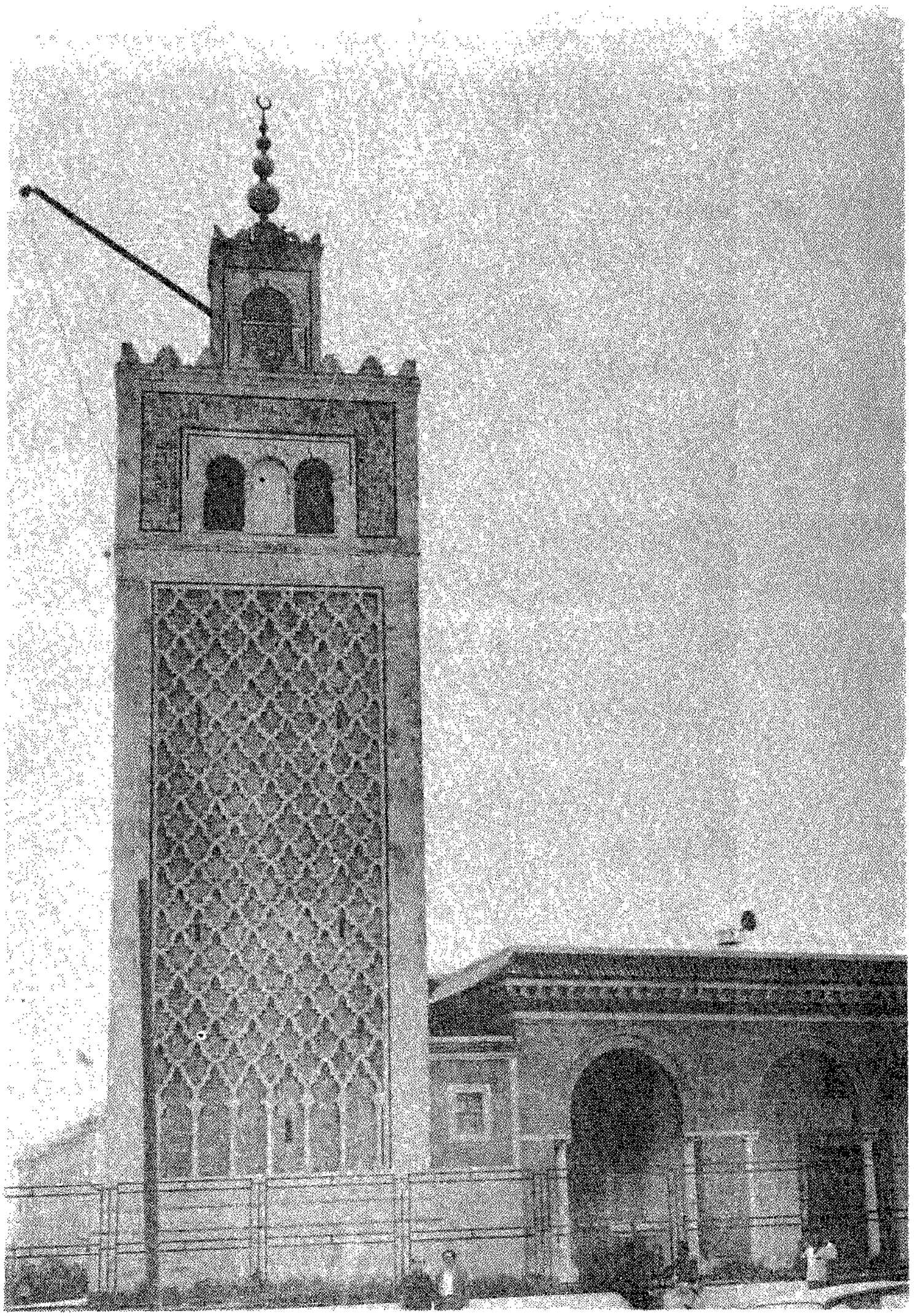

جامع القصبة



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

تعدّد الجمعة إلا في الأمصار الكبار. ويلوح أن جامع القصبة في ذلك الزمان كان جامعاً مَالكِيّاً يعني خاصّاً بالسلطان وحاشيته كما ستراه قريباً. وبديهي أن الشعائر كانت تقام به على المذهب المالكي الذي كان سائداً يومئذ بتونس. قال الشيخ محمد بيرم الرابع(م - 13): «لما حدث المذهب الحنفي بتونس باستقرار الدولة التركية واتخذت القصبة دار ملك اقتداء بالملوك الحفصيين الذين كان استقرارهم بها اقتضى حالهم (أي الترك) أن رتبوا بجامعها الذي هو محل عبادتهم وإقامة صلاتهم أيمة من أهل مذهبهم، واستمر حاله على ذلك إلى يومنا هذا، ولكونه جامعاً ملوكياً ثبتت له مزية استفادة الأوقات منه ليلاً ونهاراً، والذي يظن ظناً قريباً أن تحويله إلى الحنفية بعد الفتح العثماني بقريب من اثنتي عشرة سنة، والموجب لهذا الظن أن منبره الموجود الآن مكتوب عليه تاريخ وضعه وهو سنة 992 [1584] ويذكر أن المنبر القديم كان من الخشب كما هو المألوف في جوامع المالكية بتونس، فلما حول صنع له ذلك المنبر من الحجر كما هو الرسم في منابر الحنفية»اهـ.

ولم نقف بالضبط المدقق على من تولى الخطابة به أولاً من الفقهاء الحنفية، والغالب على الظنّ حسبما يستفاد من كتب التراجم الحنفية، أن أول خطبائه الحنفيين هو الشيخ محمد بن مصطفى قارة خوجة شهر برناز. وممن تولّى الخطابة به في ذلك الزمان الشيخ مصطفى الإزميري، والشيخ محمد البيك. وبعضهم يقول إنه أوّل خطيب حنفي به، ثم الشيخ عبد الكريم الحنفي، فالشيخ باكير التركي، فالشيخ محمد الدهماني، فالشيخ عبد الكبير قورصو، فالشيخ عمر زبدة، وكانت ولايته على عهد الباي حمودة باشا، فالشيخ حسونة التركي، وكان جميل الخط، كتب نسخة كاملة من تفسير أبي السعود، ذكر في آخرها أنه نسخها بالمدرسة الباشية. قال في رسالة الخطباء والأيمة: «كان هذا الفاضل خفيف الروح، حلو المحاضرة، يجيد نظم الشعر» ثم نقل له أبياتاً من منظومة خاطب بها



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

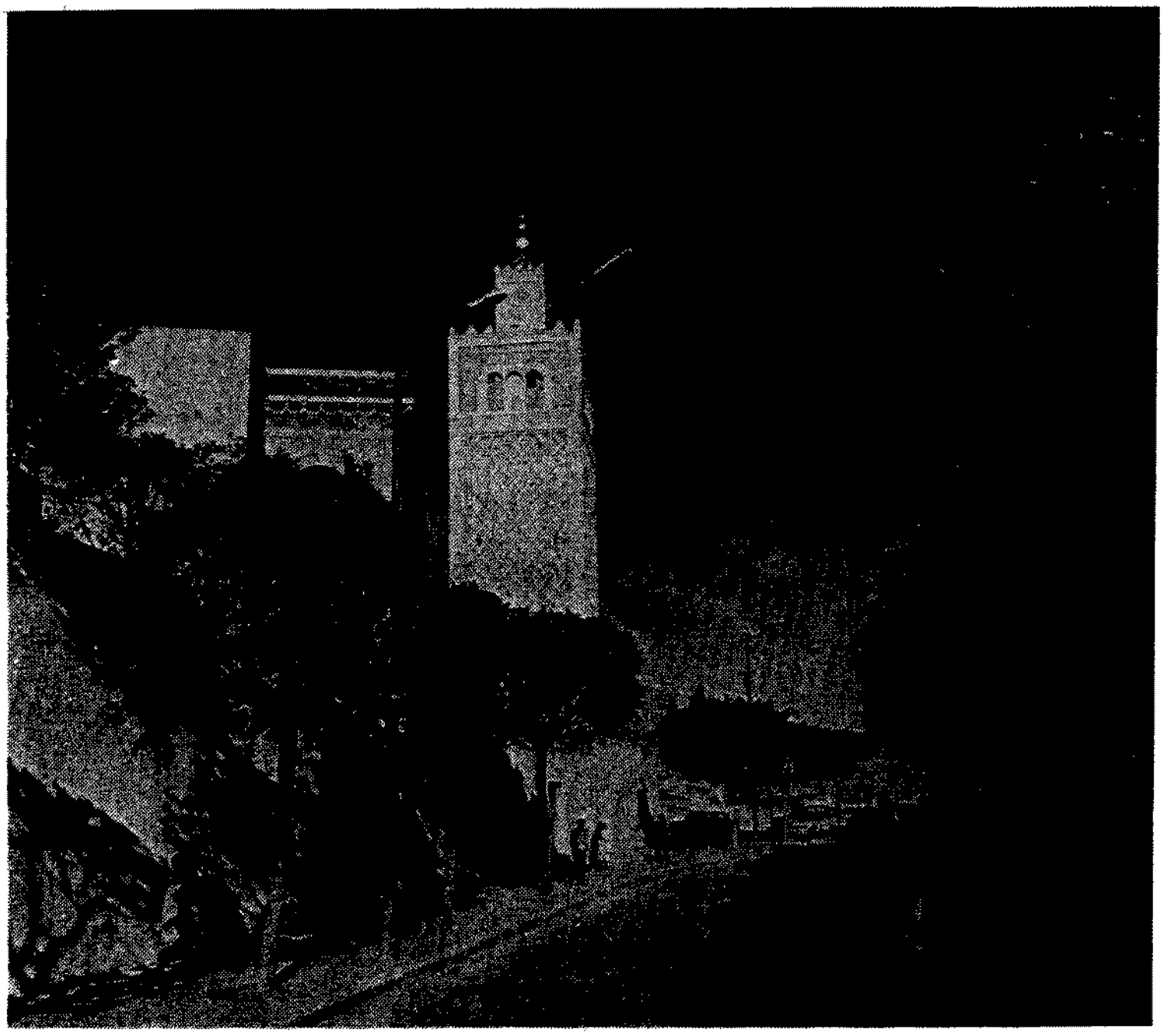

جامع القصبة بالعاصمة، وهو أعلى المساجد بها موقعاً، فلذلك كان ـ ولا يزال ـ يعطي الإشارة إلى بقية المآذن بمواقيت الصلاة والإفطار.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

صديقه الشيخ محمد بيرم الثاني، حين استدعاه إلى الخروج معه لبعض المنتزهات، فتخلف، وراسله معتذراً بقوله:

يا مقيماً بمهجتي وفؤادي وأنيسي بكل وقت ونادي
إن تأخرت عنكم بعض يوم عاقني الدهر عنكم بالبعاد
فبطيف الخيال منكم أنيس وعليه في كلّ حين اعتمادي
أنت في الناس ملجأ وملاذ وبكم يقتدي جميع العباد
أسأل الله أن يكون لطيفاً بكم دائماً ليوم التنادي
بنبي الهدى وبالاطرا وبجاه الصحابة الأسياد

وهذه الأبيات أجابه عنها الشيخ الثاني بقوله:

يا حبيباً أسكنته بفؤادي وله قد بذلت صفو ودادي
قد أتاني منكم قريض يحاكي نظم در في عقد نحر الغوادي
منبئاً عن مودة وإخاء وولاء وعن جميل اعتقاد
ليس فيه عيب سوى أن قنعتم بخيال عن وصلة الأجساد
لا أرى ذاك في المحبة رأيا حسبما قادني إليه اجتهادي
حاطك الله بالكلاءة منه وأرى للجميع وجه الرشاد
بنبي الهدى الذي لاح بدرا فائقا كل كوكب وقاد
فعليه السلام ما غنّت الور ق على غصن دوحها الميّاد
وعلى آله الكرام وصحب من على حبهم كبير اعتمادي
واعذرني فيما نسجت فلولا برقكم لاح ما قدحت زنادي

توفي رحمه الله سنة 1222 [1807] في رمضان، ودفن بمقبرة السلسلة[1] وحضر الباي جنازته وورث عنه خطة الخطابة بجامع القصبة

(1) هي أقدم مقابر تونس، رأيت بجهة منها ثلاث طبقات من القبور معتلية فوق بعضها بعضاً، ورأى غيري ممن أثق بروايته أربع طبقات منها ما يرجع للمائة الخامسة وقد باشروا في السنين الأخيرة نقل رفات موتاها لمقبرة الزلاج، من ذلك قبر المرحوم قاضي الجماعة الشيخ =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

قاضي الجماعة الشيخ مصطفى دنقزلي وهذا الفقيه هو جدّ سميه الوزير أبي النخبة مصطفى دنقزلي المتوفى سنة 1345 [1926] ثم انتقلت خطابة الجامع المتحدث عنه لجماعة آخرين من فقهاء الحنفية، منهم الشيخ محمد عباس، تولاها في سنة 1250 [1834] واستقرت في عقبه إلى هذا الزمان.

بقي الكلام على العَلَم الأبيض الذي ينشر من صومعة جامع القصبة تنبيهاً لمؤذني بقية الجوامع بدخول وقت الصلاة، واختصاص هذا الجامع بنشر ذلك العَلَم له سببان فيما يظهر، فأولاً لتلبسه بالصبغة الملكية التي أشرنا إليها فيما تقدم، وثانياً لارتفاع موقعه الذي هو أعلى بقعة بمدينة تونس، فكان هو المتعين لاستدعاء المؤذنين للنطق بحي على الصلاة. ويكون ذلك بنشر علَمٍ أبيض، وهو شعار الدولة العباسية بعد إبطالها للسواد. وللأذان بصومعة القصبة موقتون من ثقات المسلمين يتولون خطة التوقيت بتذكرة ملكية لما لها من الاعتبار في أنظار المسلمين. وهذه الخطة صارت عن جدارة واستحقاق وقفاً على آل بيت الفياش، من بيوت المجد بتونس. ولما وقع بناء المدرسة الصادقية الجديدة في سنة 1315 [1897] وكانت في صعيد واحد مع جامع القصبة، وتكاثرت من جهات أخرى الأبنية ذات الطبقات المتعددة والمتعالية بتونس، احتجب عَلَم صومعة جامع القصبة عن عيون مؤذني بعض الصوامع الأخرى، فتداركت ذلك جمعية الأوقاف في عهد رئيسها المصلح أبي السرور السيد البشير صفر، برفع صاري العلم وجعله لجانب جامور الصومعة كما هو الآن، وبسبب ذلك حصل له ارتفاع بنحو عشرة أذرع زال به المانع المذكور، والله المدبّر لكلّ الأمور.

وبقي بمحفوظي أنه وقع أيضاً لنحو أربعين سنة فارطة إجراء النظر

---

= مصطفى دنقزلي بحيث لم يبق فيها اليوم من آلاف القبور التي كانت بها سوى أحد عشر قبراً بالعدّ الصحيح، كلّهم من آل بيت الهنتاتي.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

هل يتيسر إحداث تغيير خفيف بالزيادة والنقصان في مساحة ملاصقة للقشلة(م - 14) وتابعة لصحن هذا الجامع بطلب من إدارة الهندسة الحربية، وهي المناسبة الوحيدة التي سمحت يومئذ بدخول الكاتب العام(م - 15) بالدولة التونسية لصحن الجامع بصحبة رئيس الجمعية، ونائب الإدارة العسكرية، لبت نازلة التغييرات المشار إليها، لأن العادة جرت منذ احتلال فرنسا لتونس باحترام جوامع الحاضرة، لا يدخلها غير المسلمين. ولقد حاول بعضهم العدول عن هذه القاعدة لنحو عشرين سنة ماضية، وسعى في فتح الجوامع للسواحين في ساعات معلومة من النهار، فلم تسعفه دولة الحماية بذلك، مراعاة لما تعهدت به من احترام الديانة الإسلامية ومعابدها. ولقد أتيح لي الكلام في تلك المناسبة بمشاركة بعض أهل النظر من التونسيين، فقلنا للكاتب العام إن جوامع تونس ليست كجوامع البلاد الشرقية ليس بها ما يفيد السواحين من الآثار والنقوش الغريبة، إذ هي كلها ذات أبنية عربية بسيطة عدا جامع سيدي محرز الممتاز بقبابه المرتفعة، وهذه يشاهدها الإنسان من خارج الجامع بطريقة أفيد للنظر مما لو كانت مشاهدتها من الداخل، وعدا جامع صاحب الطابع المحتوي على أشغال جميلة من النوع المعروف بالنقش حديدة، وهذه الأشغال يمكن مشاهدة ما هو مثلها أو أحسن منها ببعض بيوت سراية المملكة، وبديار بعض الأكابر في تونس، فقال كلامكم هذا غير مقنع لأنكم نظرتم للمسألة من الوجهة الفنية وحدها، والأبنية لها وجهتان فنية وتاريخية أو حسية ومعنوية، ولكن يكفي أنكم غير راضين بفتح معابدكم للصادر والوارد، وليس عليكم في ذلك من جناح، ثم طوى بساط الحديث، وانفصلت النازلة ببقاء ما كان على ما كان. وهذا الجامع ينعقد به ختم الحديث في الثامن والعشرين من شهر رمضان.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## ـ 2 ـ

# جامع القصر

خطبته هي العاشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس، وإمامه في هذا الزمان الشيخ علي بن الخوجه المفتي الحنفي.

المشهور أن هذا الجامع كان كنيسة[1] عند الفتح الإسلامي، وهذه الشهرة مستفادة من التواتر، والتواتر يفيد القطع. قال في رسالة التراجم المهمة للخطباء والأيمة المشار لها في مقدمة الكتاب: «اعلم أن الذي يتناقله خلف أهل هذا البلد عن سلفهم سبقية هذا الجامع على الفتح الإسلامي، ويشهد لصحة ذلك أمور، منها: عدم تعرض المؤرخين التونسيين لبانيه فيما وقفنا عليه، ولو كان من أهل الإسلام لذكروه، ناسبين إليه مكرمة إنشائه كما هو صنيعهم في غيره، إذ مثل ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله، ومنها أن محرابه مخالف في الشكل لجميع المحاريب إذ هو أقلها مسافة فيما بين الواقف بطرفه وبين القبلة، فدل ذلك أنه ليس من

---

(1) كنيسة معرب من Ekklésia في اليونانية، ومعناها مجمع في العربية، وهو متعبد النصارى في ملتهم، ينسبون تأسيسه للمسيح عليه السلام. وقد عرف بها شهاب الدين الخفاجي تعريفاً حسناً أوفى بالمقصود مما جاء في حقها بقاموس الإمام الفيروز ابادي حيث ذكر أنها لفظ معرب من كليسيا كما هو أصلها في اليونانية ومثله في اللاطينية باختلاف في الرسم دون النطق، ولم يتعرض لها صاحب القاموس إلا بقوله: والكنيسة متعبد اليهود أو النصارى أو الكفار اهـ بحيث يتوهم القاريء أن لفظها عربي لا معرب، ويلوح أن شيخ الإسلام الخفاجي (توفي سنة 1069 [1658]) أحسن ضبطها بالتحقيق، لما كان له من المعلومية بالأنظمة الشرقية الموجودة في زمنه حيث كان قاضي عسكر بمصر بعد دخولها في طاعة السلطان سليم خان الأول. ومعلوم أن السلاطين من آل عثمان قرروا رعاياهم المسيحيين على ما كانوا عليه من التراتيب في أنظمة القسوس والرهبانية، وكان للروم في ذلك الزمن كرسي رسولي بالإسكندرية والروم، هم اليونان. وقد رأيت في بعض متون المالكية استعمال لفظ الأساقفة مكان الرِّبِّيين والأحبار في مسألة تنازع طائفة من اليهود فيما بينهم، فبعضهم: «دعا لحكمنا وبعضهم دعا إلى أساقفتهم فليدفعا». وصاحب القاموس يقول إن الأسقف هو الرئيس الديني للنصارى وجعل درجته فوق القسوس وتحت المطران.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الرسم الأصلي، بل هو منحوت من عرض الحائط، ولو كان موضوعاً وضع المساجد من أوّل الأمر، لكان محرابه على الهيأة المألوفة في غيره من العمق المناسب، ومنها إحكام بنائه إحكاماً زائداً، بحيث يشاكل ما هو مقطوع بأنه من بناءات الجاهلية. ولقد شوهد أثر هذا الإتقان في هاته المدة (عصر المؤلف) لما تعلق الغرض بفتح منافذ في بعض حيطانه للضوء وغيره، فلم يتيسر الوصول إلى المراد منها إلا بعد جهد جهيد»اهـ قلت: يوجد به غير ذلك من الأدلة التي تحمل على الظنّ بأنه كان في أصله كنيسة، وهو أن الكنائس بتونس في عهد الروم كانوا يبنونها بشكل مربع كمساجد المسلمين. قال في كتاب حسن البيان(م - 16) «وكنائسهم على شكل مساجد العرب بإفريقية مربعة بقسي مقامة على السواري المرمرية ملبسة ومفروشة بالغاشاني والفسيفساء»اهـ قلت: لعلهم كانوا يقصدون بذلك التحاشي من أن ينفرها أهل البلاد طمعاً في استجلابهم إليها ولا سيما البرابرة الذين هم حديثو عهد بالإسلام. وهنالك علامة أخرى ترجح كون جامع القصر كان كنيسة، وهي كيفية تراكيب بعض أقواسه في ثلاث طبقات بوضع شبيه بما في كنائس النصارى كما يشاهده الناظر بصحن الجامع من جهة بطحاء القصر[1] ويذكر بعضهم أن جداراً بالجامع اشتمل على حجارة منقوشة بالخط اللاطيني، حجبها الكلس بتوالي السنين ولكن هذا لا يفيد أكثر من ترجح كون ذلك الجدار احتوى على حجارة من بقايا الرومان كما يشاهد ذلك بغير ما مكان. وهذه صومعة جامع عقبة بن نافع[2] بالقيروان

---

(1) بطحاء القصر حديثة الوضع أقيمت مكان مقبرة دارسة في أوائل هذا القرن، كان بها تربة لقائد البحر قارة مصطفى وأعقابه، والقبة الخضراء(م - 17) الموجودة بها الآن المحتوية على جملة من الأضرحة قبورها عارية، بمعنى أنها أخذت حجارتها من بقايا قبور المقبرة الدارسة برضا أصحاب الحق فيها، ورتبت هنالك كأثر تاريخي عربي بمساعي إدارة الأنطكخانة، وموافقة المرحوم الشيخ محمد بن الطاهر محسن إمام جامع الزيتونة.

(2) يسّر الله لهذا العبد زيارة ضريحه في سنة 1356 [1937] بالبلد المنسوب إليه الواقع بصحراء بسكرة على نحو أربعين ميلاً من هذه المدينة، وكان الفضل في ذلك لشيخ العرب والزيبان =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

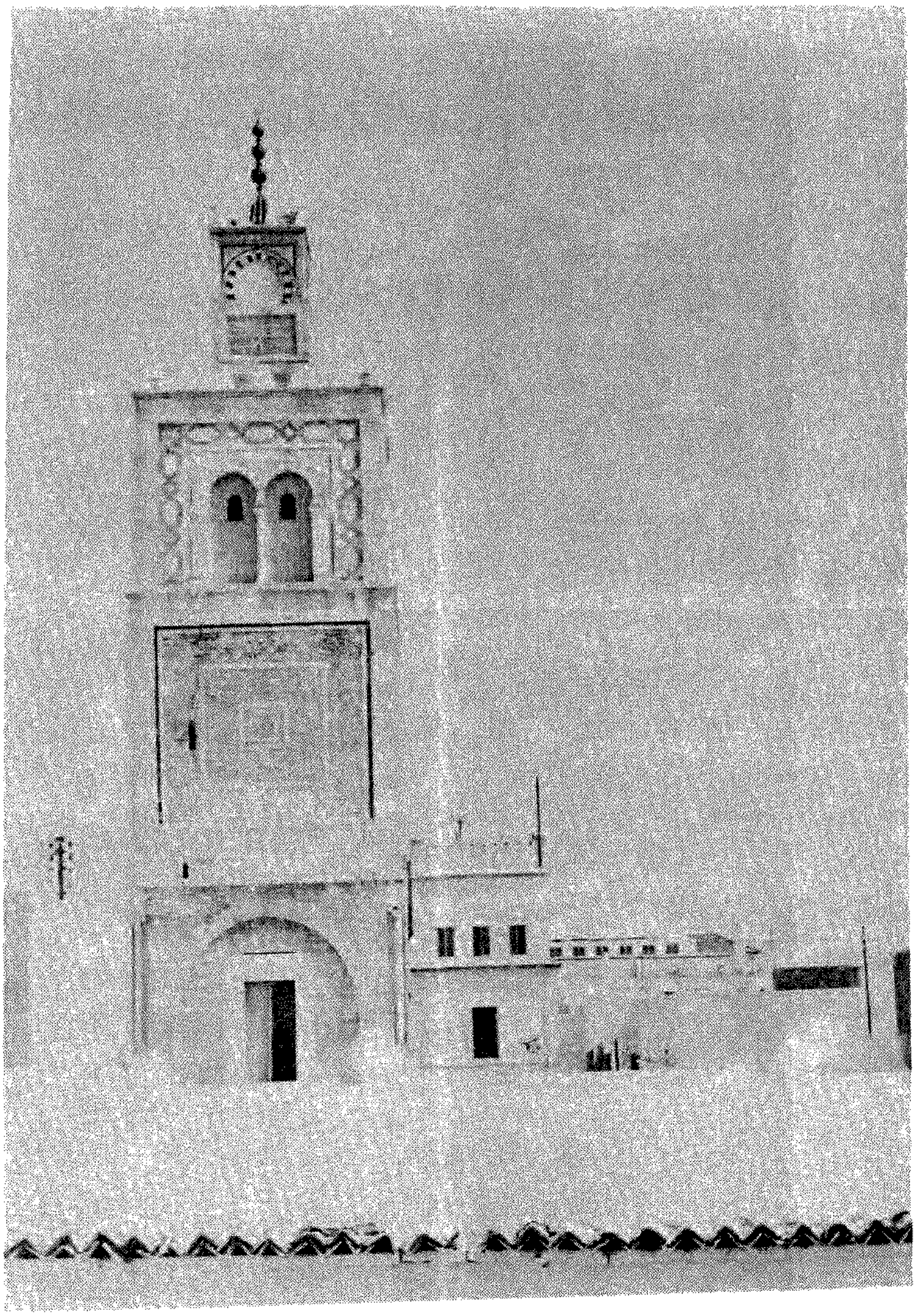

جامع القصر



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

اشتملت قاعدتها على حجارة كثيرة من النوع المتحدث عنه مما كان العرب يأتون به من خرائب سبيطلة لبناء الجامع المذكور الذي لم ينسبه أحد لغير عقبة رحمه الله ورضي عنه .

ومن المحتمل القريب أن تلك الكنيسة على تقدير ثبوتها، تناولها التلاشي في جملة الكنائس الكثيرة التي فشلت حركتها بإفريقية بعد أن انخضدت شوكة البربر وأعرضوا عن التّنصّر باستقرارهم في الإسلام بفضل انتشار الروح الإسلامية، ورسوخ سلطانها بإفريقية، لا سيما في عهد عبد المؤمن بن علي، فقد كان يحمل بيمناه مصحفاً، وبيسراه سيفاً، ولسان حاله يقول إما إلى جنة وإما إلى نار. وذلك العصر يوافق تضاؤل الديانة المسيحية بتونس. والأمر الذي لا شبهة فيه هو أن جهة هذا الجامع وما حواليها ظهر بها في المائة السادسة قصور بني خراسان من صنهاجة الثوار على آل باديس، ومنها القصر المنسوب له هذا الجامع، بناه أحمد بن عبد العزيز بن خراسان على ما حكاه ابن عذارى في البيان المغرب(م - 18)، وابن خلدون في كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر، وكانوا ينعتونه بالقصر الأعلى، يعني قصر الإمارة تمييزاً له عن بقية قصورهم الواقعة هنالك.

قال في الرحلة المسمّاة «عشر سنوات حول العالم» للرحالة الكبير أبي الثناء محمود خير الدين الحلبي الذي زار تونس في أواخر سنة 1350 [1931] ضمن كلامه على دولة بني خراسان، ومؤسّس بيتهم عبد الحقّ بن عبد العزيز بن خراسان: «وخلف من بعده ذرية صالحة، منهم أحمد، وكان مقداماً تخلق بأخلاق الملوك فأصبح الناس يقصدونه من أقصى الجهات»

---

= القائد الجليل أبي النجدة السيد بوعزيز بن كانة زعيم هاتيك الديار، ومن أشرق بها فضله إشراق الأقمار، وظهر ظهور الشمس في رابعة النهار. والضريح المشار إليه يحيط به الجلال في أكمل معانيه يحمل زائره على التأثر العميق باعتبار أن عقبة بن نافع رضي الله عنه هو الذي نشر الإسلام بإفريقية. وتوجد على باب الضريح عبارة بسيطة نصّها «هذا ضريح عقبة ابن نافع رحمه الله» مكتوبة بالخطّ الكوفي قبل تهذيبه.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

إلى أن قال: وفي هذه المحلة يقوم الجامع الكبير الذي أنشأه بنو خراسان(م - 19) على أنقاض كنيسة رومية اهـ ويلوح أن أبنية الوكالات، ودار الباطان، والبيوت المعتلية عليها، الموجودة لهذا الزمان ربما كانت بقية من ديار ودواوين بني خراسان، وأن القصر الأعلى الذي هو قصر الولاية، هو سراية القائد السامي للجيوش الفرنسوية في هذا الزمان(م - 20)، وذلك بعد أن تناوله التهذيب والتنسيق في الأزمنة المتأخرة، ولا سيما في عهد الوزير حسين المنسوبة له تلك الدار[1] وعلى مقربة من الجامع والأبنية المتحدث عنها مقابر ينسبها التواتر لبني خراسان، والجامع نفسه به قبور قديمة تلاشى بعضها وبقي منها قبر بصحن الجامع منقوش عليه هذه العبارة: «كل نفس ذائقة الموت(م - 21) هذا قبر يعقوب بن يوسف بن سعيد ابن الحسين بن

(1) كان يسكنها الوزير إسماعيل كاهية، من رجال دولة علي باي الثاني بن المولى حسين بن علي تركي في أواخر القرن الثاني عشر، وكانوا يسمّونها في أواخر القرن الماضي دار العشرة، نسبة للعشرة أعيان الذين تكونت منهم لأول مرة هيئة المجلس البلدي بتونس عند إحداثه في سنة 1275 [1858] وأما حسين المضافة لاسمه هذه الدار في الزمن الحاضر، فهو أول رئيس للمجلس البلدي المذكور، أصله من الجراكسة جيء به صغير التونس وانخرط في سلك مماليك المشير أحمد باي، ونشأ ببلاطه، وتعلّم العربية مع بعض اللغات الأوروباوية بمدرسة الحرب بباردو، ونبغ في الكتابة بفضل امتزاجه ببعض أهل العلم والأدب من معاصريه، وفي السياسة بفضل المأموريات والرحلات التي قام بها بأوروبا وبالأستانة، وتدرج في الوظائف العالية إلى أن بلغ خطة مستشار للمعارف، ثم تقدم وزيراً للاستشارة ولكنّ الأقدار عاكسته في آخر حياته فجرّدته الدولة عن وظائفه كلها، وعن نياشينه من أجل الخسارة التي لحقتها بسبب عدم قيامه على ما يرضيها بالمأمورية التي أسندتها إليه للمناضلة عن حقوقها فيما لها من الدعاوى الثابتة المنشورة يومئذ لدى محاكم إيطاليا ضد القائد نسيم شمامة قابض ماليتها الأسبق الذي التحق ببلاد القرنة، ولم يقدم حساباته لسمو الباي عن مقبوضه ومدفوعه، وهذه القضية حفت بسببها ألسنة الأقلام، ونشفت المحابر، ومن متفرّعاتها مسألة نبذ نسيم المذكور للجنسيّة التونسية الأمر الذي لم يجزه الشرع الإسلامي، وإلى غير ذلك ممّا ليس هنا محله(م - 22). وفي مستهلّ هذا القرن خصصت الدولة الدار المتحدث عنها لنصب دواوين القائد الأعلى للجيوش الفرنسوية الذي هو نفسه وزير الحرب بالدولة التونسية وهي ذات طبقات علوية وسفلية، فالعلوية معدّة لسكنى سعادة القائد الأعلى، والسفلية خاصة بدواوين وزارته، وتحتوي على صحن فسيح موشى الجدران بتخاريم النقش حديدة البديعة التي لم ينسج بعدها على منوالها وبوسط هذا الصحن مدفع تاريخي كأسد رابض.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

يوسف رحمه الله توفي عام سبعة وعشرين وستمائة عفا الله عنه»اهـ كما توجد قبور أخرى ببعض البيوت الملحقة بالجامع، مما لا سبيل لذكرها هنا خوف الخروج عن الموضوع. والمقصد الأهم من هذه المقدمات هو دفع شبهة اغتصاب المسلمين للكنيسة المزعومة لجعلها جامعاً إسلامياً، لأن جميع التواريخ التونسية لم تتعرض لـذلك رغم بسـطها لحـوادث الفتح الإسلامي، وما حصل يومئذ من الكفاح بين الـروم نزلاء تـونس، وبين المسلمين الفاتحين لها. يؤيد ذلك كون الشريعة الإسلاميـة وتعاليمهـا، جاءت ناطقة بالتسامح الواسع نحو أهل الأديان الأخرى. وأنت تعلم ما أوصى به الخليفة الأول سيدنا الصديق عساكره من عدم التعرض بسوء لأولئك الرهبان المتعبدين بالصوامع، إذ قال لهم في جملة ما أوصاهم به «دعوهم وما انقطعوا إليه» ومهما كان الحال، فجدار الجامع المحتمل أنه بقية من كنيسة مسيحية، يكون على تقدير صحّة ذلك مما شهد عبادة الله في النصرانية والإسلام. والشيء الذي أثبته التاريخ هو أنّ جامع القصر كان موجوداً في المائة السابعة وما قبلها بعنـوان مسجد للصلوات، تقـام به الشعائر على قواعد المذهب المالكي. قال في كتاب مناقب الأولياء وبيان تربـاتهم ومزاراتهم للشيخ أبي الحسن علي الهـواري من فضلاء القـرن السادس وأدرك القرن السابع واجتمع بالشيخ سيدي أبي سعيـد الباجي المتوفى سنة 628 [1230]: ومن جبلي جامع القصر بداخل مدينة تونس قبر الشيخ الصالح العابـد أبو صـلاح اهـ وقال في تـاريخ الـدولتين للفقيه الزركشي(م - 23): وفي سنة 733 [1332] توفي الشيخ الفقيه العالم أبو إسحق ابن عبد الرفيع، قاضي الجماعة بتونس، من بيوتات التونسيين، ودفن بدار أعدها لدفنه قرب جامع القصر الأعلى اهـ قلت: هذه الدار، وما احتوت عليه من الضريح، ما زالت موجودة لهذا الزمان، وهي واقعة بين جامع القصر وبين دار المرحوم قاضي الجماعة الشيخ محمود بن محمود. ويؤيد عندي وجود جامع القصر في المائة السادسة، كونهم اتخذوه علامة في المائة السابعة يحيلون عليها الحوادث التي يريدون تسجيلها كما تقدم ذكره في التعريف بقبر



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الشيخ أبي صلاح، ولأنه لا يعقل أن قصر الولاية في أيام بني خراسان (من أواخر المائة الخامسة إلى أواسط المائة السادسة) لم يكن بجواره مسجد لإقامة الصلوات الخمس دون الخطبة، لأن المذهب السائد بتونس في ذلك الزمان هو المذهب المالكي الذي لا يرى تعدّد الجمعة في المصر الواحد، فكان جامع الزيتونة إذ ذاك هو جامع الخطبة الوحيد بالمدينة، وما وقع إحداثه من جوامع الخطبة في تونس قبل الفتح العثماني، كانت مواقعها بالأرباض التي يعتبرها أهل المذهب المالكي مدناً مستقلة بذاتها، عدا جامع القصبة الذي هو من متممات مركز الإمارة في الدولة الحفصية، ناهيك أن العامة كانوا لا يأتونه لأداء صلواتهم لوقوعه داخل القصبة التي هي دار الحكومة. قال الشيخ محمد بيرم الرابع في رسالة التراجم المهمة للخطباء والأيمة: «كان جامع القصبة جامع دار الملك لا يتجشم الوصول اليه كل أحد احتشاماً للأبهة، ورعياً لحمى الملك أن يدنس بكثرة التطرق»اهـ فلما ثبتت من الدولة العثمانب قواعدها بتونس باستقرار أربعة آلاف من العساكر الإنكشارية وجميعهم من أهل المذهب الحنفي، لزم بحكم الضرورة إيجاد جامع حنفي تقام به الجمعة على قواعد المذهب النعماني، وربما تطاولت الأعناق يومئذ لتحويل خطبة جامع الزيتونة لمذهب أبي حنيفة، وكثر الأخذ والرد بين فقهاء المذهبين وبالآخرة استقر رأي الجميع على إبقاء جامع الزيتونة للمالكية مراعاة لكبره وكثرتهم كما تقدم خبره عند الكلام على الجامع الأعظم أدام الله عمرانه. واختير أن يكون جامع القصر جامع خطبة للحنفية، وتم ذلك في أواخر المائة العاشرة قال الشيخ محمد بيرم الرابع: «وبالجملة فإمامة الحنفية تقريباً كانت على رأس الألف أو قبلها بيسير»اهـ ومنه يستفاد أن جامع القصر كان جامع خطبة حنفية في أوائل القرن الحادي عشر. ولقد أطلعني بعض الشيوخ على ما يفيد وأن تحويله لجامع خطبة حنفية كان في حدود سنة 1032 [1622] وهذه الرواية ربما أيّدتها صومعة هذا الجامع حيث أنشأها أمير حنفي، وهو الدّاي محمد لاز على مقربة من ذلك التاريخ، وقد جاء بناؤها بطريقة شاذة لا


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

قاعدة لها في فن هندسة البناء، لأنهم بنوها فوق سطح بيت الصلاة لا أساس لها، وإنما هي قائمة على جدار البيت الذي يبلغ سمكه لنحو خمسة أذرع، وعبارة التاريخ المنقوشة على واجهتها هي هذه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إنما يعمّر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش إلا الله أولئك أن يكونوا من المهتدين(م - 24). وبعد: فقد جرى بناء هذه الصومعة على يدي الحاج الناسك المقدس محمد داي حفظه الله تعالى، سنة سبع وخمسين بعد الألف»اهـ. ويستفاد من كتاب المؤنس(م - 25) أن هذا الداي كان يسكن جوار جامع القصر على مقربة من مقبرة بني خراسان.

ومن جميع ما تقدّم ذكره، ومما ألحقته بهذه النبذة بعد انتهاء تحريرها، يتّضح أنّ خطبة جامع القصر، هي العاشرة في سلسلة عموم جوامع الخطبة بتونس، والثانية في سلك خطب الجوامع الحنفية. وقد رأيت بخطّ الشيخ الوالد أن من أيمّته في المائة الثامنة الشيخ عبد العزيز بن معطي، العالم المشهور، وكان الناس يتزاحمون لسماع درسه ومات ابن معطي سنة 837 [1433] ورأيت بهامش[1] بعض الكتب المخطوطة، أن العارف بالله الشيخ محمد البشير الزواوي كان يقرىء تفسير ابن الفرس بجامع القصر في أوائل القرن الماضي، وكان العارف بالله الشيخ محمد بن ملوكة يأتي من بعيد لحضور صلاة الجماعة بهذا الجامع، ويقول إن نفسه ترغب في الصلاة به، لفضيلة عتقه، وأول من تولى إمامته من الجماعة الحنفية، الشيخ محمد بن أحمد أفندي الشهير بالقصري، ترجم له في كتاب بشائر أهل الإيمان(م - 26)، وقال إنه كان يحسن التركية والفارسية، جميل الخط بعدة أقلام، يعني من نسخي، وكوفي، وثلث وأعجمي، وتعليق، وغير ذلك من الخطوط. تولى قضاء الجماعة، ثم ارتحل إلى

---

(1) سأل بعضهم الشيخ أبا بكر الخوارزمي ساعة احتضاره أيّ شيء كان يروق له في حياته ولا أحسن منه في نظره، فأجاب: النظر في هوامش الكتب.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الآستانة، وتقدم هنالك للخطابة، وخطب بها بمحضر السلطان إبـراهيم خان. قالوا إنه إذا خطب أوتي مزماراً من مزامير آل داوود، ثم عاد لتونس وباشر الخطابة بجامع القصر، وتوفي سنة 1093 [1682] ودفن بهذا الجامع. ويستفاد من رسالة الأيمة والخطباء للشيخ محمد بيرم الرابع، أن الإمامة والخطابة بجوامع تونس كانتا خطتين مستقلتين عن بعضهما بعضاً، وقلّ أن يجمع بينهما لشخص واحد. قلت: إن الجمع بينهما صار قاعدة مطردة من عهد دولة المشير محمد الصادق باي إلى هذا الزمان، لأن تبدل الأوقات بارتفاع أسعار المعاشات، وتماديها على النمو بطريقة متبعة، اضطر الدولة لمراعاة تلك الحال، باعتبار عدم كفاية الجرايات الموقوفة على كل واحدة من الخطتين للقيام بضروريات متوليها، فأضافت مدخول هذه لهذه، وجمعت بين الخطتين في الولاية، وبالتالي زيد في مرتبات أيمة الجوامع على نسبة مختلفة من فواضل عموم الأوقاف مراعاة للزمان والمكان. وبديهي أن كان الحظ الأوفر في تلك المرتبات لأيمة جامع الزيتونة، لأنه الكعبة المقصودة، والضالة المنشودة. وقد ترجم الشيخ محمد بيرم لجماعة من أيمة جامع القصر، منهم قاضي الجماعة الشيخ أبو العباس أحمد بن مصطفى الطرودي، وهو أول من تولى خطيباً بجامع باردو بأمر المولى حسين بن علي تركي، مؤسّس الجامع المذكور. ومنهم الفقيه المشهور الشيخ أبو عبد الله محمد الشهير بحمودة باكير، وكان يجيد نظم الشعر الرقيق، كانت له أشعار كالأبكار، منها لما غزر شيبه:

وقائلة مالي أرى منك لحيةً  علاها بياض كيف زال سوادها
فقلت لها طار اللهيب من الحشا  فأحرقها غماً وهذا رمادها

توفي في ذي الحجة سنة 1230 [1814] ودفن بمقبرة الزلاج، وحضر جنازته المولى حمودة باشا وتبرك بحمل نعشه.

ومنهم العلامة الأديب أبو الثناء الشيخ محمود باكير ابن الفاضل


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

المتقدم وكان كأبيه يحسن نظم الشعر الفائق، من ذلك قوله مشيراً لبعض معاكسات الزمان:

لعل زماني بعدما جار أنصفا ورام وصالاً بعد أن كان قد جفا
وكدر لي عيشي سنين تطاولت وأحسبه بعد التكدر لي صفا
وكل فتى وافى له السعد كاملاً وسعدي أتى من عكس دهري منصفا
ولي موعد في نيل ما رمت صادق لمن لا يرى في وعده قطّ أخلفا

تولى القضاء والفتيا، وتوفي سنة 1267 [1850].

وتولّى خطابة جامع القصر من العترة البيرمية الشيخ محمد بيرم الرابع، وهو من أشهر الشيوخ الحنفية بتونس في القرن الماضي، جمع بين السيادة العلمية وبين الدرجة العلية في الأوساط الدولية، لما كان له من القرابة والحظوة بالبلاط الحسيني. فكان أوّل العلماء تداخلاً في أحوال الدولة بالمشاركة الفعلية في إدارة المهمات والشؤون، وكان الفقهاء قبله في صفّ، والدولة في صفّ آخر، لا يشاركونها في سياستها إلا بقدر ما تدعو إليه الضرورة، فأوجبت تطورات الزمان تشريك أهل العلم بالنظر في الأحوال العامة، ونسمّي ذلك الزمان بعصر التجديد، لأن جميع التطوّرات التي حدثت بعده كان لأهل العلم يد فيها، لا سيما في مدة المشير محمد الصادق باي، على عهد وزارة الإصلاح الخيرية[1].

ثم انتقلت إمامة هذا الجامع وخطابته لبيوت أخرى من فقهاء الحنفية، منهم آل برناز[2] وآل برتقيز، وآل الستاري، والأبي، وغيرهم.

---

(1) احتوت مكتبتنا على وثائق كثيرة قديمة وحديثة في خصوص علاقة أهل العلم بأهل الدولة قبل الحماية وبعدها وربما عدنا فيما يستقبل من اليوم لجمعها وترتيبها ونشرها في رسالة لا تخلو من فائدة في هذا المقام.

(2) قال في رسالة تراجم الخطباء والأيمة إن معنى برناز كبير الأنف في التركية. قلت: من عادة الأتراك انهم ينعتون الأشخاص بالشيء الذي انفردوا به كما في قولهم طوبان يعني أعرج، وهو لفظ فارسي دخل في الاستعمال بتونس على طريق الترك. وفي تونس ينعتون الرجل =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ودخلت واستقرّت من نحو جيلين في البيت الخـوجي رحم الله السلف وبارك في الخلف.

هذا وينعقد ختم الحديث بجامع القصر في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان وقد جرت العادة في البيت الحسيني من أواسط القرن الماضي أن متولي كرسي الملك منهم لا يحضر ختم الحديث بهذا الجامع. قالوا: إن سبب ذلك هو أن المرحوم الباشا حسين باي الثاني(م - 27)، كبا به فرسه عند باب الجامع وهو قادم بنية حضور ختم الحديث به، فتشاءم من ذلك، ونسج أخلافه من بعده على منواله إلى هذا الزمان. هكذا سمعت من بعض الشيوخ الماضين والعهدة عليه.

بعد الفراغ من تحرير هذه النبذة وقفت على ما يفيد وأن جامع القصر صار جامع خطبة في سنة 1008 [1599] قال في كناش للعلامة القاضي الشيخ عمر المحجوب ما نصه: «مما وجد مقيداً برسالة مسماة بالاقتداء بالمخالف لبعض الفضلاء:

الحمد لله في سنة ثمان بعد الألف من الهجرة النبوية وقع بتونس تكلم في أن اقتداء الحنفية بالإمام المالكي مبطل لصلاتهم، وخاض الترك في ذلك خوضا كبيراً لزعم بعض فقهائهم ذلك، وطمعوا في أن يكون إمام جامع الزيتونة حنفيا، وكان إمامه الشيخ الفقيه الإمام سيدي أبا عبد الله محمد البكري بن الشيخ الصالح البركة سيدي أبي بكر العثماني حفظهما الله تعالى وأدام بركتهما للمسلمين ونفع بهما وبأسلافهما الى يوم الدين،

---

= البرناز بلفظ خشمون وكان أحد الأمراء الحفصيين خشموناً، ومن معاصريه بعض العلماء المشهورين بالتنكيت، فكان إذا دخل على الأمير يقول له السلام عليكما، يعني الأمير وأنفه، ويموّه على صاحبه بأنه حيّاه تحية مثناة إجلالاً لقدره تعود منها تحية إليه بصفته رجلاً من المسلمين والأخرى بصفته أميراً للبلاد، وما هي إلا خدعة عادت بالوبال على صاحبها عند حلول ساعته، وفي المثل سلامة الإنسان في حفظ اللسان(م - 28).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وذلك في ولاية الباشا المعظم الأرفع أبي العزّ خضر[1] أيّده الله ونصره ولم يوافق على ما طمعوا فيه وأشار لهم ببناء جامع القصر قرب باب المنارة لتؤسّس به خطبة لهم ويصلّون فيه، واستفتي في المسألة بعض فقهاء العصر، فأجاب كل بصحة الاقتداء بأيمة المذاهب الأربعة وأتوا بنصوص السادة المالكية رضي الله تعالى عنهم في كتبهم المعلومة، فقال الشيخ سيدي أبو بكر حفظه الله: وددت أن لو كان جواباً يتضمّن نصوص أيمة المذاهب الأربعة في المسألة ليكون حجة على القائلين بالبطلان من مذهبهم، وأمر سيدي محمد البكري حفظه الله بكتب سؤال ليكون الجواب فيه بما ود، فكتب سؤالاً نصه ثم ذكر السؤال والجواب، وقد اقتصرنا هنا على ما به الفائدة التاريخية، ومن التعبير ببناء فيما تقدم يتبين أن جامع القصر كان يومئذ خرباً فجدد الأتراك عمارته»اهـ.

ثم بعد هذا الملحق وقفت على دفتر مختوم بالشهادة العادلة في ضبط أحباس جامع القصر عن إذن الديوان المنصور بواسطة داي بلق باشي محفوظ اليوم بخزانة المكاتيب العامة بالدولة التونسية تضمن الكثير من تحابيس الدولة المرادية على جمّ غفير من بيوت العبادة والمدارس والمكاتب والزوايا بتونس وأعمالها (م - 31)، فإذا به مضمون مشهود فيه بالمطابقة لأصله، احتوى على جميع الموقوفات الموجودة في سنة مائة والف على جامع القصر من ذلك دار حبّستها على إمام الجامع الحرة قمر بنت عبد الله التركي مستولدة المنعم يوسف داي من المرحوم مصطفى التركي، من عساكر تونس، وقد استغرقت هذه الموقوفات نحو العشرين

---

(1) هذا الباشا لا وجود لذكره بكتب التاريخ المعروفة ولكنه ورد ذكره في بعض كتب المالكية كفتاوى الشيخ عظوم(م - 29). ويلوح أن حكمه بتونس كان على إثر الفتح العثماني بحيث يكون معاصراً لرمضان باي(م - 30) الذي هو أول من تقلب بالباي في تونس، وأما السنة 1008 [1599] فانها توافق بداية مدة عثمان داي الذي تقدم لخطة الداي في العام قبله. وكانت البلاد يومئذ في هرج ومرج والدايات يتقاتلون فيما بينهم للانفراد بالسلطة وكانوا أربعين دايا قال تعالى: لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا(م - 32). فما بالك بأربعين حاكماً في بلد واحد.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

صفحة في القالب النسخي الكبير أكثرها من تحابيس أهل الجالية التركية ذكوراً وإناثاً، وفيها جاء وصف هذا الجامع بنعت الأعظم مما يدل على أن الجماعة الحنفية لما حولوه من مسجد لجامع خطبة، اعتنوا به اعتناء كبيراً، وقد تقدم فيما أسلفنا الإشارة لكون الأتراك كانوا أصحاب عقيدة صميمة وتسابق للخيرات رحم الله السلف ووفق الخلف.

## ـ 3 ـ

## جامع يوسف داي(م - 33)

خطبته هي الحادية عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وإمامه في هذا الزمان الأستاذ الشيخ الطيب بيرم المفتي الحنفي.

هذا الجامع يسميه بعضهم جامع البشامقية[1] أسسه الأمير الصالح يوسف داي في سنة 1021 [1612] فهو أول جامع حنفي بني بتونس بعد الفتح العثماني. قال في بشائر أهل الإيمان للمؤرخ حسين خوجة: إن الدّاي المذكور اشترط في وقفية جامعه أن يكون خطيبه مفتي الوقت، وبذلك قال الشيخ محمد بيرم الثاني في شرح رسالة المفتيين ونص عبارته: «ويؤيد هذا القول دوران الخطبة في الجامع المذكور مع الفتوى وجوداً وعدماً اهـ»(م - 34) قلت: وهذه القاعدة جرى عليها عمل ملوك الدولة الحسينية وشذ تخلفها لعذر مراعاة لرسوخ قدم بعض بيوت العلم بمحراب هذا الجامع. ومن مشاهير أيمته الشيخ مصطفى بن عبد الكريم(م - 35) كان يقرىء به الجامع الصحيح للإمام البخاري دراية بشرح العيني؛ ويترجم الدرس باللغة التركية لمن لا يحسن العربية من تلامذته، ومثله المدرس

---

(1) جمع بشامقي، وهو صانع البشمق. وهذا اللفظ محرف عن بشماق في التركية وهو حذاء المرأة في البيت عندهم وعندنا بشكله المعروف، هو الحذاء الذي يلبسه الفقهاء اتخذوه في جملة الأزياء الخاصة بأهل العلم على عهد حكم الأتراك، ثم أضافوا له الرِّيحِيَّة وهي من أوضاع العرب ومن لبوس أهل العلم في المائة الثامنة وما بعدها.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الشيخ حمودة بن الخوجة، وهو ممن انتهى إليهم العلم في زمنه، كان يقرىء بهذا الجامع الفقه الحنفي، ويترجم درسه بالتركية في آن واحد، مع إقرائه بالعربية، مما يدل على أن اللغة التركية كانت بتونس كثيرة الرواج في زمن الشيخين، وعلى أنه لا حرج في ترجمة ما كان يعرض لهما في الدرس من الآيات والأحاديث، وبهذا قال علماء هذا العصر، ومنهم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر، فقد أفتى بجواز ترجمة القرآن للغات الأعجمية[1] لإشهار محاسن الإسلام بين الشعوب والأقوام، ووافق بعض الشيوخ المالكية بتونس على هذه النظرية وحبذوا كلام شيخ الأزهر، ولكنّهم لم يكتبوا في ذلك. أما المذهب الحنفي، فقد قال علماؤه منذ أزمان بجواز ترجمة القرآن للغات الأعجمية، وإذا جازت الترجمة باللسان، جازت أيضاً بالقلم، والحديث قياس.

وجامع يوسف داي كان ينعقد به ختم الحديث في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان قبل صلاة العصر، وكان الملوك الحسينيون في الأزمان المتأخرة يكتفون بحضور صلاة العصر بهذا الجامع، ثم يخرجون منها لحضور مجلس ختم الحديث بعد العصر بجامع الزيتونة، لأنه جرت العادة في البيت الحسيني أن لا يتخلفوا عن ختم الحديث بجامع الزيتونة إلا لعذر، فلما آلت الدولة للمولى محمد الناصر باي، التمس منه الشيخ أحمد بيرم إمام الجامع اليوسفي، أن يشرف بحضوره مجلسه لسماع ختم الحديث بالجامع المذكور، وأسعفه الباي بذلك، وتقرّرت من يومئذ العادة بحضور المولى الأمير ختم هذا الجامع. ومجالس الأختام تستدعي أحياناً وقتاً طويلاً يقضيه صاحب الختم في إقراء ما دونه من الأبحاث، وفي

---

(1) يوجد بمكتبتنا مصحف جليل وثمين مخطوط باليد بخطّ ثلثي بديع في القالب الكبير مترجم للفارسية سطراً بسطر وعبارة الترجمة مكتوبة بخط أعجمي، بالمداد الأحمر وتاريخ نسخه سنة 1141 [1728] وتجليده بصنع صيني غريب. وهذا المصحف الكريم اشتريته من رجل أرمني يتجر في التحف الشرقية بباريس.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

جامع يوسف داي



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الجواب عمّا يرد إليه من الردود من بعض مجالسيه من أهل العلم. ولما كان وقت الختم بجامع سيدي يوسف محدوداً بخروج وقت الظهر ودخول وقت العصر، أفتى الشيخ أحمد بيرم المولى محمد الحبيب باي بجواز تحويل ميعاد هذا الختم من يومه المسنون ليوم آخر من رمضان، فكانت هذه فاتحة التغييرات التي تناولت بالتالي جملة من مواعيد الأختام، ومن يومئذ تغيّر يوم الختم بالجامع اليوسفي، وهو في هذا الوقت ينعقد به في اليوم الثالث والعشرين من شهر رمضان.

ولنرجع للكلام على هذا الجامع، وبه قبر صاحبه رحمه الله، والأسواق التي حوله من مؤسساته، ففي بداية هذا القرن تناول صومعته الخراب، فأمر المولى علي باي بتجديد عمارتها كما كانت عليه، يعني مثمّنة على أسلوب الصوامع الشرقية لا مربّعة على أسلوب الصوامع الغربية، لأن بعضهم أشار على الجمعية بتجديدها على الشكل المربع اقتصاداً بالمصروف، فتمّ تجديدها على قواعدها الأصلية، ثم أعيد تجديد جامورها مرّة أخرى في عامنا الحاضر. وفي سنة 1345 [1926] فتح هذا الجامع للتعليم بعنوان فرع لجامع الزيتونة سمّوه الفرع اليوسفي نسبة لصاحب الجامع، وعلقوا بجداره الظهير الملوكي الصادر في ذلك[1] والمطرز بالأسباب الداعية لهذا التأسيس. وكانت ولم تزل إمامته بالبيت البيرمي يتوارثونها خلفاً عن سلف، منضمة لخطة الفتوى، وهم أهلها وساعدها الأقوى.

وبعد الفراغ من تحرير ما تقدم عثرت على نصوص تحابيس كثيرة جداً تبرع بها أهل الخير والمعروف من جالية الأتراك على هذا الجامع،

---

(1) احتوى الظهير المذكور على عبارات بليغة تضمنت تسجيل حسنة هذا التأسيس في صحيفة المولى محمد الحبيب باي بمساعدة الوزير م. لوسيان سان [Lucien Saint] (م - 38) المقيم العام للدولة العظمى الجمهورية الفرنساوية بتونس، وقد اثبتنا نصه بالنبذة المتعلقة بتدريس العلوم بجامع الزيتونة وفروعه فليرجع إليه.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

يستفاد من صريح عبارتها أنه كان في البداية مسجداً للخمس لا للخطبة، ثم إن مؤسسه يوسف داي حوله جامع خطبة في سنة 1041 [1631] وألحق به مكتباً لتعليم أولاد المسلمين القرآن، ومدرسة لتعليم العلوم الشرعية، وميضاة للوضوء، ورتب به إماماً، وراوياً لصحيح البخاري، وراوياً آخر لرواية المحمدية، وقراء السبع فيه، مع ختمة ذات ثلاثين سفراً أعدها للقراءة يوم الجمعة، وعين تسعة من قراء القرآن من العرب (كذا) يكون شيخهم أحدهم، يقرأون كل يوم بعد صلاة الصبح حزبين من القرآن عند المحراب، واشترط أن كل واحد من الراوين يروي ما نسب له روايته في رجب وشعبان ورمضان، ورتب قارئاً لسورة (الملك) بعد صلاة الظهر كل يوم، وآخر يقرأ سورة (عمّ يتساءلون) بعد صلاة العصر، كما رتب خمسة مؤذنين من الترك (كذا) واثني عشر مؤذناً من العرب (كذا) ومعرفاً بالمحفل عند صعود الإمام للمنبر يوم الجمعة، وقدر لجميعهم أرزاقاً جارية من النّواصر(م - 36) في كل يوم بشهادة الخطيب الإمام المفتي الشيخ أبي يحيى الرصاع، والفقيه المفتي الشيخ أبي القاسم البرشكي بتاريخ أواخر محرم فاتح شهور عام 1041 [1631]اهـ.

## ـ 4 ـ

## جامع حمّودة باشا(م - 37)

خطبة هذا الجامع هي الثالثة عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس، وإمامه الأوّل في هذا الزمان صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد بن يوسف شيخ الإسلام الحنفي.

هذا الجامع بناه الباي محمد ويدعى حمودة باشا بن مراد باي الأول، وهو نفسه مؤسس ضريح الصحابي سيدنا أبي زمعة البلوي بالقيروان، وكم له غير ذلك من المآثر الحسان، بتونس وبغيرها من البلدان، وجامعه هذا



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ملاصق لزاوبة ولي الله الشيخ أحمد بن عروس[1]. قال في رسالة الخطباء والأيمة الحنفية للشيخ محمد بيرم الرابع إن أول جمعة أقيمت بهذا الجامع كانت في شهر رمضان سنة 1066 [1655][2] وكان أول خطيب به المفتي الشيخ محمد الأزهري(م - 39)، وهذا الجامع من الأبنية الزاهية الناطقة بحسن النية، ولا خلاف في كون مؤسّسه هو مفخرة الدولة المرادية بشهادة التاريخ، وهو محطّ أفراح أهل تونس، لأنهم يتبركون بعقد أنكحتهم فيه، ولأنه يكثر به عدد المصلين لكونه مركزاً وسطاً بين أسواق المدينة، ولو أتيح لعرصاته النطق لأفادتنا بأنها شاهدت أغلب عقود أهل تونس، وأبقت النّزر اليسير منها لعموم الزوايا والجوامع الأخرى بالحاضرة. وقد اشتمل صحن هذا الجامع على تربة صاحبه وبها جوار قبره قبر حفيده الباشا محمد ابن مراد باي الثاني مؤسس جامع سيدي محرز، وهذه المقبرة ذات القبة الخضراء الجميلة، والواجهة المرمرية البديعة، معتبرة في جملة الأبنية التاريخية في برنامج الآثار العربية بإدارة الأنطكخانة. وقد امتاز هذا الجامع عن بقية الجوامع الحنفية بإمامين، أول وثان، ولايتهما بالأمر العلي، وفقاً لنص الواقف، وإمامه الثاني لهذا الزمان هو العلامة الفهامة المدرّس الشيخ الشاذلي بن القاضي، ورث الخطة عن أسلافه الأعلام أيمة الجامع من قبله. وهذا الجامع ينعقد به ختم الحديث في 17 رمضان، وهو من الأختام الثمانية التي يحضرها المولى الأمير أطال الله عمره.

---

(1) الزاوية العروسية من حسنات السلطان محمد المنتصر الحفصي وكانت وفاة الولي سيدي أحمد بن عروس في سنة 868 [1463] عن نحو تسعين سنة وكان من أجمل خلق الله ومن أكابر الصالحين، جاب البلاد في الطول والعرض، دخل لبلاد المغرب والتحق بمدينة سبته مسقط رأس عياض، وفيه يقول في جملة شعر ملحون له:

جميع البلاد شولت حتى لسبته الحصينة
أنا مثل بنزرت ما ريت الواد في وسط المدينة

(2) يستفاد من بعض الوثائق التاريخية المحفوظة بالخزنة العامة بالدولة التونسية أن التحابيس التي وقفها حمودة باشا على جامعه صدرت منه في موفى جمادى الأولى عام 1068 [1657] بشهادة الفقيهين الشيخ أبي العباس أحمد لفلوف، والشيخ أبي عبد الله محمد الأنصاري، شهر الرصاع.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

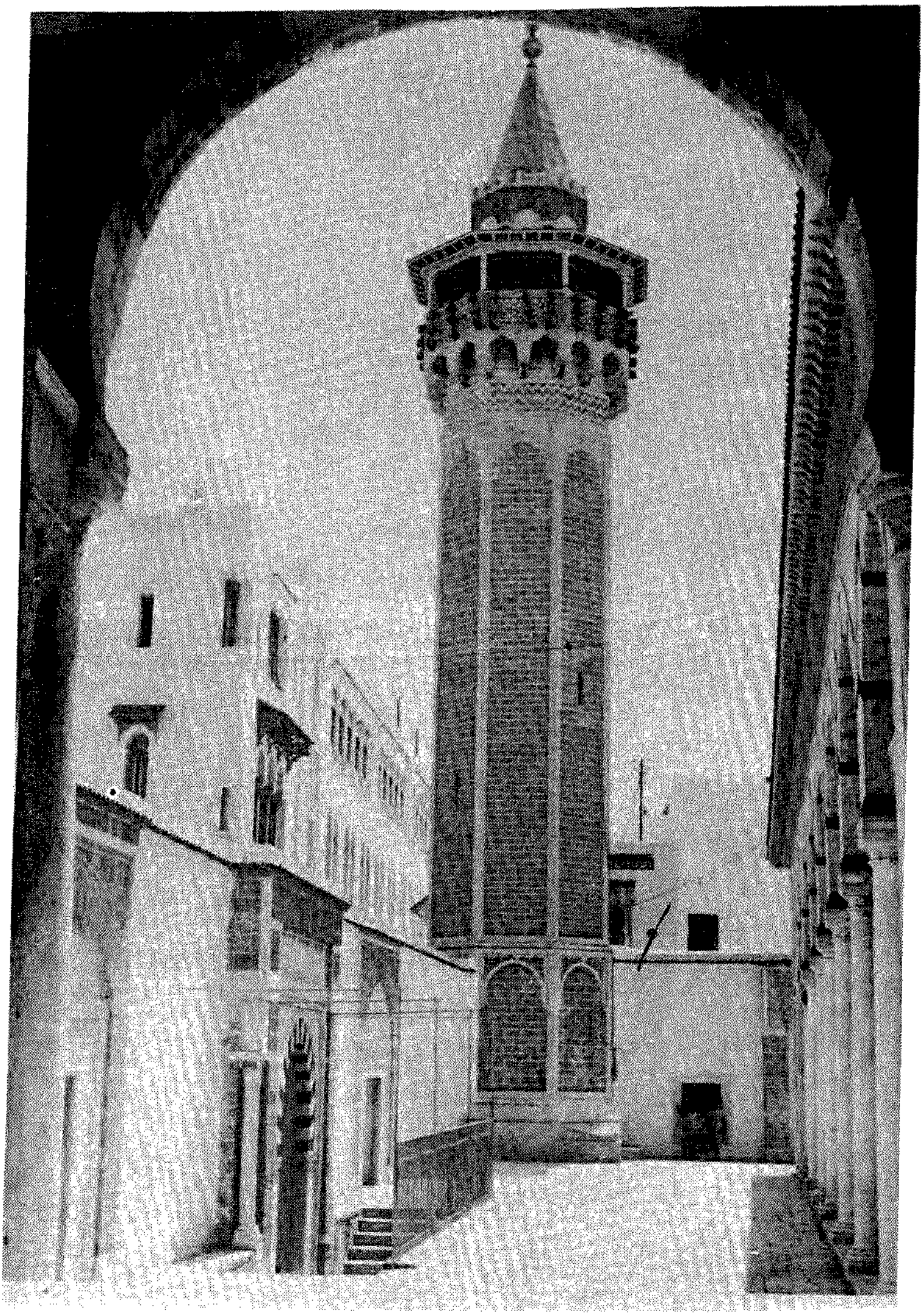

جامع حمودة باشا



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

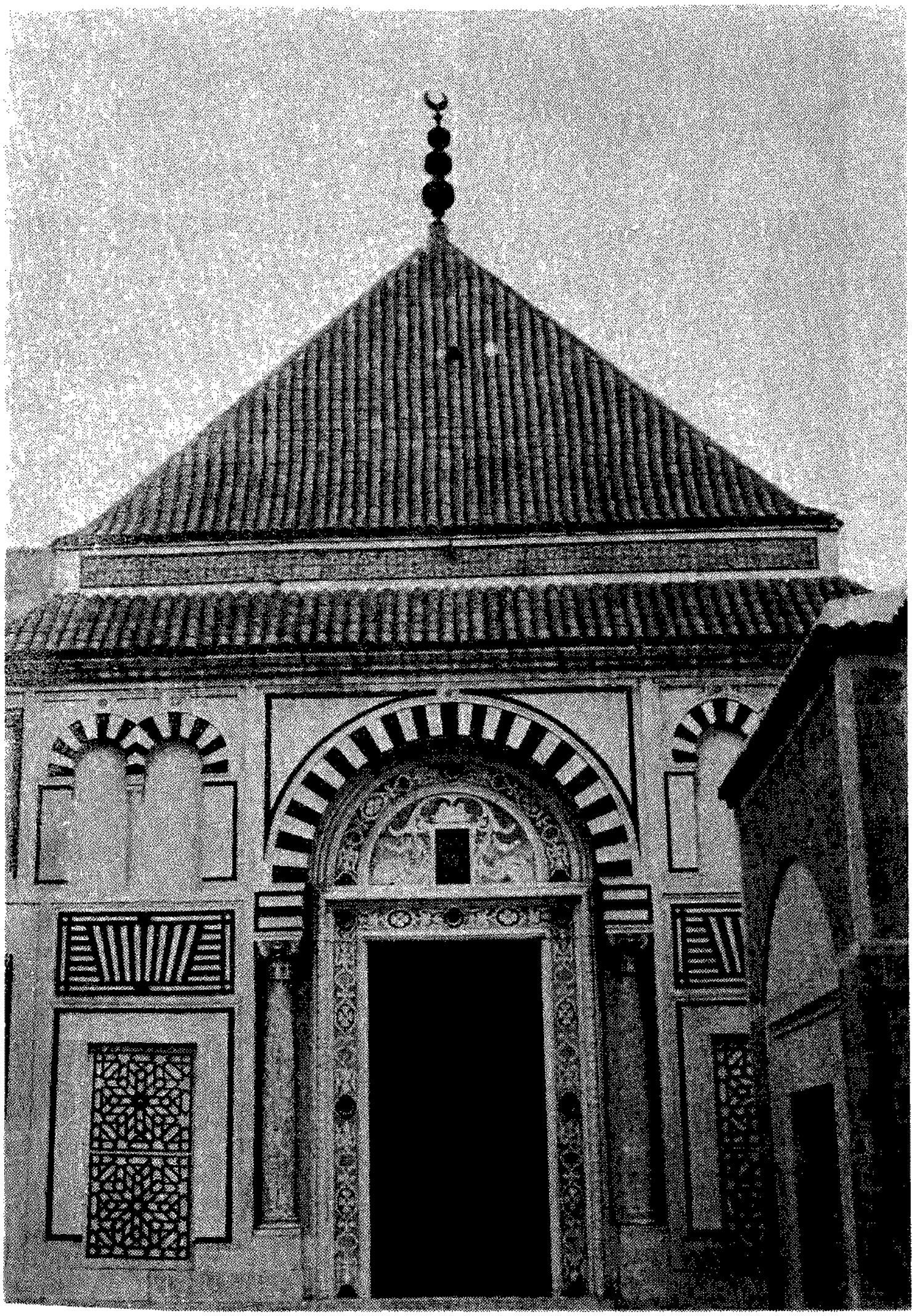

ضريح حمودة باشا



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

- 5 -

# جامع مَحمد باي المرادي

خطبته هي الرابعة عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس، وإمامه في هذا الزمان الأستاذ الشيخ محمد بن الخوجه المفتي الحنفي.

هذا الجامع اسمه المشهور بين الناس في هذا الزمان هو جامع سيدي محرز لوقوعه تجاه الزاوية المحرزية، وكانوا يسمّونه بالجامع الجديد كما وقفت عليه برسم حبسيته، وقلّ من يعرف نسبته لمؤسسه الباشا محمد باي بن مراد باي الثاني. مَحمداً هذا ينطق اسمه بفتح أوله، لأن الترك ومن انتسب إليهم كانوا لا يسمّون باسم محمد مطلقاً احتراماً للمقام النبوي صلى الله عليه وسلم، فيسمّون مَحمدا (بفتح الميم) كما هو موجود بكثرة في تونس، ثم اقتبسوا من هذا الاسم المفتتح بالفتح اسماً مصغراً وهو لفظ ممي، فمعنى الممي عند الأتراك يقابله لفظ محيمد في العربية، وفي المؤنث ممية أي محيمدة. وقد بنى محمد باي المرادي جامعه المتحدث عنه على قواعد شبيهة بجامع السلطان أحمد الثالث باسلانبول، وشرع في بنائه سنة 1104[1692] ومات قبيل تمامه في سنة 1108 [1696] فأتم بقيته أخوه رمضان باي، عدا صومعته التي سيأتي وصفها.

وهذا الجامع هو أكبر الجوامع الحنفية، وأفخم جوامع الخطبة بتونس على الإطلاق. ورأيت بتقييد لبعض الأفاضل، أن تاريخ بنائه يوافق بحساب الجمل عبارة «بني على خمس» إشارة لقواعد الإسلام الخمس، وهذه العبارة جملتها توافق سنة 1103 [1691] بحساب الأبجدية، لا سنة 1104 [1692] كما ذكره المؤرخون.

واعلم أن الصومعة الموجودة لهذا الزمان بصحن الجامع ليست في أصلها من أبنية الجامع كما سيأتي تفصيله، لذلك لم تكن على الذوق الشرقي الذي بنيت على مقتضاه أروقة الجامع، وبيت الصلاة وقبابه


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الفخمة، ومنبره الجميل الجليل، وسبب ذلك ـ والله أعلم ـ أن محمد باي، وأخاه رمضان باي، توفيا قبل إتمام صومعة الجامع الأصلية، وكانت بزاوية الصحن الكبير بين الجوف والغرب، أقيمت على قاعدة صخرية عظيمة بلغ ارتفاع ما تمّ من بنائها بالشكل المثمن إلى نحو عشرة أذرع، وتعطل إتمام بنائها تشاؤماً بموت محمد باي المرادي، ثم بقتل أخيه رمضان باي قبل التمام. يدلك على صحة هذه النظرية ما وقفت عليه ببعض كناشات السلف، من أن المشير أحمد باي، لما حضر ذات مرة بختم الشيخ الجدّ، رأى عند دخوله لصحن الجامع وجود خراب ببعضه، فاستحضر وكيل الوقف، وسأله عن سبب ذلك، فأجاب بعدم توفية الدخل بالخرج، فلم يقنعه هذا الجواب، وأمر بعزله، وولى مكانه الشيخ محمد معاوية اختيار عساكر الحنفية، فأجرى الإصلاح اللازم، وأراد إتمام عمارة صحن الجامع ببناء الباب الذي بناه المؤسس جوار الصومعة ولم يتمه مثلها، وتشاور في ذلك مع إمام الجامع فقال له: «راي حسن، ولكن سعادة الباي ربما يتشاءم من ذلك، فأخذ الوكيل على عهدته مراجعة المشير أحمد باي في النازلة، ولما بسطها لديه قال له: لو فعلت ذلك لأمرت بقطع رأسك، فإياك أن تعيد لي هذا الطلب».

فلأجل عقيدة التشاؤم الذي قررناه، لم يقدم أحد بعد موت محمد باي، وقتل أخيه رمضان باي، على إتمام صومعة الجامع التي كانت بدعاً في بابها، فبقيت على تلك الحال أكثر من قرنين كاملين، إلى أن قامت جمعية الأوقاف في سنة 1307 [1899] وتداركتها بالهدم عوض البناء، وجعلت مكان قاعدتها حوانيت للتجارة بنية الانتفاع بريعها، وبقي بمحفوظي أن فؤوس العاملين على تقويضها كانت لا تعمل فيها رغم الجهود الجبارة، فاضطرّوا للإجهاز عليها بالألغام، وما لبثت حتى عفت رسومها، وأمست أثراً بعد عين، وأما الصومعة المربّعة الموجودة لهذا الزمان بالجامع، فإنها من الملحقات المولدة بالنسبة للجامع، كانت تابعة للمسجد



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

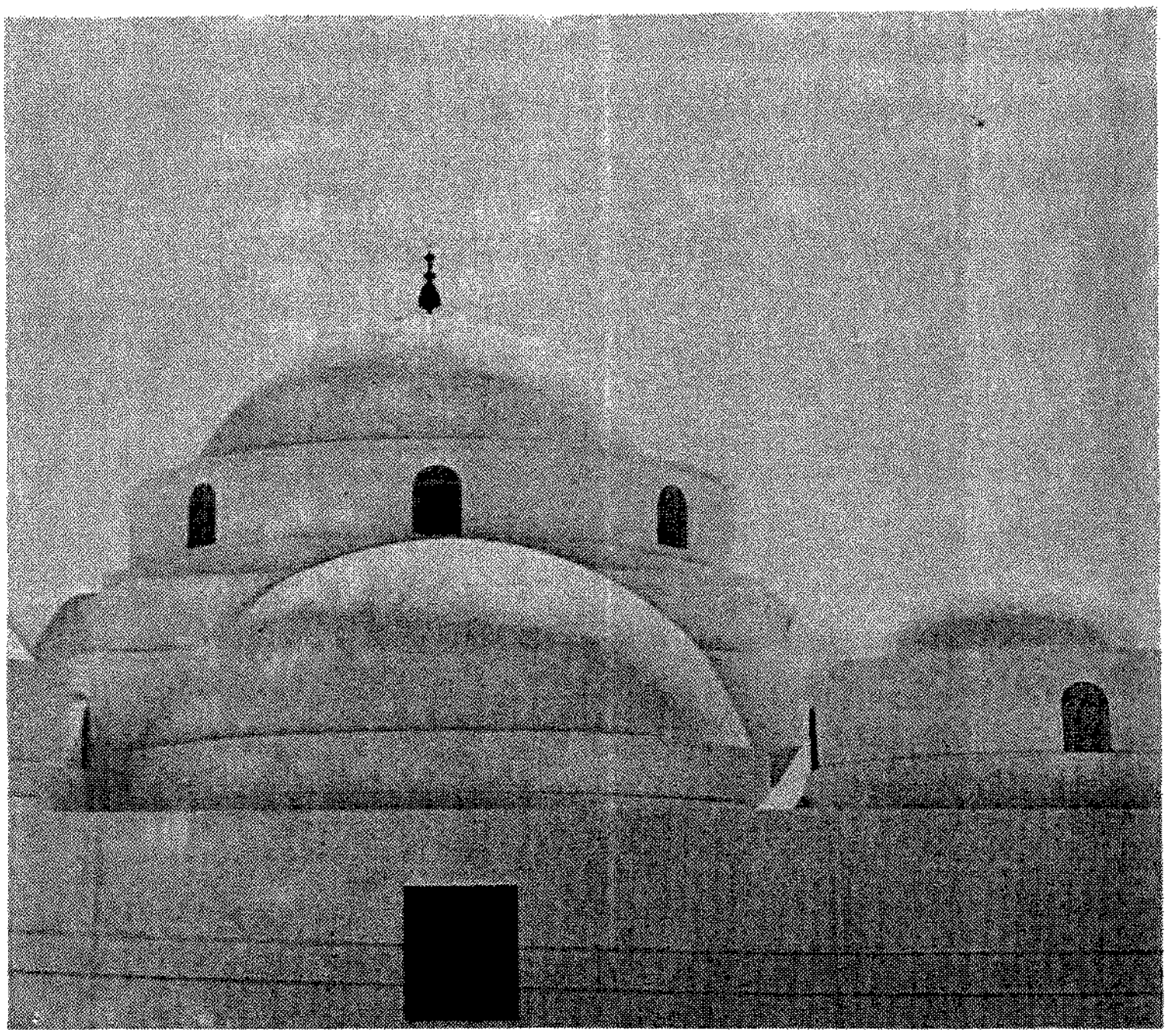

جامع محمد باي المرادي



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

السفلي المعتلى عليه بعض الجامع المرادي، ويعرف بمسجد الفلاري، نسبة لمؤسّسه الفقيه الشيخ إبراهيم الفلاري صاحب الضريح الواقع تحت صحن الجامع، وهو من رجال القرن الحادي عشر توفّي سنة 139 [756]. ويلوح أن إلحاق هذه الصومعة بالجامع كان في عهد الباي إبراهيم الشريف، لأنك تجد على واجهة المنبر البسملة وكلمة التوحيد متبوعة برقم 1116 [1704] مما يدل على أن توشية المنبر، وانتهاء ترصيعه بالمرمر الملون وتهذيبه وتزويقه كان في عام 1116، فمن المحتمل القريب أن التحاق الفرع بالأصل كان في تلك المدّة، كما يحتمل أيضا وقوعه قبل ذلك، ولا يعلم الغيب إلا الله.

وأوّل مدرّس أقيم لرواية الحديث بالجامع هو العلامة الشيخ محمد قويسم(م - 40) صاحب كتاب سمط اللآل، وقد احتوت ربعة الختمة[1] الموجودة بالجامع على صفائح من نحاس غريبة الصنع، طرزتها يد حكيمة بنقوش جميلة، تضمنت كتابة طويلة نظما ونثرا، من ذلك قوله:

معالم للتنزيل في صحف تقرا  تذكر بالتقوى لمن طلب الذِّكرا

ومنها قوله بالوجه المقابل لكرسي القاريء، والبيت من البسيط:

واختتم بتسع وألف بعدها مائة  واجعله... التاريخ...

(1) المصحف العتيق الثمين الذي كان بهذه الربعة من زمن التأسيس وهو من تحابيس امرأة من أهل الخبر، اسمها سمونة، سرقته يد أثيمة في سنة 1352 [1933] ولم تتمكن جمعية الأوقاف من الكشف عنه إلى هذا اليوم. وسرقة المصاحف والكتب ليست بالشيء الجديد تحت القبة الزرقاء، إنما الكلام في طريقة السرقة، فبعضهم يسرق الكتب خلسة كسرقة هذا المصحف المفقود، وبعضهم يسرقها جهرة على معنى استعارتها منك بنية عدم إرجاعها إليك، والمآل واحد. ولما كان الشيء بالشيء يذكر فقد اتفق لهذا العبد أنه سرق إلي لنحو ثلاثين سنة ماضية مصحف على الرق احتوى على السبعة أحزاب الأولى من القرآن الكريم، كنت اشتريته من سوق الكتبية بالمزاد العمومي بأربعين فرنكاً، وقد وجدته بعينه ذات يوم بطريق الصدفة معروضاً للبيع بمائتي فرنك بدار أحد الوراقين المستشرقين بباريس، وتوصلت لمعرفة سارقه، وكتمت أمره، وهو الآن ممن التحقوا بالدار الآخرة رحمه الله وغفر له.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وهذا البيت ناطق بأن الربعة المتحدث عنها نصبت بمكانها في سنة 1109 [1697] كما تضمنت بقية الكتابة اسم مؤسّس الجامع محمد باي، هذا ويوجد بجدار محراب الجامع لهذا الزمان جملة من المعلقات بعضها قديم وبعضها حديث، ولا يهمنا منها هنا إلا القديم لما له من العلاقة بالتاريخ، فالقديم من تلك المعلّقات اثنتان، واحدة مفتتحة بالبسملة وبكلمة الشهادة وبوسطها دائرة تضمنت الشمائل النبوية، وحولها أسماء الله الحسنى وبذيلها بالقلم الغليظ قوله:

لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين(م - 41). حرّره الحقير عمر بن هاشم الاستانبولي غفر الله له ولوالديه عفى عنه اهـ. وهذه المعلقة سطا عليها كر الأيام، فمحا بعض كتابتها، لأنها ليست محاطة بإطار، ولا مغطاة بلوح من الزجاج لحفظها من التلاشي، وهي جميلة الخط، حسنة الترتيب، لذلك أخذت على نفسي انتشالها من حالة احتضارها بوضعها داخل إطار مناسب لها، مغطى بزجاجة، لحفظ ما بقي منها، ليتبرك برؤيتها أهل الأجيال المقبلة. وأما المعلقة الثانية، فإنك إذا نظرتها من حيث تراكيب عبارتها المحرفة، تجدها من سقط المتاع، ولكن لها رغم ذلك قيمة تاريخية، لأنها تضمّنت سنة كتابتها، واسم كاتبها ونصّ عبارتها بحروفها:

يا داخل الجامع الله يرعاك أبشر بما ترج من فضل مولاك

ثم في سطر ثان بكتابة معكوسة، يعني من اليسار إلى اليمين:

يا ناظر الجامع كيف تصوره فادعو لمن بناه بالمغفره

وفيما بين الجملتين صورة إطار مكتوب به العبارة الآتية:

«سوّده الفقير المحتاج إلى رحمة ربّه مجيد محمد خورشيد غفر ذنوبه وستر عيوبه آمين ولمن نظر هذا الكتب قرأ الفاتحة سنة 1215[1800]»اهـ بحروفه.


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وهذه الكتابة تدلّ على أن صاحبها بضاعته مزجاة في العربية، وأنه ربما كان من الأعاجم، يؤيّد ذلك كون اسم كاتبها خورشيد وهو من الألفاظ الأعجمية، ومعناه شمس في اللغة الفارسية.

وممّن تولّى بهذا الجامع خطة باش خوجة بالأمر السلطاني، الفقيه المنلا الشيخ الحاج علي خوجة أفندي، وهذا هو جدّي الأعلى رحمه الله[1]

---

(1) جدّه من رجال الفتح العثماني قدم بعنوان اختيار في الجيش الذي جاء به الوزير سنان باشا لتونس في سنة 981 [1573] وكان له ابن نشأ في سلك السفطات بتكايا الصالحين بالآستانة، ثم عاد هذا المجاهد بعد تمام الفتح لبلاد الترك بنية جلب عائلته والاستقرار بتونس، فأدركه أجله بالاستانة وهو على أهبة السفر، وكان بصحبته حفيده المنلا حاجي علي خوجة. ونسمّيه الجدّ الأعلى لأنه هو الذي نعرف خبره بالتحقيق المستفاد من رواية الخلف عن السلف. وهذا الحاج علي خوجة كانت له مشاركة في الفقه، وفد على تونس مع أمّه في عهد الأمير إبراهيم الشريف باشا باي داي (كان جامعاً في ذاته للألقاب الثلاثة) وأدرك الدولة الحسينيّة، ولقد اتّفق له ذات ليلة أن ارتابه الباشا علي باي وهو أمير المحلة وظن أنه كان بصدد تدبير مؤامرة ضدّه لأنه وجده في ظلام الليل والعساكر ملتفّون حوله، ولما سأله في ذلك أجاب بأنه كان يلقنهم فرائض الوضوء ويعلمهم شروط الجمعة، فاستحضر الباشا إمام المحلة ليختبر أمره وإذ فاتحه الإمام بقوله نريد سؤالك عن صلاة الجمعة، قال الشيخ الجدّ في نفسه خذ اللصّ قبل أن يأخذك وعكس عليه السؤال بقوله: هل هي رخصة أم عزيمة، فاحتار الإمام في الجواب، وفهم الباشا حيرته وقصوره، فأمر بترقية الشيخ الحاج علي خوجة لخطة باش خوجة. وكان للحاج علي المذكور ابن اسمه محَمد بفتح أوله، انقطع لقراءة العلم بجامع الزيتونة وهو الذي غلب عليه لقب ابن الخوجة بالتعريف لأن أباه الحاج علي خوجة تولى خطة الباش خوجة كما سلف ذكره فميزوه بإضافة أداة التعريف لاسمه بعد أن كان نكرة والله يوتي فضله من يشاء. وكانت أمه امرأة شريفة أصلها من الحجاز ومات محمد المذكور في مقتبل العمر تاركاً بعده ابنه الشيخ حمودة بن الخوجة وهذا الفقيه هو أول من اشتهر بين أهل العلم من سلفي نور الله مراقدهم نوه بقدره تلميذه العلامة الشيخ محمد بن سعيد الملقب بالنجم في الفلك المشحون، وكان إذا ذكر اسم شيخه عنده يقول فيه:

هو الزاخر البحر الذي لا يعيبه ... سوى أنه بين البحور عميق

ولما توفي الشيخ حمودة المذكور في سنة 1193 [1779] رثاه تلميذه النجم المشار اليه بقصيدة عصماء تضمنت قوله:

قمر الدروس ومن إذا وقف الورى ... في مشكل لم يعيه تأويله =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

كما تولّى الخطبة والإمامة به حفيده العلامة الشيخ حمودة بن الخوجة، وهاتان الخطتان تولاهما في سنة 1211 [1796] ابنه العلامة قاضي الجماعة الشيخ أحمد بن الخوجة الأول، وبقيتا في عقبه بتواصل إلى هذا الزمان.

واعلم أن هذا الجامع المرادي هو أفخم جوامع تونس كما سبق التعريف بذلك، ولكن موقوفاته قليلة في هذا الزمان، ويلوح أن سبب ذلك هو تلاشي بعض ما حبسه عليه مؤسسه لأنه مات قبل إتمام بقية بنائه، بل ولأسباب أخرى أيضا أثارتها الفتنة التي حصلت بين رمضان باي وحفيده مراد باي الثالث، فقد رأيت في بعض الأخبار أن الجامع المتحدث عنه بقي في مدة ذلك الهرج معطلاً لا تقام به الشعائر.

وختم الحديث بهذا الجامع ينعقد في الثاني والعشرين من شهر رمضان، وكان الباي حمودة باشا لا يتخلف عن ختم إمامه القاضي الشيخ أحمد بن الخوجة الأول، وهذا الفقيه هو الذي أحيى مشروع الأختام دراية بجوامع تونس كما سترى خبره بالخاتمة. كان يجلس لدرس ختمه بعد صلاة العصر، ويقوم منه عند قيام الأذان لصلاة المغرب. حكى لي الشيخ الوالد بسماعه من والده أن أباه الشيخ أحمد المذكور طلب مرة من الباي عند نهاية الختم أن يأذن له بالاستراحة بقية أيام رمضان وأيام العيد لقضائها بجبل المنار، والوقت قيض، فلم يسعفه الباي إلا بالثلاثة أيام(م - 42) التابعة ليوم الفطر قائلاً له: وكيف يمكن منحك(م - 43) أكثر من ذلك وأنت قاضي الحضرة؟ فهل نلزم الخصوم بالرحيل لجبل المنار لرفع دعاويهم لديك؟اهـ قلت: رحم الله هذا الأمير العادل الذي حكم على قاضيه بملازمة محكمته كي لا يتحمّل الخصوم أتعاباً وأكلافاً في سبيل الالتحاق بقاضيهم. وكان

---

= قال بعض أهل العلم من معاصريه، ويكفيه فخراً أن كان النجم ابن سعيد من تلاميذه والخلاصة أن لبيتنا بهذه الديار التونسية المباركة نحو عشرة أجيال وكان من فضل الله أن أكثر سلفي نشأوا في خدمة العلم ونشر مذهب أبي حنيفة بهذه الأرض المختارة.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

المشير أحمد باي الأول لا يتخلف أيضاً عن ختم الشيخ الجدّ أبي عبد الله محمد بن الخوجة[1] واتّفق لهذا الباي سنّ قانون للعساكر قضى به في سنة 1267 [1850] على حياة عدّة أنفار من عساكر البحرية قبل التـروّي في نازلتهم، وهي تهمة الاعتداء على كبيرهم، فكان موضوع الختم يحوم حول هذه الحادثة مع بيان وخامة التعجيل بالحكم قبل التبيّن، مما يدل على كون حرية الفكر والجهر به كانت مباحة للعلماء في ذلك الزمان، وأنهم لا يخشون فيما يرونه الحق لومة لائم. وأختام الشيخ الجد كثيرة، جمع الشيخ الوالد بعضها في سفر خاص، وهو من ذخائر مكتبتنا معظوظ عليه بالنواجذ. وكان ابن هذا الشيخ الجد العلامة الشيخ أحمد بن الخوجة الثاني يتشرف مجلسه بحضور المشير محمد الصادق باي يوم انعقاد ختم الحديث بهذا

---

(1) كان يقوم بختم الحديث في هذا الجامع من حياة أبيه صاحب الرواية كما يستفاد ذلك من عبارة تقريظ لختمه في سنة 1240 [1824] من قلم شيخه العلامة الشيخ محمد بيرم الثالث ونصّ عبارته:

طالعت هذه التعليقة الأنيقة، التي هي بالإذعان حقيقة، للبدر الزاهر الهمام الماهر أبي عبـد الله محمد بن شيـخ الإسلام، عمـدة الأنام، خـاتمـة المحققين، كمـال العلمـاء المتأخرين، شيخنا أبي العباس أحمد بن الخوجة، فرأيت ما يبتهج به الناظر، ويعوّل عليه المجادل والمناظر، من نقول تصحبها متانة وجزالة، ونقود يمتزج بها بلاغة وجلالة، وحسن انسجام، ألذّ من الوجدان بعد الاعدام، إلى غير ذلك مما تزكيه الألباب، ولا يحيط به نطاق الاستيعاب، فحمدت الله سبحانه على التيسير، في مثل هذا الزمن العسير، وابتهلت إليه جلّ جلاله، أن يكثر من أمثاله، ويسهل لهم النسج على منواله، إنه الفعال لما يريد، المالك لأزمة التيسير والتسديد، وحين رتع الذهن الكليل في ذلك البستان، وتملك ناظره من بديع هاتيك الحسان، صار اللسان على قدم الشكر يحول، وحمله الوجد المادح على أن يقول:

لا تـنـكـروا ولـهـي وفـرط غـرامـي ... ومـزيـد أشـواقـي لـهـا وهـيـامـي
هـذي الـذي سمـح الـزمـان بـوصلهـا ... مـن بـعـد تسويفي وطـول منـامـي
نسخت بـطلعتهـا ونـور جمـالـهـا ... لـيـل الـشـكـوك وحـيـرة الأوهـام
لا تـعـجبـوا منـهـا فـإن مقـيلهـا ... بـيـت الـعـلوم وقـبـلة الأعـلام
بـيـت إذا حـل الـعـويص بـسـائـل ... وافـاه مـلـتـمـساً لـنـيـل مـرام
لا زال مـحـروس الـجـنـاب مـوفـقاً ... مـتـعـطر الأرجـا بـحـسـن خـتـام



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الجامع، وكان مجلس ختمه مظهراً لآيات التحقيق والفهم بين أهل العلم، وهذا الشيخ العم أكثر من كتب من سلفنا في السابق واللاحق، وقد امتاز بين خطباء عصره بارتجال خطبه الجمعية مع الإيجاز، احتفاظاً بالوقت لأداء فريضة الجمعة على أصحّ الأقوال الواردة في تعدّد الخطبة في المصر الواحد. وبعد انتهاء تحرير ما تقدم في حق هذا الجامع المرادي، أفادني بعض فضلاء الأساتذة بالحكاية اللطيفة الآتي ذكرها، قال والعهدة عليه: يقال إن محَمد باي المرادي بعد أن أتم بناء جامعه، رأى في النوم كأن الجامع هدم، والناس يتسابقون إلى أخذ أنقاضه، وهو في جملتهم، فقص رؤياه على بعض علماء التعبير، فتأولها بأن للباني نصيباً في هذا الجامع، والباقي لجماعة المسلمين، فقال له الباي: كان في المال الذي بنيت منه الجامع نصيب ورثته من والدتي، والباقي من أموال الرعيّة اهـ.

هذا وبينما(م - 44) كنت أبحث عن أحوال بقية الجوامع الحنفية في الدولة المرادية، عثرت بخزنة المكاتيب العامة على دفتر قديم مختوم بالشهادة العادلة تضمن نسخة من رسم تحبيس مشتمل على رباعات كثيرة تبلغ لثمانية وثلاثين عقاراً، بين دور، وحوانيت، ومخازن، وحمامات، وأفران، وكوشات(م - 45)، ومطاحن، وقفها المحبّس على جامع وعلى تربتين[1] اعتبر بناءهما بصحني الجامع شرقا وغربا، أوّلاهما ليقبر بها مع أعقابه الذكور، والثانية لإقبار ذريته من النّساء، ومن لم يبلغ الحلم من عقبه الذكور، واشترط أن يكون دخول الجنائز للصلاة عليها بالجامع من الباب

---

(1) مات المحبس قبل بناء التربتين وإتمام مشروعه الجليل فكأنه كان ينظر للمستقبل بمرآة الغيب لأنه اعتبر ذلك أثناء بيانه لكيفية توزيع أرياع تحابيسه على الجامع كما ذكرناه مفصلاً بمحله. وبديهي أن خلفه بكرسي الإمارة وهو أخوه رمضان لم يتهيأ له أيضا إتمام ما أوصى به أخوه لأن مدته كانت قصيرة موسومة بالهرج الذي أثاره في وجهه حفيده مراد باي الثالث، ناهيك أنه قتله وحرقه ونسف رماده في اليم، فرمضان هذا وهو صاحب الدار والبطحاء المعروفة المنسوبة لاسمه في تونس ليس له قبر، هكذا نبّه عليه صاحب الخلاصة النقية وغيره.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الغربي، وخروجها من الباب الشرقي[1]، عدا جنائز من يقبر بالتربتين المذكورتين فلا شرط فيها. ونص الواقف على كيفية توزيع أرباع تلك الموقوفات ننقلها هنا على وجه البركة وحسب، قال: يبدأ من غلة ريع ما ذكر ما يحتاج إليه الريع المحبس المذكور من رَمٍّ وبناء حتى يبقى قائماً على أصوله ينتفع به، ثم بما يحتاج إليه الجامع، والتربتان المذكورتان، والميضاة التي تكون للجامع من رمّ وبناء، حتى يكون جميع ذلك قائماً على أصوله، منتفعاً به وبإصلاح المسجد الشرقي الباب (مسجد الفلاري) المعتلى عليه طرف من الصحن الشرقي من الجهة القبلية من الجامع المذكور، إن ضاق حبس المسجد المذكور، وخشي من عدم ذلك الضرر على الصحن المذكور، ثم بما يحتاج إليه الجامع المذكور، والتربتان، والميضاة المذكورات، من تجصيص، وتحصير، واستصباح، وإيقاد شمع كل يوم وليلة على العادة الجارية في ذلك بجوامع الحنفية قرب المحراب، ولقراءة المصحف على الكرسي، ويوم ختم البخاري، وغير ذلك من ضروریاته، ثم يعطى لمن يكون إماما راتبا في الصلوات الخمس بالجامع المذكور من الحنفية ستة ناصرية كلّ يوم، ولمن يكون خطيباً به من الحنفية أيضاً خمسة ناصرية كل يوم، ولخمس مؤذنين حنفية أحد عشر ناصرية كل يوم، من ذلك لرئيسهم ثلاثة ناصرية، ولمن يكون معرفاً يوم الجمعة ناصريان كل يوم، ولقارئين يقرآن القرآن العظيم على الكرسي من المصحف قبل صلاة الصبح والظهر والعصر، يتناوبان القراءة بينهما، ناصريان لكل واحد منهما، ولقارىء، سورة يسّ بعد صلاة صبح كل يوم ناصريان في كلّ يوم، ومثل ذلك لقارىء سورة الملك بعد صلاة الظهر كل يوم، ومثل ذلك لقارىء سورة عمّ يتساءلون بعد صلاة عصر كلّ يوم، ولوكيل الجامع المذكور خمسة ناصرية كلّ يوم، ولاثني عشر مؤذناً مالكية

---

(1) لم يكن هذا القيد عبثا، لأنّ دخول هذا الجامع لحامل عبء ثقيل يكون أيسر من بابه الغربي لقلة درجه على عكس بابه الشرقي فإنه أيسر للنزول والخروج بالجنازة لكثرة درجه.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ربع ريال كل يوم لشيخهم، من ذلك ناصريان كل يوم ولأربعة وقّادة للجامع وللتربتين اثنا عشر ناصرية كل يوم، ولمن يقرأ القرآن العظيم في الأسفار بعد صلاة كل جمعة بالجامع المذكور ثمانية ناصرية كل جمعة، منها لمفرق الأسفار ثلاثة ناصرية، ولقارىء السفر نصف ناصري، ومثل ذلك لمن يقرأ بالأسفار في التربة الأولى (تربة الذكور) من التربتين المذكورتين، ولقيّم الميضاة ثلاثة ناصرية كل يوم، ولمن يقرأ الحديث الشريف بعد صلاة الصبح بالجامع كل يوم ثمانية ناصرية، وللراوي عليه ثلاثة ناصرية كل يوم، ولمن يكون مدرساً بالجامع بعد العصر من الحنفية ثمانية ناصرية كل يوم، وعشرة ريالات في كل شهر لعشرة طلبة من الحنفية يقرأون على الشيخ المذكور ريال لكل طالب في كل شهر، ولمن يكون مدرساً بالجامع المذكور من المالكية بعد الفراغ من قراءة الحديث ثمانية ناصرية كل يوم، ولعشرة طلبة مالكية يقرأون عليه عشرة ريالات في الشهر لكل واحد منهم ريال، ولمن يجوّد عليه القرآن بالجامع من المالكية ثلاثة ناصريه كل يوم، وما فضل من غلة الحبس المذكور بعد صرف ما ذكر كيف فسر وسطر يشترى به ريع يلحق بالحبس المذكور على مقتضى نصه المذكور، هذا حيث لم يعق المحبس المذكور عن إكمال بناء جميع ما ذكر عائق، فإن عاقه عن ذلك عائق، فيكون المبدأ به من غلة الحبس المذكور إكمال ما يجب من إكماله من الجامع بصومعته وميضاته، والصومعة المذكورة تكون على صفة صومعة جامع جدّه للأب (أي صومعة جامع حمودة باشا) حتى يبقى جميع ذلك قائماً على أصوله كما ينبغي، فإذا كمل بناء جميع ذلك على الوجه المذكور، تصرف حينئذ غلة الحبس المذكور في المصاريف المذكورة كيف فسر وسطر الخ اهـ . صدر منه ذلك في أواخر شعبان عام 1105 [1639] ونبه شاهداه بأنهما وقفا بطرة رسم هذا التحبيس على حكم شرعي من قاضي الحضرة بصحبة هذا الحبس بعد الترافع لديه والشهادة عليه بذلك، يليه فتاوى المشائخ المفتين بالموافقة، ثم أضاف محَمد باي صاحب الجامع لتلك التحابيس تسعة رباعات أخرى بينها بنعوتها،



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وحدودها، ومواقعها، كالرباعات السابقة، وأصدر فيها التحبيس الآتي نصه:

أشهد المحبس المذكور أنه حبس ووقف جميع الريع المذكور على أن يبدأ من غلته بما يحتاج إليه المكتب المتّصل بتربة الشيخ سيدي محرز من رمّ وبناء، وتحصير، وتبييض، حتى يبقى قائماً على أصوله، منتفعاً به، ثم بستة ناصرية بتقديم السين على المثناة كل يوم لمن يكون مؤدباً بالمكتب المذكور، بشرط أن لا يأخذ من المتعلمين عليه به أجراً، وما فضل من ذلك أي بعد إخراج ما ذكر، يلحق بمصاريف حبس الجامع المذكور على مقتضى نصه بتاريخ أواسط محرم 1108 [1696]اهـ وفيما بين هذين التحبيسين حبس أبو العباس الحاج أحمد بن عثمان داي على هذا الجامع أملاكه المنجرة له بالهبة من الأمير محَمد باي مؤسس الجامع في سنة 1103 [1691] وهي موضع زيتون بالبرج خارج مدينة تونس، وموضع زيتون كائن بالرمادات، وموضع زيتون كائن باقرج، وموضع زيتون كائن بمنوبة. صدر منه هذا التحبيس في أواخر شعبان عام 1106 [1696] وحبس محَمد باي المذكور على ابنته تركية دارا بالقشاشين، والدار المعروفة بدار القائد جعفر على ابنته خديجة، وجعل مرجعهما بعد انقراض ذريتيهما لجامعه المذكور، وقبل أن يلتحق بالدار الآخرة عزّز هذه الحسنات بتحبيس جملة من الكتب على جامعه في كرتين، كرة أولى بتاريخ أواخر حجة الحرام عام 1107 [1695] اشتملت على أربعة وخمسين مجلداً في علوم التفسير، والحديث، والتوحيد، والفقه، واللغة، والنحو، والأصول، وغير ذلك، اعتبر فيها بعض تآليف في فقه مذهب الإمام مالك مراعاة لمن عسى أن يقرأ بالجامع من طلبة المذهب المالكي، مشترطاً أن تكون المطالعة في تلك الكتب بالجامع لا خارجه، واستثنى من ذلك المدرس، وراوي الصحيح بالجامع، على أن يكون لهما الحق في إخراج كتاب واحد، وإذا احتاج أحدهما لإخراج كتاب آخر فلا يمكن منه إلا بعد إرجاع الكتاب الأول، واشتملت الكرة الثانية على واحد وثمانين مجلداً أكثرها في التفسير، والحديث، والفقه الحنفي، منها تفسير ابن عادل، وتفسير



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الثعلبي، وتفسير القرآن بالحديث للسيوطي، والكشاف، والعيني على البخاري، والنووي على مسلم، وصدر الشريعة، وغير ذلك، تقدّم منه هذا التحبيس في آخر حياته، وتأخر كتبه لأواخر جمادى الآخرة عام 1109 [1697] بعد مماته.

إلى هنا انتهى بنا الحديث عن جامع محَمد باي المرادي، المشهور بجامع سيدي محرز، وشهرة هذا الولي تدعوني لإضافة حديثه للجامع المنسوب إليه لا سيما إذا راعيت حق الجوار، لأني وسلفي طيلة عشرة أجيال ولدنا ونشأنا في جوار الزاوية المحرزية، وكان أبي رحمه الله لا يتخلّف عن زيارة مقام الشيخ رضي الله عنه بكرة كلّ يوم سبت، وقد جمع من أخباره ومناقبه جزءاً لطيفاً كتبه بخطّ يده، وعنه أخذت بعض ما سيأتي ذكره.

## التعريف بالشيخ سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه

هو الشيخ المربّي الصالح الفقيه العابد محرز بن خلف بن رزين بن يربوع بن حنظلة بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه. توفّي سنة 413 [1022] عن نحو 73 سنة، ودفن بداره التي هي زاويته المعروفة، وبها كان يقرىء الصبيان بعد أن جلس لتعليم القرآن بأريانة والمرسى[1] ومنه يفهم أن هذين البلدين كانا موجودين في المائة

(1) كانوا يسمّونها في القديم مرسى ابن عبدون، ثم غلب عليها في الدولة الحفصية اسم مرسى جراح، وجراح هذا من رجال المائة السابعة، واسمه جراح العربي، كان من الصالحين الأخيار ومن معاصري الشيخ عبد العزيز المهدوي صاحب الضريح المعروف، ونسبت المرسى لاسم الشيخ جراح لأنه كان يرابط بها للاحتراس عليها من مراكب العدو، وزمنه يوافق عصر الحروب الصليبية.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الرابعة. وكان الشيخ محرز صاحب مناقب مذكورة، وكرامات مشهورة، له مواقف حفظها له التاريخ مع المعز بن باديس من أمراء صنهاجة. ترجم له القاضي عياض في كتاب المدارك، وخصه الشيخ أبو الطاهر محمد بن الحسن الفارسي بكتاب استوعب فيه ذكر فضائله، وأدعيته، وسيرته، وأحواله، وأخباره. كان معاصراً لجماعة من أهل العلم والصلاح، منه قريبه الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد(م - 46) صاحب الرسالة، والشيخ أبو الحسن القابسي، وهبة الله بن عقبة، وغيرهم من رجال المائة الرابعة. قال في المؤنس(م - 47): إن الاسبانيول لما غزوا تونس دخلوا بخيولهم لجامع الزيتونة ومزّقوا ما به من الكتب، ثم نبشوا قبر الشيخ سيدي محرز بن خلف فلم يجدوا به غير التراب اهـ.

وأما زاويته الموجودة وبسقيفها مقابر جماعة من سلاطين الدولة الحفصية وآلهم، فقد تناولها التجديد مراراً في القرون الماضية، ففي المائة التاسعة جدّد بناءها السلطان محمد المنتصر(م - 48) بن أبي فارس الحفصي، ولما دخل الأتراك لتونس وأطردوا منها الاسبانيول الذين عاثوا فيها بالفساد، أعادوا بناء ضريح الشيخ الذي نبشه أولئك الحيوانات العجم. وفي صدور الدولة الحسينية بنى المولى حسين بن علي قباب الزاوية، وآخر تجديد لعمارتها كان في عهد المشير محمد الصادق باي، وكان المباشر لهندسة بنائها والناظر على أشغالها الأمير ألاي حسونة بن مصطفى، من ضباط الدولة التونسية الذين زاولوا العلوم الرياضية بمكتب الحرب ببباردو(م-49)، وقد تم سقيفها وبابها في سنة 1279 [1862] وتمت عمارة الضريح وقبته وملحقاته في سنة 1285 [1868] وفي ذلك يقول شاعر تونس الشريف المفتي الشيخ أبو الثناء محمود قابادو:

ذا مقام للمحرز الصديقي  محرز الخصل والكمال الحقيقي
قف به سائلاً وأعظم وأيقن  ببلوغ المنى وفسح المضيق

وقد تضمّن ديوان الكاتب الأديب المؤرخ الشيخ الباجي المسعودي



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

قصيدة فاخرة ضمّنها تاريخ بناء باب الزاوية المحرزية مطلعها:

هذا مقام عظيم القدر فاسع وطف ولذ بأبوابه واسأل هناك وقف

وبيت التاريخ:

وذي كرامته لاحت بشائرها وجاء تاريخها أكرم محرز ابن خلف
1279 [1862]

ومما اشتملت عليه هذه العمارة تجديد تابوت القبر، وجعلوه في طبقتين مع تحويطه بقفص من الفولاذ، حوله سياج من جهاته الأربع، وقد أعجب الناس بهذا التابوت، وسار خبره في البلدان، لا سيما بين المنتسبين لأهل الطريقة، ومنهم تلاميذ الطريقة التجانية، فصنعوا تابوتاً مثله بتونس على يد المعلم أحمد الغربي النجار، وأهدوه لضريح الشيخ سيدي أحمد التجاني بفاس، وقد أتيح لي رؤيته هنالك عند زيارتي لزاوية الشيخ التجاني، والتيمن ببركته في صائفة عام 1317 [1899].

ويتضح مما تقدم أن تجديد عمارة الزاوية المحرزية في أواخر القرن الماضي، كتبت يد الأقدار حسنتها في صحيفة المشير محمد الصادق باي، ولا عجب في ذلك فإن هذا الأمير طاب ثراه، كان صميم العقيدة والانتماء للشيخ محرز الصديقي، ناهيك أنه أوصى بدفنه جوار قبر هذا الولي، وإن لم تسعف الأقدار بإنجاز ذلك بعد وفاته مراعاة للقاعدة المسنونة من دفن الملوك الحسينيين بالمقبرة الملكية الخاصّة بهم خلفاً عن سلف، وكان هذا الباي لا يتخلف عن زيارة ضريح الشيخ في المواسم وعند الأزمات، ومن اسمه اقتبس اسم الطابق العلوي المسمى بالمحرزية في سراية القصر السعيد، وإليه ترجع مزية تحبيس ذلك المصحف الكريم الموقوف على الزاوية، وهذا المصحف نسخه الشيخ حموده قميحة أشهر الخطاطين بتونس في زمنه.

هذا وقد كان ولم يزل للزاوية المحرزية بين أهل تونس منزلة محفوفة


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

بالإجلال والاحترام، ناهيك أنهم يسمون الشيخ محرز، بسلطان المدينة، وكان المضطرون يلتجئون لمنيع حماه، وعلى قياسهم أصحاب الجرائم، والمثقلة ظهورهم بالديون، فيجدون هنالك مأمناً ومهرباً من الحكام[1].

وكان الشيخ محرز بن خلف ممن انتهى إليهم علم الفقه، ناهيك أنه نظر في مسائل الخلاف بين أصحاب الإمام مالك، وكان من أهل الرحلة في طلب العلم. نقل الفقيه أبو بكر الصقلي، أن الشيخ رضي الله عنه، لما وصل إلى مصر، أراد أخذ علم القراءات على الشيخ ابن الأذفر أعلم علماء ذلك الفن في زمنه، فلما أتاه واستفتح في القراءة، جعل ابن الأذفر

---

(1) سئل الشيخ الجد من طرف المشير أحمد باي هل يجوز غصب الأثيم الملتجيء لزاوية سيدي محرز بن خلف على الخروج للحضور بين يدي القضاء، فأجاب بأن النصوص الفقهية تقتضي ذلك، ولكنه لا يفتي به في زمنه، لأن من يلتجيء لدار أحد القناصل يكون في منعة من الحكم، وإذا كان ذلك كذلك فبالأحرى والأحق مراعاة حرمة الزاوية المحرزية اهـ وبالتالي تنوسي التجاء الجناة للاحتماء بحرم الزاوية بسبب انتشار سلطان العدالة بين الخاصة والعامة، ورسوخ قدم القانون وبسط جناحه على كافة السكان، بحيث إن الالتجاء لأضرحة الصالحين صار غير معروف عند أبناء الجيل الحاضر، وبقي بمحفوظي أن آخر جريمة لاذ صاحبها بضريح سيدي محرز بن خلف حدثت في حدود سنة 1316 [1898] إثر تأسيس المجالس العدلية، تولى الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور(م - 50) فصل نازلتها بإخراج الرجل المجرم من الزاوية المحرزية، ودفعه لمجلس الحكم، فكانت هي آخر عهد بالتجاء المجرمين لزوايا الصالحين بتونس.

وتلك الزوايا هي زاوية سيدي محرز بن خلف، والزاوية القادرية بالديوان، والزاوية البكرية، وزاوية سيدي أحمد بن عروس، وزاوية سيدي إبراهيم الرياحي، وزاوية سيدي منصور بن جردان، وزاوية السيدة المنوبية، واسمها عائشة بنت أبي موسى عمران ابن الحاج سليمان المنوبي، وأمها فاطمة بنت عبد السميع، ومولدها بمنوبة، وزاوية سيدي فتح الله العجمي، والمقام الشاذلي، وزاوية سيدي علي بن زياد، يلتحق بها الاستشفاع بنعش صاحب كرسي تونس، وكانوا يعتقون عليه عبيده يوم مماته ويكتبون لكل منهم براءة في عتقه من الرقية فيجعلها في رأس قصبة ويحملها في يده، وهكذا يمشون في مقدمة جنازة سيدهم إلى مواراته. قالوا إن أبا الثناء المولى محمود باي عند وفاته في سنة 1239 [1823] عتق عليه ابنه المولى حسين باي الثاني مائة من العبيد الزنوج بين ذكور وإناث أدركت واحدة منهم في أرذل العمر أطلت على ما وراء المائة، وسمعت منها ما يؤكد ذلك بزيادة أنها احتفظت بصك عتقها، وأوصت بدفنه معها لتكون عتيقة في الدنيا والآخرة (والأعمال بالنيات).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

يتحدث مع رجل كان لجانبه، فسكت الشيخ محرز، فقال له معلمه: اقرأ، فأجابه بقوله: وحي الله والحديث لا يجتمعان. قال له شيخه: قد صدقت، وقطع الحديث. وقال أبو القاسم النحوي: ما رأيت أبا محفوظ (محرز بن خلف) لحن في شيء من كلامه قط، فلا يتكلم إلا كلام العرب. وكان مشهوراً بالفقه والعبادة، وكان في شبيبته يعلم القرآن بأريانة، ثم انتقل لسكنى المرسى، وبعد ذلك اشترى داراً بناحية باب السواقين، وهي زاويته اليوم، وصار يقرىء بها القرآن، والفقه، والحديث اهـ. وقال إمام السنة الشيخ أبو بكر الباقلاني، وقد ذكر عنده يوماً ببغداد: لو أدرك محرز السلف لكان خامس الأربعة، يعني الخلفاء الراشدين اهـ. هكذا وقفت عليه بخطّ بعض الأفاضل. ويلوح أن الأولى تفسير أولئك الأربعة بأيمة مذاهب السنة، أبي حنفية، ومالك والشافعي، وابن حنبل، لا الخلفاء الراشدين الذين يتلوهم في مقدمة الصفّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أوليائه وأصفيائه.

هذا وقد حفظ التاريخ مواقف مشهورة للشيخ محرز بن خلف مع الأمير الصنهاجي باديس، وابنه المعز، وسيأتي الكلام على ذلك. وممّن ترجم له القاضي عياض في المدارك وخصّه الشيخ أبو الطاهر محمد بن الحسن الفارسي بكتاب استوعب فيه ذكر فضائله وسيرته أخباره وأحواله، ومما ينقل عنه من الكلام الحكمي قوله: المؤمن يأكل ما حضر، ويلبس ما ستر، ويأخذ ما صفا، ويترك ما كدر. وكان يجيد نظم الشعر، من ذلك قصيدته عبرة العبر التي قالها في رثاء مدينة قرطجنة، نقل بعضها صاحبنا العلامة الفقيه الشيخ محمد النيفر في كتابه عنوان الأريب(م - 51)، قال من مخمس مطلعه:

مررت بربع بالسراب تلفعا  وطود جبال بالخطوب تصدعا
فقلت وقد أجرت جفوني أدمعا  خليليّ مرا بالمدينة واسمعا
مدينة قرطجنة ثم ودّعا


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وهي طويلة استغرقت نحو الخمسين بيتاً في التخميس ومما ينسب إليه، النظم المعروف بحرز الأقسام في التوسل طالعه:

بـدأت ببسم الله في أول السـطر  فـأسمـاؤه حصن منيـع من الضُّـرِّ

ولكن بعض العلماء نسب هذا النظم لغير الشيخ محرز بن خلف كما يستفاد ذلك من المجموع عدد 3759 المحفوظ بخزانة جامع الزيتونة، حيث قال: يقول تقي الدين السبكي في آخر كتاب الدعوات، لما كتبت هذه الأدعية المنظومة، تذكرت حرزا منظوما وضعه الشيخ الزاهد أبـو عمران موسى الفاسي رحمه الله، وسماه صاحب النظم المبـارك حرز الأقسـام لجميع العلل والأسقام اهـ. وذكر مطلعه بنصه المنسوب للشيخ محرز بن خلف. وإذا اعتبرنا أن الشيخ أبا عمران موسى الفاسي (ترجم له في معالم الإيمان) كان معاصراً للشيخ محرز بن خلف، وكان في زمنه من أقطاب العلم والحديث بمدينة القيروان، وعلمنا من جهة أخرى أن الشيخ محرز كانت له علاقة بتلك المدينة حيث ينزل قريبه الشيخ عبد الله بن أبي زيد صاحب الرسالة، صار مما ليس بالميسور معرفة أي الشيخين كان هو الناظم لحرز الأقسام، على أن النساخين على خلاف في عدد أبياته، فبعضهم حصرها فيما دون الثمانين بيتاً، وبعضهم جمعها في 129 بيتاً كالنسخة التي اشتمل عليها المجموع عدد 3446 المحفوظ بخزانة جامع الزيتونة، وآخرون جعلوها في 220 بيتاً، وعلى هذا العدد احتوت النسخة الموجودة بمكتبتنا، وهي من مخلفات الشيخ الوالد، وكان له إلمام واسع بأخبار الشيخ محرز ابن خلف، وإليه نسب حرز الأقسام. وتوجد نسخة أخرى خطية من هذا الطلسم تجاوز عدد أبياتها الأربعمائة، وهنالك نسخة أخرى تحتوي على نحو 250 بيتاً طبعت بتونس لعهد قريب، وقد لاح لي أن أشدد البحث والتنقيب للكشف عن حقيقة أمر هذا النظم بمراجعة الفهارس المطولـة عساني أعثر على شيء مفيد في حق حرز الأقسام، فلم نقف على أثر لذلك سوى ذكر اسمه «حرز الأقسام» بكشف الظنون بدون أي تعريف، ثم



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وجدت ذكره بزيادة إيضاح في فهرس الكتب العربية الموجودة بـالمكتبة الامبراطورية في مدينة صان بطرسبورج حيث نقل البيت الأول منه بنصّه المعروف وقال: إن عدد أبياته 87 بيتاً، وزاد على ذلك قوله: إنه ينسب لرجل يسمونه محرز بن خلف، وأنه توجد منه نسخة أخرى بخزانة الكتب العربية في مدينة برلين مرسمة تحت عدد 946 اهـ . ولم نجد له ذكراً ببقية الفهارس الأخرى التي بين أيدينا على كثـرتها، منهـا فهارس الآستـانة، ودمشق، واسبانيا، والجزائر، وفاس، وفهرس مكتبة راغب باشا، وفهرس مكتبة المستشرق شفار، وغير ذلك مما يطول ذكره، ولكنني وجدت حروزاً أخرى بفهرس مكتبة باريس الملية نذكرها هنا لأنّ بعضها غيـر معروف بتونس: حرز البحري، قال إنه دعاء للحفظ عند السفر بالبحر، قلت لعله هو حزب البحر المنسوب للإمام الشاذلي، وحرز الأماني ووجه التهاني، قلت هو متن الشاطبية ومعه شرحه المسمى كنز المعاني، وحرز التاجر نسبه للصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه، وحرز الغاسلة لم يذكر اسم مؤلفه وإنما قال إن صاحبه وضعه للحبّ، وأنه وجد برقبة أمة من إماء هارون الرشيد، كان الخليفة يحبها حبّاً جمّاً فاختلسته غاسلتها عند موتها وعلقته بطوقها فاستهوت بذلك الخليفة، وحرز الوزير، لم يذكر اسم واضعه أيضاً، وقال: إنه موجود ضمن مجموع أدعية اسمه الجوشن (الجوشن في اللغة هو الصدر والورع. والجوشن من الليل وسطه، ويجمع على جواشن)، وحرز الوقاية للحفظ، نسبة للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي.

ومن شعر سيدي محرز بن خلف في وصف الظلم والظالم بنقلنا عن كتاب المنتخبات التونسية(م - 52):

إذا ظالم قد عاهد الـظلم مذهبـا وجـار غلوا في عـلو اكتسـابـه
فكله إلى ريب الـزمـان وجـوره سيبدي له ما لم يكن في حسابـه
فكم ذا رأينـا ظـالمـا متجبّـرا يرى النجم تيها تحت ظل ركابـه
فلمـا تمـادى واستـطال بجـوره أنـاخت صروف الحـادثات ببـابـه


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وعوقب بالذنب الذي كان يجتني وصب عليه الله سوط عذابه
فلا فضة تحميه عند انفضاضه ولا ذهب يثنيه عند ذهابه

ومن شعره في وصف الدنيا وتقلباتها:

أبدت لنا الدنيا زخارف حسنها مكراً بنا وخديعة ما فترت
وهي التي لم تحل قط لذائق إلا تكدر طعمها فتمررت
خداعة بجمالها إن أقبلت فجاعة بزوالها إن أدبرت
رهابة سلابة لهباتها طلابة لخراب ما قد عمرت
فاذا بنت أمراً وتم بناؤها نصبت مجانقها عليه فدمرت
ماذا من الأمم السوالف أهلكت ولو أنها نطقت بذاك لأخبرت
طلابها في غفلة من حبها علقت بها ألبابهم فتحيّرت

أما مناقب الشيخ محرز وكراماته، فحدث عن البحر ولا حرج، ومن الأسف أن أخباره بقيت حتى اليوم مشتتة بالدواوين والمجاميع والكناشات، ولم تبرز لعالم الظهور في كتاب مستقل(م - 53) لإشهار فضائله الدينية، وحسناته الاجتماعية بين كافة الطبقات، لأنه كان من الرجال الصالحين، ومن كبار المصلحين، الذين كانت لهم يد عاملة في شؤون العمران بتونس، ناهيك أن من حسناته في مقام المشاريع الإنسانية حماية أهل الذّمّة بما جوّزته الشريعة المطهرة، قالوا إنه هو الذي رخّص لليهود بالسكنى في كنف رعايته قريباً من داره بالحارة الإسرائيلية التي تحولت لقصور في هذا الزمان، وكان اليهود في ذلك العهد لا يدخلون مدينة تونس إلا في النهار، وأما مبيتهم ومساكنهم فإنها كانت بالملاّسين. وفي الخلاصة النقية، أن وفداً من اليهود دخلوا لإفريقية في أواسط المائة الرابعة، مما يدل على أن بني جلدتهم كانوا في عيش هنيء يومئذ بتونس، الأمر الذي مكّن إخوانهم من يهود البلاد الخارجية أن يلتحقوا بيهود الديار التونسية، ومهاجرة اليهود من البلاد الأجنبية للبلاد التونسية تكررت مراراً في بحر القرون الوسطى وفي القرون المتأخرة، وكانت وفود اليهود القادمين من إسبانيا


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

لتونس متعاقبة فيما بين القرن الثامن والقرن الحادي عشر، كلما قدم وفد من مسلمي الأندلس لشمال إفريقية أعقبهم وفد من اليهود الإسبانيين، وآخر وفد من اليهود جاءوا لتونس هم يهود نابلي [NAPOLI] من أعمال إيطاليا حيث كانوا يسومونهم سوء العذاب في القرن السابع عشر للميلاد، وها هم اليوم من جديد بحالة اضطهاد في أوروبا الوسطى، وفي إيطاليا فقد صادروهم في أملاكهم، وحرموا عليهم الالتحاق بأبناء البلاد.

هذا وقد أثبت التاريخ أن الشيخ محرز بن خلف كانت له شهرة عالمية، ومما رأيت له في ذلك أن امرأة جاءته مستغيثة بجاهه ليخلص ابناً لها سقط في أسر الروم، فقال لها الشيخ إني لا أعرفهم، فألحت عليه في الطلب، فقال: بسم الله، وكتب مكتوباً لأمبراطور القسطنطينية العظمى في طلب تسريح ذلك الأسير، فلما وصل المكتوب للأمبراطور، أطلق ذلك الأسير وأحسن إليه. وكان سلاطين آل عثمان يصدرون الفرامانات(م - 54) لولاة تونس في الوصاية خيراً بآل الشيخ محرز بن خلف ويأمرونهم بإعفائهم وأتباعهم من الضرائب والمجابي. وهذه المراسيم السلطانية تقدمها صدور ظواهير كثيرة بمعناها من الأمراء الحفصيين، ومن أمراء صنهاجة، منها ظهير أصدره المعز بن باديس في رعاية الشيخ واحترام جانبه، وتحرير أهله وأتباعه ومنسوبيه من الضرائب الدولية، وستأتي عبارة هذا الظهير الذي نعززه بمكتوب صدر من الشيخ محرز بن خلف للأمير باديس، والد المعز المشار اليه، فقد ورد على الشيخ أحد تلاميذه من طلبة العلم مستجيراً به من مظلمة أصابته من باديس، فقال الشيخ: الله المستعان، وأخذ قرطاساً وكتب:

«من محرز بن خلف إلى باديس بن المعزّ حقّق الله الحقّ في قلوب المؤمنين من عباده، ونقل المذنبين إلى ما افترض عليهم من طاعته، أنا رجل عرف كثير من الناس اسمي، وهذا من البلاء، وأنا أَسْأَلُ الله أن يتغمدني برحمته وفضله، وربما أتى المضطرّ يسأل الحاجة، فإن تأخّرت


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

خفت، وإن سارعت فهذا أشدّ، وقد ورد عليّ رجل يزعم أنه طلب في دراهم ظلماً وليست عنده، فاعمل على رضاء ما لا بدّ لك من لقائه، واستحي ممّن بنعمته وجدت لذاذة العيش، ولا يغرّك توالي زخارف الدنيا عليك، ولا تعادي من أنت محتاج إليه، وحاذر بطانة السوء، فإنهم يأكلون دراهمك، ويقربون من النار لحمك ودمك، وشاور في أمرك من يتّق الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكلّ شيء قدراً، خف من لا يحتاج إلى عون عليك، بل لو شاء إتلافك أخرجك عن نفسك حتى يكون هلاكك على يدك، سالم تسلم، أنت على رحيل، فخذ في الزاد والسلام اهـ». فلما وصل الكتاب إلى باديس، قال هذا كتاب صديق الله، وأمر بكتب سجل في تحرير كافة طلبة العلم ورفع المظالم عنهم. نقل ذلك القاضي عياض في المدارك. أما الظهير الذي أصدره الأمير المعز بن باديس في رعاية الشيخ وتكريمه وذرّيته وكلّ من انتسب اليه، فهذه عبارته:

«هذا ظهير كريم من القائم الناصر لدين الله المعز بن باديس، للشيخ الصالح الكبير القدر محرز بن خلف، قصد به وجه الله العظيم، ورجاء ثوابه الجزيل العميم، وما أمر به السلف المتقدم من إكرام أهل العلم والدين واليقين، لأن من تبع طريقتهم خلص من الشك واقتدى، وأخرج من الضلالة إلى الهدى، وأنقذ من الجهالة والردى، فإن القصد يؤول إلى معرفته، وإثبات وحدانيته، وتحقيق حقائق ربوبيته، ويحافظ على أوليائه، وقد ذكر الله العظيم، في كتابه وتنزيله الكريم، ألا إنَّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون(م - 55)، وقال تعالى فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون(م - 56)، فقد أعلى درجتهم، ورفع منزلتهم، وأسبغ عليهم نعمه، وضاعف لهم مواهبه، ووعدهم برحمته، فقال عز من قائل، يؤتي الحكمة من يشاء، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً(م - 57)، فأنتم أفضل أوليائه، ومعدن أصفيائه وأتقيائه، لأن الله تعالى جعل من عرف وتبصر، وفتح على باطنه وقلبه بخصوصيتكم فقد أفلح وأنجح، فالله تعالى يمنّ على


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

من يشاء من عباده، ويختص من يشاء بخصوصيته، وقد جعلكم من أهل خاصته بالعلم والعبادة والورع والزهادة، ولحظكم بجميل ملاحظته، فأنتم أغصان بسقت، وفروع شجرتها التي غرست، في أطيب تربة ثم سقيت بأعذب الماء، وعذارها الهواء من الأرض إلى السماء، ثم نقلت إلى الحضرة السعيدة فاقتضى النظر بهذا الظهير لجماعتكم، وحفظكم ورعايتكم وحمايتكم، وإجمال عشيرتكم وحسن معاملتكم، وتحذير الأيدي الممتدة إلى إساءتكم وأهلكم وأموالكم ورباعكم، بحاضرة تونس وباديتها، وشركائكم وأتباعكم، ومن عرف بكم وانتسب إلى نسبتكم، وآوى إلى جنابكم، وترفع الأيدي عن زرعكم، في قرية أو سانية، وقرية الفول والخضراء، ومنزل خارجة وقرية الحمام، وما أضيف لتونس، وحرم دياركم وسويقتكم، ورفع الأيدي عن الاعتراض عليكم في دخول النساء إلى حمامكم ومحلكم وحوانيتكم، وتسريح أعشاركم على فرط رسمكم، وجري عادتكم، طائعين لجميع ذلك لما تضمنه هذا الظهير، فلا يغيره مغير عليكم، ولا يدركه مدرك لديكم، ولا يخيل عليكم فيه مخيل، ولا يطاول فيه متطاول، فمن وقف عليه من العمال وسائر الولاة، فليعمل على ذلك الأمر القائم لله والناصر لدينه، وليعمل به ممتثلاً لشروطه وأمره إن شاء الله تعالى، واقفاً عند حدوده وزواجره، غير عاجل لنفسه بالعقوبة لمخالفته أو مخالفة شيء منه إن شاء الله عز وجل، والسلام والرحمة والبركة من راقمه في أشرف الربيعين سنة 410 [1019] اهـ».

واعلم أن لأهل تونس عقيدة صميمة في الشيخ محرز بن خلف سواء في ذلك الرجال والنساء، ويكثرون التردد على مقامه للزيارة والدعاء، والدعاء جائز شرعاً في مظنات الإجابة التي منها مقامات الصالحين، ومن شواهد تبرّك أهل تونس بالشيخ محرز بن خلف أن الكثير من أهل البيوت الكبيرة إذا عقدوا لبناتهم، يتوجّهون بالعروسة لزيارة مقام الشيخ قبل دخول زوجها عليها، وبمثل ذلك جرت عادتهم عند ختن الصبيان، فإنهم يتوجّهون



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

بالصبي المراد ختنه ، ويسقونه غَرْفَةَ ماء ويغسلون وجهه من بئر الزاوية، وقد تضمن التاريخ التونسي حديثاً لهذه البئر في واقعة تعرف بواقعة جماعة البوقال، حدثت في دولة المرحوم الباشا مصطفى باي، وصورتها على ما نقله المؤرخ الوزير الشيخ أحمد بن أبي الضياف(م - 58)، أن بعض أهل تونس لم يرضوا إذ ذاك بإحداث النظام العسكري الذي ابتدأه المرحوم حسين باي في أواخر دولته (1247) [1813] واستمر أخوه مصطفى باي من بعده على إتمامه، فتوجّهوا لزاوية سيدي محرز بن خلف وتعاهدوا على مناصرة بعضهم بعضاً، وكل من انضمّ لهم يقدم مثلهم للزاوية المذكورة، ويشرب من البوقال(م - 59) المملوء من بئرها، كناية عن موافقته ودخوله في الاعتصاب، وتمّت النازلة بتشتيت أولئك الجماعة، مع تكسير البوقال ولله في خلقه شؤون(م - 60).

وقد جرت العادة من قديم، إقامة شيخ للزاوية المحرزية، ولا يكون إلا من حفدة سيدي محرز بن خلف، ومن أشهر من تولّى هذه الخطة في الزمان الماضي الشيخ عبد الواحد المحرزي، وهو الجدّ الجامع لطبقات الذريّة الموجودين لهذا الزمان، توفّي في سنة 1022 [1613] وخلفه ابنه الشيخ محمد في مشيخة الزاوية بالفرمان السلطاني[1]. هـذا ومعلوم أن

---

(1) نصّ تعريب هذا الفرمان المصدر بطغراء السلطان الغازي أحمد خان الأول:

حكم هذا الفرمان، العالي الشأن، السامي المكان، السلطاني والطغراء الغراء، لفاتح الآفاق الملوكاني، المنصور بالعون الرباني، هو أنه لسبب وفاة عبد الواحد المتصرف بطريق الأولوية على زاوية السيد محرز ابن خلف الواقعة بتونس، وانحلال مقامه، أعطيت تصدقاً هذه البراءة المسعودة الآيات، لمن هو من أكبر الاولاد ومستحق من جميع الجهات، قدوة الصلحاء السالكين، وعمدة الأتقياء الواصلين، رافع التوقيع الملوكاني، وناقل الرسم البليغ السلطاني، الشيخ محمد زيد تقواه، وأمرت أن يكون الشيخ محمد الموما إليه متصرّفاً بعد اليوم على الزاوية المزبورة، مراعياً لقوانين تصرفها المرعية من القديم، لئلا يكون فرد من الأفراد مانع أو دافع أو رافع أو منازع أو مبدّل رسم. عليه طغراء آل عثمان الشريفة. تحريراً في أواسط شهر ذي الحجة الحرام سنة الاثنين وعشرين وألف من الهجرة النبوية [1613] اهـ .



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

للزاوية المحرزية أوقافاً وأرزاقاً جارية، فهذه الأوقاف تديرها في هذا الزمان جمعية الأوقاف صوناً لحقوق ذرية الشيخ، تقسم بينهم على نسبة مناب للعزب، ومنابين للمتزوج، ومن حقوقهم أيضاً التمتع بفتوحات الزاوية، وهي في الزمن الحاضر قليل من كثير بالنسبة لما كانت عليه في الزمن الماضي. وهذه الفتوحات التي لها نظائر كثيرة ببقية الزوايا التونسية طالما أثارت الشقاق والتنازع بين من يدعي استحقاقها، وبين من لا حق لهم فيها، ولقد وقفت في هذا المقام على فتوى شرعية لعمنا شيخ الإسلام أبي الثناء الشيخ محمود بن الخوجة ننقلها هنا من كناشه، قال رحمه الله:

«سئلت عن الفتوحات التي للزوايا ما حكمها فأجبت مستعيناً بالله:

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على من فتحت بمعراجه الشريف أبواب السماوات، وعلى آله وأصحابه سادات الأيمة وأيمة السادات، وبعد: فالجواب عن المسألة هو أنّ هذه الفتوحات يحكم فيها العرف والعادة، فإذا جرت العوائد باختصاص الشيخ المتولّي بها فلا يزاحمه غيره فيها، وإذا كانت العادة جارية بخلافه كان صرفها لكل من ثبت اتّصاله شرعاً بصاحب الزاوية، فيعمل بذلك، وسند هذا الفقه ما في البحث الثاني من القاعدة السادسة من الأشباه ونصه: ومنها ما في وقف القنية بعث شمعاً في رمضان إلى المسجد، فاحترق وبقي منه ثلثه أو دونه، ليس للإمام أو المؤذن أن يأخذه من غير صريح الإذن من الدافع، ولو العرف في ذلك الموضع أن الإمام أو المؤذن يأخذه من غير صريح الإذن في ذلك فله ذلك. ونقل العلامة ابن عابدين هذا الفرع في غير ما موضع من كتابه وسلمه واستنبط منه أحكاماً، وهو الفيصل في المسألة إن شاء الله تعالى، قاله وأفتى به محمود بن الخوجة في ليلة معراجه صلى الله عليه وسلم عام 1305 [1887] اهـ.» وهذا الفقه يوافق ما ورد في السنة، فقد نقل الشيخ محمد قويسم في كتابه سمط اللآل[1] (جزء 4 صفحة 25) ما يأتي: لما

(1) هو كتاب جليل مخطوط احتوى على عشرة أجزاء في القالب الكبير لا توجد منه إلا النسخة =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة المشرفة إلى عثمان بن أبي طلحة بن أبي شيبة يوم فتح مكة، قال له: خذها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم يا عثمان، إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف اهـ. فقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الناس تهادي بني شيبة، لذلك قال لهم كلوا، وعلى قياسه الفتوحات لصاحب الزاوية، فإنه يأكل منها إذا كان بالمعروف اهـ. بلفظه.

## ـ 6 ـ

## الجامع الجديد(م - 61)

خطبته هي الخامسة عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وإمامه في هذا الزمان الشيخ أحمد بن مراد المفتي الحنفي الشرفي.

هذا الجامع[1] بناه المقدس المبرور المولى حسين باي بن علي تركي

---

= الوحيدة المحفوظة بخزانة جامع الزيتونة، وهذا الكتاب هو أكبر موسوعة معروفة لمؤلف تونسي في السابق واللاحق.

(1) لم نتعرّض أثناء هذا التأليف عند الكلام على بيوت العبادة الموجودة لهذا الزمان بمدينة تونس للتعريف بغير جوامع الخطبة التي جاء ذكرها في هذا الباب الثاني من الكتاب، وفي الباب الأول منه، ولكن المبرّة الجليلة، والحسنة الخالدة التي قام بها فرع مؤسّس البيت الحسيني صاحب الجامع الجديد المذكور أعلاه ولي النعم سيدنا ومولانا أحمد باشا باي الثاني، من إحياء جامع الخطبة بالمرسى، تحملني على توسيع المجال في هذا المحلّ لضمّ اسمه الشريف، وصنيعه المنيف، لصنيع جدّه الأعلى المولى حسين بن علي، قدّس سرّه، فقد أنفق حفيده السعيد أطال الله حياته ألف ألف من حرّ ماله في تجديد عمارة جامع مرسى جرّاح الذي أحياه بعد اندراسه والده المقدس المبرور المولى علي باي الثالث في سنة 1307 [1889] وهذا الجامع من بقايا الدولة الحفصية أحدثه السلطان أبو عبد الله محمد بن الحسن في أوائل المائة العاشرة على مقربة من قصور العبدلية الموجودة بقيتها قائمة الذات لهذا العهد في جملة الآثار العربية المحتفظة بها إدارة الآثار القديمة والفنون المستظرفة. وقد تولى سيدنا ومولانا أحمد باشا باي نضر الله وجهه، فتح هذا الجامع عند تمام عمارته في موكب مشهود عقده يوم الأحد في 21 رجب 1356[1937] بحضور آل بيته ووزرائه وأهل بلاطه وشيوخ المجلس الشرعي وأهل العلم بالمذهبين والأيمة والأشراف فجلس أبقاه الله بمحراب الجامع وحوله أولئك الذوات وافتتح المجلس بترتيل آيات الذكر



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

جد البيت الحسيني الرفيع الشأن، الراسخ الأركان، وكان تمام بنائه في سنة 1139 [1726] قال المؤرخ الشيخ أحمد بن أبي الضياف(م - 62): ومن مآثر هذا الباي جامعه المعروف بالجامع الجديد ومدرسته وتربة جواره، وأول صلاة أقيمت به ظهر يوم الأحد الرابع عشر من شعبان سنة 1139 [1726] وحضر الجماعة بنفسه وأوّل خطيب به العالم الفقيه أبو العباس أحمد بن مصطفى النميشي الحنفي، ورتب به دروساً أربعة، وأول مدرس به العلامة الفاضل أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الشريف إمام جامع دار الباشا، وأوقف على ذلك أوقافاً نافعة اهـ بلفظه. ولكن بالوقوف على رسم الموقوفات التي وقفها المولى حسين بن علي على جامعه هذا، رأيت أنه

---

= الحكيم قام بذلك جماعة القراء ثم تولىّ إمام الجامع الفقيه الأبرّ الشيخ الحاج أحمد البناتي قراءة قصة المولد الشريف للإمام البرزنجي وختمها بخطاب نفيس من إنشائه تضمّن تاريخ نشأة هذا الجامع ثم رطب لسانه بالدعاء للمولى الأمير، والحاضرون يؤمنون على دعائه، وبعد أن تلقى سموه أبقاه الله في محراب الجامع مراسم التهاني والأدعية الصالحة من شيوخ المجلس الشرعي، عقد أبقاه الله موكباً جليلاً بسرايته لقبول التهاني من أهل الدولة، ثم من مشائخ التدريس بجامع الزيتونة، يتقدمهم فضيلة شيخ الجامع، ثم بقية من حضر الافتتاح من الخاصة والعامة، ولقد تسابق العلماء لنظم القصائد الفاخرة في تحبيذ هذا الصنيع المشكور، مما قامت بنشره صحف تلك الأيام، من ذلك قصيدة فريدة رسمت بالنقش فوق باب الجامع، من درر منظوم العلامة الأستاذ الشيخ الصادق المحرزي الحنفي ونصّها:

لله هذا المسجد الأسنى الذي ... قامت على تقوى الاله دعائمه
قد كان بيتاً للعبادة من بني ... حفص ثوت آثاره ومعالمه
أحياه سيدنا علي الباشا الذي ... قد خلدت بين الملوك مكارمه
فأقيمت الصلوات فيه أعصرا ... وبدت عليه من القبول علائمه
وتضايقت بالقانتين رحابه ... واشتد في وقت الصلاة تزاحمه
فاستيقظ الملك المعظم أحمد ... وقوت على الفعل الجميل عزائمه
خير الملوك ديانة وثقافة ... ومن الذي في المكرمات يزاحمه
فأشاد من بنيانه ما قد ترى ... وتضاعفت ساحاته ومراسمه
ناهيك من عمل لربّه خالص ... لا تنقضي حسناته ومراحمه
عنوان فضله جاء في تاريخه ... قامت على تقوى الاله دعائمه

1356 [1937]


www.almaktabah.net مكتبتنا العربية

رتب به مدرساً حنفياً واشترط أن يكون الطلبة من الحنفية، ورتب بمدرسة هذا الجامع مدرساً مالكياً، واشترط أن يكون طلبتها من المالكية، ورتب للجامع أرزاقاً، واشترط أن يكون إمام الجامع هو خطيبه، وأن يكون من الحنفية، صدر منه ذلك في أواسط حجة سنة 1142 [1729] وهذا لا ينافي بناء الجامع قبل ذلك بثلاثة أعوام، ورأيت أيضاً بدفتر موقوفات الجامع المتحدّث عنه أن المولى محمد الرشيد باي بن مؤسّس هذا الجامع، أضاف لأحباس والده تحابيس أخرى لفائدة هذا البيت المبارك، صدر منه ذلك في عام 1171 [1757] ومما لا خلاف فيه أن المولى حسين بن علي بنى هذا الجامع من حر ماله لا من صندوق بيت مال المسلمين، وصرف في تنميقه وتزويقه أموالاً طائلة، حتى إنه تكلف بجلب الزليج البديع الصنع واللون من بلاد الترك لكسو جدرانه، ولقد تطولت يد أثيمة في أوائل هذا القرن لسرقة الكثير من ذلك الكسو الجميل بالقلع والبيع لبعض ملتقطي الآثار العربية من الأجانب، وهذا السلوك الممقوت يدلك على صحة قول عمر رضي الله عنه «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» لان الوازع الديني وحده لا يمنع المسلم الفاسق من ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ونتذكر أن بعض أوباش المسلمين كان سرق نعشاً من مسجد وصنع من خشبه قباقيب للاتجار فيها، واختلف في الثمن مع بعض المبتاعين، ونشأت بينهما خصومة أفضت للكشف عن مصدر خشب القبقاب المتنازع فيه، وآل الحال لسجن سارق نعوش الأموات. وختم الحديث بهذا الجامع ينعقد في اليوم الثالث والعشرين من شهر رمضان.

## ـ 7 ـ

## جامع صاحب الطابع(م - 63)

خطبته هي السادسة عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس، وإمامه في هذا الزمان المدرس الشيخ الحاج علي بن الخوجة(م - 64).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

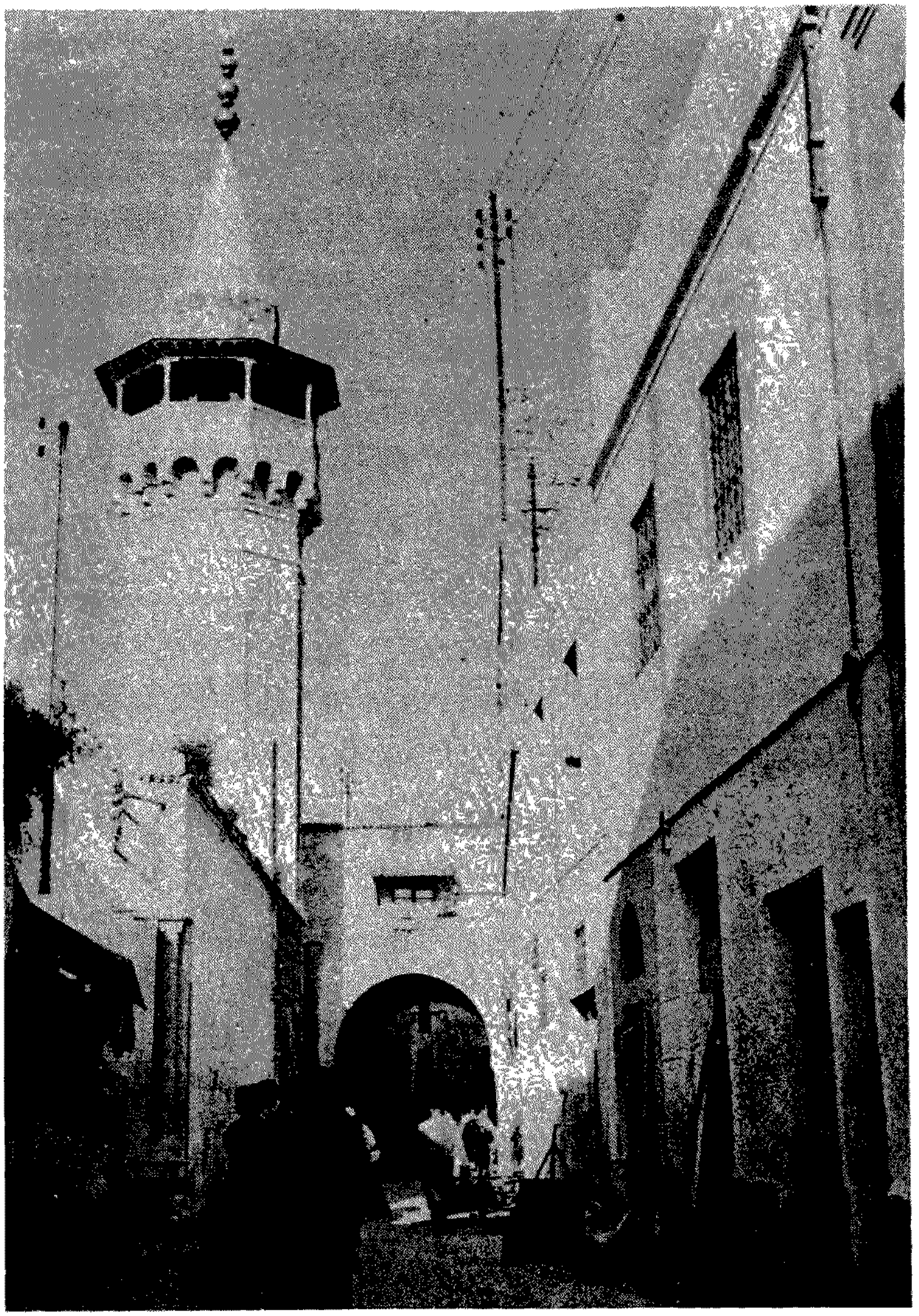

الجامع الجديد


www.almaktabah.net
مكتبتنا العربية

وهو سابع الجوامع الحنفية، وآخرها عهداً، أسّسه الوزير صاحب الخيرات أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع[1] في سنة 1229 [1813] وأوّل صلاة أقيمت به فريضة الجمعة الموافقة ليوم المولد الشريف من ذلك العام حضرها متبوعه الباي المولى حمودة باشا، وأهل دولته، وشيوخ العلم، ورجال الشريعة. وأول خطيب به الشيخ محمد بيرم الثالث[2]. ومن مدرسيه إذ ذاك الشيخ محمد الفاسي، أقرأ به تفسير القاضي البيضاوي، والشيخ ابراهيم الرياحي أقرأ به شرح القسطلاني على صحيح البخاري، والشيخ الجد أقرأ به تذكرة القرطبي في الحديث، والشيخ أحمد العوادي كان يقرىء به الفقه المالكي، والشيخ صالح السنان كان يقرىء به علم التجويد، وكان به أربع خزائن مشحونة بنفائس الكتب المخطوطة باليد ذات

---

(1) أصله من صقالبة البغدان، اشتراه أحد التجار في البن بالاستانة. فابتاعه منه القائد بكار الجلولي عامل صفاقس وأهداه للباي حمودة باشا يوم بيعته في حياة أبيه فقربه منه نجياً وعهد له بمباشرة طبع المراسيم الملكية، لذلك لقبوه بصاحب الطابع، وكان من أهل البرّ والمعروف، ملك قلوب الرجال بالإحسان والوفاء بالعهد، رسخت قدمه بدولة متبوعه المولى حمودة باشا، فكان هو لسانه وساعده الأيمن، الأمر الذي نشأت عنه حزازات في صدور منافسيه فدسوا له عقارب السعايات، وكان أقواهم حركة في ذلك السبيل الوزير محمد العربي زروق، وهو الذي دبّر مكيدة الفتك به في عهد المولى محمود باي، وقد تضمن كتاب مراسلات بايات تونس مع ملوك فرنسا للمؤرخ بلانطي [Plantet] أحاديث ووقائع كثيرة بخصوص سياسة يوسف خوجة وسلوكه نحو الأوروباويين لم يتعرض لها المؤرخ الشيخ أحمد بن أبي الضياف ولا غيره من المؤرخين التونسيين. ومن أكثر من كتب في حقه من الفرنسويين المؤرخ روصو [Rousseau] قنصل فرنسا بتونس فقد حكى تاريخ حياته مع تفاصيل مقتله وأسبابه، ولعهود متأخرة نشر البحاثة منشيكور [Manchicourt] المراقب المدني كان بتونس، كتاباً جامعاً في أحوال الدولة الحسينية تضمن شتى الأخبار المتعلقة بهذا الوزير، ولكن يستفاد من بعض نقول المؤرخين الأوروباويين أن يوسف خوجة كان يعمل لمصالحه وتنمية أرزاقه الواسعة، وربما كان في نيته قلب نظام الدولة لفائدته الشخصية.

(2) قال الوزير ابن أبي الضياف إن الشيخ محمد بيرم الثاني لما ورد عليه الظهير الملوكي الصادر في ولاية ابنه الشيخ الثالث إمامة هذا الجامع، قال لمن جاءه بالظهير: الله أكبر! ابن الشيخ صالح الكواش يصرف عن خطة الاشهاد، وابن محمد بيرم الذي لم يتجاوز اسمه هذه الحفرة (اي حفرة تونس) يولى الإمامة! فكان هذا التوجع الأدبي سبباً لعطف الحكومة يومئذ على ابن الشيخ الكواش ورد أمر الإشهاد إليه اهـ.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

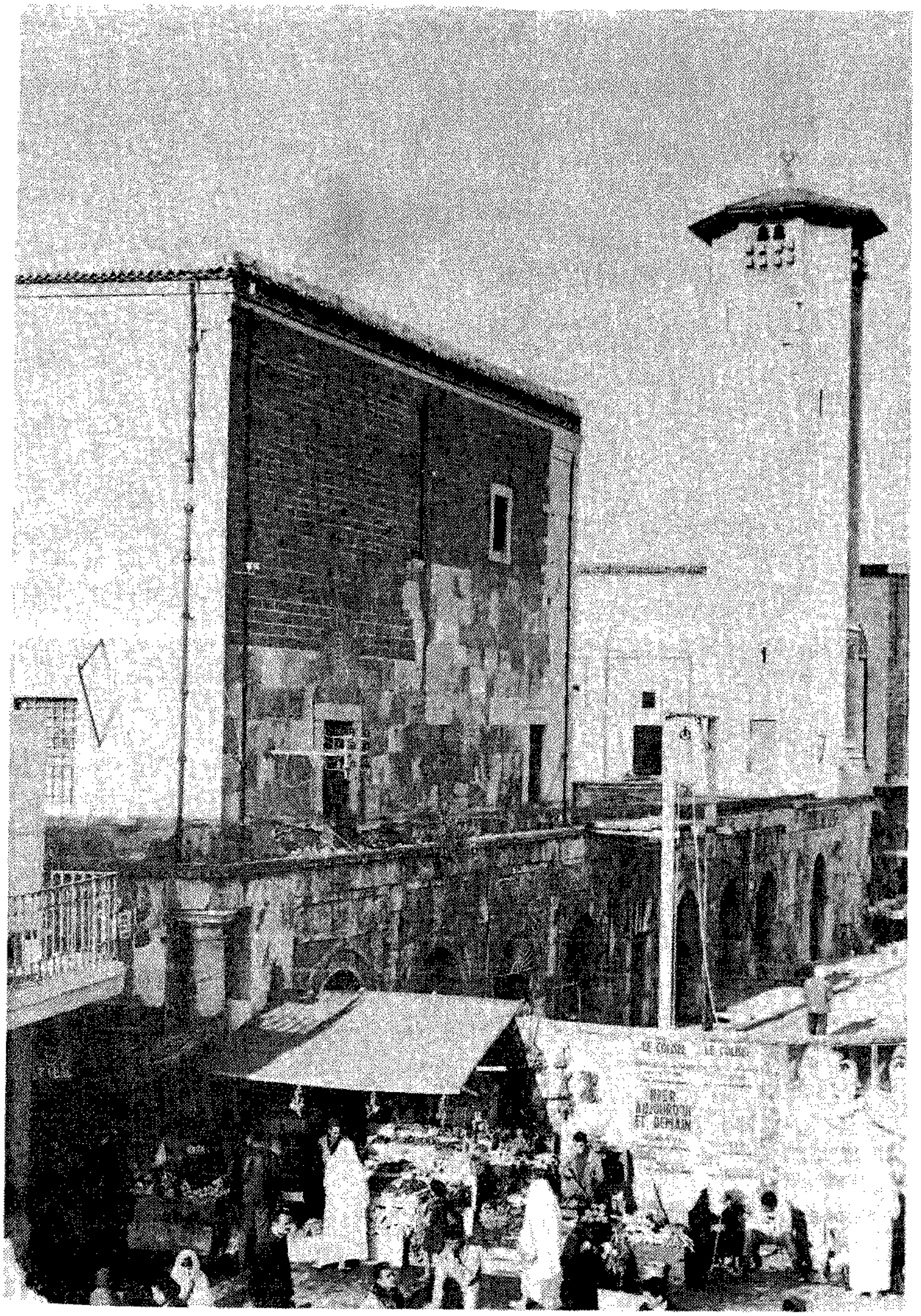

جامع صاحب الطابع قبل إتمام الصومعة



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

قيمة لا تدرك، وبالجملة فإن يوسف خوجة لما أحدث جامعه، أقام به هيئة علمية لتدريس علوم الدين، كانت هي البذر العلمي الأول بحاضرة تونس في القرن الفائت، ولك أن تقول مقدمة النهضة العلمية الواسعة التي خلدت الذكر الجميل للمشير أحمد باي الأول بجامع الزيتونة كما سبق بيانه، فلما قتل يوسف خوجة غدراً في ثاني عشر صفر 1230 [1814] ومثل به بمكيدة دبرها منافسه الوزير أبو عبد الله محمد زروق، حاول هذا الوزير إطفاء ذكره بإبطال تلك الدروس التي أسّسها المرحوم يوسف خوجة بجامعه، ونقل الكتب الموقوفة على الجامع، معتلاً بأن بعد هذا الجامع عن مدارس الطلبة يقضي بنقل تلك الدروس وتلك الكتب لجامع الزيتونة، وجمع لذلك أهل العلم، وشاورهم فيه، فعارضه الشيخ إبراهيم الرياحي بقوله «أي فائدة شرعية في هذه النقلة؟ وإن أردتم إطفاء ذكر الرجل، فلك ذلك بمقتضى المنافسة، والأولى أن المنافسة تنتهي بالموت، هذا ما يليق بشرفك أيها الوزير» اهـ. فأحجم الوزير زروق عن الكلام، وأعرض عن مطلبه.

ولقد احتوت مكتبتنا على زمام اشتمل على جميع الرباع والعقارات التي وقفها يوسف خوجة على هذا الجامع استغرقت أكثر من خمسين صفحة في بيان تلك الموقوفات بتونس وأعمالها، وأكثرها بالجهات الزراعية المشهورة بالخصب، منها: بحائر وادي مجردة، ومما تضمّنه هذا الزمان بيان ما خصّصه المحبّس من الجرايات لمن يناط بهم القيام بالشعائر به في زمنه، فكان مناب الإمام ثلاثة أرباع الريال في اليوم بزيادة ربع ريال في مقابلة درس يقوم به في الفقه الحنفي، وللخطيب في يوم الجمعة والعيدين ستّ خرارب(م - 65)، ولإمام صلاة التراويح عشرين ريالاً عن كامل شهر رمضان، وللباش خوجة ربع ريال في اليوم، وللقارىء على الختمة خروبتان في اليوم، وللمؤذن مثله، ولكل واحد من الوقّادين ثمانية نواصر في اليوم، ولشيخ درس التفسير ست خرارب في اليوم، ومثله مدرس الحديث،



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

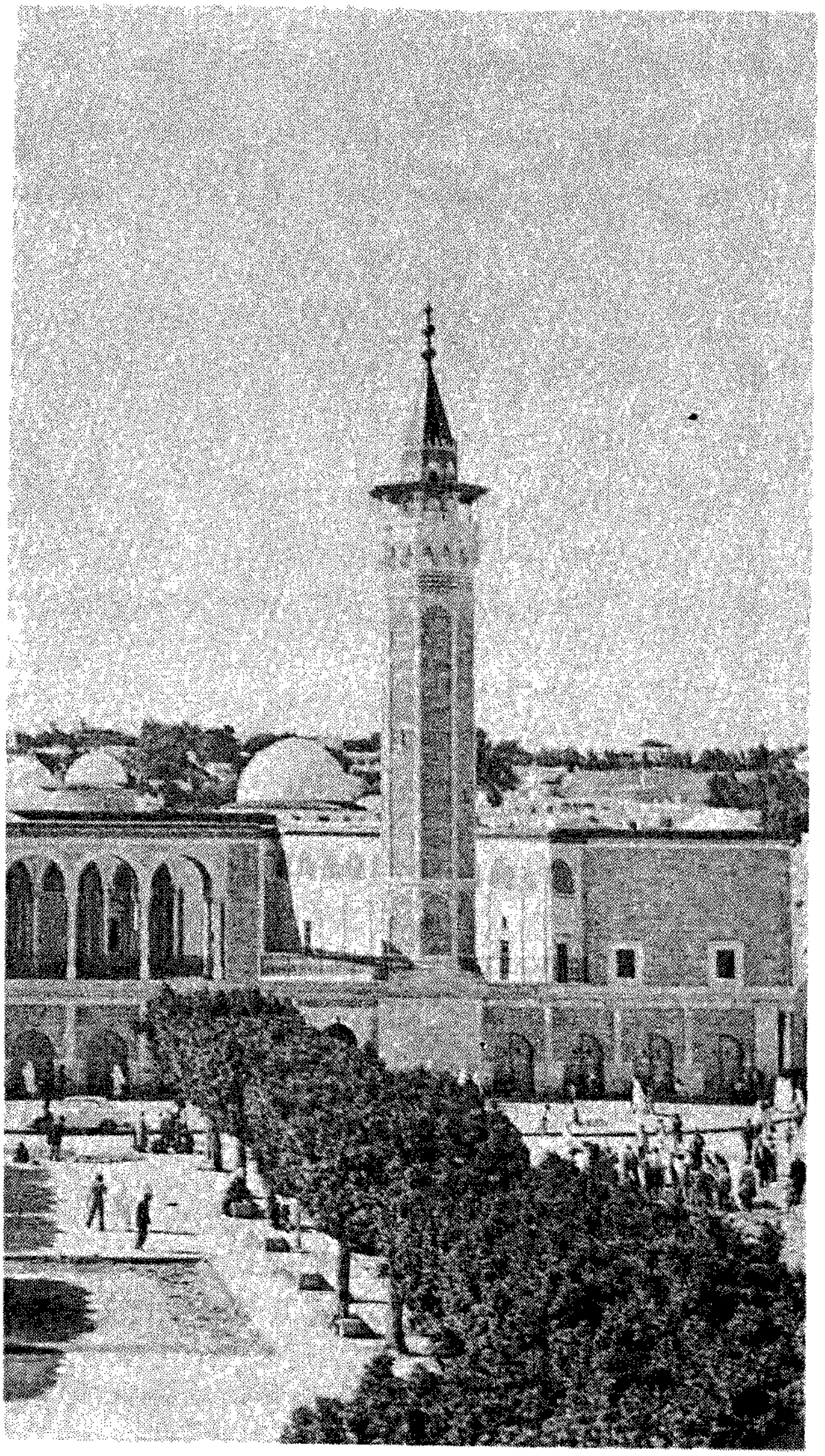

جامع صاحب الطابع
بعد ترميمه



مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

ولمدرس علوم الشريعة ربع ريال في اليوم، كما اشترط في عقد التحبيس إجراء جرايات يومية لطلبة المدرستين اللتين أحدثهما جوار الجامع، وجعل لوكيل الأوقاف ريالاً في اليوم، ومثل ذلك لكل من شيخي المدرستين، اعتبر كون أكثر الطلبة من المذهب المالكي، فأسس لهم درس فقه على مذهبهم، واشترط أن يكون من مختصر خليل، أو من مختصر ابن الحاجب، أو من كتاب التهذيب للبراذعي، وأسّس زيادة على ذلك أحزاباً دورية حول العام، مع أحزاب أخرى بمناسبة المواسم الشرعية. صدر منه هذا التحبيس في 13 شعبان 1228 [1813]. ومما تقدّم يسهل علينا فهم اشتهار جامع صاحب الطابع بالثراء لكثرة الأحباس الموقوفة عليه، وهذه الموقوفات عزّزها المولى حسين باي بأحباس معتبرة ألحقها بأحباس الوزير يوسف خوجة من ذلك جميع السانية المشجرة زيتوناً الكائنة بالهنشير المعروف بالأحمر جوار وادي مليان، وتعرف بسانية المرساوي، حبّسها على يد الشريف أبي الحسن علي مهاود، شيخ ربض باب السويقة، واشترط اقتسام أرياعها أثلاثاً، ثلث للقارىء على الختمة، وثلث لخوجات الجامع، وثلث للمؤذنين به» إلى أن قال: «وقف على جميع ذلك كله شهيداه حضر الآن شهيداه لدي سيدنا ومولانا السلطان المقرر على ملكه المذكور وأشهدهما بأنه حبس وأبد ووقف جميع السانية المقررة على ملكه المحدودة المذكورة أعلاه بجميع ما لها من الحقوق والمنافع على القارىء الذي يقرأ في الختمة الموضوعة فوق الكرسي الموضوع داخل الجامع الجديد الذي أنشأه خديمه وتابعه المرحوم برحمة الحيُ القيوم السيد أبو المحاسن يوسف خوجة» ولقد تضمن رسم هذا التحبيس أمراً غريباً، وهو أنّ ذلك التحبيس صدر من المولى حسين باي المذكور في الرابع من حجة عام 1230 [1814] مصدراً بقوله «الحمد لله بعد أن استقرّ على ملك سيدنا ومولانا الملك المظفّر، والهمام الأظهر، كهف الأنام، وملاذ الخاص والعام، وحامي بيضة الاسلام، من عم عدله الدنيا على تباعد أقطارها، وشمل نداه رعيته على اختلاف ألسنتها، وتنائي أمصارها وديارها، وسبحت في بحار السعادة سفن



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

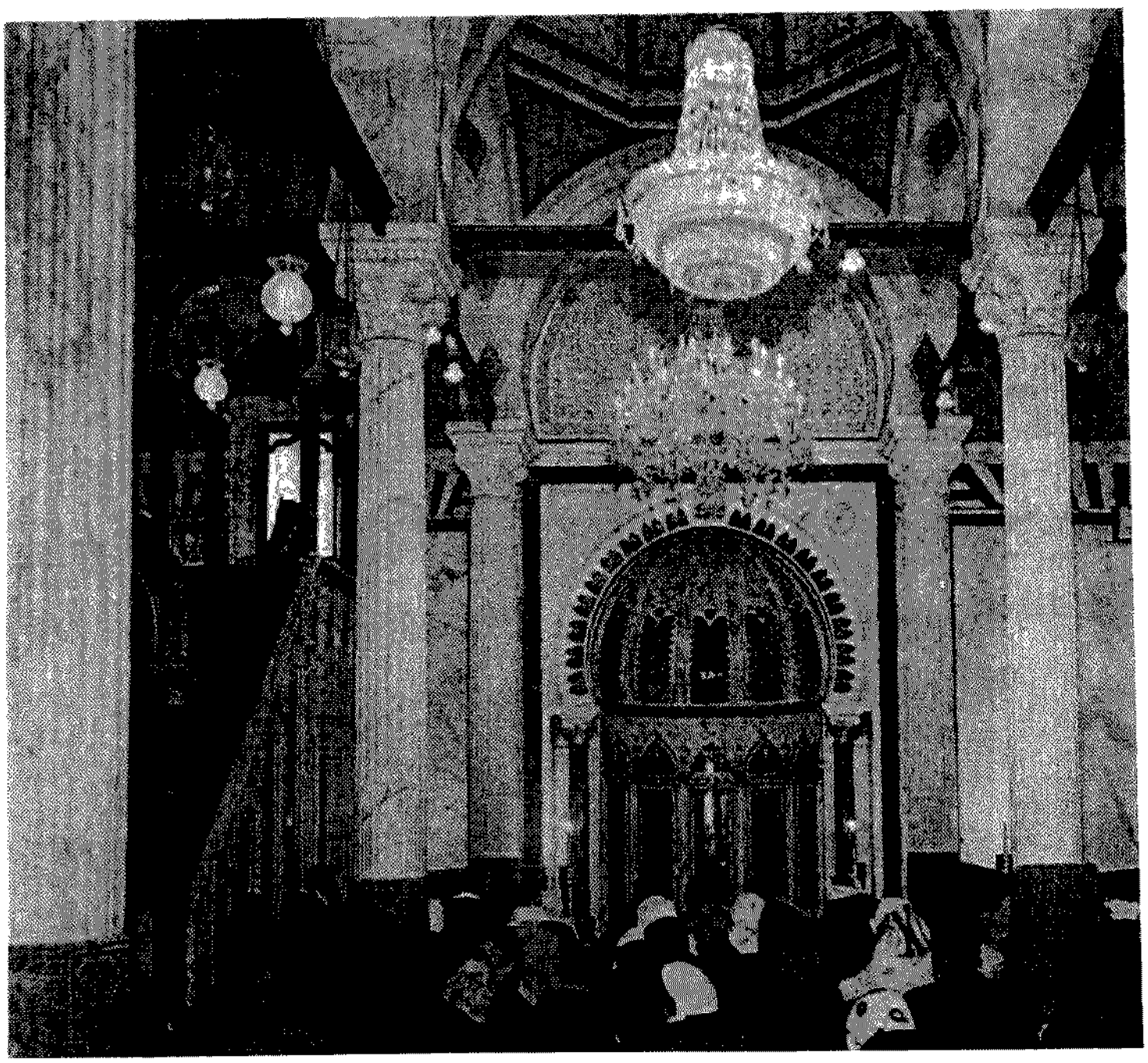

قاعة الصلاة الداخلية بجامع صاحب الطابع



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

خيراته، وطلعت في الخافقين شموس فضله ومبراته، حتى عم نواله النازح والداني، وجلل حلمه البائس الجاني، سيدنا أبـي عبد الله حسين باي، لا زالت عين الله به محيطة، مؤيداً بالنصر على جميع البسيطة، ورايات[1] عزه خافقة منشورة، وراية عدوه كثيبة مهزومة مدحورة، آمين، جميع السانية المشجرة زيتوناً الخ» فهذا التحبيس صدر منه كما تقدّم ذكره في شهر ذي الحجة 1230 [1814] بعبارة يفهم منها بدون التباس أنه كان في ذلك الزمان ملكاً على تونس، والحال أنه لم يكن كذلك، لأن أمير ذلك العصر هو والده المقدس المولى محمود باي الذي دام جالساً على أريكة الملك من تاسع محرم سنة 1230 [1814] الى 28 رجب 1239[1823] ولم نروجها في ذلك سوى ما اشتهر بين الناس في تلك الأيام وأثبته التاريخ من أن الباشا محمود باي الذي تولى الملك بعد أن بلغ الستين، كان يستعين بأكبر بنيه على مباشرة أحوال الدولة، ويكتفي بما يجـريه هـذا الابن النشيط من الأعمال في أمور الرعية، وما يقوم به من التدابير في المهمات والشؤون العامة، حتى صار النّاس ينسبون له جميع ما يصدره من الأوامر والنواهي باسم والده المولى محمود باي، ناهيك أنه تنازل له عن الحكم آخر حياته، وأطلق يده بالولاية والعزل.

ولنرجع بك لحديث الجامع بالذات فنقول: إن هذا الجامع لما تم بناؤه انهل ودق الأدباء بتواريخه وتهنئة صاحبه، من ذلك قصيدة لعـالم العصر وبركة المصر الشيخ إبراهيم الرياحي أثبتها حفيده بكتاب تعطيـر النواحي ومطلعها:

ذكـر جميـل يـوسف قـد جـدده  وذخيـرة في الصـالحـات مخلده
ذا الجامع الحسن الذي هو جنـة  لـولا رسـوم الـدين فيـه مـردده

---

(1) الراية التونسية الحمراء الموجودة لهذا الزمان من مخترعات هذا الباي رحمه الله.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ومنها قوله:

بيت على التقوى تأسّس والرضى  فأبو المحاسن بالرضى ما أسعده

وبيت التاريخ:

فاشكر له واسأل وقل متعجّبا  ومؤرّخا لله ما قد شيّده

1229 [1813]

ومما قال شيخ الإسلام الشيخ محمد بيرم الثاني في تهنئة الوزير يوسف خوجه بجامعه:

هنيئاً لإدراك المنى والرغائب  ونيل الذي أملته من مطالب
بإتمام هذا الجامع المفرد الذي  بدا كسماء زينت بالكواكب
فجاد على ما قدر الفكر هيكلاً  عظيماً يرى أعجوبة في العجائب

ويلوح أن الشيخ محمد بيرم الثاني ـ قدّس نوره ـ كان عليماً بأحوال زمانه، إذ هو لم يغفل عن تهنئة المولى حمودة باشا بمناسبة بناء هذا الجامع الذي تم في عصره السعيد، فقد كتب له في ذلك مكتوباً بديعاً نثراً ونظماً، أشار له الوزير الشيخ أحمد أبي الضياف في تاريخه(م - 66)، ولم ينقل عبارته، ونحن نثبتها هنا بالنقل عن أحد كناشات سلفنا رحم الله الجميع ونصّ المكتوب:

« أدام الله سبحانه المجلس العالي مبلغ الأماني، متوالي التهاني، صادراً عنه من المآثر الحسان، ما هو غرّة في وجه الزمان، يتناقل حديثه الركبان، لأقاصي البلدان، بعد إهداء ما يليق من سلام، وإنهاء ما يناسب من إجلال وإعظام، فليهنأ مولانا ببلوغ الأمل، من تمام العمل، في هذه المكرمة التي أبداها مجده، وأطلعها سعده، ويسّرها إنعامه وسهّلها اهتمامه، آية دالّة على عظم دولته، وكبر همّته، إذ هي في الحقيقة له منسوبة، وفي حسناته محسوبة، لا زالت دولته الغراء تبدي غرر المآثر، مصداقاً لمثل كم ترك الأول للآخر، ولما علم النظم ما يحصل لهذا النثر



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

بإصغاء مولانا إليه من شرف الإقبال أراد أن يضرب معه في ذلك بسهم فقال:

أهني بهذا الجامع الشامخ القدر جمال العلا حمودة النافذ الأمر
أمير إذا عد الملوك رأيتهم نجوماً وكان البدر في وسط الشهر
ولا عجب إن فاقهم وهو منهم فإن الليالي بعضها ليلة القدر[1]
له المأثرات الغر والهمة التي عدت في التعالي دونها قمة النسر
وقد أنبأت آثاره عن علوها ومن تلك هذا المعبد الواضح الفخر
تعلقت الآمال منه بوضعه مباشرة من رام تنفيذ ذا الأمر
وما كان يعزى في الأمور لتابع فذلك للمتبوع حقاً بلا نكر
فحق هنا المولى بمكرمة أتى بها مجده تبقى الى آخر الدهر
وحق عليه منه لما توضحت جلالتها قسط عظيم من الشكر
أطال إله العرش في العزّ عمره ووفّقه للخير في السرّ والجهر
بحرمة خير المرسلين ومن له صفا حالة مع ربه من أولي السر
وما غاب عني أن سعيي واجب لهذا الهنا لكنني بين العذر

والله تعالى يطيل بقاء هذه الدولة الغراء، ويجمع لصاحبها بين خيري الدنيا والأخرى، ومعاد السلام من الداعي لها بذلك، محمد بيرم هداه الله تعالى لأوضح المسالك اهـ».

قال في تاريخ الشيخ ابن أبي الضياف(م - 67)، إن يوسف خوجة لما أتمّ جامعه، أوقف به أربعة خزائن من الكتب، ودفع ناضاً لوكيل أوقاف الجامع ما يلزم الجامع من المصروف عن مدة عامين، وكان هذا الجامع سبباً لإصلاح غيره من الجوامع، وكان المباشر لهندسة بنائه العريف الحاج ساسي بن فريجة، وطلب له من الأجر قبراً بسقيف الجامع عند حضور أجله، والأعمال بالنيات.

---

(1) كأنه اقتبس هذا المعنى اللطيف من قول الشاعر:
وان تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ومن نكـايا الأيـام، أن يوسف خـوجة قتـل قبـل إتمـام صـومعـة جامعه(م - 68) لذلك تراها حتى اليوم جذعاء كجسد بلا رأس، ولم يقدم أحد من الملوك على الأمر بإتمامها نظراً لما جرت عليه العادة في تونس من أن البناء الذي لم يتم في حياة صاحبه، يتشاءم الأحياء بإتمامه، لكونه قطع في نظرهم خط السير بمؤسّسه، وهي عقيدة سخيفة لا تحتاج سخافتها لإقامة دليل. ومما لا شكّ فيه أن الله تعالى تقبـل سعي صاحب هـذا الجامع، لأن جامعه كان ولا زال من أعمر بيوت الله بالعبادات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

ومـن أفخر مآثر يوسف خوجة بهذا الجامع، المصحف الكريم في القالب الكبير الموجود بربعة الختمة، وهو مصحف ثمين لا يقدّر بمال، كتب بالخطّ الثلث تضمّن بآخره اسم ناسخه وهو الشيخ مصطفى رفقي الأيوبي، من تلاميذ الحاج مصطفى أفندي ببغداد، تم نسخه أوائل المحرم سنة 1230 [1814].

هذا ومن الوفاء للتاريخ بما له على مدونيه من الحقوق، لا بدّ لي من الإشارة لكون هذا الجامع شارك في بنائه جملة من العملة الأوروباويين، فإنّ زمن تأسيسه وافق وجود أسارى كثيرين بدهاليز أبراج غـار الملح، ومعامل ترسخانة حلق الوادي، وسجون تونس، ولقد وقع بيدي قائمة في أسماء سبعة وعشرين أسيراً، نعتهم فيها كاتبها بلفظ نابليطان أذن الباي حمودة باشا بجعلهم في تصرّف وزيره يوسف خوجة لاستخدامهم في بناء جامعه بالحلفاوين. ولفظ نابليطان نسبة لمدينة نابلي من أعمال إيطاليا كانوا يطلقونه في ذلك الزمان على جنس النصارى الذين يقعون في أسر قرصان تونس وإن لم يكونوا من أصيلي نابلي، لأن أكثرهم كان أصيل جزائر البحر المتـوسط ولا سيمـا جـزيـرة سـان بيـرة [Saint Pierre] التـابعـة لسردانيـا [ Sardania ] والأغلاط التاريخية والجغرافيـة كثيرة في تحـارير كتاب الديار التونسيّة السابقين واللاّحقين.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

أمّا رخام الجامع وسواريه، فقد جيء بها من مقاطع الرخام بإيطاليا على يد القبطان حسونة بن يوسف المورالي، الذي كافأه يوسف صاحب الطابع عند استتمامه لنقل ذلك الرخام، بإعطائه المركب الذي حمل فيه ذلك، فاتخذه لمعاشه. ومما سمعته من أحد الشيوخ السابقين بروايته عن بعض أيمة الجامع في القرن الماضي، أن مورّد الرخام المتحدث عنه هو الذي تبرّع برخام قبر يوسف عند سماعه بموته، وهذا القبر غريب الصنع، وهو مصنوع كلّه في قطعة واحدة يشخّص في آن واحد العبرة والعظمة، وموقعه بسقيف الجامع.

أما الزخرفة، والتنميق، والترصيع، والنقش حديدة الموشاة بها أقواس وسقوف جامع صاحب الطابع، فإنها من صنع عملة المسلمين. وختم الحديث ينعقد بهذا الجامع في العشرين من شهر رمضان، وهو من الأختام الثمانية التي تزدان بحضور المولى الأمير.

# ذيل

## في ذكر أحوال خاصّة

## بجوامع الحنفية وبخطبة الجمعة والعيدين بها

لما استقرّ آل عثمان بتونس، كما سبقت الإشارة لذلك بمحلّه من هذا الكتاب، كان عدد عساكرهم بها أربعة آلاف من الأنكشارية، لذلك اعتبروا في جملة أنظمتهم ترتيب القيام بالشعائر الدينية على نحو ما هو موجود ببلادهم، كاتخاذهم لمحافل يصعد لها الحفاظ عند حضور وقت الصلاة لترتيل آيات الذكر الحكيم، يسمونهم في اصطلاحهم خوجات[1]، يكون على رأسهم كبير لهم، يلقبونه بالباش خوجة. وهؤلاء الخوجات لهم

(1) مفرده خوجة، ومعناه في اللغة التركية قارىء وعالم وكاتب وشبه ذلك.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

تراتيب ضابطة لصناعتهم بطريقة لا تنافيها أحكام الشريعة، ومن أحسن ما كتب في ذلك رسالة لطيفة لأحد المتأخّرين من الخوجات، وهو الحافظ الشيخ الكيلاني بن الطاهر أسماها «قانون الخوجات بالجوامع الحنفية»، ضمنها كل تالد وطريف من أحوال هذه الصناعة، وإن هي أخذت في التراجع بسبب زوال صلة الوصل الروحية بين تونس ودار الخلافة، بانقراض دولة آل عثمان، وسقوط الخليفة، ومما احتوى عليه القانون المشار اليه، كيفية أعمال الخوجات عند إقامة الصلوات الخمس، وعند حضور صلاة الجمعة. وهذه الصلاة الجامعة يتقدّمها الأهاب[1] بصومعة الجامع، وهو مجموع عبارات يقوم بإنشادها الخوجات بصومعة الجامع قبيل الزوال، منها قولهم «عجّلوا للصلاة قبل الفوت، وبادروا بالتوبة قبل الموت، نصر من الله وفتح قريب، وبشر المؤمنين يا محمد» ثم يستغيثون جميعاً بالنبيّ صلى الله عليه وسلم وينادونه: يا رسول الله! ويختمون عملهم بالأذان، ثم ينزلون قاصدين المحفل لإقامة الصلاة، وهذه يتقدّمها تلاوة القرآن من المصاحف في المحافل بأصوات رخيمة، يتلوها الدعاء للسلطان العثماني، مع ذكر اسمه، وللباشا أمير الديار التونسية بدون ذكر اسمه، وقبل ابتدائهم في التلاوة يقرأ الباش خوجة عبارة استهلال باللغة التركية نصّها: «حصول مرادات حق ده أول وآخر صلي صلواتنا صري فاتح أوق ين لرن آخر عاقبتي خير أولى» ثم يستفتحون القراءة من المصاحف، وإذا جاءت آية سجدة، نبّه عليها الباش خوجة باللسان التركي بقوله «سجدة آيات قلدي يا حاضر الن عزيزا» وعند ختام القراءة يتلو الباش خوجة قوله تعالى «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم. الآية»(م - 69) ويختمها بمشاركة الخوجات في طبع رصد الذيل، ثم يقف ويقرأ من محفوظه تعريف يوم الجمعة، وهذه عبارته بما اشتملت عليه من الألفاظ العربية والتركية والفارسية بالنقل عن قانون الشيخ الكيلاني بن الطاهر رحمه الله:

---

(1) من تأهبّ للشيء قبل وقوعه.


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

« بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بالآيات والذكر الحكيم، أستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم أجمعين، إنه هو التواب الرحيم، سبحان من أنزل القرآن على قلب سيدنا محمد بلسان عربي مبين، وعلّمه علم الأولين والآخرين، والحمد لله رب العالمين، وباسط هزران هزاي، صلي صلوات، تحف تحيات زكيات، ايثار صدر كائنات، وايثار فخر موجودات، سيد الأنبياء والمرسلين، وسند الأصفياء والمتقين، بلبل بستان حقيقت، اندل بلستان شريعت، شاه صدر صفاء صفا، وماه بدر قباء وفاء معلى مزكى مجتبى مرتضى، رسول كبرياء وسرور أنبياء حبيب خداي. أصفى الصفا. أعني حضرة محمد المصطفى، صلى الله عليه وسلم، واصل ومتواصل كردان. ودرود بي نهايه، وثناء بي غايه، كبر آل أولاد أتباع أشياع خصوصي جهاريان فزين باك جوهر بلي بلبل بستان عرعر، شراغو مسجد محراب منبر، أبو بكر عمر عثمان حيدر، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وأيّد اللهم بالنصر والتمكين، حامي حمى حرمك الأمين. حضرة باد شاه عالم، فرمان بني آدم، مولى ملوك العرب والعجم، باسط الأمن والأمان، آفتاب دولة آل عثمان. سلطان البرين وخاقان البحرين. مصر والشام والروم والعراقين، خديم الحرمين الشريفين[1]، المعتمد على فضل مولانا الكريم المنان، ألا وهو السلطان ابن نسل سلطان، مولانا السلطان محمد رشاد الدين خان[2] خلّد الله سلطنته، وأبّد

---

(1) كانوا ينعتون الملك الكامل ناصر الدين على رؤوس المنابر بمصر في المائة السادسة بقولهم: سلطان مكة وعبيدها، واليمن وزبيدها، ومصر وصعيدها، والشام وصناديدها، والجزيرة ووليدها، سلطان القبلتين، ورب العلامتين، وخادم الحرمين الشريفين اهـ. (من جريدة الزمان).

(2) كان هو الجالس على عرش الخلافة في زمن المؤلف. ولقد حضرت ليلة بجامع بنزرت لسماع ختم القرآن في رمضان سنة 1351 [1932] ختمت حفلتها بقراءة الدعاء المعروف بصوت رخيم قرأه القارىء من كتاب مسطور اشتمل على الدعاء بالنصر والتأييد لهذا السلطان (محمد رشاد) بينما هو التحق بالدار الآخرة قبل ذلك بخمس عشرة سنة، ولما



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

بالعدل مملكته وخلافته إلى انقضاء الدوران، بحقّ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً(م - 70) وينصرك الله نصراً عزيزا(م - 71)، آباء أجداد، أوباد، فإن الجنة هي المأوى وميسر كردان آمين يا معين، يا مجيب السائلين، يا ربّ العالمين، ومفخر الأمراء والأكابر. ورئيس الزعماء والعساكر، المختصّ بمزيد عناية الملك القادر، وزير بنظير، ومشير تدبير، مهر آل عثمان وراثت، وماه بدر قباء جلالت، أعني حضرة باشا، يسّر اللهم له من الخير ما يريد وما يشا، وباقي علماء عظام، ومشايخ كرام، وفضلاء أيام، وكافي أنام، قدرم جامع شريف، ومحفل لطيف، قوي ضعيف، شهري غريب، بنداء آزاد، ضمكيندن شاد، آمن آمانره، ورفاهية جميع بلاد مسلما نانره، آس شرق عالم، تاب غرب آدام، أرواح قزستيان كافي أهل إيمانره وبروح مرحوم صاحب الخيرات والحسناتره، ومبارك وقت شريف جمعائره، صري سبع مثاني بخنم عزيزا. اهـ».

وعند انتهاء الباش خوجة من قراءة هذا التعريف، يدخل الإمام الخطيب متطيلس الرأس، وأمامه الباش وقاد، قاصداً به المنبر، وعندئذ ينادي الخوجات بالصلاة، فيتنفّل الإمام بأربع ركعات، ثم يصعد للمنبر، وهي ساعة مظنة استجابة الدعاء، فيبسط المصلّون أكفّ الضراعة لخالق السماء والأرض، ثم يجلس الإمام على المنبر، فيؤذّن أحد الخوجات، ثم يشرع الخطيب في قراءة خطبته الأولى، فالثانية، وهذه يضمّنها عبارات الدعاء لأمير البلاد، ولعامة المسلمين، وبعد ذلك ينزل من المنبر مرتباً خطواته على حساب عبارات إقامة الصلاة، بحيث يكون وصوله لآخر درجة من درج المنبر موافقاً لعبارة التشهّد بمحمّد رسول الله، وما بقي من عبارات الحيعلتين(م - 72) يقضيه فيما بين المنبر والمحراب، وإذ ذاك تقام صلاة

---

= راجعت القارىء في ذلك بعد التمام، حلف أنه لم يزد ولم ينقص شيئاً ممّا كان مسطراً بالسفر الذي بين يديه!! فشكرته عن إيجاده في الترتيل بصوته الرخيم، وطويت بساط الحديث معه فيما يخصّ النقطة التاريخية التي لم ينتبه إليها.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الجمعة على قواعد المذهب الحنفي الزكيّ، وبعد الفراغ منها يقرأ الخوجات آية الكرسي والتسبيحات، ويختمونها بالدعاء سرّاً بمشاركة الإمام والمصلّين، ثم ينزلون من المحفل، ويتوجّهون للتبرّك والسلام على الإمام بالمحراب.

وفي رمضان، عند إقامة صلاة التراويح، ينبّه لها الباش خوجة بالعربية، ويختمها بالتركية، وهو أن يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سيّد كائنات، صلوات صلاة تراويح نيت اي لين اي إمام عزيزا، وبين الركعتين والركعتين يقول بالتركية: «فخر عالم بشيراً صلوات» ويكون التنبيه لصلاة الوتر بهذه العبارة التركية:

«سيدك اينات صلوات صلاة وتر نيت اي لين اين إمام عزيزا».

وفي يوم عيد الفطر، يكون عمل الخوجات حسب التفصيل الآتي ننقله بلفظه من قانون الشيخ الكيلاني بن الطاهر قال رحمه الله: «ثم بعد التكبير، يستفتح الباش خوجة القراءة بتلاوة آخر سورة المائدة من قوله تعالى: وإذ أوحيت إلى الحواريّين(م-73). إلى أن يستوفي السورة، فيرفع الخوجات عليه عند تمامها، ثم بعد ذلك يديرون هذه الصلاة المباركة بينهم، وكيفية ذلك أن يقول الباش خوجة بطبع النيرز: اللهمّ صلّ على سرّ نكتة دائرة الوجود، ويسكت فيقول كاهيته: وسرّ نكتة الله في كلّ موجود. ويسكت، فيقول الخوجة الثالث: صاحب التاج واللواء المعقود. ويسكت فيقول الخوجة الرابع: والشفاعة العظمى والمقام المحمود. ويسكت، ثم يكملها الباش خوجة فيقول: وعلى آله وأصحابه، وهنا يتحوّل إلى طبع رصد الذيل، فيرفع الجميع بقولهم: ما تقرّب إلى الله بالركوع والسّجود. ويسكتون، فيقول الخوجة الثاني: سبحان ربّك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين(م-74)، وبإثر ذلك يقوم



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الباش خوجة لقراءة تعريف يوم العيد وعبارته: بارك الله فيكم، أحسن الله اليكم، طيّب الله روائـح أنفـاسكم، ورضي الله تعالى عنكم، وعن أستاذيكم، وعن كافة المسلمين أجمعين، شاه صدر صفاء صفا. ومن هنا إلى آخر تعريف يوم الجمعة نصّا سواء بيد أنه يقول في آخره: ومبارك وقت شريف عيدره مكان جمعائره. وبعد ختم التعريف المذكور يقف جميع الخوجات ويستديرون كالحلقة ويبدأ باش خوجة الأهاب الخاصّ بصلاة العيد فيقول: الصلاة. ويسكت، فيرفع الجميع بقولهم: الله. ثم يسكتون فيقول الباش خوجة: اللهمّ ربّنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا، وآية منك، وارزقنا وأنت خير الرّازقين(م - 75). فيرفع الخوجات ويقولون: الله يا مولاي. ويسكتون ثم يقول الخوجة الثاني: يا مولاي ليس العيد لمن نصب الخيام، إنما العيد لمن تقبّل منه الصيام. ويسكت فيرفع الجميع بقولهم. الله يا مولاي. ويسكتون فيقول الخوجة الثالث: يا مولاي ليس العيد لمن لبس الجديد، إنما العيد لمن فاز يوم الوعيد. ويسكت، فيرفعون عليه كسابقه فيقول الخوجة الرابع: يا مولاي، ليس العيد لمن بخر بالعود، إنما العيد لمن تاب ولم يعد. ويسكت فيرفع الجميع بقولهم: الله الصلاة. ويسكتون فيقول الخوجة الخامس: الصلاة والسلام عليك يا نور عرش الله. فيرفع الجميع بقولهم: عرش الله يا رسول الله، ويسكتون فيقول الباش خوجة: وصل وسلّم على أشرف جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله. ويسكت فيرفع الجميع بقولهم: ربّ العالمين يا كريم الله جل وعلا، الفاتحة ويقرؤونها سرّا، ثم يستقبل الباش خوجة القبلة وينبّه على صلاة العيد باللغة التركية. وهذه عبارة التنبيه: أيا عزيز لا ربيرم نماز ايكي ركعات سكيس تكبير نية اي لين اي امام عزيزا. ثم يقيمون الصلاة جميعاً ويشرع الإمام في صلاة العيد، وبعد تمامها يرتقي الإمام المنبر لقراءة خطبتي العيد، وعند انتهائه يقرأ الباش خوجة آية الكرسي(م - 76) ثم يختم التلاوة بقوله: اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحيمن اهـ»(م - 77).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وعمل الخوجات في صلاة عيد الاضحى كعملهم في عيد الفطر، لا فرق بينهما إلا في التلاوة، فإن الخوجات يقرؤون من القرآن الآيات المناسبة لها منها قوله تعالى: وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت إلى قوله وبشر المحسنين(م - 78)، وبعد الاهاب يقرأ الباش خوجة: الحجّ أشهر معلومات إلى قوله واتّقون يا أولي الألباب(م - 79)، ويتلو كاهيته بقوله: ليس العيد لمن صعد الغرفات، إنما العيد لمن وقف بعرفات، وبعده يقول الخوجة الثالث: ليس العيد لمن تعب وعنى، إنما العيد لمن أصبح بمنى. ويقول الخوجة الرابع: ليس العيد لمن ركب المطايا، إنما العيد لمن تقبلت منه الضحايا. ويقول الخوجة الخامس: ليس العيد لمن حلق ونحر، إنما العيد لمن حجّ واعتمر. ثم يختمون عملهم على نحو ما سبق بيانه بعيد الفطر اهـ.

هذا ومن المعلوم أن الخطبة كانت تقع باسم السلطان العثماني وفقاً للفرمانات السلطانية التي كانت ترد بتقليد الولاية للبايات في الدولة المرادية وفي الدولة الحسينية فإن كان فرمان منها كانوا يشترطون فيه ضرب السكّة والخطبة باسم السلطان من آل عثمان، ومراعاة لهذه القاعدة كان ملوك تونس عند وفاة سلطان وقيام سلطان، يعلمون بذلك أيمّة الجوامع ليخطبوا باسم السلطان الجديد، وإليك مثال[1] من ذلك بمناسبة انتقال الخلافة من السلطان عبد المجيد خان، لأخيه السلطان عبد العزيز خان ونصّه:

«الهمام النحرير محبنا الشيخ سي محمد بيرم شيخ الإسلام حرسه الله، السلا عليكم ورحمة الله، فإن المعظم مولانا السلطان عبد المجيد (خان) انتقل إلى جوار ربّه سبحانه، تغمّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنّته، وقام بالسلطنة بعده أخوه السلطان عبد العزيز (خان)، فالعمل أن تنبّه على المشائخ الحنفية الخطباء بالحاضرة، بأن يدعوا في الخطبة الثانية لهذا

---

(1) منقول عن نصّه الأصلي المحفوظ بمكتبة معهد ابن خلدون وهو بخطّ الشيخ الوالد رحمه الله.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

المتولي عوض أخيه المنعّم على العادة، والله يجعل سلطنته باقية، وللملّة الإسلامية واقية، والسلام من الفقير إلى ربه عبده المشير محمد الصادق باي وفّقه الله وكتب في 20 محرم الحرام سنة 1278[1861].

ولما سقطت الخلافة العثمانية(م - 80) بقي أمر الخطب الجمعية فوضى بين الأيمة مدّة طويلة، فبعضهم ألغى من الخطبة اسم الخليفة لفقدانه، وبعضهم بقي مسترسلاً في الدعاء لسلطان آل عثمان، ولقد وقع يومئذ لفت أنظار المولى محمد الحبيب باي في مدّة وزارة المرحوم أبي النخبة مصطفى دنقزلي لتدارك تلك الحالة بجعل نموذج وحيد للأدعية المحتوية عليها الخطبة الثانية، حيث كانت هي التي تناولها الاضطراب، ثم مدّ السكوت جناحه على هذه القضية، وبقي أمرها مهملاً إلى أن اقتدى الأيمّة ببعضهم بعضاً في إغفال اسم الخليفة بكافة جوامع الخطبة بالمملكة التونسية، واكتفوا بالدعاء لسموّ الباي المعظم، ولأمراء المسلمين. ويلوح أن الخطب الجمعية جديرة أمرها باهتمام أهل العلم من أصحاب التفكير والرأي المصيب، لأن بعض الخطباء من ذوي البضاعة المزجاة في العلم، خرج بها عمّا وضعت لأجله، لا سيما بجوامع بعض بلدان الآفاق، وإذا جاز للخطيب، تنبيه المصلّين لما ينفعهم في دنياهم، فلا يصحّ أن يكون ذلك إلّا عرضاً في الخطب الجمعية التي درج عليها السلف، وإلّا فالخروج بها عن صبغتها الدينية بجعلها قاصرة على المصالح الدنياوية، من زراعة، وتجارة، وصناعة، وبيع، وشراء، وغير ذلك من أحوال معترك الحياة، حتى ضرب الأمثال المترجمة من اللغات الأجنبية كقولهم «تونس مطمورة رومة»[1] فإن أمثال هذه الخطب شبّهها الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب بالضلالات، وإني لأنكر على بعض المتفقّهين ترقيع دينهم بدنياهم، فقد سمعت خطيباً آخر يدعو للمولى الأمير، وهذا واجبه شرعاً

---

(1) سمعت ذلك بأذني في خطبة الجمعة بإحدى بلاد الآفاق.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وعقلا، ولكنه تخلّص إثر ذلك داعياً لبعض كبار أهل الدولة، ثم تجاوز الحدّ بالإشارة لبعض أهل الحاشية، والحواشي ليست كالمنون، وكان عليه الاكتفاء بالدعاء للأمير، ولعامّة المسلمين، كما كان يفعل السلف الصالح، وإلا فإنّ خطب الصلاة تصير من قبيل الخطب الاجتماعية القابلة للأخذ والردّ، على أن أهل هذا الفريق من الخطباء الذين يحبّون الخطابة في أغراض الدنيا أو في مصالح أنفسهم، لهم مجال فسيح لترضية ضمائرهم في غير ساعة الوقوف بين يدي الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## التعاليق

(م ـ 1) الدباغ: عبد الرحمان بن محمد بن علي الأنصاري المعروف بالدبّاغ. ولد بالقيروان سنة 605/1208، وتوفي بها سنة 699 / 1300. واشتهر بكتابه «معالم الإيمان» الذي طبع للمرة الأولى بتونس سنة 1900م في مجلدين و4 أجزاء.
(انظر ترجمته في «تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ» ج 2. ص288).

(م ـ 2) زيادة الله بن الأغلب: تولى الإمارة من سنة 201 / 817 الى سنة 223 / 838 (انظر: المؤنس ص 49).

(م ـ 3) المعز بن باديس بن المنصور: بويع بالولاية بعد وفاة أبيه سنة 406 / 1016 وله من العمر ثمانية أعوام. وفي سنة 441 / 1049 خلع طاعة الخليفة الفاطمي وصار يدعو لبني العباس وتوفي بالمهدية سنة 454 / 1062.

(م ـ 4) المؤنس ص 82 (وكانت بإفريقية مذاهب الصّفرية والشّيعة والإباضية والنّكّارية والمعتزلة. ومن مذاهب أهل السنة الحنفية والمالكية).

(م ـ 5) رحلة التجاني تونس ـ 1958 ص369.

(م ـ 6) الزاوية المحرزية: هي الزاوية التي بها ضريح الولي محرز بن خلف.

(م ـ 7) الزاوية العروسية: هي الزاوية التي بها ضريح الولي أحمد بن عروس.

(م ـ 8) يوسف خوجة: المعروف باسم يوسف صاحب الطابع السابق الذكر.

(م ـ 9) العمالة: بمعنى البلاد التونسية.

(م ـ 10) محمد بن يوسف: ملك المغرب محمد الخامس. ارتقى الى العرش سنة 1927 وخلعته الحكومة الفرنسية سنة 1953 لتزعمه الحركة الوطنية ببلاده. ورجع إلى العرش سنة 1955 بعد ما قررت الحكومة الفرنسية الاعتراف باستقلال المغرب.. وانتقل إلى جوار ربه سنة 1961. فخلفه ابنه ملك المغرب الحالي الحسن الثاني.

(م ـ 11) تحصير: فرش بيت الصلاة بالحصر.

(م ـ 12) الأنطكخانة: إدارة الآثار

(م ـ 13) «التراجم المهمة للخطباء والأيمة» (المخطوط السابق الذكر)

(م ـ 14) القشلة: الثكنة الملاصقة لجامع القصبة. وقد كانت تأوي الجنود الفرنسيين في عهد الاحتلال. وبعد الاستقلال (1956) قررت الحكومة التونسية هدمها.

(م ـ 15) الكاتب العام: هو الكاتب العام للحكومة التونسية، وهو موظف فرنسي يشرف على جميع الإدارات والمصالح التابعة للحكومة التونسية في عهد الحماية الفرنسية.

(م ـ 15) «حسن البيان عما بلغته إفريقية في الإسلام من السّطوة والعمران» للشيخ محمد النيفر ـ تونس 1351هـ.

(م ـ 17) القبة الخضراء: تعرف بقبة سيدي بوخريسان، بناها أميران من أمراء بني خراسان سنة 1091م.

(م ـ 18) ابن عذاري المراكشي «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب».

(م ـ 19) بنوخراسان تولوا الإمارة بمدينة تونس بعد ضعف الدولة الصنهاجية في النصف الثاني



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

من القرن الخامس، والنصف الأول من القرن السادس للهجرة ـ القرن الثاني عشر الميلادي (انظر «الإتحاف» من ص 187 الى ص 190).

(م ـ 20) استعمل هذا القصر المعروف باسم «دار حسين» طوال عهد الحماية الفرنسية (1881 ـ 1956) مقراً لقائد جيوش الاحتلال. وبعد الاستقلال أصبح مقراً للمعهد القومي للآثار والفنون إلى يومنا هذا.

(م ـ 21) سورة آل عمران ـ الآية 185.

(م ـ 22) انظر ترجمة الجنرال حسين في «تراجم الأعلام» ص 21.

(م ـ 23) «تاريخ الدولتين» ص 70.

(م ـ 24) سورة التوبة، الآية: 18

(م ـ 25) «المؤنس» ص 212.

(م ـ 26) «ذيل كتاب بشائر أهل الإيمان» ص 86.

(م ـ 27) حسين باي الثاني: هو حسين بن محمود بن محمد الرشيد باي ـ تولى الإمارة من سنة 1824 إلى سنة 1835.

(م ـ 28) لقد جرت هذه الحادثة للكاتب عبد الله بن المقفع حسبما رواه محمد المرصفي في طبعة كتاب «كليلة ودمنة» (القاهرة ـ 1912 ص 63)، إذ قال: «كان عبد الله بن المقفع كثير الاستخفاف بعامل المنصور العباسي على البصرة، واسمه سفيان بن معاوية، وكان أنف سفيان كبيراً، فاذا دخل عليه ابن المقفع استخف به وهزأ قائلاً: السلام عليكما! يعني بذلك سفيان وأنفه!.

وكان المنصور قد حقد على ابن المقفع لأنه قيّده بشروط غليظة في عقد الأمان الذي حرره بين الخليفة والثائر عبدالله بن علي، فأوحى المنصور إلى عامله بالبصرة أن يقتله، فقتله».

(م ـ 29) هو الشيخ بلقاسم عظّوم القيرواني، انتقل من القيروان إلى تونس وتولى بها خطة الفتيا. وتوفي بالقيروان سنة 1013 / 1605.

(انظر ترجمته في «تراجم المؤلفين التونسيين» ص401).

(م ـ 30) هو رمضان باي بن مراد بن حمودة باشا. تولى الحكم من سنة 1108 / 1696 إلى سنة 1110 / 1699.

(م ـ 31) الأعمال: جمع عمل، وهي دائرة ترابية على رأسها عامل أوقايد أي ما يقابل الوالي في عصرنا الحاضر.

(م ـ 32) سورة الأنبياء ـ الآية: 22.

(م ـ 33) جامع يوسف داي: يعرف هذا الجامع اليوم باسم جامع سيدي يوسف ويقع بنهج سيدي علي بن زياد.

(م ـ 34) «ذيل بشائر أهل الإيمان» ص 126.

(م ـ 35) مصطفى بن عبد الكريم (انظر ترجمته في «ذيل بشائر أهل الإيمان»).

(م ـ 36) جمع ناصري، وهو جزء من الريال الذي يمثل العملة الرائجة بتونس في العهد الحسيني (1 ريال = 52 ناصري).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

(م ـ 37) جامع حمودة باشا: نسبة إلى مؤسسه حمودة باشا المرادي (1631 — 1661).

(م ـ 38) لوسيان سان (Lucien Saint)
المقيم العام الفرنسي بتونس من سنة 1921 إلى سنة 1929.

(م ـ 39) الشيخ الأزهري: أبو عبد الله محمد بن مصطفى الأزهري. أصله من طرابلس وهاجر إلى مصر لطلب العلم بجامع الأزهر الشريف فنسب إليه. ثم قدم إلى تونس في عهد الأمير حمودة باشا المرادي الذي بالغ في إكرامه. وتوفي سنة 1067 / 1657.

(م ـ 40) محمد قويسم: أبو عبد الله محمد بن علي قويسم، العالم والفقيه والمدرس. ألف مصنفات عديدة من أشهرها كتاب «سمط اللآل في التعريف بما في الشفا من الرجال» في أحد عشر جزءاً (مخطوط) وتوفي بمدينة تونس سنة 1114 / 1701.
(انظر ترجمته في «عنوان الأريب» ج 2 ـ ص 6).

(م ـ 41) سورة الأنبياء ـ الآية 107.

(م ـ 42) في الأصل: الأيام

(م ـ 43) في الأصل: امناحك

(م ـ 44) في الأصل: وفي ما بينما

(م ـ 45) كوشات: جمع «كوشة» وهي الفرن في اللهجة التونسة.

(م ـ 46) عبد الله بن أبي زيد القيرواني (310 / 922ـ 386/ 996) العالم والفقيه وشارح أقوال الإمام مالك، له عدة تآليف من أشهرها كتاب «الرسالة» (انظر ترجمته في «تراجم المؤلفين التونسيين» ص 443).

(م ـ 47) « المؤنس » ص 176.

(م ـ 48) محمد المنتصر الحفصي: تولى الإمارة بعد وفاة جده السلطان أبي فارس سنة 837ـ1433 وتوفي سنة 839 / 1435.

(م ـ 49) المدرسة الحربية بباردو: أسسها أحمد باشا باي الأول سنة 1840م (انظر «الإتحاف» ج4 ص36 ـ و«مدرسة باردو الحربية» تأليف محمود عبد المولى).

(م ـ 50) محمد العزيز بوعتور: تولى الوزارة الكبرى من سنة 1883 إلى سنة 1907.
(انظر ترجمته في «تراجم الأعلام» ص 141).

(م ـ 51) «عنوان الأريب» ص 36.

(م ـ 52) ظهر كتاب «المنتخب المدرسي» للمرحوم حسن حسني عبد الوهاب في طبعته الثانية تحت عنوان «مجمل تاريخ الأدب التونسي» تونس 1968 (انظر ترجمَة محرز بن خلف ص 116).

(م ـ 53) ظهر كتاب مستقل بعنوان «محرز بن خلف» تأليف المرحوم زين العابدين السنوسي ـ الدار التونسية للنشر 1981.

(م ـ 54) الفرمانات: جمع فرمان، وهي كلمة فارسية الأصل، تعني عهد السلطان العثماني للولاة.

(م ـ 55) سورة يونس ـ الآية 62.

(م ـ 56) سورة الأنبياء ـ الآية 7.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

(م ـ 57) سورة البقرة ـ الآية 269.

(م ـ 58) «الإتحاف» ج3 (الطبعة الثانية) ص 264 — 265.

(م ـ 59) في الأصل: بقـال، والصواب ما أثبتناه.

(م ـ 60) لقد جرت نفس الواقعة سنة 1884 عندما احتج أهـالي مدينـة تونس على السيـاسة المناهضة للتونسيين التي انتهجتها بلدية تونس بعد انتصاب الحماية الفرنسية على البلاد التونسية، فاجتمعوا بزاوية سيدي محرز بن خلف وتعاهدوا على الوفاء بالعهد والثبات عند المحنة، ثم شربوا من البوقال تأكيداً لما تعاهدوا عليه.
(انظر «النازلة التونسية» تأليف محمد السنوسي ـ تحقيق محمد الصادق بسيس ـ الدار التونسية للنشر 1976).

(م ـ 61) الجامع الجديد: يعرف اليوم باسم جامع الصّبّاغين لأنه يقع بنهج الصّبّاغين بتونس.

(م ـ 62) «الإتحاف» ج2 (النشرة الثانية) ص125.

(م ـ 63) جامع صاحب الطابع: ويعرف أيضاً باسم جامع الحلفاوين لأنه يقع بساحة الحلفاوين.

(م ـ 64) الحاج علي بن الخوجة: الشيخ علي بن شيخ الإسلام محمود بن الخوجة. تولى الإمامة والخطابة بجامع يوسف صاحب الطابع بدون انقطاع من سنة 1911 إلى أن أدركته المنية سنة 1982. وقد عوضه الدكتور الحبيب بن الخوجة مفتي الجمهـورية التونسية سابقاً.

(م ـ 65) خرارب: جمع خروبة، وهي جزء من الناصري (الريال التونسي يساوي 52 ناصري).

(م ـ 66) «الإتحاف» ج 7ص 93.

(م ـ 67) «الإتحاف» ج7 ص91.

(م ـ 68) تم بعد الاستقلال ترميم جامع صاحب الطابع وإنهاء بناء صومعته (1968).

(م ـ 69) سورة الأحزاب ـ الآية 40.

(م ـ 70) سورة الفتح ـ الآية 1.

(م ـ 71) سورة الفتح ـ الآية 3.

(م ـ 72) عبارة الحيعلتين: معناها حيّ على الصلاة، وحيّ على الفلاح.

(م ـ 73) سورة المائدة111 .

(م ـ 74) سورة الصّافّات ـ الآية 180.

(م ـ 75) سورة المائدة ـ الآية 114.

(م ـ 76) سورة البقرة ـ الآية 255.

(م ـ 77) سورة يوسف ـ الآية 92.

(م ـ 78) سورة الحج ـ الآية 26.

(م ـ 79) سورة البقرة ـ الآية 197.

(م ـ 80) ألغيت الخلافة العثمانية يوم 3 مارس 1924.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

# البَابُ الثَّالِثُ

## فِي مَسَاجِدِ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

اعلم أن بيوت العبادة سواء كانت معدّة لإقامة الصلوات وخطبة الجمعة والعيدين، أو لإقامة الخمس فقط، كلّها مساجد، والمساجد لله، قال تعالى «وإن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا»(م-1) غير أنه وقع الاصطلاح في تونس على جعل تمييز بين الجامع الذي تقام به الخطبة وبين الذي لا خطبة له، فخصّصوا لفظ الجامع في المدن بالمسجد الجامع الذي تقام به الصلوات مع خطبة الجمعة والعيدين، وأطلقوا لفظ المسجد على مصلّى الخمس دون الجمعة والعيدين. وأقدم مسجد بتونس(م-2) من هذا القبيل هو المسجد الذي به ضريح الشيخ علي بن زياد صاحب إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وناشر مذهبه بتونس وتوفي الشيخ ابن زياد سنة 183 [799] وقد استوفينا فيما تقدّم بالبابين الأوّل والثاني حديث جوامع الخطبة المقامة بها الشعائر لهذا العهد بالحاضرة التونسية على قواعد المذهبين المالكي والحنفي، وجعلنا هذا الباب الثالث خاصاً بالتعريف بالمساجد التي لا خطبة بها، وجملتها لهذا الزمان (1358) [1939] بالعدد الصحيح 256 مسجداً. ويستفاد من كتاب عقد الفرائد(م-3) للشيخ الباجي المسعودي أن عدد المساجد كان أكثر من ذلك في أوائل القرن الماضي على عهد المرحوم محمود باي(م-4) فقد أمر بإحصائها في سنة 1235[1819] فكانت 294 يعني بزيادة 38 مسجداً على عددها في الزمن الحاضر، وهذه المساجد الموجودة اليوم تتركبّ من قسمين: قسم شامل


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

للمساجد التي تقام بها الصلوات وعددها 164 مسجداً، وقسم شامل للبقية وعددها 92 مسجداً، وهي المعطلة التي سبقت الإشارة إليها في المقدّمة، ولم نراع في نقل أسماء ما سنـذكره من مساجد القسم غير المعطّل أسبقية لقديم على حديث، لأن ضبط ذلك يستدعي زمناً طويلاً، زيادة على عدم توفّر الدواعي المعينة على ذلك، ولأجله اكتفيت بتنبيهات وجيزة في حقّ البعض من هذه المساجد، اقتباسا ممّا هو عالق بذهني، أو نقّلاً لما اشتهر في حقّها بين الثقاة، أو اشتملت عليه بعض المصنفات.

| عـدد رتبي | أسماء المسـاجد | مـواقعهـا | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| 1 | مسجد الأفراح | نهج عبا | ابتدأنا به تفاؤلا بالخير بقـطع النظر عن تاريخ بنائه. |
| 2 | مسجد الشيخ بو جبرة | نهج المبزّع | |
| 3 | مسجد بو حجلة | نهج المطيهرة | |
| 4 | مسجد سيدي بـو حديد | نهج الباشا | ينعقد به ختم الحديث في 14 رمضان وسيدي بو حديد هذا غير سيدي بو حديد الآخر، واسمه محمـد الكائن ضريحه بحومة اليهود على مقربة من باب قرطجنة، وهو من رجال القرن الثاني عشر وسميه صاحب المسجد متقدم عليه بسنين(م-5) كثيرة وموقعه بنهج الباشا ونهج الباشا مقتبس اسمه من دار الباشا التي كانت به في عهد حكم الأتراك وكانت بها خزينة المال ومنها يقبض شيوخ الحنفية جراياتهم، ولمـا أحـدث الـوزيـر مصـطفى بن |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| | | | اسماعيل(م - 6) داره على أطلال دار الباشا القديمة في سنة 1269[1878] حاولوا تسمية ذلك الشارع باسم نهج المصطفية إلا أن هذه التسمية لم ترسخ في أذهان الناس وذهبت أدراج الرياح. ودار مصطفى بن اسماعيل هي التي أقيم مكانها بعد هدمها مدرسة البنات المسلمات في عام 1900 للميلاد |
| 5 | مسجد بو ذبانة | نهج سيدي صابر | يسمى في هذا الزمان المسجد الحبيبي حيث جدد عمارته المولى محمد الحبيب باي في سنة 1345 [1926]. |
| 6 | مسجد سيدي بو منديل | نهج سيدي بو منديل | |
| 7 | مسجد سيدي بو منيجل | نهج سيدي قادوس | |
| 8 | مسجد اسطا مراد | نهج الحكام | بناه الداي اسطا مراد المتوفى سنة 1050[1640] |
| 9 | مسجد السراجين | نهج السراجين | نسبة للسوق الذي تصنع فيه السروج لركوب الخيل. |
| 10 | مسجد الإشبيلي(م - 7) | نهج الكنز | |
| 11 | مسجد باب الربع | نهج تربة الباي | باب الرُّبُع بضم الراء والباء من قسمة واحد لأربعة كان مستلزم هذا السوق |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| | | | يتقاضى الربع من أثمان الأثاث التي تباع به والآن يسمونه باب الربع بفتحتين كما ينطق به أعراب البادية. |
| 13 | مسجد بطحاء بن سالم | نهج سيدي زهمول | ابن سالم المذكور هو جدّ أبي الثناء محمود بن سالم الذي كان عضوا بجمعية الأوقاف توفى سنة 1319 [1901] |
| 14 | مسجد بطحاء العروسى | نهج بئر الحجار | |
| 15 | مسجد ابن موسى | نهج السيدة عجولة | |
| 16 | مسجد ابن الغيوش | نهج سيدي علي عزّوز | |
| 17 | مسجد ترشيش | نهج الكنيسة(م - 8) | لفظ ترشيش محرّف عن طرشيش في العبرية وهو من أسماء تونس في الزمن القديم البعيد. |
| 18 | مسجد سيدي التينجي | نهج الصبّاغين | التينجي نسبة لتينجة محلة مجاورة لقرعة الجبل الأشكل تصدر منها في هذا الزمان كمية وافرة من توت الفراولة ذات تجارة رابحة بيد أصحابها الأوروباويين ويصطادون بالقرعة المذكورة الحوت المعروف |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| | | | بـالتينجي وهـو ليس من السّمـك المرغوب فيـه لأنه يعيش في المـاء الحلو نصف العام وفي الماء الملح النصف الآخر. |
| 19 | مسجد ثابت | نهج الصّباغين | ثابت هو الـوزير الحـاج علي ثابت المتـوفى سنـة 1041 [1631] وهـذا المسجد هو المعروف في هذا الزمان باسم جامع حرمل وكان يسمّى في المائة السابعة جـامع القنيـطرة تقدّم التعريف به مفصّلاً في باب جوامع المـالكية أثنـاء الكلام على جـامـع الخطبة بباب الجزيرة. |
| 20 | مسجد الجراح | نهج الحكام | |
| 21 | مسجـد سيـدي جعفر | نهج التومي | كانوا يسمـون جامـع التبانين جـامع سيـدي جعفر فـإن كـان هـو نفسـه مؤسس هذا المسجد فيكون بناؤه من محدثات العصر الحفصي |
| 22 | مسجـد سيـدي حجر | نهج الصباغين | هذا النهج كان يسمى عقبة التراب في القرن الحادي عشر. |
| 23 | مسجـد سيـدي حمزة | نهج الجبل | |
| 24 | مسجد الحفصية (م - 9) | نهج عاشور | كانت الحفصية في زمن السـلاطين الحفصيين وفي الـدولتين المـراديـة والحسينيـة معمـلاً لصنـع البـارود |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| | | | والمدافع والذخائر الحربية وفي مدة الباشا علي باي الأول جعلوا بعضها دراً للضرب ودام الحال كذلك إلى أن أحدث المشير أحمد باشا دار السكة بباردو ثم في عهد المشير محمد باي نصبوا بالحفصية المطبعة الرسمية التونسية واستجلبوا لها حروفاً عربية من باريس على يد المستشرق منصور كرليتي الفرنساوي وفي هذا الزمان جعلت بها إدارة غابة الزيتونة ولا ندري ماذا ستكون غدا(م - 10). |
| 25 | مسجد الحفصية أيضا(م - 11) | نهج ابن نجمة | |
| 26 | مسجد حومة سيدي يوسف | نهج سيدي بو خريصان | سيدي يوسف هذا هو يوسف داي المتوفى سنة 1047 [1637] وكانوا ينعتونه بالسيادة لانه كان من أهل الخير والرشاد قال الشيخ ابن أبي الضياف(م - 12) إن قبره يزار. |
| 27 | مسجد خلوة سيدي أبي سعيد | نهج تربة الباي | هذه الخلوة منسوبة للشيخ سيدي أبي سعيد الباجي(م - 13) دفين جبل المنار. |
| 28 | مسجد خلوة سيدي بلحسن. | نهج الصباغين | هذه الخلوة منسوبة للإمام الشاذلي رضي الله عنه. |
| 29 | مسجد خلوة | نهج الأندلس | هذه الخلوة منسوبة للعارف بالله |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| | سيدي محرز. | | سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه. وله خلوة أخرى سيأتي ذكرها تحت عدد 162 مع سبع خلوات ضمن المساجد المعطلة بجهات مختلفة من الحاضرة ولا غرابة في ذلك فإنه كان من الصّالحين الأخيار معتقداً ومهاباً ومحبوباً من عموم السكان والعامة يسمّونه سلطان المدينة رحمه الله ورضي عنه. |
| 30 | مسجد دار الباشا | نهج الباشا | كان إمامه الشيخ أحمد الشريف المشهور بإمام مسجد دار الباشا. |
| 31 | مسجد الدباغين | نهج سيدي قادوس | |
| 32 | مسجد دريبة محمد | نهج الورقلية | |
| 33 | مسجد دريبة عبا | نهج عبا | |
| 34 | مسجد دريبة غربال | نهج غربال | |
| 35 | مسجد دار الآغة. | نهج الآغه | نسبة لدار آغه الوجق وآخر من سكنها من الأغوات أبو العباس أحمد الكبير وهي اليوم دار أبناء المرحوم الشيخ أحمد بن الخوجه شيخ الاسلام. |
| 36 | مسجد الرصّاع. | نهج الوصفان | أحدثه أحد آل بيت الرصاع ويقال إن الشيخ الرصاع(م - 14) شارح حدود |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| | | | الإمام ابن عرفة مقبور فيه، وممن درس به قاضي الجماعة الشيخ الطيّب النيفر. |
| 37 | مسجد الرمّادين(م - 15) | نهج تربة الباي | |
| 38 | مسجد سيدي الزبيدي(م - 16). | نهج التريبونال | موقعه بجوار سراية الوزير خير الدين الواقعة بنهج التريبونال، وهذا النهج سمّي كذلك لأن انتصاب التريبونال يعني المحكمة المدنية الفرنساوية، كان لأوّل مرّة بتلك السراية عند إحداث المحاكم الفرنساوية بتونس سنة 1883 وتوجد بصحن هذا المسجد مقبرة عتيقة يستفاد من بعض قبورها أنها ترجع للمائة الثامنة وفي ضمنها مقابر بيت الأخوة وبيت ابن سلامة منهم الشيخ الطيب بن سلامة والد المفتي الشيخ محمد بن سلامة وكان الوزير خير الدين اعتنى بهذا المسجد لوقوعه بجوار سرايته وعيّن به إماماً وهو الشيخ أحمد المرزوقي قاضي نابل ومن بعده شقيقه الشيخ الطيب المرزوقي الباش مفتي الشرفي بها، وكان الوزير خير الدين يصلّي به أحياناً، وله عطية من كيسه ينفح بها الإمام ليلة ختم التراويح برمضان، |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| | | | واستمرّت هذه العطية إلى ما بعد انتقاله للأستانة، قالوا إنه كان يبعث بها لصاحبها على يد وكيله المرحوم محمد بن نيلة إلى أن أدركته الوفاة سنة 1307 [1889]. |
| 39 | مسجد زقاق الأندلس | نهج الأندلس | كانوا في القديم يسمّون الأنهج أزقة والشارع الكبير محجّاً. |
| 40 | مسجد الطرّاز(م - 17) | نهج سيدي ابن عروس | يسمّى أيضاً مسجد الطرّازين، جدّد عمارته المولى مصطفى باي(م - 18) في أواسط القرن الماضي وأقام به إماماً العالم المدرس الشيخ محمد البارودي ومنه انتقلت إمامته إلى ابنه الشيخ مصطفى الإمام الأول بجامع باردو وتوفي سنة 1322 [1904] فتولى مكانه رجل من ذوي قرابته وتوفّي سنة 1332[1913] فولي إمامته المدرس العالم الشيخ الصادق صفر وتوفّي سنة 1339 [1920] فوليها الفقيه الشيخ محمد شلبي، ولا تزال رواية صحيح البخاري به إلى الآن، والختم به ختم حقيقي أي يستوعب صاحبه قراءة الجامع الصحيح كله، وينعقد مجلسه في اليوم الثامن عشر من رمضان. |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| 41 | مسجد لاز | نهج دار الجلد | نسبة للداي محمد لاز المتوفى سنة 1063 [1652] |
| 42 | مسجد الكيال | نهج المحرزي | يقال إن مؤسسه كان كيّالاً برحبة القموح. |
| 43 | مسجد سيدي مردوم | نهج سيدي مردوم | يستفاد من تاريخ المؤنس أن ضريح الشيخ سيدي مردوم كان معروفاً في المائة الثامنة. |
| 44 | مسجد ململّي | نهج الباشا | بناه الباش حانبة سليمان ململّي من رجال دولة الباي حمودة باشا، اكتفى به في مأموريات هامّة بأوروبا وكان من خواص الوزير يوسف خوجة توفي سنة 1239 [1823]. |
| 45 | مسجد سيدي معاوية(م - 19) | نهج المنستيري | عليه وقف للرواية يقام به ختم الحديث في 14 رمضان. |
| 46 | مسجد المغارة | نهج كتاب الوزير | |
| 47 | مسجد المهراس(م - 20) | نهج الكنيسة | بمدخله حجارة بالخطّ الكوفي تنبىء بقدمه ومن أيّمته في القرن الماضي العالم الصالح المدرس الشيخ أبو العباس أحمد القروي الإمام الثالث بجامع الزيتونة والقارىء على كرسي الختمة به توفي سنة 1272 [1855]. |
| 48 | مسجد النخلة | نهج تربة الباي | |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| 49 | مسجد النقيري | نهج التطاوني | نسبة للشيخ محمد التطاوني المتوفى سنة 1296 [1878](م-21). |
| 50 | مسجد الصباغين | نهج الصباغين | نسبة لمعامل الصّبغ في القديم وما زالت منها بقيّة لهذا الزمان. |
| 51 | مسجد الصرّة | نهج عاشور | |
| 52 | مسجد الصفار | نهج سيدي الصوردو | كان يتردّد عليه المجذوب سيدي محمد بن علي الصوردو المتوفى عام 1290 [1873]. |
| 53 | مسجد سيدي صابر | نهج ابن رجب | |
| 54 | مسجد العريش | نهج سيدي محرز | |
| 55 | مسجد سيدي علي بن زياد(م-22) | نهج سيدي بن زياد | به ضريح الفقيه الشيخ علي بن زياد صاحب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه ـ توفى سنة 183 [799] |
| 56 | مسجد عنق الجمل | نهج السيّدة عجولة | عنق الجمل اسم للنهج المتصل بنهج عجولة كان معروفاً بهذا الاسم في المائة الثامنة. |
| 57 | مسجد سيدي العامي | نهج العناب | |
| 58 | مسجد سيدي عامر | نهج سيدي علي عزوز | هو مسجد الضريح المنسوب لسيدي عامر البطاش وبه رواية حديث والشيخ عامر هذا هو عامر بن ظافر |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| | | | ابن سعيد بن عبد الجبار بن عبد الخالق بن عبد الستار بن عبد المجيد بن هلال بن نصر الدين بن محمد بن أحمد عرف البطاش، أصله من بلد المرسى توفّي ليلة الجمعة 21 من جمادى الاولى سنة 933 [1526] وقد اعتنى بعض أهل الفضل بجمع مناقبه في رسالة مخطوطة. |
| 59 | مسجد الغالي | نهج سيدي محرز | |
| 60 | مسجد الفلاري | مثله | صومعة هذا المسجد هي المجعولة للأذان بجامع محَمد باي المرادي لأن صاحبه مات قبل بناء صومعته فاتّخذوا للأذان به صومعة مسجد الفلاري الواقع تحت صحن الجامع |
| 61 | مسجد الفال بالعزافين(م-23). | نهج القصبة | |
| 62 | مسجد الفال بالشبارلية | نهج الغرابلية | يقصده بعض المعتقدين لأخذ الفال وينوهون بشأنه. وأما لفظ الشبارلية فإنه جمع شِبْرِلّة وهو حذاء نسواني كان السيدات يلبسنه عند الخروج للطريق العام. قالوا إن لفظ شبرلّة من قبيل التركيب المزجي وأصله |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| | | | شبـرللا ومعنى لـلا في الاصـطلاح التونسي سيدة والشبر معروف. |
| 63 | مسجد القباقبي | نهج الديوان | |
| 64 | مسجد القبة (م - 24) | نهج تربة الباي | سمّي كذلك لأنّ بمدخله قبّة، والعامة حرّفوا لفظ مسجد وجعلوه سيد القبة وقد تعرّضنا لأصل هذا التحريف في باب المدارس. |
| 65 | مسجد قدوار | نهج الباشا | |
| 66 | مسجد القرسطون | نهج الزياتين | |
| 67 | مسجد قاره برني | نهج الاغه | لفظ قـاره في التركيـة معنـاه أسـود والبرني هو الباز. |
| 68 | مسجد السكّاجين (م - 25) | سوق السكّاحين | لفظ السكّاجين محرف عن الشكازين وهذا اللفظ من متفرعاته الأشكز وهو شيء له علاقة بتهذيب جلود السروج |
| 69 | مسجد السهيلي | نهج المقطع | |
| 70 | مسجد سوق النحاس | نهج سوق القرانة | سوق النحاس من الآثار الحفصية |
| 71 | مسجد سوق الفلقة | مثله | مثله |
| 72 | مسجد السيل | نهج محسن | |
| 73 | مسجد الشباك | نهج سوق الوزر | |
| 74 | مسجد الشرفاء | نهج سيدي إبراهيم | كان الشيخ إبراهيم الرياحي يقرىء به العلم، دخل عليه الشيخ الجد وهو يقرىء الحديث وجلس حذو غيره |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| | | | بحلقة الدرس، فسكت الشيخ إبراهيم مراعاة للشيخ الجدّ، ولكن هذا الشيخ أبى إلا الانتفاع بدرس أستاذه والتبرك بمجلسه، فصمم الشيخ إبراهيم على رأيه، وانفصل المجلس بتزويد الشيخ الجدّ بغرفة من الدعاء وبسرّ الفاتحة. |
| 75 | مسجد سينون | نهج شلبي | |
| 76 | مسجد الوزير | نهج الديوان | أسّسه سلف الحافظ الشيخ حسن بن أحمد الوزير، قالوا إنه كان يصلّي فيه التراويح بختمة كاملة من القرآن. ومن أعقاب هذا الفاضل أحفاده وكلاء خزائن الكتب بجامع الزيتونة ومنهم أيضاً الشيخ حسونة الوزير رئيس المجلس البلدي بتونس وعميد تجارها، وكان لأسلافه قدم السبق في ميدانها ولا تجد في آل هذا البيت غير حافظ للقرآن الكريم. |
| 77 | مسجد ويشكة | نهج ابن أبي الضياف | لفظ ويشكة إسباني، وعائلة ويشكة أندلسية. |
| 78 | مسجد سيدي يعقوب | نهج سيدي يعقوب | |
| 79 | مسجد الأبراج | نهج الغرس | |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| 80 | مسجد سيدي بو حميدة | نهج بو حميدة | |
| 81 | مسجد سيدي بلحسن الحلفاوي | نهج حمام الرميمي | نسبة للولي الشيخ بلحسن الحلفاوي المتوفى سنة 1050 [1640] وأما حمام الرميمي فإنه كان موجوداً في المائة الثامنة. |
| 82 | مسجد سيدي بو راس | نهج سيدي بو راس | |
| 83 | مسجد سيدي بومنيجل | نهج النفافتة | تقدّم ذكر مسجد آخر بهذا الاسم تحت عدد 7 وكلا السيدين غير معروف لدينا وإنما نعرف أن بو منيجل هو الواحد من الطير الأبابيل. |
| 84 | مسجد سيدي بو صلاح | نهج الزاوية البكرية | كان يوجد بتونس رجل من أهل الصلاح في المائة السابعة اسمه سيدي بو صلاح. |
| 85 | مسجد سيدي الأنصاري | نهج القعّادين | يقام به ميعاد الطريقة القادرية واشتهر بمسجد الأنصاري لأنّ به قبر الشيخ الأنصاري وهو رجل من آل بيت الرصاع الأنصاريين وعلى ضريحه كتابة تشير لذلك. |
| 86 | مسجد بوسنينة | نهج درب العسّال | |
| 87 | مسجد بو سعيد | نهج السبّالة | |
| 88 | مسجد البرادعية | نهج البرادعية | نسبة للبردعة وهي سروج خاصّة |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| | | | بالبغال والحمير دون الخيل. |
| 89 | مسجد سيدي براك الجمال | نهج باب الخضراء | |
| 90 | مسجد براو | نهج سيدي غرس الله | |
| 91 | مسجد بطحاء الصلي | نهج الصلي | |
| 92 | مسجد سيدي البلّاغ | مثله(م - 26) | نسبة للشيخ أبي القاسم البلاغ من رجال المائة السابعة كان مشهوراً بالصلاح. |
| 93 | مسجد ابن حميدة | نهج باب سعدون | |
| 94 | مسجد باب الخضراء | بطحاء الباب | |
| 95 | مسجد سيدي بلحسن الحلفاوي | نهج الغرس | تقدّم التعريف بهذا الوليّ في عدد 81. |
| 96 | مسجد سيدي بازين | نهج سيدي بازين | |
| 97 | مسجد ترنجة | نهج ترنجة | ترنجة لفظ محرف عن أترجة وهي الثمرة المعروفة من فصيلة الليمون. |
| 98 | مسجد التوتة | نهج الطرودي | |
| 99 | مسجد التوتة أيضاً | نهج سوقي بلخير | |
| 100 | مسجد حمام | نهج حمام | تقدم التعريف بحمام الرميمي وأنه |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| | الرميمي(م - 27) | الرميمي | كان موجوداً في المائة الثامنة. |
| 101 | مسجد سيدي الحاري | نهج سيدي الحاري | به ينتصب ميعاد الطريقة العيساوية وزاويته أم الزوايا العيساوية بتونس. |
| 102 | مسجد الخضراوي | نهج القنطرة | |
| 103 | مسجد الدباغين | نهج الدباغين | نسبة للحومة التي كان بها في القرن الماضي وما قبله معامل دبغ الجلود انقلبت اليوم لدور وقصور. |
| 104 | مسجد درب العسّال | نهج العسل | يلوح أن هذا المسجد والثلاثة بعده من بقايا العصر الحفصي لأنهم كانوا يسمّون بعض الأزقة دروباً كدرب ابن عبد السلام حيث المدرسة العصفورية والميضاة الحفصية التي بناها السلطان أبو عمرو عثمان في المائة التاسعة. |
| 105 | مسجد درب النيل | نهج الزاوية البكريّة | |
| 106 | مسجد درب الشرف | نهج ابن ظريف | |
| 107 | مسجد درب الشّوك | | |
| 108 | مسجد الدرائب | نهج الدرائب | |
| 109 | مسجد الرصيف | نهج باب سعدون | |
| 110 | مسجد الرياضي | نهج الرياضي | |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسما المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| 111 | مسجد سيدي الزبيدي | نهج الحفير | تقدم مسجد آخر بهذا الاسم في عدد 39 اسمه الأصلي مسجد سيدي شيوشيو ورد ذكره في كتاب ابتسام الغروس وهذا السيد من تلاميذ الشيخ سيدي أحمد بن عروس وفي سنة 1271 [1854] انتصب بهذا المسجد ميعاد الطريقة القادرية فكان أول شيخ لها الشيخ القابسي شيخ الطريقة بالمحمّدية على عهد المشير أحمد باي. |
| 112 | مسجد زنقة الكبدة | نهج الكبدة | |
| 113 | مسجد السيدة مسيكة(م - 28) | نهج القنطرة | من الصالحات المشهورة بالكرامات. |
| 114 | مسجد سيدي موسى | نهج حمام الرميمي | |
| 115 | مسجد سيدي صالح بو قبرين(م - 29) | نهج سيدي العلوي | يوجد ضريح باسم سيدي صالح بو قبرين بالحد الفاصل بين عملي بنزرت وماطر |
| 116 | مسجد سيدي العبيدي(م - 30) | نهج الزاوية البكرية | قال في تاريخ الشيخ ابن أبي الضياف(م-31) إن هذا المسجد جدد عمارته الوزير يوسف خوجة صاحب الطابع وأحدث به مأذنة وحبس عليه وعلى قائمي الليل حبساً نافعاً. |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| | | | وأول إمام به الشيخ محمد العذاري. |
| 117 | مسجد سيدي يغلي | نهج بو كمشة | |
| 118 | مسجد العوافي | نهج باب سعدون | |
| 119 | مسجد الغاصرون | نهج الغاصرون | كان موجوداً في الدولة الحفصية. |
| 120 | مسجد الغول | نهج باب سعدون | ثلاثة ليس لها[م-32] وجود الغول والعنقاء والودود. |
| 121 | مسجد الفضالي | نهج الكرار | |
| 122 | مسجد فشار | نهج باب سعدون | |
| 123 | مسجد سيدي القديدي | نهج السّواحل | |
| 124 | مسجد الغزلو | نهج سوقي بلخير | |
| 125 | مسجد القمرتي | نهج الدوار | القمرتي نسبة لقمرت دشرة قريبة من مرسى جراح ورأيت من كتبها بلفظ قلمرت ولا أدري أي الرسمين أصح. |
| 126 | مسجد القعّادين | نهج القعادين | |
| 127 | مسجد الغوري | نهج الحدادين | نسبة للفقيه الشيخ أبي يحيى بن أبي بكر الغوري الصفاقسي من رجال المائة السابعة تولى قضاء الجماعة بتونس. |
| 128 | مسجد قوس الحدادين | نهج الحدادين | |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| 129 | مسجد قوس الشيخ صالح | نهج الشيخ صالح | |
| 130 | مسجد سيدي قويسم | نهج الحفير | نسبة للعلامة الشيخ محمد بن علي قويسم المتوفى سنة 1114 [1702] وبه قبره وليس عليه كتابة. |
| 131 | مسجد سبخة ترنجة | نهج الملاحة | |
| 132 | مسجد السقّا | نهج السقا | لعله منسوب للوليّ الشيخ احمد السقا المتوفى سنة 743 [1342]. |
| 133 | مسجد سيدي بو جعران | نهج بن عصمان | |
| 134 | مسجد سيدي بو مطرف | نهج النحال | |
| 135 | مسجد سيدي بو ضريسه | نهج رأس الدرب | |
| 136 | مسجد سيدي بو فطيرة | نهج حومة الكيال | |
| 137 | مسجد بو قريبة | نهج الحجّامين | هو جامع الحجامين تقدم التعريف به في الباب الأول. |
| 138 | مسجد سيدي البغدادي | نهج بو خريص | من رجال المائة التاسعة كان من أهل العلم والصلاح. |
| 139 | مسجد البغدادية | نهج الحقيقة | |
| 140 | مسجد الجيارة | نهج الفلة | نسبة لمصانع الجير [الكلس] في القديم. |
| 141 | مسجد خلوة | خارج باب البحر | تقدّم لنا مسجد آخر بهذا الاسم في |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| | سيدي أبي سعيد | | عدد 27 وكلاهما منسوب لسيدي أبي سعيد الباجي المتوفى عام 628 [1230]. |
| 142 | مسجد دريبة العبلي | نهج الممرّ | |
| 143 | مسجد سيدي داود | نهج الخلوة | |
| 144 | مسجد الروبا | نهج الراية | |
| 145 | مسجد الرقراق | نهج الممر | |
| 146 | مسجد الزيتونة | نهج بو سعدية | |
| 147 | مسجد الكرمة | نهج الجنينة | |
| 148 | مسجد المحرزية | نهج سيدي الشواي | |
| 149 | مسجد المطابق(م - 33) | نهج سيدي البشير | نسبة لمطابق القبور حيث مكان اختزانها. |
| 150 | مسجد الوقف | مثله | |
| 151 | مسجد صاحب الطابع | نهج السبخاء | هو جامع السبخاء تقدم التعريف في الباب الأول بصفته جامع خطبة. |
| 152 | مسجد سيدي عبد الحقّ | نهج سيدي المشرف | |
| 153 | مسجد سيدي عبد الملك | نهج سيدي عبد الملك | |
| 154 | مسجد سيد غريب | نهج سيدي غريب | |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| 155 | مسجد الفر | نهج الحجامين | |
| 156 | مسجد سيدي فرج | نهج الحقيقة | |
| 157 | مسجد سيدي الفهام | نهج سيدي الزواوي | |
| 158 | مسجد سوق العصر | نهج سوق السلاح | |
| 159 | مسجد السويقة | نهج الفلة | |
| 160 | مسجد سيدي الشريف | بطحاء بقيرة | |
| 161 | مسجد عقبة التراب | نهج سيدي العزابي | |
| 162 | مسجد خلوة سيدي محرز | باب الجديد | من المقامات التي يتبرّك ملوك تونس بزيارتها ليلة 27 رمضان وليلة المولد الشريف والمعالم الأخرى التي يزورونها في الموسمين المذكورين هي ضريح سيدي أحمد بن عروس وضريح سيدي محرز بن خلف وضريح سيدي إبراهيم الرياحي وضريح سيدي علي شيحة وضريح سيدي علي محسن، وكان المولى محمد الناصر باي يزور مع ذلك خلوة سيدي عمر بن عيسى. |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| عدد رتبي | أسماء المساجد | مواقعها | تنبيهات وحواشي |
|---|---|---|---|
| 163 | مسجد سيدي التباسي | دريبة غرنوطة | نسبة للشيخ سالم التبّاسي من أصحاب الإمام الشاذلي، والتباسي نسبة للتبسي والتبسي لفظ تركي. فيا ترى كيف وجد ذلك اللفظ بتونس في المائة السابعة، أي قبل قدوم الترك إليها بثلاثة قرون. |
| 164 | مسجد نوينة | | نسبة للشيخ نوينة كان قاضياً بتونس على رأس الألف. |

هذه جملة المساجد المقامة بها الشعائر عدا الجمعة والعيدين في هذا الزمان 1358 [1939] بمدينةَ تونس المحروسة، وما بقي من المساجد فهو المعطّل للأسباب التي سبق ذكرها في المقدمة، وعددها في الجملة اثنان وتسعون، والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين(م - 34).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

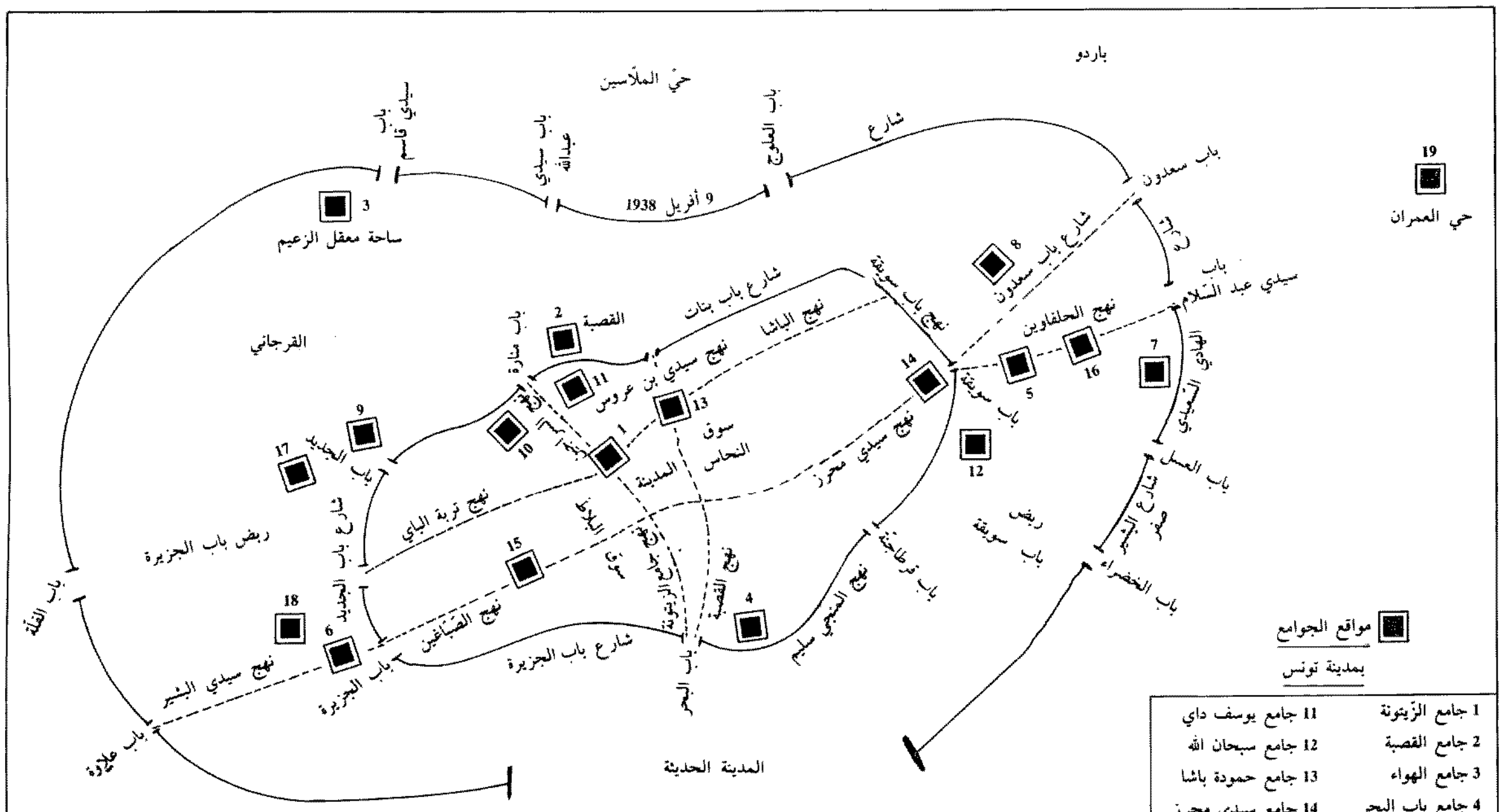


مواقع الجوامع

بمدينة تونس

| | |
|---|---|
| 1 جامع الزّيتونة | 11 جامع يوسف داي |
| 2 جامع القصبة | 12 جامع سبحان الله |
| 3 جامع الهواء | 13 جامع حمودة باشا |
| 4 جامع باب البحر | 14 جامع سيدي محرز |
| 5 جامع أبي محمد | 15 الجامع الجديد |
| 6 جامع باب الجزيرة | 16 جامع صاحب الطّابع |
| 7 جامع سيدي يحيى | 17 جامع الحجّامين |
| 8 جامع التّبّانين | 18 جامع السّبخاء |
| 9 جامع الحلق | 19 جامع العمران |
| 10 جامع القصر | |

## أسوار وأبواب مدينة تونس

لقد أُزيلت أسوار مدينة تونس
وأبوابها ابتداء من سنة 1865 إلى أن
انقرضت تماماً ولم تبق اليوم قائمة الذّات
إلاّ الأبواب التّالية: باب البحر ـ باب الجديد
باب سعدون ـ باب الخضراء ـ باب العسل

www.almaktabah.net
مكتبتنا العربية

# التعاليق

(م ـ 1) سورة الجن، الآية 72.

(م ـ 2) لقد أزيل هذا المسجد في نطاق تهيئة ساحة القصبة وأقيمت مقامه تربة بها ضريح الشيخ علي بن زياد، وهي تقع الآن حذو مستشفى عزيزة عثمانة.

(م ـ 3) عقد الفرائد في تذبيل الخلاصة وفوائد الرائد. طبع سنة 1324هـ/1905م.

(م ـ 4) مدة ولاية محمود باي: 1814 ـ 1824.

(م ـ 5) في الأصل: بمئين، والصواب ما أثبتناه.

(م ـ 6) مصطفى بن اسماعيل: تولى الوزارة الكبرى من سنة 1878 إلى سنة 1881.
(انظر «سيرة مصطفى بن اسماعيل» تحقيق رشاد الامام تونس 1981).

(م ـ 7) مسجد الإشبيلي:
يقع بسوق البلاط في مدخل نهج الكنز، وهو مسجد قديم يرجع عهده إلى القرن الرابع هجري (القرن العاشر ميلادي).

(م ـ 8) نهج الكنيسة (سابقاً) نهج جامع الزيتونة الآن.

(م ـ 9) مسجد الحفصية: يقع في مفترق بهج عاشور ونهج الحفصية. وقد تم تجديده من سنة 1954 إلى سنة 1956.

(م ـ 10) بعد إلحاق إدارة الغابة بوزارة الفلاحة في سنة 1956 أصبح مقرها يأوي الآن المعهد القومي للإحصاء التابع للوزارة الأولى.

(م ـ 11) مسجد الحفصية (الثاني): يقع بنهج ابن نجمة عدد 22. وقد تداعى للسقوط في السنوات الأخيرة فجدد وحول إلى مسكن خاص.

(م ـ 12) «الاتحاف» ج2 (النشرة الثانية) ص 40.

(م ـ 13) الشيخ أبو سعيد الباجي: من رجال الصوفية (1156 — 1230) (انظر ترجمته في كتاب «الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي» ص 224).

(م ـ 14) الشيخ الرصاع: (انظر ترجمته في «فهرست الرصاع» تحيق محمد العنابي تونس 1967).

(م ـ 15) مسجد الرمادين: يقع بنهج تربة الباي عدد 17 ويرجع عهده إلى العصر الصنهاجي 362 ـ 555 / 972 ـ 1160

(م ـ 16) مسجد سيدي الزبيدي: جدد بناء هذا المسجد في السنوات الأخيرة، وتحول إلى مسكن خاص وهو يقع بنهج التريبونال.

(م ـ 17) مسجد الطراز: يقع بنهج سيدي ابن عروس عدد 41 ويرجع عهده إلى العصر الصنهاجي.

(م ـ 18) مدة ولاية مصطفى باي: 1835 — 1837.

(م ـ 19) مسجد سيدي معاوية: تحول في السنوات الأخيرة إلى مسكن خاص.

(م ـ 20) مسجد المهراس: يقع بنهج جامع الزيتونة (نهج الكنيسة سابقا) وقد بني في عهد بني



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

خراسان (النصف الثاني من القرن الحادي عشر ميلادي) وجدد بناؤه بعد الاستقلال وحول إلى جامع خطبة.

(م ـ 21) في الأصل: 1396 والصواب ما أثبتناه.

(م ـ 22) مسجد ابن زياد:

أزيل هذا المسجد كما أسلفنا.

(م ـ 23) مسجد الفال: يقع بين نهج القصبة ومدخل سوق النحاس ويرجع عهده إلى العصر الصنهاجي.

(م ـ 24) مسجد القبة: يرجع عهده إلى القرن الرابع أو الخامس هجري، ويقال إنه كان كُتّاباً تعلّم فيه المؤرخ ابن خلدون.

(م ـ 25) مسجد السّكّاجين: مسجد قديم يرجع عهده إلى العصر الصنهاجي.

(م ـ 26) مسجد سيدي البلاغ: يقع بنهج الحلفاوين (لا نهج الصّلّي) قرب جامع يوسف صاحب الطابع. وما زالت إلى الآن تقام به الصلوات الخمس وصلاة التراويح في شهر رمضان المعظم.

(م ـ 27) مسجد حمّام الرّميمي: تأسس سنة 1781 وجدد بناؤه سنة 1983.

(م ـ 28) مسجد السيدة مسيكة: أزيل هذا المسجد في نطاق تهيئة ساحة الحلفاوين.

(م ـ 29) مسجد سيدي بوقبرين: أزيل هذا المسجد أيضاً في نطاق توسيع نهج سيدي العلوي.

(م ـ 30) مسجد سيدي العبيدي: تم تجديد هذا المسجد في السنوات الأخيرة وبنيت له صومعة.

(م ـ 31) الإتحاف ج 7 ص94.

(م ـ 32) في الأصل: لهم.

(م ـ 33) مسجد المطابق: أزيل هذا المسجد في نطاق توسيع نهج سيدي البشير بعد الاستقلال.

(م ـ 34) ملاحظة: أهمل المؤلف ذكر مسجد هام من مساجد العاصمة التونسية، وهو جامع الملاّسين (بالقرب من سبخة السيجومي) ويعرف الآن باسم جامع المراكشي، ويرجع عهده إلى العصر الحفصي. (انظر «المؤنس» ص 155) وقد جدد بناؤه في سنة 1974، وأصبح جامع خطبة. كما أنه لم يذكر مسجد حمودة باشا (الحسيني) الواقع بنهج القصبة قرب سوق الباي، وقد بناه الأمير حمودة باشا باي سنة 1805 وهو ما زال قائم الذات إلى يومنا هذا.

(انظر: الخلاصة النقية ص 136).



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

# البَابُ الرَّابِعُ

## فِي التَّعْرِيفِ بِالوِلَايَةِ عَلَى إِمَامَةِ الصَّلَوَاتِ



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

من أحسن ما كتب العلماء في هذا الموضوع الهامّ الباب التاسع من كتاب الأحكام السلطانية(م - 1) لأقضى القضاة الإمام أبي الحسن الماوردي المتوفى سنة 450 [1058] قال رحمه الله:

الإمامة على الصلوات تنقسم ثلاثة أقسام، أحدها الإمامة في الصلوات الخمس، الثاني الإمامة في صلاة الجمعة، والثالث الإمامة في صلوات الندب.

## الإمامة في الصلوات الخمس

نصب الإمام فيها معتبر بحال المساجد التي تقام فيها الصلوات، وهي ضربان: مساجد سلطانية، ومساجد عامية، فأما المساجد السلطانية فهي المساجد والجوامع والمشاهد وما عظم وكثر أهله من المساجد التي يقوم السلطان بمراعاتها، فلا يجوز أن ينتدب للإمامة فيها إلا من ندبه السلطان لها وقلده الإمامة فيها، لئلا يفتات الرعية عليه فيما هو موكول إليه، فإذا قلد السلطان فيها إماما كان أحقّ بالإمامة فيها من غيره، وإن كان أفضل منه وأعلم. وهذه الولاية طريقها طريق الأولى، لا طريق اللزوم والوجوب، بخلاف ولاية القضاء والنقابة لأمرين، أحدهما، أنه لو تراضى الناس بإمام وصلّى بهم أجزأهم، وصحّت جماعتهم، والثاني أن الجماعة في الصلوات الخمس من السنن المختارة والفضائل المستحسنة، وليست من الفروض الواجبة في قول جميع الفقهاء، إلّا داود، فإنه تفرّد بإيجابها إلّا من عذر، وإذا كانت من الندب المؤكد وندب السلطان لهذه المساجد إماماً لم يكن لغيره أن يتقدّم فيها مع حضوره، فإن غاب واستناب، كان من


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

استنابه فيها أحقّ بالإمامة، وإن لم يستنب في غيبته استأذن الإمام فيمن تقدّم فيها إن أمكن، وإن تعذَّر استئذانه تراضى أهل البلد فيمن يؤمهم لئلا تتعطل جماعتهم، فإذا حضرت صلاة أخرى والإمام على غيبته، فقد قيل إن المرتضى للصلاة الأولى يتقدم في الثانية وما بعدها إلى أن يحضر الإمام المولى، وقيل بل يختار للصلاة الثانية ثان يرتضى لها غير الأول لئلا يصير هذا الاختيار تقليداً سلطانياً، والذي أراه أولى من إطلاق هذين الوجهين أن يراعى حال الجماعة في الصلاة الثانية، فإن حضرها من حضر في الأولى، كان المرتضى من الجماعة الأولى أحقّ بالإمامة في الصلاة الثانية، وإن حضرها غيرهم كان الأوّل كأحدهم، وأستأنفوا اختيار إمام يتقدّمهم، فإذا صلّى إمام هذا المسجد بجماعة، وحضر من لم يدرك تلك الجماعة، لم يكن لهم أن يصلّوا فيه جماعة وصلّوا فيه فرادى، لما فيه من إظهار المباينة والتهمة بالمشاقة والمخالفة، وإذا قلّد السلطان لهذا المسجد إمامين، فإن خصّ كلّ واحد منهما ببعض الصلوات الخمس جاز، وكان كلّ واحد منهما مقصوراً على ما خصّ به كتقليد أحدهما صلاة النهار، وتقليد الآخر صلاة الليل، فلا يتجاوز كلّ واحد منهما ما ردّه إليه، وإن قلّد الإمامة من غير تخصيص كلّ واحد منهما ببعض الصلوات لكن ردّ إلى كلّ واحد منهما يوماً غير يوم صاحبه، كان كلّ واحد منهما في يومه أحقّ بالإمامة فيه من صاحبه، فإن أطلق تقليدهما من غير تخصيص، كانا في الإمامة سواء، وأيّهما سبق إليها كان أحقّ بها ولم يكن للآخر أن يؤم في تلك الصلاة بقوم آخرين، لأنه لا يجوز أن يقام في المساجد السلطانية جماعتان في صلاة واحدة، واختلف في السبق الذي يستحقّ به التقدّم على وجهين، أحدهما سبقه بالحضور في المسجد، والثاني سبقه بالإمامة فيه، فإن حضر الإمامان في حالة واحدة، لم يسبق أحدهما صاحبه، فإن اتفقا على تقديم أحدهما، كان أولى بالإمامة، وإن تنازعا، ففيه وجهان: أحدهما يقرع بينهما ويتقدّم من قرع منهما، والثاني يرجع إلى اختيار أهل المسجد لأحدهما، ويدخل في ولاية هذا الإمام تقليد المؤذنين ما لم يصرح له بالصرف عنه لأن الأذان من سنن



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الصلوات التي وليّ القيام بها، فصار داخلاً في الولاية، وله أن يأخذ المؤذنين بما يؤدّيه اجتهاده إليه في الوقت والأذان، فإن كان شافعيّاً يرى تعجيل الصلوات في أوّل الأوقات وترجيع الأذان وإفراد الإقامة أخذ المؤذنين بذلك، وإن كان رأيهم بخلافه، وإن كان حنفيّاً يرى تأخير الصلوات إلى آخر الأوقات إلّا المغرب، ويرى ترك الترجيع في الأذان وتثنية الإقامة أخذهم بذلك، وإن كان رأيهم بخلافه. ثم يعمل الإمام على رأيه واجتهاده في أحكام صلاته، فإن كان شافعياً يرى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، والقنوت في الصبح لم يكن للسلطان أن ينهاه عن ذلك، ولا للمأمومين أن ينكره عليه، وكذلك إن كان حنفياً يرى ترك القنوت في الصبح، وترك الجهر بالبسملة، عمل على رأيه ولم يعارض فيه، والفرق بين الصلاة والأذان أنه يؤدي الصلاة في حق نفسه فلم يجز أن يعارض في اجتهاده، والمؤذن في حقّ غيره، فجاز أن يعارض في اجتهاده، فإن أحبّ المؤذن أنه يؤذن لنفسه على اجتهاده، أذن بعد الأذان العام أذاناً خاصّاً لنفسه على رأيه يسرّ به ولا يجهر.

## الإمامة في صلاة الجمعة

وأما الإمامة في صلاة الجمعة، فقد اختلف الفقهاء في وجوب تقليدها، فذهب أبو حنيفة وأهل العراق إلى أنها من الولايات الواجبات، وأن صلاة الجمعة لا تصحّ إلا بحضور السلطان أو من يستنيبه فيها، وذهب الشافعي رضي الله عنه وفقهاء الحجاز إلى أن التقليد فيها ندب، وأن حضور السلطان ليس بشرط فيها، فإن أقامها المصلّون على شرائطها انعقدت وصحّت، ويجوز أن يكون الإمام فيها عبداً، وإن لم تنعقد ولايته، وفي جواز إمامة الصبّي قولان، ولا يجوز إقامتها إلا في وطن مجتمع المنازل يسكنه من تنعقد بهم الجمعة لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفاً إلا ظعن حاجة، سواء كان مصراً أو قرية. وقال أبو حنيفة تختصّ الجمعة بالأمصار ولا يجوز إقامتها في القرى واعتبر المصر بأن يكون فيه سلطان


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

يقيم الحدود، وقاض ينفّذ الأحكام، واختلف في وجوب الجمعة على من كان خارج المصر، فأسقطها أبو حنيفة عنهم، وأوجبها الشافعي عليهم إذا سمعوا نداءها منه، واختلف الفقهاء في العدد الذي تنعقد به الجمعة. فذهب الشافعي رضي الله عنه إلى أنها لا تنعقد إلا بأربعين رجلاً من أهل الجمعة ليس فيهم امرأة ولا عبد ولا مسافر، واختلف أصحابه في إمامهم هل يكون زائداً على العدد أو واحداً منهم، فذهب بعضهم إلى أنها لا تصحّ إلا بأربعين سوى الإمام، وقال أكثرهم يجوز أن يكونوا أربعين مع الإمام، وقال الزهري ومحمد بن الحسن تنعقد باثني عشر سوى الإمام، وقال أبو حنيفة والمزني تنعقد بأربعة أحدهم الإمام، وقال الليث وأبو يوسف تنعقد بثلاثة أحدهم الإمام، وقال أبو ثور تنعقد باثنين كسائر الجماعات، وقال مالك لا اعتبار بالعدد في انعقادها، وإنما الاعتبار أن يكونوا عدداً تبنى لهم الأوطان غالباً، ولا يجوز أن تقام الجمعة في السفر ولا خارج المصر، إلا أن يتّصل بناؤه، وإذا كان المصر جامعاً لقرى قد اتّصل بناؤها حتى اتّسع بكثرة أهله كبغداد، جاز إقامة الجمعة في مواضعه القديمة، ولا يمنع اتّصال البنيان من إقامتها في مواضعها، وإن كان المصر واحداً في موضوع الأصل وجامعه يسع جميع أهله كمكّة، لم يجز أن تقام الجمعة فيه إلّا في موضع واحد منه، وإن كان المصر واحداً متّصل الأبنية لا يسع جامعه جميع أهله لكثرتهم كالبصرة، فقد اختلف أصحاب الشافعي في جواز إقامة الجمعة في موضعين منه للضرورة بكثرة أهله، فذهب بعضهم إلى جوازها، وأباه آخرون، وقال إن ضاق بهم اتسعت لهم الطرقات فلم يضطرّوا إلى تفريق الجمعة في مواضع منه، وإن أقيمت الجمعة في موضعين في مصر قد منع أهله من تفريق الجمعة فيه ففيه قولان، أحدهما أن الجمعة لأسبقهما بإقامتها وعلى المسبوق أن يعيد الصلاة ظهراً، والقول الثاني أن الجمعة للمسجد الأعظم الذي يحضره السلطان سابقاً كان أو مسبوقاً، وعلى من صلّى في الأصغر إعادة صلاتهم ظهراً، وليس لمن قلّد إمامة الجمعة أن يؤم في الصلوات الخمس، واختلف فيمن قلّد إمامة الصلوات



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الخمس هل يستحقّ الإمامة في صلاة الجمعة فمنعه منها من جعل الجمعة فرضاً مبتدأ وجوزها له من جعلها ظهراً مقصورة، وإذا كان الإمام في الجمعة يرى أنها لا تنعقد بأقلّ من أربعين رجلاً، وكان المأمومون وهم أقلّ من أربعين رجلاً يرون انعقاد الجمعة بهم لم يجز أن يؤمّهم، ووجب عليه أن يستخلف عليه أحدهم، ولو كان الإمام يرى أنها تنعقد بأقلّ من أربعين رجلاً والمأمومون لا يرونه وهم أقلّ، لم يلزم الإمام ولا المأمومين إقامتها، لأن المأمومين لا يرونه، والإمام لم يجد معه من يصلّيها، وإذا أمر السلطان الإمام في الجمع أن لا يصلّي بأقلّ من أربعين لم يكن له أن يصلّيها بأقلّ من أربعين، وإن كان يراه مذهباً لأنه مقصور الولاية على الأربعين ومصروف عمّا دونها، ويجوز أن يستخلف عليهم من يصلّيها لصرف ولايته عنها، وإذا أمره السلطان أن يصلّي بأقلّ من أربعين وهو لا يراه، ففي ولايته وجهان: أحدهما، أنها باطلة لتعذّرها من جهته، والثاني أنها صحيحة ويستخلف عليها من يراه منهم.

## الإمامة في الصلوات المسنونة

وأما الإمامة في الصلوات المسنونة في الجمعة فخمس، صلاة العيدين، والخسوفين، والاستسقاء، وتقليد الإمامة فيها ندب لجوازها جماعة وفرادى، واختلف في حكمها فذهب بعض أصحاب الشافعي إلى أنها من السنن المؤكّدة، وذهب آخرون منهم إلى أنها من فروض الكفاية، وليس لمن قلّد إمامة الصلوات الخمس، أو إمامة الجمعة، حقّ في إقامتها إلاّ أن يقلّد جميع الصلوات، فتدخل في غيرها. فأما صلاة العيد فوقتها ما بين طلوع الشمس وزوالها، ويختار تعجيل الأضحى، وتأخير الفطر، ويكبر الناس في ليلتي العيدين من بعد غروب الشمس إلى حين أخذهم في صلاة العيد، ويختصّ عيد الأضحى بالتكبير عقيب الصلوات المفروضة من بعد صلاة الظهر من يوم النحر إلى بعد صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، ويصلى العيدين قبل الخطبة والجمعة بعدها اتباعاً للسنة


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

فيهما، وتختصّ صلاة العيدين بالتكبيرات الزوائـد، واختلف الفقهاء في عددها فذهب الشافعي رضي الله عنه إلى أنه يزيد في الأولى سبعاً سوى تكبيرة الإحرام، وفي الثانية خمساً سوى تكبيرة القيام قبل القراءة فيهما، وقال مالك: يزيد في الأولى ستّاً، وفي الثانية خمساً، سوى تكبيرة القيام. وقال أبو حنيفة: يكبر في الأولى ثلاثاً قبل القراءة، وفي الثانية أربعاً سوى تكبيرة القيام قبل القراءة، ويعمل الإمام في هذه التكبيرات الزوائد على رأيه واجتهاده، وليس لمن ولاه أن يأخذه برأي نفسه، بخلاف العدد في صلاة الجمعة لأنه يصير بذكر العدد في صلاة الجمعة خاصّ الولاية ولا يصير بذكر التكبير في صلاة العيد خاص الولاية فافترقا، فأما صلاة الخسوفين فيصليهما من ندبه السلطان لهما أو من عمّت ولايته فاشتملت عليهما، وهي ركعتان، في كل ركعة ركوعان، وقيامان، يطيل القراءة فيهما، فيقرأ في القيام الأول من الركعة الأُولى سرّاً بعد الفاتحة بسورة البقرة أو بقدرها من غيرها، ويركع مسبّحاً بقدر مائة آية، ثم يرفع منتصباً، ويقرأ بعد الفاتحة بسورة آل عمران أو بقدرها، ويركع مسبّحاً بقدر ثمانين آية يسجد سجدتين كسائر الصلوات، ثم يصنع في الركعة الثانية كذلك يقرأ في قيامها ويسبّح في ركوعها بثلثي ما قرأ وسبّح في الركعة الأولى، ثم يخطب بعدها. وقال أبو حنيفة: يصلّي ركعتين كسائر الصلوات ويصلّي لخسوف القمر كصلاة كسوف الشمس جهراً لأنها من صلاة الليل. وقال مالك: لا يصلّي لخسوف القمر كصلاة كسوف الشمس. فأمّا صلاة الاستسقاء فمذهوب إليها عند انقطاع المطر وخوف الجدب، يتقدّم من قلدها بصيام ثلاثة أيام قبلها والكفّ فيها عن التظالم والتخاصم، ويصلح فيها بين المتشاجر والمتخاصم والمهاجر، وهي كصلاة العيد في وقتها، وإذا قلد صلاة العيد في عام جاز مع إطلاق ولايته أن يصليها في كل عام ما لم يصرف، وإذا قلّد صلاة الكسوف والاستسقاء في عام لم يكن له مع إطلاق ولايته أن يصلّيها في غيره إلّا أن يقلّد لأن صلاة العيد راتبة، وصلاة الخسوف والاستسقاء عارضة، وإذا مطروا وهم في صلاة الاستسقاء أتمّوها وخطب بعدها شكراً،



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ولو مطروا قبل الدخول فيها لم يصلّوا وشكروا الله تعالى بغير خطبة، وكذلك في الخسوف إذا انجلى. ولو اقتصر في الاستسقاء على الدعاء بغير صلاة أجزأ. وروى أبو مسلم عن أنس بن مالك أن أعرابيّاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا رسول الله، لقد أتيناك وما لنا بعير يئط ولا صبي يصطبح، ثم أنشده: (الطويل)

أتيناك والعذراء يدمى لبانها ... وقد شغلت أم الصبي عن الطفلِ
وألقى بكفّيه الصبي استكانة ... من الجوع ضعفا لا يمرّ ولا يُحلى
ولا شيء ممّا يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العاميّ والعِلهَز الغِسلِ
وليس لنا إلا إليك فرارنا ... وأين فرار الناس إلّا إلى الرُّسْلِ

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرّ رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: اللهمّ اسقِنَا غيثاً غَدَقاً، مُغِيثاً سَحاً طَبَقاً، غيرَ رائِثٍ ينبت به الزّرع، ويملأ به الضرع، وتُحيىَ به الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون. فما استتمّ الدعاء حتى ألقت السماء بأرواقها فجاء أهل البطانة يصيحون، يا رسول الله، الغرق، فقال: حَوَالَيْنَا ولا عَلَيْنَا. فانجابت السحابة عن المدينة كالإكليل، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلّم حتى بدت نواجذه، ثم قال: لله درُّ أبي طالب، لو كان حيًّا لَقَرَّتْ عَيْنَاهُ من الذي يُنشدنا شعره؟ فقام علي بن أبي طالب، فقال: كأنك يا رسول الله أردت قوله: (الطويل)

وأبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغمام بوجهه ... ثِمَالُ اليتامَى عِصْمَةٌ للأرامل
يلوذ به الهُلّاكُ من آل هاشمٍ ... فهم عنده في نعمة وفواضلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ الله نَبْزِي محمّداً ... وَلَمَّا نُقَاتِلْ دُونَه ونُنَاضِلِ
وَنُسْلِمُهُ حتى نُصَرَّعَ حوله ... وَنَذْهَلُ عن أبنائنا والحلائلِ

فقام رجل من كنانة، فأنشد النبي صلى الله عليه وسلم: (المتقارب)

لَكَ الحَمْدُ والمدُ ممّن شَكَرْ ... سُقينَا بوجه النبيِّ المطَرْ
دعا اللهُ خَالِقَهُ دَعْوَةً ... وأشخص معها إليه البَصَرْ



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

فـلم يَـكُ إلاّ كـإِلْـقَـاءِ الـرِّدَا ءِ وأَسْـرَعَ حـتَّى رأيـنـا المَـطَرْ
دِفَـاقِ الـغَـزَالى جَـمّ البِـعَـاقِ أَغَـاثَ بـه اللهُ عَـلْيَـا مُـضَـرْ
وَكـانَ كـمَـا قـالـه عَـمُّـهُ أبـو طَـالِـب أبْـيـضَ ذا غُـرَرْ
بـه اللهُ أَرْسَـلَ صَـوْبَ الـغَمَـا مِ وهـذا الـعِيَـانُ وذاك الـخَبَـرْ

فقال صلّى الله عليه وسلم: إن يكن شاعرٌ يُحسِنُ فقد أَحْسَنْتَ.

ولبس السواد مختصّ بالأيمة في الصلوات التي تقام فيها دعوة السلطان اتّباعاً لشعاره الآن، وتكره مخالفته فيه وإن لم يرد به شرع تحرّزاً من مباينته. وإذا تغلّب من منع الجماعة كان عذراً في ترك المجاهرة بها. وإذا أقامها المتغلب مع سوء معتقده اتبع فيها، ولا يتبع على بدعة يحدثها.

## عمل ملوك تونس في ولاية الأيمة

هذا ما ذكره الإمام الماوردي في حقّ الولاية على إمامة الصلوات وأحكامها، وأما الطريقة الجاري عليها عمل ملوك تونس لهذا الزمان في تقديم الأيمة للصلوات والأيمة هم خطباء الجوامع التي تقام بها الجمعة في هذا العهد، وكانوا في القديم لا يجمعون بين الخطّتين إلا فيما قلّ، فالإمام يقع اختياره من بين أهل الفضل والعلم، وهذه هي القاعدة المطردة في الماضي والحاضر، والفضل في ذلك يرجع بأجمعه للملوك الحسينيين لما توفّقوا إليه من تنشيط بيوت العلم والمجد، لينسج الخلف على منوال السلف، وبسبب هذا التنشيط المشروع، أمكن استقرار إمامة بعض الجوامع في بيوت معلومة يتوارثونها عن جدارة لتوفّر شروطها فيهم جزاء وفاقاً، حتى إذا حادوا (لا قدّر الله) عن طريقها الأقوم، صرفت لغيرهم ممن هو أحقّ منهم بها، لأن من حرم مستحقّاً وأعطى غير مستحقّ فقد ظلم مرتين(م - 2)، ولقد سئل العلامة عماد الفتوى الشيخ إسماعيل التميمي عن إمام مسجد أقيم للإمامة مع وجود من هو أصلح منه، فأجاب: إن الولايات أمانة عند أولي الأمر، فيجب عليهم أداؤها لأهلها، فإن أعطوها لغيرهم فقد خانوا الأمانة وعصوا الله ورسوله وخانوا المؤمنين. ذكر الحافظ ابن حجر في



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

كتاب السياسة الإلهية بعد أن قرّر سبب نزول قوله تعالى «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»(م - 3) هي أمانة الولاية على سدانة الكعبة ما نصّه: فيجب على من ولي الأمر أن يولي كلّ عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح منه للمسلمين فقد خان الله وروسوله والمؤمنين» وفي رواية «من قلّد رجلاً على عصابة وهو يجد لتلك العصابة من هو أرضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين» رواه الحاكم في صحيحه. فالواجب على من ولي أمور المسلمين أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه ولا يقدّم الرجل لسبب غير الأصلحية. فعن عمر رضي الله عنه «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولّى رجلاً لمودّة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين»اهـ. واتّفق مرّة حصول شذوذ عن هذه القاعدة في أوائل هذا القرن عند شغور خطّة الإمامة بجامع باردو، فقامت قيامة بعض أهل العلم، ونادوا جهراً بوجوب منع تقديم من تعيّن لتلك الخطة مع وجود من هو أصلح منه لها في زمنه، وبسببه نسخت الولاية الشاذة المشار إليها وأسندت الخطّة لأحد شيوخ العلم من مدرّسي جامع الزيتونة. واتّفق مرّة أخرى حدوث عارض دفعي منع أيمة جامع الزيتونة عن المباشرة أفضى للاستنابة عنهم، فاختار الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور لذلك قاضي الجماعة الشريف الشيخ محمد الطيّب النيفر، إذ لا يخفى ما للمأموم على الإمام من الحقوق، وما للنفوس من الميل للصلاة خلف الأيمة التّقاة والعلماء الثّقاة، وهذه سجيّة نجد أثرها في كل عصر، فإن العلامة المرحوم الشيخ محمد رضوان قاضي الحنفية لما أحسّ بقرب أجله، أوصى بالصلاة عليه للعلامة المفتي الشيخ محمد بن الخوجة لاعتقاده بتقواه. وفي الحديث «أيمتكم شفعاؤكم» ومن أراد الاستزادة من الشواهد والنصوص في هذا المقام فعليه بمراجعة الموسوعات الفقهية بالمذهبين، وسبحان الله خالق كلّ حيّ ومدبّر كلّ شيء لا إله إلا هو لا معبود سواه.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## التعاليق

(م ـ 1) انظر «الأحكام السلطانية والولايات الدينية» تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (450هـ) الطبعة الثانية (1386هـ 1966م) مصر (من ص 100 الى ص 107).

(م ـ 2) انظر «تاريخ جامع الزيتونة» تأليف محمد الحشايشي، تحقيق الجيلاني بن الحاج يحيى ص 49 — 50.

(م ـ 3) سورة النّساء ـ الآية 58.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

# البَابُ الخَامِسُ

## فِي التَّعرِيفِ بِمَدَارِسِ طَلَبَةِ العِلْمِ



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

اعلم أن الدول الإسلامية امتازت في كلّ العصور بإنشاء المدارس لنشر العلم. ومن أشهر المدارس في القرون الأولى، مدارس بغداد بالمشرق، وأشهرها المدرسة النظامية في العصر العباسي، ومدارس قرطبة بالأندلس، وكانت طافحة بالمتعلّمين تضمّ الذكور والإناث، والمسلم وغير المسلم. قالوا إنّ ابن رشد الحفيد كان يقرىء بها درس الحكمة، ثم يعيده باللغة اللاطينية لتلامذته من النصارى الذين لا يفهمون العربية. وأقدم المدارس التونسية المعروفة هي المدرسة الشمّاعية[1] الموجودة لهذا الزمان

---

(1) من مدارس العصر الحفصي مدرسة المعرض. وبعض المؤرخين كتبها بلفظ المفرض بالفاء لا بالعين، وهذه المدرسة تعرّض لذكرها القلقشندي في صبح الأعشى (جزء 5 صفحة 102) وقال: إنها ثالثة ثلاث، والأخريان هما: المدرسة الشماعية، والمدرسة التوفيقية، وسمّاها مدرسة الهواء، مما يدلّ على أن شهرتها بهذا الاسم قديمة لا حديثة. والقلقشندي من رجال المائة الثامنة توفي سنة 821 [1418] وفي تاريخ المؤنس: ان مدرسة المعرض كان موقعها بحومة القشاشين، وهي الواقعة بين نهج الكتبية وسوق البلاط، وكانوا ينعتون جهة الكتبية في القرن الحادي عشر وما بعده باسم الطيبين، لأنه كان هنالك سوق لبيع الزهور التي تصنع منها العطور بحوانيت سوق العطارين. وممن كان يتعاطى التجارة في الزهور والرياحين العلامة الشيخ محمد قويسم صاحب موسوعة سمط اللآل، فإنه كان يقرىء الحديث بجامع محمد باي المرادي، ويتمعّش من تجارته في الزهور، والزهر مسك، والحديث نسك. ومما ورد ذكره في تواريخ تونس أيضاً مدرسة الرياض بالحلفاوين، كانت موجودة في زمن المؤرخ الشيخ ابن أبي دينار، ومدرسة الوزير البربري الشيخ أحمد بن تفراجين، ولم تزل لها بقية لهذا العهد بحومة حوانيت عاشور على خطوات من زاوية الشيخ =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

أسّسها الأمير أبو زكرياء يحيى بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص في سنة 633 [1235] وعلى منواله نسج السلاطين الحفصيون من ذريته، وجاءت الدولة المرادية في المائة الحادية عشرة فاقتفى رجالها ذلك السبيل، وامتازت من بعدهم الدولة الحسينية بتشييد مدارس كثيرة، وكان أوفر ملوكها حظاً في هذا المقام، المولى حسين باي بن علي تركي، وحفيده للأخ الباشا علي باي الأول، فقد أحدثا عدة مدارس ما زالت قائمة الذات لهذا الزمان، وتوفق في هذا العهد جماعة من أهل الخير بعضهم من جزيرة جربة لإنشاء جملة من المدارس لسكنى طلبة العلم، وقفوا عليها أوقافاً معتبرة لاستدامة النفع بها.

أما المدارس الموجودة لهذا الزمان التي يعمر أكثرها طلبة جامع الزيتونة وفروعه، فهي التي سنذكر أسماءها بالجدول الآتي، مرتبة حسب تواريخ ظهورها في الوجود، ثم نتبعها بتعريف تاريخي في بيان نشأتها واحدة واحدة، والله المستعان.

---

= إبراهيم الرياحي، وكان بها قبر الوزير المذكور، وقفت عليه بالذات، وهو من القبور المسنمة صغير الحجم عجيب الصنع، تضمن اسم صاحبه، وتاريخ وفاته، واتفق لي بعد مدة الدخول مرّة ثانية لمدرسة ابن تفراجين، فلم نجد بها حجارة قبره المتقدّم وصفها، مما يدل وأن يداً طويلة امتدّت إليها ونزعتها من محلها للاستقلال بها، واختلاس ألواح القبور معروف من قديم، فقد كان أوقفني مسيو روا [Roy] كاتب الدولة العام على مجموعة فطواغرافيات لجملة من الألواح لقبور تونسية أخذ صورها من متحف أوتان [AUTUN] وإذا بعضها من رجال المائة الثامنة، والبقية من أهل القرون التالية، منهم مشهد قبر المرحوم أيوب أمير أمراء عسكر التريس بتونس في أواخر القرن الماضي، وكان أحد النقاشين بتونس سطا على قبر الداي اسطا مراد وأخذه لفائدته الشخصيّة، واقتصت منه المحكمة الزجرية بالسجن والخطية، وأعادت القبر حيث كان، ولا ننسى أن أحد ضبّاط الدريبة الأقدمين، باع بالمال الناضّ قبور أسلافه لإدارة الأنطكخانة، فرتّبت وضعها بتلك القبة الخضراء الموجودة لهذا الزمان ببطحاء القصر بتونس، والبطحاء المذكورة كانت بها مقبرة دارسة شاملة للقبور المذكورة وغيرها من الأرماس. وأمثال هذه الإجراءات ونظائرها كثيرة في كل زمان ومكان، واعتبر بقول شاعر المعرّة:

صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ ـب فأين القبور من عهد عاد



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

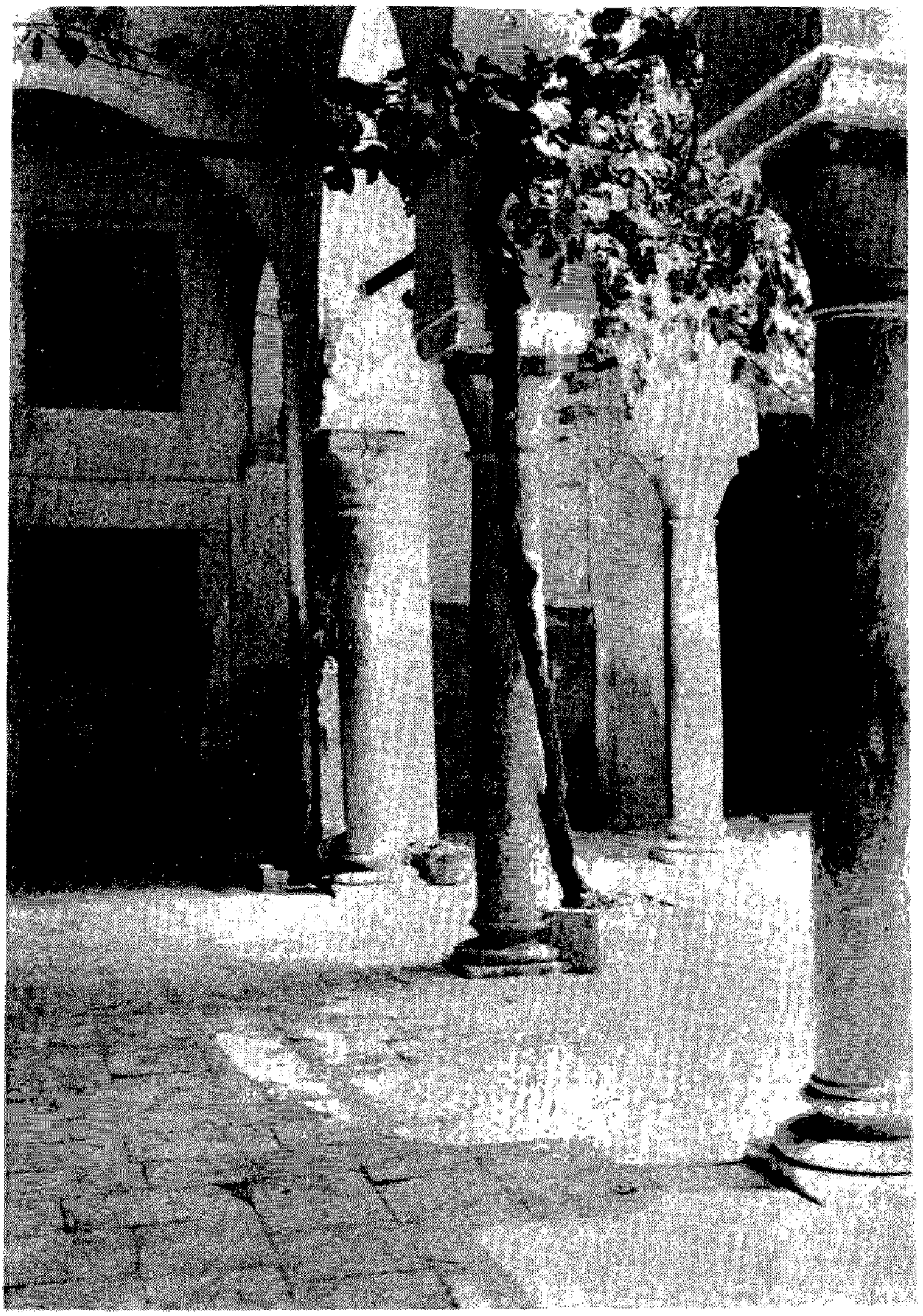

إحدى مدارس مساكن الطلبة
(من الداخل)



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| | المدارس | تاريخ نشأتها | المؤسسون لها |
|---|---|---|---|
| 1 | المدرسة الشماعية | 1633 [1235] | الأمير أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص. |
| 2 | المدرسة التوفيقية | 650 [1252] | زوجته الأميرة عطف. |
| 3 | المدرسة العصفورية | توفي مؤسسها عام 666 [1267] | الشيخ أبو علي بن موسى بن عصفور. وهذه المدرسة هي المنتصب بها معهد ابن خلدون في هذا الزمان. |
| 4 | المدرسة المرجانية | توفي مؤسسها عام 699 [1299] | الشيخ أبو محمد عبد الله المرجاني. |
| 5 | المدرسة المغربية | المائة السابعة | الشيخ أبو محمد عبد الله المغربي. |
| 6 | المدرسة العنقية | 733 [1332] | الأميرة فاطمة بنت الأمير أبي زكرياء الحفصي. |
| 7 | مدرسة سيدي يحيى | 747 [1346] | الشيخ يحيى السليماني، وهي معطلة في هذا الزمان. |
| 8 | المدرسة المنتصرية | 841 [1437] | السلطان محمد المنتصر الحفصي وأتمّها أخوه السلطان أبو عمرو عثمان. |
| 9 | المدرسة الأندلسية | 1034 [1624] | أهل جالية الأندلس منهم الشريف الشيخ علي النوي شهر السراج. |
| 10 | مدرسة الزاوية البكرية | أوائل القرن الحادي عشر | الشيوخ البكريّون الأوّلون وانتظمت أحوالها في الدولة المرادية. |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| | المدارس | تاريخ نشأتها | المؤسسون لها |
|---|---|---|---|
| 11 | المدرسة المرادية | 1084 [1673] | الأمير مراد باي الثاني. |
| 12 | مدرسة القائد مراد | 1093[1682] | القائد مراد بن عبد الله المملوك وهي على وشك الاضمحلال. |
| 13 | المدرسة اليوسفية | 1122 [1710] | الأمير يوسف داي. |
| 14 | مدرسة النخلة | 1124 [1712] | الباي المولى حسين بن علي تركي. |
| 15 | المدرسة الحسينية الصغرى | 1127 [1715] | الباي المذكور. |
| 16 | مدرسة الجامع الجديد | 1139 [1726] | الباي المذكور. |
| 17 | المدرسة المتيشية | بين سنة 1117 وسنة 1148 [1735] | الآغة أحمد بن متيشة. |
| 18 | مدرسة الزاوية الباهية | 1160 [1747] | الشيخ أحمد الباهي، لا ينتفع بها طلبة الجامع بالسكنى. |
| 19 | مدرسة حوانيت عاشور | 1159 [1746] | الباشا علي باي الأول. |
| 20 | المدرسة الباشية | 1166 [1752] | الباشا المذكور. |
| 21 | المدرسة السليمانية | 1168 [1754] | الباشا المذكور. |
| 22 | مدرسة بئر الحجار | 1170 [1756] | الباشا المذكور وأتمّها صهره رجب ابن مامي، وهي الآن تشخّص معهدا لتعليم الصنائع تحت نظر إدارة المعارف. |
| 23 | المدرسة الجاسوسية | قبل سنة 1178 [1764] | الشيخ أبو عبد الله الجاسوس. |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| | المدارس | تاريخ نشأتها | المؤسسون لها |
|---|---|---|---|
| 24 | المدرسة الجديدة | بين سنة 1172 وسنة 1190 [1776] | الباشا علي باي الثاني. |
| 25 | مدرسة صاحب الطابع | 1229 [1813] | الوزير يوسف خوجة صاحب الطابع. |
| 26 | المدرسة البشيرية | 1240 [1824] | الباشا حسين باي الثاني. |
| 27 | مدرسة الزاوية القادرية بالديوان | 1266 [1849] | الشيخ محمد المازوني، لا يشملها نظام المدارس العامة. |
| 28 | مدرسة سيدي شيحة | 1269 [1852] | الوزير مصطفى خزندار، تعطل النفع بها. |
| 29 | مدرسة الشيخ محمد ابن ملوكة | 1276 [1859] | المشير محمد الصادق باي، ثم جعلت معهدا للتعليم العصري في عام 1302 [1884] في عهد المولى علي باي الثالث، وصار اسمها المدرسة العلوية نسبة لاسمه الشريف. |
| 30 | مدرسة الشيخ بلخير | 1290 [1873] | الشيخ محمد بلخير السّاحلي تعطل النفع بها. |
| 31 | المدرسة الحُبيبية الكبرى | 1345[1926] | الباشا محمد الحبيب باي. |
| 32 | المدرسة الحبيبيّة الصغرى | 1346[1928] | الباشا المذكور. |
| 33 | المدرسة القاسمية | 1347 [1928] | السيد الحاج قاسم بن علي بن يوسف الجربي. |
| 34 | المدرسة الدغرية | 1347 [1928] | السيد محمد الدغري الجربي، |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| | المدارس | تاريخ نشأتها | المؤسسون لها |
|---|---|---|---|
| | | | وكان فتحها لسكنى الطلبة في عام 1351 [1932]. |
| 35 | المدرسة الحمزية | 1348 [1929] | السيد حسن بن الحاج علي حمزة المهدوي. |
| 36 | المدرسة الصالحية | 1356 [1937] | السيد محمد الصالحي. |
| 37 | مدرسة الهداية | 1357 [1938] | السيد الحاج أحمد بن الأمين الجربي. |

تلك جملة المدارس الخاصة بطلبة العلم بجامع الزيتونة وفروعه، عدا ما ورد ذكره في جملتها مما وقع تخصيصه في هذا العهد لمشاريع أخرى، من فنية أو صناعية، أو بطل النفع به. وإليك الآن حديث كل مدرسة بذاتها مع تاريخ نشأتها وفقاً لما تقدمت الإشارة إليه بفهرسة تلك المدارس.

## - 1 -

## المدرسة الشماعية(م - 1)

سُمّيت كذلك نسبة لسوق الشمّاعين الذي كان حولها في أوائل الدولة الحفصية(م - 2)، ثم صار اسمه سوق السبابطيين في الدولة المرادية(م - 3) واسمه اليوم سوق البلغاجية، وهي من حسنات الأمير أبي زكرياء يحيى بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص، وذلك في سنة 633 [1235] أي في الوقت الذي أتمّ فيه بناء صومعة جامعه بالقصبة، وهذا الأمير هو الذي أحدث سوق العطارين. وبديهي أن يكون سوق الشموع من ملحقات


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

سوق العطّارين، وكان صنع الشموع[1] من التجارة الرابحة بتونس، ولم يبق للشموع في هذا الزمان رواج إلا بنسبة ما تدعو إليه الحاجة من ترتيب الأفراح، كوقت زفاف العروس، ولا سيما عند ولائم الأختان التي يقيمها لفيف التونسيين على قارعة الطريق حال توجّههم بالصبي المقصود اختتانه للتبرك بزيارة مقام الشيخ سيدي محرز بن خلف، والشرب من بئر زاويته، وهي عادة عامية ذات رونق وانشراح، تزداد بهجتها حسناً بقصائد المديح، وترديد أبيات البردة من أفواه الصبيان أتراب الطفل المختون، وهاهم زادوا

---

(1) الشموع التي تسرج بالجوامع مستفادة كما هو معلوم من شمع الشّهد، والشّهد هو ما يلده النحل. قال تعالى (وأوحى ربك إلى النحل) الآية(٦٨). ولما انتشر بهذه الديار استعمال الشمع المصنوع بأوروبا أنكر المسلمون إسراجه في بيوت العبادة خشية احتوائه في تراكيبه على موادّ غير طاهرة، وإن لم تكن، لأن الشموع الأوروباوية مصنوعة من موادّ كمياوية ممزوجة بشحوم الحوت أو الضان، والأصل في الأشياء الطهارة، وأشهر هذه الشموع الأوروباوية هو الشمع الفرني المعروف، وكان المقدس المبرور الشيخ أحمد الشريف إمام جامع الزيتونة يمنع تنوير ثريات الجامع بهذا الشمع، ويشترط على الجمعية صنع شمع عربي مناسب حجمه لهاتيك المصابيح، وها هي القناديل الكهربائية جاءت لفصل النازلة، وذهب أمر الشموع في خبر كان، والعامّة في تونس ينعتون الشمعة الأوروباوية بقولهم شمعة (بوجي)[Bougie] تمييزاً بينها وبين الشمع العربي، ولا يفهمون معنى للفظ بوجي فلا بأس بشرحه إليهم حتى يكونوا على بينة منه ذلك. إن لفظ بوجي في اللغة الفرنساوية هو اسم بلد بجايه قاعدة ملك بني حمّاد، وهو الثغر المعروف بالجزائر، وكان لهذا البلد خلطة تجارية وعلاقة بتجار البندقية في المائة الثالثة للهجرة، فتعلّموا بها أي ببجاية كيفية صنع الشموع عند العرب، ونشروه بأوروبا، فسمّوه باسم البلد الذي أخذوه عنه وهو بجاية، التي هي بوجي في لغتهم. وكان الأوروباويون في ذلك الزمان لا يسرجون الشموع إلا عند حلول المصائب العامة، كالطاعون، والوباء، والحروب، وشبه ذلك، فيوقدونها بالكنائس، وبيوت الديانة، تطلّباً للفرج. وانظر ما لهذه العقيدة النصرانية من الشبه مع ما جرت به العادة في بعض البلاد الإسلامية، كبلادنا تونس، من البذور التي يقدّمونها في صورة شموع للإسراج بأضرحة الصالحين، تطلّباً لبرء مريض أو لقضاء حاجة، وهو عمل ليس من الدين في شيء. قال في معجم المعلم لاروس [Larousse] إن الحكيم أبا بكر الرازي، الطبيب المشهور في المائة التاسعة للميلاد، كان يداوي المصابين بضيق المجرى بمفاتيل لينة من شمع الشّهد، مما يدلّ على أن الشموع كانت معروفة عند العرب في الشرق والغرب منذ القرون الأولى للهجرة.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

اليوم في الطنبور نغمة، بإضافة طاقم من الموسيقى لمصاحبة أولئك الصبيان في سيرهم حول الأزقّة والأنهاج.

ولنرجع لحديث المدرسة الشماعية فنقول: إنني لم أقف بكتب التاريخ على ذكر مدرسة قبلها بحاضرة تونس، وقد تداعت أحوالها في أواخر العصر الحفصي، فتداركها الداي أحمد خوجة بتجديد عمارتها في سنة 1057 [1647] على عهد الدولة المرادية، وممن تولّى مشيختها في القرن الماضي جماعة من آل البيت الخوجي، منهم الشيخ أحمد بن الخوجة الأوّل، أقرأ بها شرح المحلّي على جمع الجوامع، وكان درسه جامعاً لعلماء من طبقات متعدّدة، منهم الشيخ محمد النيفر الأكبر، كان يحضر هذا الدرس مع أستاذه الشيخ محمد بن الخوجة، ثم يصاحب أستاذه المذكور لجامع الزيتونة لقراءة مختصر السّعد عليه، ورأيت بخطّ بعض الأفاضل أن ممن سكنها في طلب العلم جماعة من أيمة المذهبين في عصور مختلفة، منهم ابن عرفة، والبرزلي، والأبّي، ومن المتأخّرين الشيخ إسماعيل التميمي، وقد اقتضت وقفيتها ترتيب جراية لطلبة العلم بها كان مقدارها ريالين في الشهر على عهد المشير محمد الصادق باي، وكانت في القرن الماضي من المدارس الخاصّة بسكنى الطلبة الحنفية، وكانت جراية المدرّس بها في الدولة الحفصية عشرة دنانير في الشهر، تبرّع بها الشيخ أبو العباس الغرناطي، صاحب كتاب المشرق في أدباء المشرق والمغرب، وكانت له نافذة بين بيته وبين المدرسة لسماع ما يقرأ بالمدرسة.

## ـ 2 ـ

## المدرسة التوفيقية(م - 5)

هذا اسمها المهجور المعروفة به في كتب التاريخ، وأما اسمها المشهور، فهو مدرسة جامع الهواء. أحدثتها الأميرة عطف زوجة الأمير أبي



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، وأم السلطان أمير المؤمنين[1] محمد المستنصر بن أبي زكرياء، وكان ذلك في سنة 650 [1252] بنتها في آن واحد مع جامع التوفيق، ولك أن تقول جامع الهواء، ورتّبت بها دروساً علمية وأوقافاً جارية لاستدامتها، وكانوا في ذلك الزمان يسندون مشيختها لإمام الجامع. وأول من تولّى تينك الخطتين العالم الخطيب الشيخ أبو عبد الله محمد الشريف من أصحاب الإمام الشاذلي توفي سنة 666 [1267] وتولّاها أيضاً في المائة السابعة الفقيه الصالح الشيخ محمد بن نصر عرف البسكري، وكان معاصراً للسيدة عائشة المنوبية رضي الله عنهما. وممن سكنها في المائة الثامنة الشيخ محمد الأبي، شارح صحيح مسلم. وذكر فيما كتبه على كتاب الطاعون من شرحه هذا أن الوباء نزل بتونس سنة 796 [1393] والشيخ الأبي يسكنها، فمات أحد تلامذتها بالطاعون، وكان مدرسها الشيخ محمد بن عرفه قد شرع في قراءة الصيف فهجرها حتى جاءه الشيخ الأبيّ وعرض له بالمجيء، فقال أليس الوباء قد وقع عندكم؟ وذكر له أحاديث النهي عن دخول أرض الوباء، وحديث «فر من المجذوم فرارك من الأسد» ثم عاد إلى التدريس بعده، وبالتالي تلاشت أحوالها، كما يستفاد ذلك من كلام الشيخ ابن أبي دينار في كتابه المؤنس، ثم جدّدت عمارتها في الدولة الحسينية. ومن شيوخها في المائة الماضية الشيخ محمد ابن ملوكه، والمفتي الشيخ حمدة الشاهد. هذا وقد صرفت جمعية الأوقاف

---

(1) هو السلطان التونسي الوحيد الذي تلقّب بأمير المؤمنين جاءته البيعة من مكة المشرفة ومن الأندلس وخطبوا باسمه في الشرق والغرب قال في المؤنس(م-6): وفي سنة سبع وخمسين (وستمائة) وصلت بيعة مكة بانشاء عبد الحق بن سبعين وقرئت على الناس فعند ذلك تسمّى بأمير المؤمنين ولقب بالمستنصر بالله (وكان اسمه محمداً) وتلقّب قبله عبد المؤمن بن علي بأمير المسلمين وكانوا مع ذلك ينعتونه بالخليفة من باب التوسّع والإغراق في الإجلال والتعظيم وكيف لا وهو الذي قال فيه الشاعر:

ما هز عطفيه بين البيض والاسل  مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

قالوا لما أراد هذا الشاعر الاسترسال في إنشاد قصيدته التي هذا مطلعها قاطعه عبد المؤمن وأمر له بألف دينار ولما سئل في ذلك قال لأنه لم يبق له ما يقول.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

في الزمن الحاضر مهجتها للزيادة في عمارة هـذه المدرسـة بالإصـلاح والتوسعة إسعافاً لأهل العلم، شكر الله سعي الساعين في ذلك.

ومما يستحبّ إضافته لما قدمنا، ما ذكره العلامة المؤرخ صاحبنا أمير اللواء أبو محمد السيد حسن عبد الوهاب في كتابه المسمّى (شهيـرات التونسيات) من أن هـذه المدرسـة هِي أوّل معهد علمي مستقـلّ أسّس بتونس، ونقل أبياتاً في حق المحسنة الجليلة صاحبة هذه المبرة الخالدة، من نظم فارس القريض الأديب أبي الحسن السيد الشاذلي خزندار(م - 7) ونصّها:

إن غاب شخصك يا ذات الجلال فما  غـابت مـآثـرك البيضـا أيـاديهـا
في تونس ظهرت أولى المدارس عن  يـديك تستمـطر الـرحمى لبـانيهـا
مرّت بها النّاس أجيالاً وذكرك في  أفـواهها يتفشى بـالـدعـا فيهـا

## ـ 3 ـ

## المدرسة العصفورية

نسبة للشيخ أبي علي بن موسى المعروف بابن عصفور الإشبيلي من أيمة النحاة توفي سنة 666 [1267] مغتالاً لمقال صدر منه بمجلس السلطان محمد المستنصر الحفصي، قال له السلطان معجباً ببذخ عيشه وهو جالس على حافة جابيته برياض أبي فهر بأريالة: لقد أصبح ملكنا عظيماً. فأجابه قائلاً: بنا وبأمثالنا. فكانت هذه العبارة الناطقة بإعجاب الشيخ بنفسه سبباً في القضاء عليه غرقاً بتلك الجابية، وفي ذلك ما يدلّ على أن أهل العلم أبعد الناس عن السياسة، ولو قال له مثلاً: نعم إنما ذلك بحسن تدبيرك وحصافة رأيك الذي جعلنا نرتع في بحبوحة نعمتك ونخدم العلم على ما يرضي الله ويرضيك لكان الجزاء شيئاً آخر، ولكنها أنفاس معدودة، نعوذ بالله من هفوات اللسان. فهذه المدرسة التي هي من مآثر العصر الحفصي، موقعها بدرب ابن عبد السلام، وهو الزقاق المنتصب به معهد ابن خلدون


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

بسوق العطارين في هذا الزمان، والميضاة المواجهة لهذه المدرسة من محدثات السلطان أبي عمرو عثمان الحفصي، أنشأها في سنة 854 [1450] وبالتالي تلاشت أحوال المدرسة المذكورة، ثم جدّدت عمارتها في سنة 1308 [1890] على يد إدارة المعارف، وكتبوا يومئذ فوق بابها أبياتاً بالنقش هذا مطلعها:

هـذا بنـاء محكم مـا أنفسـه  لله همـة مـاجـد قـد أسّسـه

ولعل المصراع الثاني من هذا البيت يشير للمسيو ماشويل [Machuel] مدير المعارف، نعم إنه وردت بعد ذلك أبيات أخرى في الإشارة لأمير العصر، وهو المولى علي باي الثالث، وبيت التاريخ هو هذا:

تـدعى بعصفـوريـة تـاريـخهـا  حيث قـوى الأوقاف روح المـدرسة
1308 [1890]

وهذا التاريخ لا يوافق سنة 1308 بحساب الجمل، وأضراب هذه الأغلاط كثيرة في النقوش التاريخية.

ولما صارت هـذه المدرسـة من مشمولات أنـظار إدارة المعارف، جعلتها مدرسة لترشيح المؤدّبين في عام1313 [1895] ثم أبـدلت اسمها فجعلتها مدرسة ترشيح المعلمين.

وممّن تولىّ إدارتها في الأوّل شيخنا قاضي الجماعة أبو الفدا الشيخ إسمـاعيل الصفـايحي، ومن مدرّسيهـا المفتي المرحـوم الشيخ إبـراهيم المرغني، والعلامة المفتي الشيخ بلحسن النجار، وبالتالي نقلت مدرسة ترشيح المعلمين لمدرسة بئر الحجار، ثم للمـدرسة العلويـة الجديـدة، وضمّت المدرسة العصفورية لمعهد ابن خلدون، وبها يتلقى اليوم تلامذة جامع الزيتونة دروسهم في الرياضية، والجغرافية، والصرف، والخط، الخ، للاستعانة بالمعلقات والخرائط الجدارية لزيادة التوضيح والبيان أثناء قيام



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الأساتذة بدروسهم في تلك الفنون، قياساً على أسلوب التعليم بالمدارس العصرية.

## ـ 4 ـ

## المدرسة المرجانية

نقدم بين يدي القارىء تعريفاً أوّلياً في بيان من اشتق من اسمه اسم هذه المدرسة لوجود ثلاثة نفر بتونس من أهل الصلاح، كان كلّ منهم يسمّى بالمرجاني، وهم: الشيخ أبو محمد عبد الله المرجاني صاحب هذه المدرسة، وهو نفسه صاحب جامع أبي محمد خارج باب السويقة، وهذا الفاضل أحدث مدرسته المتحدّث عنها رباطاً لطلبة العلم، وهو من أصحاب الإمام الشاذلي توفي سنة 699 [1299] ودفن بالزلاج. والشيخ المرجاني الثاني، هو دفين زاويته الموجودة بهذه المدرسة، ولا يبعد أن يكون من أحفاد الشيخ أبي محمد المرجاني الأوّل، وهذا المرجاني الثاني اشتهر بلقبه دون اسمه، وهو المعروف بصاحب الشعرات النبوية. رأيت بتقييد لبعض الأفاضل من شيوخ هذه المدرسة المتأخّرين كتبه في سنة 1340 [1921] بطلب من إدارة المعارف[1] تضمّن الإشارة للشعرات المتحدث عنها، ونصّ عبارته: أما الشعرات النبوية المودعة هناك (أي المدرسة المرجانية) فقد ذكر الشيخ الحاج محمد بن سالم بن فرج الحمامي الخلوتي عند شرحه لبيت من أبيات البردة، وهو قول الشيخ البوصيري (لا طيب يعدل تربا الخ) عن الشيخ ابن الدباغ، قال الشيخ ابن الدباغ: وتواتر الخبر لدينا أن بدار الأشياخ بتونس (رباط المرجاني) شعرات من شعره عليه السلام، وهي الآن قارة بالزاوية المرجانية خارج باب

---

(1) حقّ عليّ أن أسجّل هنا عبارات الشكر الجميل للفاضل السيد عثمان السّبعي حيث أطلعني على ما تجمّع لديه من الإفادات التاريخية المتعلقة ببعض المدارس أثناء مباشرته لرئاسة قسم الأمور العربية بإدارة المعارف.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

قرطجنة أرانيها الآن حفيده أبو فارس عبد العزيز، فتبرّكنا بذلك، وعنده بذلك براءة قديمة مكتوب فيها صحّة كونها من شعره عليه السلام. وتلك الشعرات فيها أثر صفرة، وكان شيخنا الصالح أبو الحسن البطريني يصحّح لنا كون ذلك حقّاً اهـ. وكان تأليف الشيخ الحمّامي لشرحه على البردة في سنة 1282 [1865] للهجرة الشريفة.

وأما الشيخ المرجاني الثالث، فهو دفين المسجد الذي بزاويته داخل باب البحر وهي غير زاوية الشيخ المرجاني الثاني صاحب الشعرات الشريفة. وكان بالمسجد المذكور رواية للحديث فيما استفيد من محفوظات جمعية الأوقاف، فوقع نقل هذه الرواية لجامع سبحان الله بمساعي قاضي الجماعة الشيخ محمد بن سلامة، وأما رواية الحديث بالمدرسة المرجانية فهي من مآثر الوزير مصطفى خزندار، أحدثها عند تجديده لعمارة هذه المدرسة في مدّة وزارته، وأسند الرواية المذكورة، ومشيخة المدرسة للعلامة الشيخ سالم بوحاجب، قياساً على أترابه من أهل العلم. وختم الحديث بهذه المدرسة ينعقد في 22 رمضان.

## ـ 5 ـ

## المدرسة المغربية

لم نقف لهذه المدرسة على خبر بكتب التاريخ، ولم نسمع عنها ما يفيد من أفواه أهل العلم سوى أنها كانت بحال خراب في الزمن الماضي، وأن الذي جدّد عمارتها هو العلامة الشريف الشيخ الشاذلي بن صالح كبير أهل الشورى المالكية في أواخر القرن الفارط، قام بذلك من حرّ ماله احتساباً لوجه الله تعالى، وإسعافاً لطلبة العلم. وعندي أن هذه المدرسة من بقايا العصر الحفصي، وأنه من المحتمل القريب أنها سمّيت بالمغربية نسبة للشيخ أبي محمد عبد الله المغربي، من رجال العلم والصلاح، مؤسّس جامع باب الجزيرة البراني في المائة السابعة، وكان هذا الفاضل من



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

معاصري سميّه الشيخ أبي محمد عبد الله المرجاني من علماء الظاهر والباطن، ومؤسّس جامع أبي محمد، والمدرسة المرجانية في القرن السابع أيضاً، فوجود هذين الشيخين في بلد واحد، وفي عصر واحد، وكونهما أسّس كلّ منهما جامعاً للخطبة كما أثبته التاريخ، ممّا يحمل على الظنّ وأن الشيخ المغربي بنى مع جامعه مدرسة لطلبة العلم قياساً على صنيع سميّه صاحب جامع أبي محمد. والمدرسة المرجانية والله اعلم. وممن تولّى مشيختها في القرن الماضي العلامة الشيخ الطيب النيفر، جمع بينها وبين مشيخة المدرسة المرجانية، والمدرسة المغربية المتحدث عنها موقعها على مقربة من مسجد القبة، والعامة يقولون سيد القبة، وهي قبة فارغة ليس بها سيد ولا سيدة ولا ما يشمّ منه رائحة السيادة، وإنّما هم حرّفوا لفظ مسجد إلى مسيد بإسقاط الجيم لثقلها باللسان بعد حرف السين، ثم حذفوا حرف الميم فصار اللفظ سيد بكسر السين، فالاسم الحقيقي هو مسجد القبّة وحسب، وليس هذا المسجد وحده مما تناول اسمه التحريف، فإن مسجد المشرف بالحجامين يسمّيه العامة سيد المشرف. ورأيت بالخلاصة النقية(م - 8) رسمه باسم مسيد المشرف قال: ومن مآثره (مصطفى باي) القبة الشامخة والتربة بمسيد المشرف (يعني مسجد المشرف) للمجذوب السيد حسن مسكة، كان من بني قصره وقصر أبيه وأخيه ذا كرامات مشهورة وبركات مذكورة اهـ. قلت والمغاربة ينطقون لفظ مسجد بالإشباع، فيقولون مسجيد، ومنه تفهم سقوط جيمة لثقلها وبقاء الياء المزادة، وما يعتاده العامّة يقدّسونه تقديسهم للعبادة.

## ـ 6 ـ

## المدرسة العنقية

اسمها مشتقّ من اسم الزقاق الواقعة فيه، وهو نهج عنق الجمل، سمّوه كذلك فيما يلوح لطوله وانحرافه، ولا مشاحة في الاصطلاح، ومنه



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

نفهم أن نهج عنق الجمل كان معروفاً بهذا الاسم في أوائل المائة الثامنة وما قبلها. وهذه المدرسة أسّستها الأميرة المحسنة فاطمة ابنة الأمير أبي زكرياء الحفصي في سنة 733 [1332] وفي عهد الدولة الحسينية كانت مشيختها بيد الجماعة الحنفية مع أربعة مدارس أخرى، وهي المدرسة الشماعية، والمدرسة اليوسفية، والمدرسة الباشية، ومدرسة السواري. وممّن تولّى مشيخة هذه المدرسة في العصر الحسيني مشائخ الإسلام، من آل بيرم الأعلام، فقد تولّوها بتواصل من الشيخ الأوّل حتى حفيده الشيخ الرابع، ثم تولاّها من بعده الشيخ محمد بن مصطفى بيرم دفين مصر، ثم الشيخ محمد السلاّمي بيرم ابن الشيخ الرابع، ومن بعده دخلت المدرسة في سلك النظام الجديد الشامل لكافة مدارس الطلبة. وبعد تحرير هذه الأسطر وقفت على أخبار مفيدة بحقّ هذه المدرسة، منها أنّ صاحبتها رحمها الله لما أتمّت بناءها طلبت من أخيها السلطان أبي يحيى أن يكون قاضي الجماعة الشيخ محمد بن عبد السلام مدرّساً بمدرستها، فأسعفها بذلك، فكان الشيخ رحمه الله يقسم الأسبوع بين المدرستين الشماعية، وهذه ثم نسبته الأميرة فاطمة للتقصير وصرفته عنها وقدّمت غيره مكانه. وممن تولّى التدريس بها أيضاً الشيخ أبو مهدي الغبريني، ثم جماعة من بيت القلشاني وغيرهم من الأعلام.

وكانت مشيختها في القرن الماضي بيد الشيوخ البيارمة كما سبقت الإشارة لذلك. ذكر الشيخ ابن أبي الضياف في تاريخه(م-9): أن الشيخ محمد بيرم الثالث دخلها ذات يوم فوجده والشيخ محمد بن سلامه ببيت ابنه الشيخ محمد بيرم الرابع وبيدهم كتاب روض الآداب، والأصوات عالية في نقد بيت من الشعر، فجلس حذوهم وشارك في الكلام، ثم أخذ الكتاب من يد ابنه وكتب على ظهره ارتجالا:

إن الزمان الذي تقضيه في الأدب  يراه أهل النهى في جملة اللعب
فاصرفه في شرف ترجى عواقبه  تأتيك آثاره تنهل كالسحب



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وذا مقـالي عن نصـح أفـوه بـه  وليس يرجى لنصح المرء غير أب

ثم دفع لهم الكتاب، وعاد من حيث أتى. رحم الله الجميع.

## ـ 7 ـ

## مدرسة سيدي يحيى

هذه المدرسة واقعة بدرب العسّال، أحدثها العارف بالله الشيخ يحيى السليماني مع جامعه الذي بناه سنة 747 [1346] وهي من الأوقاف الخاصة في تصرف ذرية مؤسسها وليس عليها لجمعية الأوقاف غير النظر العـام الشامل لمجموع الأوقاف الخاصة، وهي معطلة في هذا الزمان.

## ـ 8 ـ

## المدرسة المنتصرية(م - 10)

أسسها السلطان محمد المنتصر الحفصي، ومات قبل إتمامها في سنة 839 [1435] فأتمّها أخوه السلطان أبو عمرو عثمان في سنة 841[1437] ووقف عليها أوقافاً واسعة، ورتّب بها دروساً للعلم، وممن أقرأ بها في زمنه الشيخ أحمد القسنطيني قاضي الأنكحة بتونس. ويستفاد من تاريخ الشيخ ابن أبي دينار(م - 11) أن هذه المدرسة تلاشت أحوالها بعد الألف، فوقع تجديد عمارتها في سنة 1090 [1679] وهذا التاريخ يوافق مدّة الأمير علي باي المرادي، وكان من شيوخها في أوائل القرن الماضي الشيخ أبو الفلاح صالح الكواش(م - 12) المتوفى سنة 1218[1803] وكان يسكن داراً موقوفة على شيخ المدرسة تداعت للسقوط، فذهب إلى الباي حمودة باشا، وطلب منه تجديد عمارتها، فعرض عليه سمو الباي أن يبني له داراً تبقى ملكاً إليه، فأجابه بما معناه: ليس من حسن العهد أن أسكن الدار حتى إذا تداعت للسقوط تركتها واستبدلت غيرها بها اهـ. ووليها بعده الشيخ محمد


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ابن سلامة، فالشيخ علي العفيف، فالشيخ سالم بوحاجب. قالوا إنه لما شغرت مشيختها على عهد وزارة خير الدين، رأى بعض أهل النظر إسنادها لأحد الأعلام من النيافرة، وكان أبو النجاة الشيخ سالم بو حاجب متغيّباً يومئذ في مأموريّة رسمية خارج العمالة، فلاحظ الوزير خير الدين بأنه لما كانت تلك المدرسة ممتازة بريعها الواسع عن بقية المدارس، يستحبّ إسناد مشيختها لذلك العالم البعيد عن الديار التونسية في سبيل مصلحة بلاده، يعني به الشيخ سالم بو حاجب، وهكذا كان، فإن سمو الباي عمل بهذا الرأي، ومنح الشيخ النيفري الذي كان متعيّنا للمنتصرية مشيخة المدرسة المرجانية. هكذا سمعت من بعض الشيوخ، والعهدة عليه. وختم الحديث بهذه المدرسة يقع من كتاب الموطأ في يوم 19 رمضان.

ثم بعد انتهاء تحرير ما تقدّم، وقفت على وثائق تاريخية راجعة لعهد الدولة المرادية، تضمّنت التعريف بتحابيس كثيرة على هذه المدرسة، صدرت من الشيخ عبد الملك القفال، من رجال القرن الحادي عشر، ذكرها بأسمائها وأوصافها وحدودها، وقال: إنه وقف جميع الأراضي والشعاب المحدودة المذكورة أعلاه بحقوقها ومنافعها وما يعدّ منها وينسب إليها، ومن حقوقها الستة عشر ثوراً للحراثة التي بها، والثماني محاريث، والثماني كفف، والثماني سكك، والستين ريالاً، تسابق الخماسة بالمكان المذكور، والخمسة والعشرين قفيزاً قمحاً، والستة أقفزة شعيراً زريعة الأماكن المذكورة المحترثة بها على المدرسة المنتصرية، وجعل من ريع ذلك مرتباً جارياً للمدرس بها، وهو الشيخ العلامة الراوية المحدث أبو عبد الله محمد بن الفقيه أبي العباس أحمد الشيخ، وللمؤذنين، ولقائمي الليل، وللتسييق(م-13)، وإسراج المسجد، وللزيت، والقناديل بها، وعلى من يقرأ بها أحزاب القرآن العظيم بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب بالمد والقصر، مع قراءة وظيفة الشيخ سيدي أحمد زروق بعد صلاة الصبح، ويهدون ثواب ذلك للمحبّس بتاريخ أواسط رجب عام 1089 [1678].



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## ـ 9 ـ

# المدرسة الأندلسية

يستفاد من بعض رسوم موقوفاتها أنها كانت تسمّى بالمدرسة الأندلسية وبمدرسة الشيخ شعبان الأندلسي الذي سيأتي ذكره. واعلم أن لأهل الجالية الأندلسية بتونس مآثر خالدة في مقام البرّ والمعروف، والأنظمة الاجتماعية، نشروها بين التونسيين عند نزوحهم لهذه الديار في أوائل القرن الحادي عشر. فمن تلك المآثر الخالدة جامعهم المعروف بجامع سبحان الله بخارج باب السويقة، وهذه المدرسة المنسوبة إليهم، وتسمّى أيضاً مدرسة سيدي العجمي، نسبة للولي الذي ضريحه بجوارها. وقد كان بناؤها في سنة 1034 [1624] بعد إحداثهم للجامع المتقدّم ذكره. قالوا إن المرحوم يوسف داي هو الذي رغبهم في إحداث هذه المدرسة التي لقبّوها بمدرسة الفتح تفاؤلاً بالفرج بعد الشدّة والاضطهاد الذي ألجأهم لمبارحة بلاد مسقط رأسهم، فراراً بدينهم. ولما تمّ بناؤها كتبوا بجدارها هذه العبارة: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم هذه مدرسة الفتح تسبّب في بنائها جماعة من الأندلس أحدهم السيد الشريف أبو الحسن علي بن أبي عبد الله محمد النوي شهر ابن السراج نقيب الشرفاء الأندلسيين، والسيد الشريف محمد بن محفوظ، ومحمد بن عبد الكريم، أجزل الله ثواب الجميع بتاريخ أواخر رجب عام 1034[1624] اهـ. وأوّل من انتصب بها للتدريس العلامة الشيخ شعبان الأندلسي، من مشاهير علمائهم الوافدين على تونس في عهد المرحوم عثمان داي، وممن تولى مشيختها في القرن الماضي قاضي الجماعة الشيخ أبو الفداء إسماعيل التميمي، وبها كان يسكن في أوائل هذا القرن الأديب أبو محمد حسن المزوغي الشاعر المطبوع، وكان له بها مجالس أنس وفكاهة مع بعض معاصريه من طبقته، قبل انتظام أحوال المدارس على يد إدارة المعارف.


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وتوفى الأديب المزوغي سنة 1323 [1905] ومن شعره في مدح أمير زمانه المولى علي باي الثالث:

وتأبى القوافي غير باب مـديحكم وفي مدحكم قد ساعد النظم والنثر

وهذه المدرسة عليها أوقاف كثيرة وقع ضبطها سنة 1100 [1688] على عهد محمد باي المرادي، جمع رسومها وحفظها بجامعه المواجه للزاوية المحرزية. ويستفاد من بعض هذه الرسوم تخصيص الثلث من ريع بعض أوقافها لمن يقرأ بها كتاب تنبيه الأنام.

## ـ 10 ـ

## مدرسة الزاوية البكرية

اعلم أن لآل بيت البكري قدم رسوخ في عريق المجد، يتصل نسبهم بالخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وجد نسلهم الموجود لهذا الزمان هو الفقيه الحافظ الشيخ أبو بكر، دفين المنيهلة، كان من الصّالحين الأخيار، ومن رجال المائـة الخامسـة، وهو المؤسّس للزاويـة البكرية المنسوبة اليه، وبها مقابر أعقابه إلى هذا العهد. وهذه الزاوية هي نفسها المدرسة البكرية، وبلا شك إنها كانت موجودة في الدولة الحفصية، لأنّ سمعتها كانت عمومية في الدولة المرادية، لا سيما في أوائل القرن الحادي عشر، على عهد الشيخ تاج العارفين البكري إمام جامع الزيتونة، تعرّض لذكرها الشيخ ابن أبي دينار في المؤنس وقال: إنها كانت في زمنه من الأماكن المعظمة التي يسعى الناس للحضور بها لسماع قصّة المولد الشريف، وقصائد المديح، ويدوم الاحتفال والزينة بها نحو الخمسة عشر يوماً. ومن المواهب الربّانية أن كان مجد البكريّين قائماً على دعامتين، الدعامة البكرية، والدعامة القشاشية، حيث كان جدّهم للأمّ هو الـولي الشيخ أبو الغيث القشاش(م - 14) رضي الله عنه، والزاوية المتحدّث عنها ذات ثروة واسعة بفضل الأوقاف الكثيرة التي وقفها عليها وعلى الزاوية



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

القشاشية الأمراء المراديّون ومن سبقهم من أهل البرّ في الدولة الحفصية. وبعض تلك الأوقاف من حسنات الدولة الحسينية، كان الملوك يتصّدقون على شيوخها بالهناشير والإقطاعات لإعانتهم على نشر العلم، وتلاوة القرآن، وإطعام الطعام للبائس والفقير وابن السبيل. ولقد وقفت على فرامين سلطانية في الوصاية بهم، وفي تحريرهم من المظالم، وهكذا كان حالهم في صدر هذه الدولة الحسينية، فقد وقع بيدي عدة أوامر علية في ولاية الأيمة البكريين، صادرة من الملوك الحسينيين الأولين، يحلونهم فيها بلفظ السيادة، ويستمدّون منهم صالح الدعاء. والمدرسة المتحدّث عنها ما زالت قائمة الذات متواصلة التنفيع لطلبة العلم تسكنهم وتطعمهم لوجه الله، وبها اليوم من الطلبة ثلاثة أضعاف عدد البيوت المحتوية عليها المدرسة، فبعض طلبتها وظيفتهم تلاوة القرآن دواماً واستمراراً بالزاوية، والآخرون يسكنونها بنية قراءة العلم، حتى إذا تهيأ أحدهم لنوال شهادة الأهلية، بارح المدرسة، وترك مكانه لغيره من قصّادها الكثيرين.

## ـ 11 ـ

## المدرسة المرادية(م - 15)

أحدثها الباي مراد الثاني في سنة 1084 [1673] مكان فندق كان يسكنه عساكر الأنكشارية ثاروا عليه ذات يوم فعاجلهم بالقتل، وهدم الفندق، وبنى مكانه هذه المدرسة، ورتّب لها وقفاً لرواية الحديث، وبها ينعقد ختم الحديث في 18 رمضان. وقال في المؤنس(م - 16): وبعضهم يسمّيها مدرسة التوبة لأنها كانت مسكناً للأجناد قبل بنائها، ويقع فيها الفجور، فغير رسمها الأول (يعني مراد باي) وجعلها لتلاوة كتاب الله والعلم، وبها إمام، ومدرس، وعدة بيوت للقاطنين بها، ولهم مرتّبات إلى أن قال: وسئلت عن تاريخها فجاء بالجمل «مدرسة علم» أثابه الله على ما فعل اهـ.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

قلت أما رسم تحبيسها فإنه مؤرخ بأوائل عام 1085 [1674] ولقد اشتمل على بيان الأرزاق التي قدرها الواقف لمدرس المدرسة الموجود بها، والطلبة، وعلى كيفية الانتفاع ببيوتها، مما لا يخلو نقله هنا عن فائدة، لا سيما وأن هذا الرسم من الوثائق التاريخية النادرة وإليك هو: أشهد أبو الظفر مراد باي أنه حبّس جميع المدرسة المذكورة (المتقدّم الكلام عليها وعلى مؤسّسها برسم التحبيس) بما احتوت عليه من البيوت والمنافع والمرافق العلوية منها والسفلية على سكنى طلبة العلم المالكية الواردين عليها من الآفاق، الذين ليس لهم بمدينة تونس أهل ولا مسكن يأوون إليه، وقدرهم عشرون طالباً، يكونون في عشرين بيتا منها يرتفق كل منهم بسكنى بيت من بيوتها يعمره بقراءة العلم الشريف، وتلاوة القرآن العظيم، على أن يكون مبيته به ويحضر لقراءة مدرسها في الوقت المعين له، ولقراءة حزبين من القرآن العظيم بعد صلاة المغرب بها، وإذا دعته ضرورة لسفر فلا يغيب أكثر من شهرين ذهاباً وإياباً إلا لسفر الحج الشريف ضرورة، على أن لا يكون له في مدة مغيبه مرتب بل يكون لمن يسكن بيته مدة مغيبه، فإذا رجع قافلاً من الحجّ من عامه فهو على حقّه في السكنى ببيته المذكور، وله مرتبها فيما يستقبل كما حبس ووقف جميع القيسارية، والفندق المعتلى عليها المذكورين، مع بقية الربع الدخلاني المحدود المذكور، على أن يكون من غلته لكل طالب من الطلبة المذكورين ناصريان في كلّ يوم، وللشيخ المدرّس بها بشرط كونه مالكياً ثمانية ناصرية، وللشيخ المنتصب لتجويد القرآن العظيم أربعة ناصرية، ولمن يكون إماماً بها مرتّباً من الطلبة المذكورين بمسجدها ناصريان اثنان زيادة على مرتبه في بيته، ولنقيبها القائم بشؤونها من كنس وفرش وحلّ وغلق وإيقاد مصابيح وغير ذلك من ضروریاتها أربعة ناصرية، وللوكيل الناظر على أحباسها المتعاطي لخلاص أوقافها وما تحتاج إليه من رمّ وبناء وغير ذلك أربعة ناصرية، وللزيت المعدّ للاستصباح بمسجدها وبرطالها وسقيفها ومرحاضها في كلّ ليلة ناصريان، وللدلو والرشا المعدّ للاستسقاء من بئرها والحصر التي لفرش مسجدها



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وصحنها ناصريان اثنان في كلّ يوم من الأيام على ممرّ الشهور والأعوام، وجعل النظر في ذلك بعده للأكبر الأصلح من أعقابه وأعقاب أعقابه الذكور ما تناسلوا وامتدّت فروعهم في الإسلام، فإذا انقرضوا عن آخرهم رجع النظر في ذلك لجماعة المسلمين المصلّين بالجامع الأعظم جامع الزيتونة بتونس عمّره الله، يجتمعون على نصب ناظرها ومدرّسها. صدر منه ذلك في أواخر ربيع الشريف بمولده عليه الصلاة والسلام عام خمسة وثمانين وألف اهـ.

وكان أوّل مدرس بهذه المدرسة الشيخ محمد الغماد ومن عقبه شيخ المدينة المشهور الحاج حميدة الغماد من رجال دولة الباي حمودة باشا، وهذه الأسرة الماجدة انقرضت في سنة 1355 [1936] بوفاة المرحوم أبي العباس أحمد الغمّاد شيخ ربض باب السويقة، وعند وفاة المدرّس الشيخ محمد الغمّاد في سنة 1115 [1703] تقدّم للتدريس بها تلميذه الشيخ محمد زيتونة[1] شارح خطبة المطول. قال في بشائر أهل الإيمان: إن

---

(1) أصله من بلد المنستير، أخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ محمد عظوم بأخذه عن الشيخ الأجهوري والشيخ سلطان المزاجي بمصر، وأخذ عن المفتي الشيخ محمد فتاتة وعن الشيخ محمد الغماد وغيرهم من علماء عصره، وتصدر للتدريس بجامع الزيتونة وحج في سنة 1114[1702] ولما كان مجتازاً بالإسكندرية جاءه وفد من العلماء وطلبوا منه إحياء تلك الليلة وكانت هي ليلة المعراج، فقبل مطلبهم وتقدم بهم لصلاة العشاء بجامع ابن تربالة ثم جلس لإقراء درس في التفسير وكان الناس حوله في ازدحام، والمورد العذب كثير الزحام، وموضوع الدرس هو قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده)(م - 17) الآية. ولما دخل للقاهرة حضر درس الشيخ محمد الزرقاني، وبعد رجوعه لتونس تولى مشيخة المدرسة المرادية بالمناظرة، ثم حجّ مرّة ثانية في عام 1125 [1713] وممن اجتمع به في مكة المشرفة المؤرخ حسين خوجة صاحب كتاب بشائر أهل الإيمان، وله من التآليف شرحه على خطبة المطول، ويلوح أنه لم يتمه لأن النسخة الموجودة منه بمكتبتنا بها نقص من آخرها، وهكذا نسخة مكتبة جامع الزيتونة، ومن تآليفه أيضاً حاشية الوسطى في مجلدين، وشرح لمنظومة البيقوني في المصطلح، وحاشية على تفسير أبي السعود في أجزاء ستة عشر تجاوزت نصفه، وشرح لخطبة المختصر، وشرح على السلم، وكتابة على ألفية ابن مالك، وكتب في الحديث على أبواب متفرّقة، جعلها اختاماً من صحيح مسلم. وكان رحمه الله يحفظ من سماع واحد، توفيّ يوم الخميس الخامس من شوال سنة 1138 [1725].



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الشيخ زيتونة أخذ هذا الدرس بطريق المناظرة، وكان المزاحمون له فيه جماعة من مشاهير علماء عصره، حضر مجلس هذه المناظرة بجامع الزيتونة أهل الدولة وكل من ينتسب إلى العلم، فكان له قصب السبق بين الأقران، وكان يختم بها الحديث من صحيح مسلم، ويحضر ختمه المولى حسين بن علي، وهو الذي أولاه الخطبة بجامع باب البحر. ولما توفي الشيخ محمد زيتونة حضر الباي المذكور جنازته. قالوا: إن هذه الجنازة ضاقت عنها شوارع تونس، فاضطرّ المشيّعون بسبب كثرتهم للخروج من جميع أبواب الحاضرة للالتحاق بمقبرة الزلاج[1] حيث واروه التراب.

---

(1) تكرّر في هذا الكتاب رسم اسم الشيخ الزلّاج صاحب المقبرة المشهورة بتقديم الزاء على الجيم خلافا للمشهور بين الناس، والأمر الذي حملني على ذلك هو أن مادة ج ل ز في القاموس لا تؤدّي معنى للجليز المشتق منه الجلاز لا من قريب ولا من بعيد، على عكس مادّة ز ل ج التي منها الزلج، ومن معانيه الزلق المتلبس بالزليج المموه بالطلاء، فمعنى زلج قريب من معنى زلق وأكثر التواريخ التي بين أيدينا ورد فيها رسم هذا اللفظ بتقديم الجيم على الزاي عدا كتاب قرة العين (مخطوط للشيخ محمد سعادة وكتاب مسامرات الظريف بعضه مطبوع وبعضه غير مطبوع) للشيخ محمد السنوسي، فإنهما رسما هذا اللفظ المشتبه فيه بتقديم الزاي على الجيم، وبمثل هذا الرسم يعني الزلاج ورد رسم اسم صاحب المقبرة برسالة التراجم المهمّة للخطباء والأيمة للشيخ محمد بيرم الرابع، قال رحمه الله في ترجمة الشيخ محمد حمودة بن حسين باكير: ولم يزل الشيخ على ذلك الإجلال، والسيرة المنسوجة على أرفع منوال، إلى أن قضى نحبه وذلك ليلة الجمعة 24 ذي الحجة سنة 1220 [1805] وحضر جنازته المولى حمودة باشا وحمل نعشه وصلّى عليه الشيخ المفتي الحاج أحمد البارودي ودفن بالزلاج قرب المغارة اهـ. وتكرّر منه هذا اللفظ بهذا الرسم عينه مراراً كثيرة في رسالته المذكورة وكفى به حجّة. ورأيت بكتاب مخطوط بخزانة المدرسة الخلدونية في مناقب بعض الأولياء منهم الشيخ محمد الزلاز هكذا كتبه مؤلفه بزاءين اثنين وهو غلط بائن لا يصحّ الاعتماد عليه، والشيخ محمد الزلاج رضي الله عنه كان معاصراً للإمام الشاذلي استغرق المائة السابعة كلّها على ما رأينا في كتاب مناقبه، أصله من مدينة القيروان حيث دام أبوه إماماً يصلّي بالناس مدّة أربعين عاماً، وقدم ولده الشيخ محمد المذكور واستوطن تونس وحبّس مقبرته المشهورة على جماعة المسلمين. ونازلة هذا التحبيس طويلة تسبّب فيه مملوكه ثم عتيقه مبارك الوصيّف مما لا يسعه هذا المجال. وغاية ما نقول إن مقبرة الزلاج كانت هنشيراً على ملك يهودي من أهل البلاد يبتاع المسلمون منه =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## ـ 12 ـ

# مدرسة القائد مراد

هي المعروفة بمدرسة السواري، سمّوها كذلك لوقوعها بزقاق السواري من حومة حوانيت عاشور[1] وممن تولّى مشيختها في القرن

---

= وممّن سبقه في ملكية ذلك الهنشير قبل المائة السابعة مواقع قبورهم كلما حدثت جنازة، ومساحة هذه المقبرة الآن مائة هكتار بالضبط الهندسي المدقّق، وكانت في القديم أوسع من ذلك.

وبعد الفراغ من تحرير هذه الحاشية بما احتوت عليه من البيانات المتعلّقة بلفظ الزليج عثرت على ما يؤيّد صحّة النظرية التي لاحت لي في معنى الزليج حيث وقفت على ما يأتي بالجزء الثاني من مجلة مجمع اللغة العربية الملكي بمصر في الصفحة 85 وما بعدها، عند التعريف بلفظ «القاشاني» الذي جعل مرادفه في الفرنساوية Carreau Verni Zéli مقتبساً ذلك من كتاب تاج العروس. قال: وقاشان بلد قرب قم وأهله شيعة. وقال الذهبي: على ثلاثين فرسخاً من أصبهان. وحكى ابن السمعاني صاحب اللباب في الأنساب: إهمال الشين لغة فيه. قال الذهبي وهو المشهور على ألسنة الناس اهـ. ثم زاد على ذلك قوله: وإليها (أي إلى قاشان) كان ينسب الخزف الفاخر الذي كانت تبلط به الأرض أو يلصق على الجدران للزينة والرياء وتسميه العامة بالقيشاني ويسمّى هذا النوع أيضاً بالزليج وقد استعمل هذه الكلمة «دوزلي» في معجمه «تكملة المعاجم» ثم قال، وفي التاج (أي تاج العروس) والزلج بضمّتين الصخور الملس لأن الأقدام تزلق عليها، ولعلّ الزليج من هنا مأخوذة لأن فعلاً يطرد جمعاً في كل اسم رباعي صحيح الآخر قبل آخر مدّة ككثيب وكثب اهـ بحروفه. وأخيراً وقف بكتاب للبحاثة المستعرب منشيكور المراقب كان بتونس ذكر فيه أن لفظ الزليج معرّب من Azulejo في الاسبانية، وهذا هو الحقّ بعينه ولا منافاة بينه وبين ما تقدّم نقله عن مجلة مجمع اللغة العربية.

(1) لم نقف على خبر صحيح يمكنني من كشف اللثام عن خبر حوانيت عاشور وفي أي عصر سمّيت حومتها باسمها، هذا ويلوح أنّ هذه الحومة كانت معروفة بهذا الاسم في الدولة المرادية أو قبل ذلك لأن المدرسة الباشية الموجودة بها. جاء ذكرها في التواريخ باسم مدرسة حوانيت عاشور، وهذه المدرسة بناها الباشا علي باي الأول الذي استغرقت مدّة جلوسه على كرسي الملك أواسط القرن الثاني عشر. ونسبة المدرسة المذكورة لحوانيت عاشور تدلّ على كون هذا الموقع كان معروفاً ومتداولاً ذكره بين الناس من قبل، غير أني وقفت على أبيات لبعض الشيوخ تضمّنت امتداح حوانيت عاشور بمناسبة الزينة التي أقيمت بها في سنة 1290 [1873] بمناسبة ولاية الوزير خير الدين مسند الوزارة الكبرى ونصّ الأبيات: =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الماضي قاضي الجماعة الشيخ عمر المحجوب، والمفتي الشيخ محَمد (بالفتح) القبايلـي، فالباش مفتي الشريف الشيخ صالح النيفر، ثم أسندت مشيختها بعد وفاته إلى خلفه في رئاسة الفتوى الشيخ الشاذلي بن صالح، وكان ينيب في رواية الحديث تلميذه المرحوم الشيخ أبا الثناء محمود الاخوة من كتبة ديوان الإنشاء بالدولة التونسية، ووالد صاحبنا يمين الملك وعضد الدولة أمير الأمراء السيد الهادي الاخوة الوزير الأكبر بارك الله في أنفاسه.

وهذه المدرسة حسنة العمارة تحتوي على بضعة بيوت لسكنى الطلبة غير أن موقعها قضى بزوالها في الأجل القريب لأنها شملتها خريطة الأبنية الكثيرة التي وقـع انتزاعهـا بالشـراء والمعاوضـة في سنـة 1355 [1936] بعنـوان المصلحة العامّة بقصد توسيع طرقات قسم الحارة وقسم الحفصية وتشييد دور بلدية فسيحة ذات طبقات ومنافذ واسعة لإيواء سكان حارة اليهود[1] ذات المساكن الضيّقة والخالية عن الضوء والهواء الطلق، مما هو ليس بموافق لقواعد الصحة في شرعة هذا العصر. والمدرسة المتحدّث عنها كانت من المدارس الخاصّة بسكنى الطلبة الحنفية أحدثها في سنة 1093 [1682] القائد مراد بن عبد الله من مماليك الأمراء المراديين، قال في المؤنس(م - 18): ومن مواليه (أي علي باي المرادي) من يعتمد عليه في الحضرة بأسراره، والمطلع على مكاتيبه الواردة بأخباره، الواقف عند باب الرؤساء وباب داره، القائد مراد بن عبد الله، ثم وصفه بقوله: محافظ على الطاعة، وملازم للجماعة، وفيه تديّن ومحبّة للفقراء وأهل الصلاح، وله

---

= مـن رام أن يـجـاري حـوانـيـت عـشـور
فـي بـسـطهـا بـسـاطـا مـتـاحـا لـلـسـرور
فـقـد رام ارتـقـاء لـهـالات الـبـدور

(1) حارة اليهود بتونس ظهرت في عصر الشيخ سيدي محرز بن خلف أثناء المائة الرابعة، وكان اليهود قبل نزولهم بهذه الحارة يسكنون قرية الملاسين ويدخلون تونس في النهار لقضاء مصالحهم ثم يبارحونها عند الغروب للمبيت بالملّاسين.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مشاركة في علم القوم يرجى له ببركتهم النجاح اهـ . وتوجد على باب هذه المدرسة حجارة منقوشة بها أبيات تثبت انتسابها لمؤسّسها القائد مراد المذكور، ننقلها هنا تخليداً لاسمها، حيث حكمت الأقدار بزوال رسمها:

بنى لله مدرسة مراد لمن طلب العلوم هي المراد
ففاقت كلّ مدرسة جمالا ورونق حسنها أبداً يزاد
وفي الإتقان والإحكام طود وساكنها بعلم يستفاد
تقبّل سعيه يا ربّ فيها وأورده الجنان فلا يذاد
فتمتّ بعد ألف مع ثلاث وتسعين فقد حصل المراد

وكأنّي بمدير الأوقاف الغيور سيتولّى نقل تلك الحجارة بعد هدم المدرسة للقسم العربي من متحف باردو لتحفظ هنالك، ولئلا يتناولها التلاشي والإهمال، فتبقى شاهداً حيّاً لدى الزمن المقبل على تطوّرات الزمن الحاضر.

## ـ 13 ـ

## المدرسة اليوسفيّة

هذه المدرسة بناها أبو الخيرات يوسف داي مع جامعه الذي أحدثه سنة 1021 [1612](م - 19) بالبشامقية، وكان موقعها بجوار الجامع المذكور، وفي سنة 1296[1878] صدر أمر المشير محمد الصادق باي بتخصيص القشلة المعروفة بقشلة البشامقية وهي من مآثر الباي حمودة باشا لنصب المستشفى الصادقي، وتأكّد بالتالي وجوب توسيع مرافق هذا المستشفى لما في ذلك من المنفعة لجماعة المسلمين، ولا يخفاك ما يجيزه الشرع والعقل في سبيل المحافظة على الأبدان، فوافقت جمعية الأوقاف في عهد رئيسها المرحوم السيد الشاذلي صفر(م - 20) على إلحاق المدرسة المتحدّث عنها بمحلّات المستشفى الصادقي، وأقامت عوضها مدرسة أخرى اختير بناؤها بطابق علوي فوق مدرسة الجامع الجديد بالصباغين، فالمدرستان صارتا في



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الحقيقة مدرسة واحدة لكنها ذات وقفيتين مختلفتين من قبيل الأبنية الكثيرة ذات الأحباس المشتركة الراجعة لجمعية الأوقاف. وينعقد ختم الحديث بالمدرسة اليوسفية في 24 رمضان.

## ـ 14 ـ

## مدرسة النّخلة(م - 21)

لا صحة لما يدعيه بعضهم أنها كانت موجودة بهذا الاسم في المائة الثامنة وأن ممن تولى مشيختها الفقيه إمام المذهب المالكي في زمنه الشيخ محمد بن عرفة.

فإن هذا القول لم نقف على ما يثبته في كتب التاريخ، وما وقفت عليه في حقها بتاريخ ابن أبي الضياف، وبالخلاصة النقية، هو نسبة بنائها للمولى حسين بن علي لا بعنوان تجديد لشيء قديم، بل بعنوان إنشاء. قال أوّلهما(م - 22): ومن مآثره (حسين بن علي) بناؤه للمدرسة الغربية[1] مع جامع الزيتونة المعروفة بمدرسة النخلة، وأوّل مدرس بها العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد الخضراوي وذلك في سنة 1126 [1714] اهـ وقال في الخلاصة النقية(م - 23): وأنشأ (حسين بن علي) مدرسة النخلة قرب جامع الزيتونة وتمّت سنة ست وعشرين اهـ. وسمعت من بعض أهل العلم، أن موقع هذه المدرسة كان به فندق للخمور والفجور، وكان به نخلة، فمحاه الباي حسين بن علي، وأقام مكانه هذه المدرسة، ولذلك سمّوها بمدرسة النخلة. وهذه الرواية نؤمن بصحّتها لأن جهة هذه المدرسة كانت بها عدة فنادق في أوائل القرن الثاني عشر، كما ستراه في تاريخ نشأة المدرسة الباشية.

وبعد تحرير ما تقدّم، وقفت على إفادات مستفيضة في حقّ هذه

---

(1) قوله الغربية غير موافق للحقيقة الموقعية.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

المدرسة بكتاب قرّة العين بنشر فضائل الملك حسين للشيخ محمد سعادة من أفاضل دولة الباي المذكور، قال رحمه الله في جملة ما ذكره من المآثر للمولى حسين بن علي:

فمن ذلك إنشاؤه بتونس المدرسة البهيّة المشهورة بانتسابها إليه بالحسينية[1] بمقربة من الجامع الأعظم بتونس من شرقيه وبلصق باب الربع الذي يدخل منه إمامه لدويريته التي من قبليه، وكانت في القديم فندقاً يباع فيه الجربي من الزبيب، واستولى على جلّه الخراب، وصار معدن القذارة والعيب، فطهّره حفظه الله بهذا البناء، وجعله للجامع المذكور أعظم ما يجاور من الفناء، ثم قال:

فأصبح هذا الجامع الفرد حافلا  بشرقيه قد زال عنه فساد
بمدرسة للعلم أسّس ركنها  حسين الذي أثنت عليه عباد
فجاءت على شكل يروقك حسنه  وتمّ بها للطالبين مهاد
كما زال من غربيه معدن الخنا  بأخرى بناها في القديم مراد[2]

---

(1) أطلقوا عليها اسم مدرسة النخلة لأنها كانت بها نخلة فيما يقال.

(2) هي المدرسة المرادية التي بناها مراد باي الثاني في سنة 1084 [1673]. وإن الناظر في هذه الأخبار المنقولة عن مصادر صحيحة ليقضي العجب من كثرة الخمارات التي كانت موجودة في ذلك العهد حول جامع الزيتونة. قال الشيخ محمد سعادة: إن المولى حسين بن علي هدم منها ثماني عشرة حانة وبقيت بقية بعيدة عن الجامع عقد النية على إبادتها فيما بعد. ولننقل لك عبارته برمّتها لما احتوت عليه من التفاصيل والبيان قال: فمن ذلك هدمه حفظه الله (يعني الباي حسين بن علي) حانات بناها من قبله لشرب الخمور، وعمّت منها على العباد الأسواء والشرور، ومرت عليها قبله دهور وأيام، ولا منكر ولا مغير من جميع الأنام، فصير سماء جملة منها أرضا، وطولها عرضا، وبدا منها بما بني في أشرف الاماكن التونسية، فهدم منها نحو الثمانية عشر حانة فحصل لأهل الخير غاية الأمنية، واتخذ بذلك أعظم يد عند خالق البرية، فما كان منها بالشكازين (صحفوه فصار السكاجين وهو السوق المعروف المجاور لسوق السراجين ومن متفرعات هذا اللفظ كلمة الاشكز وهو شيء كالأديم الأبيض يوكد به السروج اهـ. قاموس) داخل باب المنارة بنى أمكنته فنادق ودكاكاين، وفي غير ذلك المكان دورا معتبرة ومسجده المذكور وطواحين، فساغ من



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

فصار ثناء الخلق للكل شاملا بما أسسوه للعلوم وشادوا
وهل يحيي ذكر المرء من بعد موته سوى صدقات للمعاد تفاد
ولا سيما بث العلوم ونشرها ففي ذاك أجر للامير يزاد

ورتّب فيها ـ أعانه الله على الإحسان ـ للشيخ والطلبة بها العطاء الفاخر، وانتشر له بذلك في الدنيا الثناء العاطر، وسيجزي بذلك إن شاء الله في الآخرة الجزاء الأوفى الوافر، وشيّخ فيها الشيخ العلامة المتفنّن الدرّاكة الإمام، أبا عبد الله محمد الخضراوي الهمام، فهو الآن فيها يقرّر العلوم، ويلقح بحلّ مشكلاتها الفهوم اهـ. وممّن ولي مشيختها في القرن الماضي العلامة المفتي الشيخ محمد البنّا. قالوا: إنه كان رحمه الله شديد الحياء لا ينظر لأحد وجهاً بوجه حتى أن تلاميذه لا يعرفون لون عينيه، ومن

---

= محصولها كراء وافر، وشراب لذيذ طاهر، وانتشر له بذلك في جميع البلاد ثناء عاطر، وذكر جميل ناشر، وهو عازم على هدم الباقي فسح الله في مدّته، وأبقاه لنصرة الدين بإحيائه وإماتة بدعته، ويسّر له ما يحاول من كلّ أمر، وأحياناً حتى لا نرى بتونس محلا ظاهراً لبيع الخمر، وقد عطل الآن جملة منها وأخرج منها سكانها، وهو عازم على أن يهدم أركانها، ويغيرها إلى ما يسّر من تونس أعيانها، وكان يوم تعطيلها فرح عند الأخيار، والسادة الأبرار، ودعاء لجنابه بالترفيع متوال، وابتهال إلى الله بما أجراه على يديه من صلاح الأعمال، ولم يبق داخل تونس والحمد لله منها إلا القرامد والحفصية، ألهمه الله لهدم البقية، وقطع هذه البلية اهـ. قلت: إن هذه الخمارات الكثيرة التي كانت بتونس هي من ملحقات فندق الخمور، وكانوا يسمونه فندق الخل تحاشياً عن التجاهر بلفظ قبيح، وهذا الفندق كانت تعطيه الدولة لزمة لمن يرغب فيه وتجتني من وراء ذلك أموالاً طائلة ففي عام 1299 [1881] بلغت لزمة قمرق الخل لريالات 149500 وكان مدخول فندق الخل في الدولة الحفصية خلال المائة الثامنة على عهد السلطان أبي العباس أحمد بن المستنصر بالله عشرة آلاف دينار في العام، ولا تسأل عن حاله في الدولة المرادية، فإن سوق الخمور كانت يومئذ ذات رواج عظيم. فقد رأيت بكتاب المؤرّخ بلانطي [Plantet] الفرنساوي وهو تاريخ رسمي في علائق فرنسا مع تونس مستخرج من محفوظات الوزارة الخارجية بباريس، تفصيل جملة من الهدايا بعثت بها الدولة الفرنساوية لجماعة من الدايات ولوزرائهم ورجال بلاطهم في ظروف وأوقات مختلفة احتوت على تحف ذهبية وعلى أقمشة حريرية رفيعة وعلى (دنون من الخمر العتيق) ولا نبهتك إذا قلت لك إن بعض تلك الهدايا كانت بعنوان من كانت لهم بتونس شهرة الأخيار والصالحين.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

بعده تولّى المشيخة قاضي الجماعة في عصره العلامة الشيخ محمد النيفر رحم الله الجميع.

وبعد الفراغ من تحرير هذه النبذة بأجمعها عثرت بمحفوظات الدولة التونسية حرسها الله، على ما يفيد وأن هذه المدرسة بناها المولى حسين بن علي مكان أبنية سابقة، منها فندق يعرف بفندق الزبيب، ورباعات أخرى بجواره، اشترى جميعها وهدمها وبنى بموضعها هذه المدرسة، وكانوا ينعتونها يومئذ بمدرسة سوق الطيّبيين، وحبّسها على طلبة العلم المالكية الواردين من الآفاق على مدينة تونس، وحصر عددهم في أربعة عشر طالباً، ورتّب لها مدرّساً، وقيّماً، وقدّر لهما وللطلبة أرزاقاً جارية من ريع الأوقاف التي حبّسها على هذه المدرسة، وكان ذلك في جمادى الأولى عام 1126 [1714].

## - 15 -

## المدرسة الحسينية الصغرى(م - 24)

هذه المدرسة من حسنات الباي المولى حسين بن علي تركي أحدثها في سنة 1128 [1715]. قال الشيخ محمد سعادة في كتابه قرّة العين بنشر فضائل الملك حسين عند ذكر مآثر هذا الباي:

ومن ذلك إنشاؤه حفظه الله مدرسة أخرى[1] بلصق تربته[2] التي

---

(1) قوله مدرسة أخرى يعني بعد المدرسة الأولى التي أحدثها جوار جامع الزيتونة وهي المعروفة في هذا الزمان بمدرسة النخلة.

(2) هي مقبرة الملوك الحسينيين المعروفة بتربة الباي المنسوبة غلطاً للمرحوم علي باي الثاني ابن حسين بن علي ولعلّهم نسبوها إليه لأنه أوّل من دفن بها من الأمراء الحسينيين. والحقيقة إن الذي أنشاها هو أبوه حسين بن علي المذكور، وكان ذلك في سنة 1123 [1711] =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

أعدّها منزلاً من منازل الآخرة بعد طول عمره إن شاء الله وبلوغ أمنيته بمقربة من دار اسطا مراد داي تونس كانت محكمة البناء والإتقان وعمرّها بالطلبة النجباء، وشيّخ عليهم الشيخ الفاضل أبا عبد الله محمد الشهير بجعيط، وأوسع لهم الحبا، فهي الآن والحمد لله تقرّر فيها العلوم ويحقّق فيها المنطوق والمفهوم اهـ. وقال الوزير الشيخ أحمد بن أبي الضياف(م - 25): ومن مآثره (حسين بن علي) مدرسة ساباط عجم المعروفة الآن بالحسينية الصغيرة، وأول مدرّس بها الفقيه المفتي أبو عبد الله محمد جعيط اهـ. قلت: وصفوها بالصغيرة والصغرى دفعاً للاشتباه بالمدرسة الحسينية الكبرى التي هي من حسنات ابنه علي باي الثاني رحمه الله.

رأيت في رسم وقفيتها أن المولى حسين بن علي اشترى داراً وطاحونة وداراً لصنع الصابون واقعة قرب دار الداي أسطا مراد وهدم جميعها وبنى مكانها هذه المدرسة والتربة المذكورة المجاورة لها، وجعل المدرسة ذات عشرة بيوت، وحبّسها على الطلبة المالكية الواردين عليها من الآفاق، واشترط عليهم قراءة الأحزاب التي رتّبها بها، وبالتربة، ورتّب جراية يومية قدرها ثمانية ناصرية للمدرس، ولكل واحد من الطلبة ناصريان، ولقيّم التربة أربعة نواصر، وحبس على ذلك أحباساً كثيرة، وحبّس معها مكتباً لتعليم الصبيان بالمكان. صدر منه ذلك رحمه الله في صفر الخير عام 1123 [1711].

---

= ثم أحدث بعد مدة طويلة تربته الثانية المقبور بها جوار الوليين لله الشيخ قاسم الصبابطي والشيخ قاسم الباجي، وبهذه التربة الثانية قبر ابنه المرحوم محمد الرشيد باي.

واعلم أن التربة الحسينية المعروفة بتربة الباي أضيفت لها في بحر القرن الماضي وفي أثناء القرن الحاضر مساحات واسعة كانت مشتملة على دور مجاورة لها، وآخر توسعة حصلت بها كانت في سنة 1357 [1938] ولهذه التربة أوقاف جارية من زياتين وغيرها للقيام بشؤونها يبلغ ريعها في هذا الزمان لنحو خمسين ألف فرنك في العام، ونظرها لجمعية الأوقاف.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## ـ 16 ـ

## مدرسة الجامع الجديد(م - 26)

أسسها المرحوم المولى حسين بن علي تركي مكان حانات كانت بجوار مسجد المسدوري. قال في بشائر أهل الإيمان(م - 27): إن الباي المشار إليه بنى هذه المدرسة مع جامعه وتربته الملاصقين لها في سنة 1139 [1726] وقال الشيخ محمد سعادة في كتابه المسمى قرة العين بنشر فضائل الملك حسين:

وأسّس (حسين بن علي) مدرسة بصحنه (الجامع الجديد) لنشر العلوم النافعة من تفسير القرآن العظيم، ونشر أحاديث ذي الآيات الساطعة، وتقرير الفروع الفقهية، والعقائد التوحيدية، والكتب الأدبية، في سائر العلوم العقلية، والنتائج المنطقية، وعمّر بها جميع أوقات اليوم من البكرة لآخر العشية، إلى أن قال: فشيخ فيها من الآن فيما يشاع عنه في سائر العلوم والتفسير، العلامة الكبير، الفاضل المحقق المدقق النحرير ذي النسب الشهير الخطير، مستخرج جواهر العلوم من أصداف بحره المصونة، وقلد أجياد الأفاضل بدرره المكنونة، والفاتح من غامضه عيونه، والمنمق بأبحاثه فنونه، أبا عبد الله محمد الشهير بزيتونة.

ثم قال: وفي علوم الحديث خاصة والأثر، الشيخ الفاضل الزكي الأبر، عين أعيان الحنفية الهمام، وبركة الليالي والأيام، المظهر من مشكلات العلوم الحقيقة والمجاز، والخطيب الواعظ أبا العباس أحمد الشهير ببرناز.

ثم قال: وهذا الجامع والمدرسة التي أسّسها في بعض الحانات التي هدّمها يأتي التنبيه عليها، وأدخل في ذلك جميع الحمام الشهير بالمستوري، وأماكن بقربه محتاج إليها وذلك تجاه دريبة المرحوم عثمان


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

داي بتونس. كان، ومقربة من سوق البلاط من تونس فجاء في أحسن مكان اهـ.

قلت: وأما الكتاب المجاور لها فهو من حسنات الباشا علي باي الثاني، وممّن تولّى مشيختها في أوائل القرن الماضي العالم الأديب الشيخ أحمد الكيلاني من تلاميذ الشيخ صالح الكواش. قالوا: إنه امتاز برثاء العلماء في عصره، تولى الإشهاد على دار البارود بالقصبة، ومن شعره ما كتبه على آخر ورقة من كتاب الموافقات، نسخه بخطّ يده بعنوان ولده محمد الأمين:

كتبته لولدي محمد يدعى الأمين
عساه أن يذكرني والجسم في الترب دفين
وأسأل الله الرضا لي وله في كل حين

وممّن تولى مشيختها أيضاً العالم المعتقد الشيخ أحمد عاشور المتوفّى سنة 1285 [1868] ووليها بعده المدرس العالم الشيخ محمد بن الشيخ صالح النيفر وتوفّي سنة 1314 [1896].

وهذه المدرسة تعتليها في زماننا الحاضر مدرسة أخرى حديثة البناء وهي المدرسة التي بنتها جمعية الأوقاف على نفقتها لتقوم مقام المدرسة اليوسفية التي وقع إلحاقها بالمستشفى الصادقي كما سبقت الإشارة لذلك.

## ـ 17 ـ

## المدرسة المتيشية

اسمها مشتق من اسم مؤسسها أحمد بن متيشة من رجال دولة الباي حسين بن علي تركي، كان آغة لوجق زواوة، ثم نكث العهد وخان متبوعه بانضمامه للباشا علي باي الأول خصيم سيده وولي نعمته حسين بن علي المذكور، فكان مصيره القتل جزاء وفاقا. قضى عليه سليمان الصباغ آغة



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

زواوة ببرج الحمامة حيث أدخله غدراً وأجهز عليه وكان ذلك في سنة 1148 [1735] فبناء هذه المدرسة كان وقوعه في عهد الباي حسين بن علي بعد سنة 1117 [1705] التي تولى فيها الملك وقبل سنة 1148[1735] التي هلك فيها الخائن أحمد بن متيشة. وممن تولى مشيختها في القرن الماضي الفقيه الورع المدرس الشيخ العربي المازوني وتوفي سنة 1309 [1891].

## ـ 18 ـ

## مدرسة الزاوية الباهية(م - 28)

هذه المدرسة بناها العارف بالله الشيخ أحمد الباهي في حدود سنة 1160 [1747] وكان معاصراً للباشا علي الأول بن محمد باي. قال المؤرخ الشيخ أحمد بن أبي الضياف(م - 29): لما شرع الشيخ في بناء الزاوية وتوابعها راوده الباشا المذكور أن يعينه بمال فأبى، ثم راوده أن يحبّس عليها هنشيرين فأبى أيضاً، وأنجز بناءها كلها بما اشتملت عليه من المرافق من حرّ ماله، وتسابق أدباء عصره لامتداحه عن تلك المبرّة، من ذلك المقامة الباهية(م - 30) لإمام البلاغة الشيخ محمد الورغي، ومقامة أخرى للأديب أبي الحسن الغراب. وهذه المدرسة لها أوقاف جارية على إطعام الطلبة نظرها لأكبر أحفاد الزاوية.

## ـ 19 ـ

## مدرسة حوانيت عاشور(م - 31)

هذه المدرسة أسسها المرحوم الباشا علي باي الأول بن محمد بن علي تركي وهي أولى المدارس التي بناها لطلبة العلم، وجعلها وقفاً على طلبة المذهب المالكي، ورتّب بها رواية للحديث، وخزانة للكتب، مع أوقاف كافية للقيام بشؤون المدرسة ما زالت جارية لهذا الزمان. قال في كتاب «نزهة الأنظار» للشيخ محمود مقديش الصفاقسي(م - 32): فبنى أولا مدرسة بحوانيت عاشور من تونس، ورتّب فيها شيخنا أبا محمد سيدي عبد


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الله السوسي رحمه الله تعالى، وأخرى ببئر الحجار، وهما معاً للمالكية، ثم زاد ثالثة بالقشتلشين قرب جامع الزيتونة، وهي للحنفية، وجعل بها تربته، ثم زاد رابعة بالقرب منها للمالكية، وجعل شيخها الشيخ أبا عبد الله سيدي محمد الغرياني رحمه الله تعالى، وجعل بكلّ مدرسة خزانة كتب، وجعل لها مرتبات من الخبز، والدراهم، إعانة لطالب العلم، ثم قال: ومن غريب ما وقع للباشا مع سيدي عبد الله السوسي رحمة الله عليهما، أن الشيخ كان زاهداً في الدنيا، متقلّلاً منها، مقبلاً على العلم، فكان الباشا يجلّه ويحبّه ويفضّله، لذلك فلما شيّخه على المدرسة أسكنه في دار يقربها وأجرى عليه من حبس المدرسة ما يقوم به وبعياله، فاتّفق أن الشيخ رحمه الله أصابه تشويش (مرض) منعه من الخروج للإقراء، فسأل الباشا مقدّم (كذا) المدرسة على الشيخ، فقال له: به تشويش منعه من الخروج وطالت مدّته، فقال له: هل وفيته مرتبه ليستعين به في مرضه؟ فقال: لا. قال: اذهب وفّ له مرتّبه. فصحب المرتب ودخل على الشيخ داره وأحضر له المرتب، فامتنع الشيخ من قبوله، وقال هذا المرتب إجازة عن عمل، وقد طال مرضي، ولم أعمل، فكيف آخذ من غير عمل، وهذا حبس على القراءة، ولم تحصل منّي، فرجع إلى الباشا وأعلمه بما وقع، فقال له: ارجع وقل له هذا إعانة مني لا إجازة، فقبله ودعا بخير اهـ.

هذا وقد تولّى مشيخة هذه المدرسة في القرن الماضي جماعة من الأفاضل، منهم العلامة الصالح الشيخ أبو محمد حسن الشريف المفتي المالكي، وإمام جامع الزيتونة، والعلامة الشريف المفتي الشيخ الطاهر بن عاشور، ومن بعده تولّاها الركن المستلم بقية السلف من آل البيت الأطهار، الشيخ أحمد الشريف، كبير أهل الشورى المالكية وإمام جامع الزيتونة.

هذا وقد اتّفق نشر العَلَم التونسي شهراً كاملاً فوق باب هذه المدرسة في سنة 1311 [1893] إشعاراً بالحداد عند وفاة رئيس الجمهورية الفرنساوية مسيو سعدي كارنو [Sadi Carnot] قتيلاً من يد أثيمة عند زيارته لمعرض



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ليون [Lyon] لأن الدولة رأت يومئذ وجوب مشاركة المعالم الإسلامية في مأتم ذلك الفقيد العظيم، ولما دعي صاحبنا المرحوم رئيس الأوقاف السيد البشير صفر لاتخاذ ما يلزم من التدابير لوضع العَلَم التونسي فوق تلك المعالم إشعاراً بالحداد، لاحظ بأن الجوامع لاحظّ لها في ذلك، لأنها لا علاقة لها بالسياسة مطلقاً، وأن الأوفق الاكتفاء بنشر ذلك العلم فوق واجهة كبيرات المدارس على وجه المشاركة في الأسف، فاستحسنوا رأيه وباشروا تنفيذه فكانت هذه المدرسة من المدارس التي تميّزت بالمشاطرة في المظهر السياسي المشار إليه. ولا يسعني هنا إلّا الإصداع بما ينطق به لسان الحقّ من كون دولة الحماية كانت وما زالت محافظة على قاعدة الاحترام التي اتّخذتها منذ البداية نحو معالم الدين الإسلامي بهذه الديار، ممّا يحمل الجميع على تكرار شكرها آناء الليل وأطراف النهار(م - 33).

وبعد تحرير النبذة المتقدّمة، وقفت بمحفوظات الدولة التونسية حرسها الله، على وقفية هذه المدرسة، فإذا هي تتضمّن أشياء كثيرة رأيت من الفائدة نقلها هنا إتماماً لما تقدم، فمن ذلك أن هذه المدرسة كان تأسيسها في عام 1159[1746] وأن عدد بيوتها المعدة لسكنى الطلبة أربعة وعشرون، بإضافة بيت للمؤذنين، واشترط المؤسّس اختصاصها بطلبة المذهب المالكي، كما اشترط أن يكون إمامها هو المدرس بها، وجعل له من ريع أوقافها نصف ريال في اليوم في مقابلة ثلاثة دروس يومية، في الفقه، والتوحيد، والنحو، كما يستحقّ ثمانية عشر ريالاً في العام عن رواية صحيح البخاري في رجب وشعبان ورمضان، وجعل لكلّ واحد من الطلبة سكان بيوت المدرسة ناصريين في اليوم، وجعل لمؤدب الكتاب التابع للمدرسة ربع ريال في اليوم، ولا يأخذ شيئاً من الصبيان عن تعليمهم القرآن، وجعل لكلّ واحد من هؤلاء الصبيان نصف ناصري في اليوم مع ناصري لجميعهم لاشتراء الألواح، والأقلام، والمحابر، وجعل لختان مائة صبيّ بسقيف المدرسة يوم عاشوراء من كل عام مائة وخمسة وعشرين ريالاً


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

لاشتراء مائة سورية(م - 34)، ومائة صدرية، ومائة شاشية، بإضافة عشرة ريالات للخاتن، وخصص لختم صحيح البخاري في رمضان خمسة وعشرين ريالاً، يعطى منها ثلاثة ريالات لراوي الحديث، وجعل لإحياء ليلة المواسم الإسلامية السبعة، وهي: عاشوراء، وليلة المعراج، وليلة نصف شعبان، وليلة 27 رمضان، ويوم عيد الفطر، ويوم عرفة، ويوم عيد الأضحى، ستة وخمسين ريالاً بحساب ثمانية ريالات لكلّ موسم بقصد قراءة ختمة من القرآن يهدى ثوابها للمحبس، وحبس على إمام المدرسة داراً لسكناه، وجعل نظر المدرسة للشيخ أبي محمد عبد الله السوسي المتقدم ذكره، ونعته (بالمدرس العالم العلامة البحر الفهامة المحقّق المدقّق المتضلّع في العلوم النقلية والعقلية الولي الصالح نفع الله به)، ووقف على المدرسة خزانة عامرة بالكتب اشتملت على 357 مجلداً، منها عدة مصاحف، أحدها مكتوب على الرقّ ومزوّق بالذهب في ثمانية أجزاء، والبقية في التفسير، والحديث، والفقه المالكي، والتوحيد، والأصول والمعاني، والبيان، والمنطق، والنحو، والسيرة النبوية، واللغة، والحساب، كل ذلك بشهادة العدلين الشيخ أبي الحسن علي المنزلي، والشيخ أبي عبد الله محمد طاوس، بتاريخ أوائل جمادى الأولى عام 1159 [1646].

## ـ 20 ـ

## المدرسة الباشية(م - 35)

يستفاد من بعض رسوم جمعية الأوقاف أن بقعة هذه المدرسة والتربة المجاورة لها، والمدرسة السليمانية الملاصقة لهذه التربة، كان بها فنادق قديمة فأخذها الباشا علي باي الأول بالمعاوضة بما هو أعود منها نفعاً لجانب الوقف، وبنى مكانها المدرستين على التربة المشار إليها، وبها قبره مكتوب عليه: كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة(م - 36). هذا ضريح الأمير أبي الحسن علي باشا باي بن محمد باي(م - 37) سامح الله الجميع، توفي رحمه الله آخر ليلة حجة سنة 1169



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

[1755] وقد أرّخ وفاته شعراً إمام البلاغة كاتبه الشيخ محمد الورغي(م - 38) بقوله:

مضت دولة الباشا عليّ كأنّه  من الدّهر يوماً في الولاية ما عاشا
أتته المنايا وهو في عظم قوة  وجيش قويّ مثله قطّ ما جاشا
وصار دفينا بعدما كان دافنا  فقلت وفي تاريخه دفن الباشا

ولنرجع لحديث المدرسة الباشية، واسمها مقتبس من لقب صاحبها، فنقول: إن علي باشا بناها في سنة 1166 [1752] كما يستفاد ذلك من الأبيات المنقوشة على واجهتها، ومطلعها:

تأمل بديع الحسن من صنعة الأيدي  وشاهد جمال السر في الوضع من بعد

وبيت التاريخ:

وإذ كملت باليمن والفتح أرّخت  منازل فتح حلها أيمن السعد
[1752] 1166

ولما تمّ بناؤها عمرها بنفائس الكتب ليسهل على من يسكنها من الطلبة اقتناء العلوم، وهذه الكتب بقيت منها لعهود متأخرّة، فتداركها الوزير خير الدين من التلاشي بضمّها مع نظائرها الموجودة بالمدارس الأخرى للمكتبة العبدلية بجامع الزيتونة، وقد اقتضى نظر مؤسّس هذه المدرسة جعلها وقفاً على طلبة العلم من الحنفية، لذلك كانت مشيختها دواماً واستمراراً في يد فقهاء الحنفية، يعني الشيوخ الكرام، من آل بيرم الأعلام، فإنهم كانوا يتوارثونها خلفاً عن سلف من زمن مؤسّسها إلى أوائل هذا القرن. قالوا: إن القاضي الشيخ محمد بن مصطفى بيرم قد كان شيخاً عليها في العقد الأخير من القرن الماضي، كان لا يسمح بسكناها لغير الطلبة الحنفية، مراعاة لنصّ الواقف، ولو مع فقدان من يسكنها من طلبة المذهب النعماني، ووجود من يرغب في ذلك من طلبة المذهب المالكي، وهو محلّ نظر، لأن الفتوى بالمنع فيها منع لنشر العلم، ومنع نشر العلم من أكبر الآثام. والفتوى بجواز سكنى غير الحنفي فيها مخالفة


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

لنصّ الواقف، ونص الواقف كنصّ الشارع لا يصحّ نقضه لما جاء فيه من الوعيد (فمن بـدّله بعدما سمعه الخ)(م - 39). وبالتالي انخرمت هذه القاعدة من نفسها عند التحاق عموم مدارس الطلبة بإدارة العلوم والمعارف، ولم تبق ملحوظة حتى في هذا الزمان الذي صارت فيه تلك المـدارس من ملحقات مشيخة جامع الزيتونة مراعاة للظروف القاضية بوجوب إسكان طلبة العلم وتسهيل أسبابه على قاصديه، لا سيما وقد بلغ عددهم في هذا الزمان لأكثر من ثلاثة آلاف تلميذ. ولو قدّرنا أن صاحب المدرسة كان حيًّا، لأجاز إسكان المالكي مكان الحنفي عند الاقتضاء والعكس، ولو كانت مخالفة النصوص الشرعية كلها كهذه، لقال الناس جميعاً لمن يفتي بجواز ذلك: «رضي الله عنك». وينعقد ختم الحديث بهذه المدرسة في 25 من شهر رمضان المعظم.

وبعد تحرير ما تقدّم، وقفت بمحفوظات الدولة التونسية على دفتر طويل عريض تضمّن عدّة تحابيس راجعة لجهات البرّ صدرت من الملوك الحسينيين الأسبقين، فإذا في جملتها وقفية هذه المدرسة، ومما اشتملت عليه قوله: إنها تحتوي على ثلاثة عشر بيتاً لسكنى الطلبة الحنفية المستوطنين بتونس أو الواردين عليها من الآفاق، يعمّر كلّ واحد بيتاً يرتفق بسكناه، ويقرأ العلم الشريف، بشرط المبيت بالمدرسة، والحضور لدروسها الثلاثة في الأوقات المعيّنة للتدريس فيها على الشيخ الحنفي المدرس المرتب بها، وبشرط كون الطالب للعلم القاصد للسكنى بها عزباً غير متزوّج، ولا يسكنها المتزوّج البتّة، فإذا طرأ على الساكن بها التزوّج وبنى بزوجه، سقط حقّه منها وإذا دعت من سكن البيت ضرورة سفر فلا يغيب أكثر من شهرين في السنة في غير سفر الحجّ، ولا يغيب أكثر من السنة في سفر الحجّ ذهاباً وإياباً، على أن لا يكون له في مدّة مغيبه مرتّب، بل يكون مرتّبه لمن سكن بيته من المتطوّعين، فإذا رجع من سفره في خلال الشهرين في غير سفر الحجّ وفي خلال العام في سفر الحج، فهو على حقّه في السكنى ببيته،



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وله مرتّب فيما يستقبل. وجعل لها مدرّساً بشرط كونه حنفي المذهب، على أن يدرّس ثلاثة دروس في ثلاثة أوقات من النهار، أحدها في الفقه، والآخر في التوحيد، والآخر في النحو، وإذا أراد أن يدرّس في علم آخر فيكون ذلك زيادة على الدروس الثلاثة المذكورة، مع رواية صحيح البخاري في الثلاثة أشهر: رجب، وشعبان، ورمضان على العادة الجارية بتونس المحروسة. ويكون الشيخ المدرّس بها هو الإمام بمسجدها، يصلّي بها الصلوات الخمس، قاصداً بذلك وجه الله العظيم وثواب الدار الآخرة إنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا يخيب لراجيه أملاً، بتاريخ شهر الله رجب عام 1166 [1752]اهـ.

وممّا تضمّنه الدفتر المنقول منه بيان الموقوفات على هذه المدرسة، وعددها ستة وأربعون، بين عقارات ورباعات، نصّ الواقف على كيفيّة مصرف أرياعها، من ذلك: نصف ريال كلّ يوم للشيخ الإمام المدرّس بالمدرسة، ولكلّ واحد من الطلبة الثلاثة عشر سكان بيوتها ثلاثة نواصر في اليوم بشرط قراءة كلّ واحد منهم حزبين من القرآن العظيم كلّ يوم بعد صلاة العشاء من أسفار المصحف الموقوف على المدرسة، ولكلّ واحد من عشرة طلبة متطوّعين لحضور الدروس دون السكنى ناصري واحد في اليوم، ولكلّ واحد من الثلاثة خوجات المرتبين للقراءة بمسجد المدرسة ناصريان في اليوم، ولكلّ واحد من ثمانية طلبة مالكية حافظين للقرآن يقرأون حزبين كلّ يوم ناصري واحد، ولفقيه مالكي يقرأ دلائل الخيرات كلّ يوم جمعة ويوم اثنين بتربة المدرسة (هي التربة التي بها قبر المحبّس) ناصريان في اليوم، كما خصّص من ذلك الريع ثلاثين ريالاً تصرف يوم ختم صحيح البخاري في رمضان، منها ثلاثة ريالات لراوي الحديث، واعتبر مع ذلك جميع ما يلزم للقيام بشؤون المدرسة دواماً واستمراراً من ترميم وإصلاح وفرش وإسراج وتحصير وغير ذلك، وجعل النظر في جميع ما ذكر لنفسه ثم لأكبر بنيه وبني بنيه من بعده، وحبّس مع ذلك داراً بجوار المدرسة لسكنى الإمام. كلّ ذلك بتاريخ رجب 1166 [1752].



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## ـ 21 ـ

## المدرسة السليمانية

أسسها الباشا علي باي الأول في سنة 1168 [1754] تذكاراً لابنه سليمان باي، الشهيد الذي قتله أخوه بِسُمٍّ دَسَّهُ له في فنجان القهوة، وكانت هذه الحادثة ضربة قاسية على والدهما علي باي، استروح منها اقتراب زوال دولته. وقد دام الحزن بتونس حولاً كاملاً من أجل وفاة سليمان باي. أما المدرسة المتحدّث عنها، فقد وقفها مؤسّسها على طلبة المذهب المالكي، وأوّل مدرّس بها الشيخ محمد الغرياني، أقرأ بها تفسير القاضي البيضاوي، وغيره من الكتب العالية. وباب هذه المدرسة ومدخلها من أجمل الأبنية العربية وأبدعها منظراً، تصدّى لرسمها كثير من مهرة المصوّرين. ويوجد بمكتبتنا نظير منها بالدهن يمثلها كأنما هي. وممن جاور بها من أهل الفضل والعلم الشيخ الطاهر بن مسعود، وكبير أهل الشورى الشيخ أحمد بن حسين القمار. هذا ما تيسّر الوقوف عليه من خبر هذه المدرسة بكتاب (المشرع الملكي)(م - 40) وبغيره من التواريخ التونسية.

## ـ 22 ـ

## مدرسة بئر الحجار(م - 41)

هذه المدرسة هي آخر المدارس التي توفق لبنائها الباشا علي باي الأول، أحدثها في آخر مدّته ومات قبل تهيئتها للسكنى فأتمّها صهره رجب ابن مامي في سنة 1170 [1756] يعني في العام التالي لاستشهاد مؤسسها، كما يستفاد ذلك من الأبيات المزبورة على واجهة سبيلها الجميل ومطلعها:

بنى الباشا عليّ دار علم لوجه الله يسعى في الثواب

وبيت التاريخ:

وقد تمّت لسبعين وألف ومع مائة فمن غير ارتياب



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وهذه المدرسة خصّها صاحبها بسكنى طلبة العلم من المالكية، ورتّب بها خزانة للكتب، مع رواية للحديث، ووقف عليها أوقافاً جارية لهذا الزمان. قال في رسم أوقافها: إنه وقفها على مدرسته التي أحدث بناءها، وأسس أركانها الشرقية الباب الكائنة بسويقة الجرو قرب الشيخ الوليّ الصالح سيدي أبي حديد على محجّ دار الباشا داخل مدينة تونس اهـ. وكان من مشائخها في القرن الماضي الشيخ أبو الحسن علي السقاط، والد المدرس الشيخ الطاهر السقاط الذي هو آخر من لقّب بقاضي الفريضة بتونس، فلما توفي الشيخ علي السقاط في حدود سنة 1258 [1842] أسند الباي مشيخة المدرسة بإشارة من الشيخ محمد بيرم الثالث إلى العلامة الشيخ محمد النيفر، وظلت بيده إلى أن توفاه الله سنة 1277 [1860] فورثها عنه ابنه قاضي الجماعة الشيخ الطاهر النيفر، ثم تنازل عنها لابن عمّه وسميّه المدرّس الشيخ الطاهر النيفر في سنة 1302 [1884] وفي أوائل هذا القرن وقع تخصيص هذه المدرسة لانتصاب مدرسة المؤدّبين، ثم لما صارت هذه المدرسة معهداً لترشيح المعلمين، أقيم لها بناء خاصّ بها بالمركاض، وحوّلت مدرسة بئر الحجار التي هي موضوع الحديث إلى مدرسة لتعليم الصنائع اليدوية، وهي الحالة الموجودة عليها في هذا الزمان (1358 [1939]). وختم الحديث ينعقد بها في يوم 20 رمضان.

## ـ 23 ـ

## المدرسة الجاسوسية

بعد أن يئست(م - 42) من الوقوف على شيء يستفاد منه تاريخ ماضيها في الكتب التي بين أيدينا وفي مظنات المراجعة، ظفرت عفواً بنبذة مفيدة في حقها أتحفني بها شيخ مشائخ الطريقة القادرية الشيخ عبد العزيز بن شعبان، بوقوفه على رسم تحبيس صدر من المولى علي باي الثاني بن المولى حسين بن علي تركي، تضمن تحبيسه لثمانية حوانيت بسوق العزافين على مقربة من مسجد الفال، على يد العدلين أبي عبد الله محمد



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

العشراوي، وأبي الفضل عبد الكريم القرشي، ونص محل الحاجة منه: إن المحبس المذكور حبّس الحوانيت الثمانية على المدرسة الغربية الباب، المعروفة بالجاسوسية، الكائنة تجاه سيدي أبي الغيث القشاش من مدينة تونس، المنسوبة إلى الشيخ الولي الصالح سيدي أبي عبد الله الجاسوس، نفعنا الله ببركاته، على أن يخرج من ريع الحوانيت مرتب شيخ فقيه مدرس من أهل العلم مالكي المذهب، يكون شيخاً بالمدرسة، ويقرىء في مسجدها كلّ يوم درس علم، من فقه مذهب الإمام مالك إمام دار الهجرة، وغير ذلك من علوم المعقول، والتوحيد المحتاج إليها، والذي يتوقّف فهمه عليها، وذلك بحساب ثمانية نواصر في كل يوم،ومرتب ثمانية طلبة من طلبة العلم المتعلمين والحالين بتونس لطلبه بحساب ناصري واحد لكلّ طالب في اليوم، ومرتّب نقيب يكون قيّماً بالمدرسة بحساب ناصري في اليوم، ومرتّب مخلص يخلص ريع الحوانيت ويكون ناظراً عليها ويقف على إصلاحها وإصلاح المدرسة بحساب ناصري في كلّ يوم، وأذن لشيخ المدرسة في زمنه وهو الفقيه المتسنّن المدرّس الشيخ أبو عبد الله محمد الدرناوي في الانتفاع لنفسه ولطلبة المدرسة على النسبة المفسّرة أعلاه بتاريخ غزة رجب 1178 [1764] اهـ .

وبهذا النصّ اتّضح لنا اسمها الحقيقي، لأنها مرسّمة في قائمة مدارس الطلبة باسم المدرسة الداسوسية، وهو تحريف بيّن، لأن العامة في تونس يقولون داسوس عوض جاسوس، وهذا التحريف سرى حتّى لأصحاب التقاويم التونسية، ابتداء من النزهة الخيرية، وهي أوّل ما جاء فيها ذكر هذه المدرسة باسم الداسوسية في عام 1293 [1876]. وكانت مشيختها يومئذ بيد الشيخ الحاج أحمد الكيلاني، حفيد سميّه مادح الأمير حمودة باشا الحسيني بقصيدته التي مطلعها:

قضى الله أن يسمو بك العزّ والنّصر  إلى رتبة من دونها يقع النّسر

وهي طويلة كلها عيون، منها قوله في وصف جيش الباي المذكور



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

حين انتصاره على أعدائه الوافدين من الجزائر:

يحيط بهم جيش يضيق به الفضا ويرجف من إزحافه السّهل والوعر

## ـ 24 ـ

## المدرسة الجديدة

اشتهرت هذه المدرسة باسم الحسينية الكبرى، ولا ندري لماذا سمّوها كذلك لأنها ليست من تأسيسات المولى حسين بن علي تركي، بل هي من حسنات ابنه علي باي الثاني، وهي أفخم وأفسح مدارس العصر الحسيني، اشتملت على أكثر من أربعين بيتاً. ولعلهم نعتوها بالكبرى، تمييزاً لها عن المدارس الحسينية الأخرى، وأما نسبتها الحسينية، فيلوح أن ذلك كان لصرف الأنظار عن السمعة التي حصل عليها الباشا علي باي الأول بسبب بنائه لعدة مدارس باشية. وعلي هذا كان خصيم الفرع الحسيني الأشرف، فلا غرابة حينئذ في سعي ابن عمّه علي باي الثاني في إحداث مدرسة فخمة، خصّها بشرف الانتساب لاسم أبيه الباي حسين بن علي تركي، تعلية لها على المدارس الباشية المحدثة قبلها. قال في تاريخ الوزير الشيخ أحمد بن أبي الضياف(م - 43): وآثار هذا الباي (علي بن حسين بن علي تركي) في هذه المملكة شاهدة له بالفضل، منها مدرسته المعروفة بالجديدة قرب تربته الجليلة جوار ساباط عجم اهـ. وقال في الخلاصة النقية(م - 44): ولهذا الأمير (علي باي المذكور) مآثر عديدة، ومناقب شهيرة، ومحاسن كثيرة، منها مدرسته، والتربة المقدسة إزاءها[1] وأجرى عليهما أوقافاً إلى الآن اهـ. قلت إن بناء هذه المدرسة كان فيما

---

(1) تربة الباي أسّسها المولى حسين بن عَلي لا ابنه المرحوم علي باي الثاني، كما هو المشهور. ولقد عثرت بهامش كتاب مخطوط في تاريخ تونس، أن تأسيس هذه التربة كان في سنة 1123 [1711] بأمر الباي حسين بن علي المذكور.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

بين سنة 1172 [1758] وسنة 1190[1776] وقد افترض لها مؤسسها وقفاً جارياً لرواية الحديث. سمعت من الفاضل الفقيه الشيخ عمر السبعي شيخ هذه المدرسة كان، أن المفتي الشيخ محمد البارودي، كان قائماً بتلك الرواية على دور العام، يأتي في سائر الأيام لرواية الصحيح، حتى إذا حل يوم الختم في 16 رمضان، تسابق أهل العلم والفضل للتبرك بحضور مجلسه لسماع ترتيل آيات الذكر الحكيم من الشيخ، لأنه كان عالماً في القراءات، وأوتي مزماراً من مزامير آل داوود، رحمه الله ورضي عنه.

وأول من تولى مدرساً بها في عهد مؤسسها، الفقيه الفرضي الشيخ محمد حمودة[1] بن محمود، وكان أول ما أقرأ بها، مختصر القدوري. ولما توفي في سنة 1201 [1786] انتقل الدرس للمفتي أبي العباس الشيخ أحمد البارودي، صهر الباي المولى حمودة باشا، وتوفي بعد هذا الباي بأربعة أسابيع لشدّة حزنه عليه[2]. وكان هذا التدريس في أواخر القرن الماضي، بيد المفتي الشيخ محمد البارودي صاحب رواية الحديث بالمدرسة، وقد تقدم الكلام عليه. وتوفي رحمه الله في سنة 1293 [1876] وممن تولّى مشيخة هذه المدرسة في الدولة الصادقية، المرحوم المفتي الشيخ صالح بن فرحات المتوفى سنة 1309 [1891].

---

(1) هو صاحب كتاب إسعاف الحكام في الفرائض، معروف بحسن جمعه وكثرة مسائله وتحريرها. ومن عقب هذا الفاضل العلامة المرحوم المفتي الشيخ محمود بن محمود المتوفى سنة 1344 [1925] أما جدّهم الأعلى فهو محمود أبو حمودة المتقدّم ذكره أعلاه، وكان يلقب بالتركي، فتنوسي هذا اللقب الأصلي في عقبه باتّخاذهم اسم محمود لقباً لهم. ومحمود هذا كان ترجماناً بديوان الباي مراد الثالث المشهور بأبي بالة، غضب عليه ذات يوم فقتله ظلماً، ففر ابنه حمودة لزغوان، والتحق بالولي الصالح الشيخ علي عزوز، ثم عاد لتونس بإشارة من الشيخ رضي الله عنه، ولما وصل لباب علاوة وجد صبيان الربض يلعبون برأس مراد أبي بالة.

(2) توفي في 28 شوال سنة 1229[1813] ودفن جوار الشيخ سيدي عبد العزيز المهدوي بمرسى جراح، واسمه جراح العربي، وكان من فضلاء المائة السابعة. قال في تاريخ الدولتين(م - 45): وكان المرسى يعرف في القديم باسم مرسى ابن عبدون واشتهر بعد ذلك بمرسى الرجل الصالح سيدي جراح لملازمته الاحتراس به.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## ـ 25 ـ

## مدرستا صاحب الطابع

لما أحدث الوزير يوسف خوجة صاحب الطابع جامعه بالحلفاوين، بنى بجواره مدرستين لطلبة العلم، إحداهما لقراءة العلوم، والأخرى للتجويد، ووقف عليهما أوقافاً كافية ما زالت أرزاقها جارية لهذا الزمان. ولما قرّرت الدولة إيجاد نظام لمدارس سكنى الطلبة، كان في جملة ما اشتمل عليه ذلك النظام، المدرستان المذكورتان بعد اندماج دروسهما من أواخر القرن الماضي في برنامج التعليم العام بجامع الزيتونة، وبالتالي ضمّت الواحدة للأخرى بجعلهما لنظر شيخ واحد. ومن حسن نظر المؤسّس، وهو حنفي المذهب، أنه اعتبر عند ترتيب الدروس بمدرسته كون أكثر الطلبة من المذهب المالكي، فأسّس لهم درس فقه على مذهبهم، واشترط أن يكون من مختصر خليل، أو من مختصر ابن الحاجب، أو من كتاب التهذيب، ورتّب مع ذلك جراية يومية للطلبة. أما بناء هاتين المدرستين فقد تمّ في عام 1229 [1813] وفيه استشهد صاحبهما رحمه الله.

## ـ 26 ـ

## المدرسة البشيرية (م - 46)

هذه المدرسة موقعها بزاوية الولي سيدي محمد البشير الزواوي(م - 47) وهي من الأحباس الخاصّة، وتصرّفها في يد ذرية الشيخ نفع الله به. وكانت في القديم يسكنها طلبة العلم من أبناء شرفاء زواوة، أتباع الطريقة الرحمانية، ومسجدها حافل بالدروس، من ذلك درس في التفسير يقرأه الشيخ بنفسه، وممّن تبرّك بحضور هذا الدّرس المؤرّخ الشيخ أحمد بن أبي الضياف، هكذا ذكر في الجزء الرابع من تاريخه بزيادة وأن الشيخ كان يقوم أيضاً بدرس في الحديث. وشهرة الشيخ البشير في العلم والصلاح



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

معروفة بين أهل عصره، وهذه الزاوية مع مستتبعاتها، ومنها المدرسة المتحدّث عنها من حسنات المولى حسين باي الثاني، بناها لسكنى الشيخ، وجعلها وقفاً عليه في حدود سنة 1240 [1824] وهذا الباي كان حجره أبوه في قائم حياته للشيخ رضي الله عنه، فكان شديد الاعتقاد في الشيخ البشير، حتى إنه عند مماته تبرّك وآل بيته بحمل نعشه، وبالتالي استمرّ نظام المدرسة على ما كانت عليه من إسكان الطلبة، وإطعامهم في عهد الشيخ العربي البشير نقيب السادة الأشراف، وعلى منواله كان عمل أبنائه من بعده. ولما وقع ترتيب مدارس الطلبة في سنة 1306 [1888] على عهد المولى علي باي الثالث، شمل ذلك الترتيب المدارس التابعة للأوقاف العامة دون مدارس الأحباس الخاصة التي منها المدرسة البشيرية، غير أن ذرية الشيخ ما زالوا مجتهدين بهذا الزمان في المحافظة على نظامها القديم من إسكان عدد معلوم من الطلبة بالسبعة بيوت المشتملة عليها المدرسة، وإطعامهم احتساباً لوجه الله تعالى من ريع أوقافها الجارية لهذا العهد، مع مراقبة سلوكهم، وحثهم على القراءة بجامع الزيتونة، حتى إذا تهيّأ أحدهم لنيل شهادة، التحصيل، استرجعوا منه بيته، ومنحوه لغيره من الطلبة المبتدئين، والله يجزي المحسنين.

## ـ 27 ـ

## مدرسة الزّاوية القادرية

هذه المدرسة هي نفسها الزاوية القادرية بالديوان، أسسها شيخ الطريقة البركة الشيخ الحاج محمد المازوني المغربي، دفين زاوية القادرية بالكاف. ابتدأ بناءها سنة 1262 [1845] وأتمها في سنة 1266[1849] وجعل نظرها من بعده لشيخ الزاوية. والأوقاف المحبسة عليها من حسنات المرحومين الشيخ حمدة بطيخ، والمدرس الشيخ محمد بن مصطفى بيرم، وكانت وفاة صاحبها الشيخ محمد المازوني في سنة 1296 [1878] وهذه الزاوية مع مدرستها ما زالت منتظمة الأحوال إلى هذا الزمان، ومن أشهر



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مشائخها في أوائل هذا القرن الحافظ المعتقد الشيخ محمد بن شعبان شيخ مشائخ الطريقة القادرية بالإيالة التونسية، والإمام الأول بجامع باردو، توفي رحمه الله في سنة 1337 [1918] وقد تولى مشيخة المدرسة والزاوية والطريقة من بعده، ابنه المرحوم أبو الفلاح الشيخ صالح بن شعبان، ومنه انتقلت المشيخة لحفيده الفاضل المتطوع في العلوم الشيخ عبد العزيز بن شعبان الكاتب بديوان الإنشاء، والمباشر تحت نظر الوزارة الكبرى لضبط شؤون التعليم بجامع الزيتونة، وهي من أهمّ المأموريات العلمية بالنظم التونسية الحديثة.

## ـ 28 ـ

## مدرسة سيدي شيحة

هذه المدرسة من ملحقات زاوية العارف بالله الشيخ علي شيحة، بنيت في سنة 1269 [1852] على عهد المشير محمد الصادق باي بمساعي وزيره أبي النخبة مصطفى خزندار، لما كان له من الاعتقاد في صاحب المقام المذكور، المجاور ضريحه لقصره بالحلفاوين، وهي الآن معطّلة في تصرّف ذرية الشيخ لاحتياجهم للسكنى بها. وتوفّي الشيخ علي شيحة سنة 1271 [1854].

## ـ 29 ـ

## مدرسة الشيخ ابن ملوكة(م - 48)

هي مدرسة العارف بالله الشيخ محمد بن ملوكة معتقد الوزير مصطفى خزندار، وهو الذي أشار ببنائها على المشير الصادق باي، وهذه المدرسة من أفخم مدارس الطلبة، وأوفرها مرافق، وأحسنها مناخاً، وأتمّها عمارة. ولما أشرف بناؤها على التمام، توفي الشيخ في سنة 1276 [1859] فتحرّج الوزير من ذلك، وأحجم عن إتمامها، قالوا لنفاد المال المقدر لتمامها،



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وقالوا مراعاة لما اعتاده الناس من التشاؤم بوفاة من ينسب إليه البناء قبل انتهائه، وبالتالي توجّهت الأنظار إثر ولاية م. ماشويل [Machuel] أول مدير للمعارف بتونس بعد نصب الحماية، إذ وقع اختياره عليها لتوسيع نطاق التعليم العصري بالحاضرة ابتداء من سنة 1302 [1884] وسميت بالمدرسة العلوية نسبة لاسم المولى علي باي الثالث، وبذلك تحوّلت عن وضعها الأول بصيرورتها مدرسة للعلوم العصرية، والمخلوق يبني صروح الأماني، والخالق يقسّم الحظوظ.

## ـ 30 ـ

## مدرسة الشيخ بلخير

هذه المدرسة كانت عامرة بالطلبة في أواخر القرن الماضي، وهي من الأحباس الخاصة، تولّى شؤونها الفقيه الأعدل المرحوم الشيخ محمد بلخير الساحلي، من عدول الحجامين بتونس، ثم لما أحدث النظام الجديد للمدارس العامة في أوائل هذا القرن، لم يشمل هذا النظام مدارس الأحباس الخاصّة كهاته المدرسة التي تضاءل أمرها فيما بعد وانقطع النفع بها في هذا الزمان.

## ـ 31 ـ

## المدرسة الحبيبية الكبرى

كانت هذه المدرسة فندقاً بلدّياً يعرف بوكالة المجلس البلدي، حديثة البناء، فلما صعد المولى محمد الحبيب باي لكرسي الملك الحسيني، صرف مهجته لإسعاف طلبة العلم بمدرسة ذات مرافق عصرية، واختار لذلك الوكالة المتحدث عنها، فاشتراها رحمه الله من ماله الخاصّ، وهذب أساليبها، وجعلها وقفاً على أهل العلم من طلبة جامع الزيتونة، وتم تجهيزها وتنسيقها في سنة 1345 [1926] وناط نظارتها بقاضي الجماعة العلامة الشيخ الصادق النيفر، فناب كل بيت من بيوتها ثلاثة من الطلبة وفي



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

سنة 1348 [1929] ألحقت هذه المدرسة ببقية المدارس العامة، وجعل التصرف فيها من حقوق إدارة المعارف، فغيّرت عدد سكّان بيوتها بجعلهم اثنين بكل بيت لا ثلاثة، وبالتالي وقع ضمّ جميع مدارس الطلبة لمشيخة جامع الزيتونة، فكانت هذه المدرسة كبقيّة أخواتها من متعلّقات تلك المشيخة الجليلة.

## ـ 32 ـ

## المدرسة الحبيبية الصغرى

هذه المدرسة أسّسها المولى محمد الحبيب باي في سنة 1346 [1927] بزاوية الولي المجذوب الشيخ صالح المثلوثي معتقد عمّه المشير محمد الصادق باي، ولما تمّ تجهيزها وتنسيقها فتحت لسكنى الطلبة وألحقت بالمدارس العامة.

## ـ 33 ـ

## المدرسة القاسمية

هذه المدرسة أسّسها رجل من أهل البرّ والمعروف، اسمه الشيخ الحاج قاسم ابن الحاج علي بن يوسف الجربي بالمكان الذي كان به الضريح المنسوب لسيدي السريدك، ووقف بنفسه على بنائها، وبنى بها كتاباً لتعليم القرآن للصبيان وفتحت لسكنى الطلبة في سنة 1347 [1928] وحضر حفلة افتتاحها المولى الأمير في موكب فخيم، وتفضّل بشكر صاحبها مباشرة منه إليه، ثم أحسن له بنيشان الافتخار، إظهاراً لما له من الاعتبار، في سامي الأنظار. توفّي مؤسسها رحمه الله سنة 1355 [1936].

## ـ 34 ـ

## المدرسة الدغرية

هذه المدرسة توفق لإحداثها رجل من أهل الفضل والثروة الواسعة،



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

اسمه الشيخ محمد الدغري أصيل جزيرة جربة، بناها في سنة 1347 [1928] وتسلّمتها جمعية الأوقاف من المحبّس في عام 1351 [1932] وقد رتّب لها مؤسّسها وقفاً للقيام بشؤونها، وجعل النظر عليها من بعده لذريّته، قصد بذلك التقرّب إلى الله زلفى، وكان بناؤه لها في آخر حياته، والأعمال بالخواتم، رحمه الله وتقبّل سعيه.

## ـ 35 ـ

## المدرسة الحمزية

هذه المدرسة تطوّع بها رجل من أهل البرّ والإحسان، وهو الخيّر الشيخ حسن بن الحاج علي حمزة المهدوي، من بيوتات المهدية، وقفها على سكنى طلبة العلم في سنة 1348 [1929] واحتفظ بحقّ النظر عليها لنفسه ثم لمن يعيّنه لذلك من بعده.

## ـ 36 ـ

## المدرسة الصالحية

هذه المدرسة تطوع بإحداثها أحد أهل الفضل وهو الخيّر أبو عبد الله السيد محمد الصالحي، زعيم الوكلاء كان، وأحد أعضاء المجلس الكبير المشهورين بالمساعي الحميدة في سبيل المنفعة العامة، قام برحلة مفيدة بالشرق الأدنى، واقتبس من مشاريع العلم هنالك مشروع مدرسته هذه التي بناها من ماله الخاصّ في سنة 1356 [1937] ووقفها على طلبة العلم، وسن لها نظاماً مستكملاً ناط إدارته بعهدة من يقوم بتنفيذه ممن يثق به من أهل الفطنة والأمانة.

## ـ 37 ـ

## مدرسة الهداية

هذه المدرسة أسّسها المحسن الكريم السيد الحاج أحمد بن الأمين



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الجربي، محيي جامع الحجامين الذي تقدّم التعريف به في باب الجوامع المالكية، وقفها على طلبة العلم الذين في كفالة جميعة إعانة الضعفاء من تلامذة جامع الزيتونة وفروعه، لتكون لهم مأوى وسكناً، وقد تمّ تجهيزها وافتتاحها في موكب مشهود، انعقد يوم الخميس في 23 جمادى الأولى سنة 1357 [1938] برئاسة زعيم الجمعية المشار إليها وهو العلامة الفاضل المدرّس الشيخ محمد العزيز النيفر النائب عن صاحب الفضيلة شيخ جامع الزيتونة وفروعه. وممّن حضر حفلة هذا الافتتاح المبارك أصحاب المعالي الوزراء، وأصحاب الفضيلة شيوخ المجلس الشرعي، وغيرهم من العلماء، وأصحاب الحيثيّات. والمظاهر الرسمية، وقد شاءت الأقدار أن يكون ختام الكلام على المدارس مقروناً بالهداية، فلله الحمد والشكر في البداية والنهاية.


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

# التعاليق

(م ـ 1) المدرسة الشماعية: تقع بزنقة الشّمّاعين في سوق البلغاجية.

(م ـ 2) الدولة الحفصية: دامت من سنة 627 / 1229 إلى سنة 982 / 1574.

(م ـ 3) الدولة المرادية: دامت من سنة 1047 / 1637 إلى سنة 117 / 1705.

(م ـ 4) سورة النحل ـ الآية 68.

(م ـ 5) المدرسة التوفيقية: تقع بالقرب من جامع الهواء في ساحة معقل الزعيم (رحبة الغنم سابقا) وقد تحولت في السنوات الأخيرة إلى مدرسة مهنية للبنات.

(م ـ 6) المؤنس ص 135.

(م ـ 7) الشاذلي بن محمد المنجي خزندار: ولد بتونس سنة 1881 وتوفي سنة 1954. له ديوان مطبوع، صدر الجزء الأول منه سنة 1922 والجزء الثاني سنة 1926 وأعيد طبعه سنة 1972. (الدار التونسية للنشر). (انظر «مجمل تاريخ الأدب التونسي» لحسن عبد الوهاب، ص 322).

(م ـ 8) الخلاصة النقية في أمراء إفريقية تأليف الباجي المسعودي ص 145.

(م ـ 9) الاتحاف ج8 ص 55.

(م ـ 10) المدرسة المنتصرية: تقع بنهج الوصفان بين سوق النحاس ونهج الجبل.

(م ـ 11) المؤنس ص157.

(م ـ 2) انظر: الإتحاف ج7 ص 45.

(م ـ 13) التسييق: بمعنى التنظيف في الاصطلاح التونسي.

(م ـ 14) أبو الغيث القشاش: من رجال الصلاح والتصوف (انظر ترجمته في «الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي» ص 288).

(م ـ 15) المدرسة المرادية: تقع بنهج سوق القماش وقد تم ترميمها في السنوات الأخيرة وتحويلها إلى مركز للصناعات التقليدية تابع لبلدية مدينة تونس.

(م ـ 16) المؤنس ص248.

(م ـ 17) سورة الإسراء ـ الآية 1.

(م ـ 18) المؤنس ص 278.

(م ـ 19) في الأصل: 1121، والصواب: ما أثبتناه.

(م ـ 20) السيد الشاذلي صفر: تولى رئاسة جمعية الأوقاف من سنة 1908 إلى سنة 1924. (انظر «المفيد السنوي» للشيخ محمد المقداد الورتتاني سنة: 1354هـ 1935م ص264).

(م ـ 21) مدرسة النخلة:

تقع في مدخل نهج الكتبية. وقد تم ترميمها في سنة 1979 وحولت إلى مدرسة لتلاوة القرآن الكريم تابعة لوزارة الشؤون الثقافية.

(م ـ 22) الإتحاف ج2 (النشرة الثانية) ص 125.

(م ـ 23) الخلاصة النقية (الطبعة الثانية ص 120).

ص ـ 24) المدرسة الحسينية الصغرى: تقع في طرف نهج سيدي الصوردو وبالقرب من تربة الباي.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

(م ـ 25) الاتحاف ج2 (النشرة الثانية) ص 125.

(م ـ 26) مدرسة الجامع الجديد: تقع بنهج الصباغين، وقد سكن بها الشاعر أبو القاسم الشابي في زمن الدراسة (انظر: أبو القاسم الشابي، حياته، شعره، تأليف زين العابدين السنوسي ـ تونس 1980).

(م ـ 27) ذيل بشائر أهل الإيمان ص 67.

(م ـ 28) مدرسة الزاوية الباهية: تقع بمدخل نهج الزاوية البكرية في حي باب سعدون، وقد تم ترميمها بعد الاستقلال وتحويل قسم منها إلى مكتبة عمومية.

(م ـ 29) الاتحاف ج7 ص 120.

(م ـ 30) المقامة الباهية للشيخ محمد الورغي (في الأصل البهية) (انظر عبد العزيز القيزاني «مقامات الورغي ورسائله» الدار التونسية للنشر).

(م ـ 31) مدرسة حوانيت عاشور: وتعرف باسم المدرسة العاشورية، تقع بنهج عاشور عدد 62 بالقرب من نهج سيدي إبراهيم الرياحي، وقد تم ترميمها في المدة الأخيرة وتحويلها إلى دار للجمعيات الثقافية بإشراف وزارة الشؤون الثقافية.

(م ـ 32) محمود مقديش: عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر هجري، وبعد مزاولة تعلمه بجامع الزيتونة وجامع الأزهر رجع إلى صفاقس مسقط رأسه وتفرغ للتدريس، اشتهر بكتابه «نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار». طبع في المطبعة الحجرية بتونس (في جزءين) سنة 1321هـ (انظر: الاتحاف ج8 ص 85 ـ 86).

(م ـ 33) هذا رأي المؤلف، وفيه مجاملة واضحة للسلطة الفرنسية الحاكمة آنذاك بتونس. والمسألة فيها نظر.

(م ـ 34) سورية: بمعنى «قميص» في الاصطلاح التونسي.

(م ـ 35) المدرسة الباشية: تقع بنهج الكتبية حذو مدرسة النخلة المتقدم ذكرها.

(م ـ 36) سورة آل عمران ـ الآية 185.

(م ـ 37) مدة ولاية علي باشا باي الأول: 1735 — 1756.

(م ـ 38) ديوان الورغي، تحقيق عبد العزيز القيزاني ـ الدار التونسية للنشر ـ 1978 ص201.

(م ـ 39) سورة البقرة ـ الآية 181.

(م ـ 40) كتاب المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي تأليف محمد الصغير بن يوسف الباجي (مخطوط).

(م ـ 41) مدرسة بئر الحجار: تقع بنهج الباشا، وهي مواجهة لنهج الحفصية، كانت قبل الاستقلال مقرّاً لجمعية الشبان المسلمين.

(م ـ 42) في الأصل: ايست.

(م ـ 43) الإتحاف ج2 (النشرة الثانية) ص211.

(م ـ 44) الخلاصة النقية (الطبعة الثانية) ص 132.

(م ـ 45) تاريخ الدولتين ص 52.

(م ـ 46) المدرسة البشيرية: أزيلت هذه المدرسة بعد الاستقلال في نطاق توسيع نهج سيدي البشير.


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

(م ـ 47) محمد البشير الزواوي: صاحب الطريقة الرحمانية، توفي بتونس سنة 1826 (انظر ترجمته في «الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي» ص 309).

(م ـ 48) مدرسة الشيخ ابن ملوكة: تقع في حي المركاض، وقد استعملت مقرّاً لدار المعلمين عند تأسيسها سنة 1884. وما زالت هذه المدرسة قائمة الذات إلى يومنا هذا.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

# الخاتمة

## في تاريخ
## نشأة أحناف الحديث الشريف بتونس



مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

اعلم أن العناية بالأحاديث النبوّية قديمة في الإسلام، لأنها تعلّم المخلوق كيفيّة معاملته لخالقه، واعتقاده الحقّ في ذاته، وصفاته تعالى، وكتبه، ورسله، وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، وسيرهم الحميدة، وقصصهم، كما تعلم مصالح الدنيا، وكيفية معاشرة الخلق على الوجه الحسن، وكيفية تعامل الناس بين بعضهم على الوجه الأجمل، وعلم الحديث تتعلّق به علوم، منها، تفسيره، ومنها علم المصطلح، وهو علم يعرف به قوة سنده الذي به وصل إلينا، وتراجم الرجال الناقلين له، كما يعلم به الأحاديث الموضوعة التي تنسب لصاحب الشريعة ولم يقلها صلى الله عليه وسلم، وقد برع في هذا العلم كثير من أقطاب الملّة، وانتهت صحّة الرواية فيه إلى الرواة الستة أصحاب المسانيد المعروفة بكافة بلاد الإسلام، وهو: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري المتوفى سنة 256 [869] (يوافق وفاته لفظ «نور» بحساب الجمل)، والإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة 261 [874] والإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني المتوفى سنة 273[886]، والإمام أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة 275 [888] والإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة 279 [892] والإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة 303[915] فهؤلاء الأيمة اتفق أهل الحديث على صحّة كتبهم، كما أجمعوا على أن صحيح الإمام البخاري هو أفضلها على المذهب المختار، وأنه



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

أوّل كتاب بعد القرآن كلام الله القديم، وأوّل كتاب صنّف في الحديث كتاب ابن جريح، وقيل موطأ مالك بن أنس إمام دار الهجرة.

واعلم أن أختام الحديث التي تقع بتونس كلّ عام في أيام معلومة من شهر رمضان، مستمدّة من صحيح الإمام البخاري، إلا ما شذّ منها كما سترى خبره. ولما كان الحديث هو الركن الثاني الذي أقيم عليه هيكل الشريعة الإسلامية بعد الركن الأوّل الذي هو كتاب الله تعالى، وجّه إليه العلماء شرقاً وغرباً كامل عنايتهم تلاوةً وفهماً وتفهيماً، قاصدين بذلك تدعيم أصول الدين، وتوثيق عرى حبله المتين، حتى ينتفع الخاصّة بفهم أسراره، ويتيمّن العامّة ببركة أنواره، وعلى هذه القاعدة درج أيمة السلف، واقتدى بهم علماء الخلف، فكانوا السابقين اللاحقين للكرع من مناهل رياضه، والارتواء من سلسبيل حياضه، وهي سنّة متّبعة بكافة الأقطار، بين أهل الأعصار، وكما أنها لم تزل بفضل الله قائمة بهذه الديار، كذلك كان شأنها بغيرها من الأمصار، فقد نقل الشيخ محمد بيرم الثاني حديث ختم للحافظ ابن كثير صاحب كتاب البداية والنهاية في التاريخ، قام به في دمشق الشام سنة 765 [1355] وعلى هذا المنوال جرى عمل علماء تونس منذ قرون، يشهد بذلك اعتناء أهل البرّ والمعروف منذ عهود بعيدة بتأسيس الأوقاف الخيرية الجارية أرياعها لهذا الزمان بعنوان رواية الحديث في كثير من الجوامع والمساجد والمدارس التونسية، وكان ولم يزل لأهل تونس عظيم اعتناء بشأن ختم الحديث، فقد نقل المؤرخ ابن أبي دينار(م - [1]): أن لأهل تونس اهتماماً عظيماً بمجالس الأختام واحتفالاً كبيراً بها، حتى إنهم يشتغلون بها عن كلّ ما سواها. قال: ويغلقون حوانيتهم، وينادي المنادي فيهم ألا إن الختم لجامع البخاري غدا صباحا أو عشية في موضع كذا، فيفزع الناس، ويتسارعون شيوخاً وكهولاً، ذكوراً وإناثاً، وربما دام الختم عندهم من طلوع الشمس إلى قرب الزوال. اهـ. قلت: ولم تكن رواية الحديث عندهم خاصة بشهر رمضان، بل كان منها ما يبتدىء في كل عام



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

من شهر رجب، ومنها ما يكون في سائر أيام العام، بشرط انتهاء الرواية في يوم معلوم من شهر رمضان، اصطلحوا على تسميته بيوم الختم، وربما كان من شروط المواقفين رواية الصحيح كلّه في مدّة الحول أو في الأشهر الثلاثة، رجب، وشعبان، ورمضان. قال المؤرخ حسين خوجة في كتاب بشائر أهل الإيمان(م-2): إن القاضي الشيخ حمودة الريكلي، من فقهاء دولة علي باشا، كان يروي الحديث على دور العام بزاوية سيدي معاوية، وقد عرفنا من شيوخ الجيل الماضي من كان قائماً بمثل ذلك على الوجه الأتمّ، كالمرحوم أبي النخبة الشيخ مصطفى البارودي الإمام الأول بجامع باردو، فكان يقوم برواية الصحيح كلّه في مسجد الطراز[1] كلّ عام، إلى أن أدركه أجله في سنة 1322 [1904] وكان بعض أهل العلم يتولّى رواية الحديث بطريقة دورية في سائر أيام الجمعات مدى العام كلّه، ومن هذا القبيل كان صنيع العلامة الشيخ سالم بوحاجب، كبير أهل الشورى المالكية، أثناء مباشرته للإمامة والخطبة والرواية بجامع سبحان الله، وكتب في ذلك شرحا جامعا لجملة من أبواب صحيح الإمام البخاري، سمعت ذلك من بعض الشيوخ بمناسبة حديث دار في مجلسه عن الشرح الذي كتبه الشيخ الشنقيطي على الصحيح المشار إليه[2].

---

(1) مسجد الطراز، ويسمى جامع الطراز، وجامع الطرازين، ورواية الحديث به من حسنات المرحوم مصطفى باي اهـ. من الخلاصة النقية.

(2) وفد العلامة الحافظ الشيخ الشنقيطي، واسمه محمد يحيى بن محمد المختار ابن الطالب عبد الله الولاتي، من واحة ولات، بالصحراء الغربية، لزيارة تونس وجامعها الأعظم جامع الزيتونة عمّره الله بعلوم الدين، وحفظه من آفات التجديد المشين، وكان ذلك في رجب سنة 1315 [1897] وأقام ضيفاً مكرماً ونزيلاً مبجلاً معظماً بين أهل العلم إلى آخر تلك السنة. وفي خلال تلك المدة اجتمع الشيخ الشنقيطي بخاصة علماء الحضرة ولا سيما شيخ الجماعة الأستاذ الأكبر الشيخ سالم بو حاجب، طاب ثراه، وهذه المجالس جمع حديثها العالم المرحوم الشيخ محمد باش طبجي الحنفي في رسالة له أسماها (الفرائد) تعرّض فيها لذكر الشرح الذي كتبه الشيخ الشنقيطي على الجامع الصحيح. وهذا الكتاب الجليل وقفت عليه وهو في ثمانية أجزاء في القالب الكبير، استوعب فيه صاحبه الكثير من صحيح الإمام =



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

هذا وقد رأيت بكناش لبعض الأفاضل، أن أوّل ختم للحديث بتونس أسّسه أحد سلاطين بني أبي حفص بجامع أبي محمد خارج باب السويقة، ويظهر من كلام المؤرّخين أن رواة الحديث بتونس، كانوا كثيرين في الدولة المرادية، ولكن الأختام كانت بالرواية المجرّدة، وشذّ منها ما كان دراية. قال في المؤنس(م-3): ولم يكن بالديار التونسية من يوم حلّ بها العسكر العثماني من تعاطى الرواية والدراية إلا الشيخ العالم العلم الربّاني أبو عبد الله محمد تاج العارفين العثماني (يتّصل نسبه بالخليفة الثالث سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه) سقى الله ثراه من صوب الرحمة والرضوان، وكان مجلسه بالجامع الأعظم من أجلّ المجالس، وتحضره الأجلّاء من أهل العلم، وتدور بينهم المباحث الجميلة في العلوم الجليلة، ولا يخلو مجلسه

---

= البخاري، ابتدأه من باب كيف كان بدء الوحي، وختمه بحديث كلمتان حبيبتان إلى الرحمن.

قال في خطبته: أراد هذا العبد الذليل الفقير إلى مولاه أن يشرح الجامع الصحيح للإمام البخاري شرحاً يبين فيه ما في بعض تراجمه وبعض أحاديثه من الفقه نقلاً واستنباطاً، معتمداً في النقل على فتح الباري للإمام الحافظ ابن حجر، وإرشاد الساري للقسطلاني، وبهجة النفوس للعارف بالله ابن أبي جمرة، وربما نقلت من الكوكب المنير على الجامع الصغير للإمام العلقمي، ومن التوشيح للإمام السيوطي على صحيح البخاري، وربما نقلت من كتب فروع مذهب مالك كمختصر خليل وتوضيحه، وشرح المواق على المختصر، وشرح بهرام عليه، وشرح الدردير، وحاشية الحطاب، ولا أتكلم على شيء ما من علوم الحديث إلا فقهه، فهو المقصود بالذات عندي في هذا الشرح، وإن تكلّمت على غيره نادراً فبحكم التبع وأميّز ما كان لي من الاستنباط بصيغة قلت، لأن ذلك من الصدق في العلم مخافة أن يلتبس ذلك بفقه غيري في الحديث، وسميته بنور الحق الصبيح، في شرح بعض أحاديث الجامع الصحيح اهـ.

وختمه مؤلفه بقوله: وقد تمّ هذا الشرح المبارك النافع إن شاء الله تعالى ضحوة الجمعة لثالث عشرة ليلة مضت من الشهر المبارك المحرّم رجب الفرد افتتاح القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، تقبّله الله بمنّه وكرمه، وجعله وصلة إلى حضرة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه، ونفع به كل من نظره أو طالعه أو حصله إنه لا ربّ سواه وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى تابعيهم وتابعي التابعين الى يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير اهـ.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

من فوائد في الثلاثة أشهر: رجب، وشعبان، ورمضان، إلى يوم الختم، وهو اليوم السادس والعشرون من رمضان اهـ.

ثم قال: وتلاه ولده العلم الشهير، والعالم النحرير، الشيخ أبو بكر، فسار بسيرة والده، وقام بعلم الحديث الشريف أحسن قيام، وشهد له بالدراية علماء الإسلام، فكان في هذا الفن نسيج وحده، وحصل له سرّ أبيه وبركة جدّه، إلى أن سار إلى رحمة ربّه في سنة 1093 [1682] فتغيّرت تلك القاعدة وصارت رواية لا غير اهـ. قلت: وهكذا استرسل الأمر من حصر أختام الحديث في الرواية المجرّدة بنيّة التبرّك وحسب في كامل القرن الثاني عشر، ودام العمل كذلك إلى أواخر دولة المرحوم الباي حمودة باشا الحسيني. ففي سنة 1226 [1811] تصدّى العلامة قاضي الجماعة لعهده أبو العباس الشيخ أحمد بن الخوجة الأوّل لإحياء الأختام دراية على معنى الجمع بين فضيلتي الجهة التعبدية، والغاية العلمية العملية الكفيلة بسعادة الدارين، فكان ختمه رحمه الله في باب التهجد[1] من صحيح البخاري مبدأ لنفائس التحقيقات، وبدائع التحريرات، نسج على منواله من بعده علماء الديار التونسية جيلاً بعد جيل، وكان لملوك تونس في الماضي كما في الحاضر عناية بأختام الحديث، يحضرونها مع وزرائهم، وأهل بلاطهم في

---

(1) كان هذا الختم هو أول أختام الحديث دراية بتونس في الدولة الحسينية قرضه رئيس علماء زمانه الشيخ محمد بن قاسم المحجوب الملقب بمالك الصغير بأبيات ننقلها هنا عن أحد الكناشات الخوجية إتماماً للفائدة ونصّها:

لله هذا الذي قد راق وابتهجا ... ومنهج الحق والتحقيق قد نهجا
محكم النسج لا يخشى معارضة ... لأنه بيد الإتقان قد نسجا
نزهت فكري في أفنان ما غرست ... يد الذكاء به مستنشقا أرجا
لم لا وواضعه فرد الزمان ومن ... يعدله منصب الأحكام قد لهجا
قاضي القضاة وفخر العصر منصبه ... من التقدم معروف لكلّ حجا
أوضحت فيه أبا لعباس مجتهدا ... وجه التهجد حتى قام مبتهجا
لا أغمد الله سيفاً أنت مصلته ... من العلوم وفي صدر الحسود شجا
ولا برحت كذا في كلّ قابلة ... تقلّد الختم من أنظاركم حججا



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مواكب حافلة لم يزالوا محافظين عليها إلى هذا الزمان، وفي هذا العصر وسّع مولانا المؤيد بالله ولي النعم سيدنا أحمد باشا باي الثاني خلد الله ملكه في برنامج مواكبه المتعلقة بأختام الحديث في شهر رمضان، حيث قرّر حضوره بالذات في ثمانية من تلك الأختام، زيادة على ختم جامعه بالمرسى. وتلك الأختام الثمانية هي: ختم جامع أبي محمد، وختم جامع حرمل، وختم جامع الحلق، وختم جامع حمّودة باشا، وختم جامع صاحب الطابع، وختم جامع يوسف داي، وختم جامع الزيتونة، وختم جامع سبحان الله. وجميع الأختام بوجه عام تنعقد في تونس هذا الزمان بعد صلاة العصر، وكانت في القديم تنعقد في الصباح وفي المساء على حدّ سواء، وبعضها يبلغ مجلسه لدرجة الازدحام كأختام الشيخ أحمد بن الخوجه الثاني، وأختام الشيخ سالم بو حاجب رحمهما الله. قال في المجلة الزيتونية(م-4): وربما وقع اختيار بعض أهل العلم من رجال هذه الدروس، يعني الأختام، على بعض النوازل الحادثة، فيتناولها بحثاً وتحقيقاً ويبين ما يراه فيها على قواعد العلم. ومن هؤلاء العلامة الطائر الصيت، ومثال التحقيق وسعة النظر، الشيخ أحمد بن الخوجه، شيخ الإسلام المتوفى في ذي الحجة 1313 [1895] فقد كان تناول مسألة العمل بخبر البرق (التلغراف) في الصوم في مجلس ختمه بجامع محمد باي المرادي سنة 1280 [1863] لورود خبر الصوم ببرقية في هذا الشهر، وجاء في الموضوع بتحقيق بديع اهـ. ثم قال: وكان العلامة الواسع الاطلاع، الشيخ محمد النجار، المفتي المالكي، المتوفى في رمضان عام 1331 [1912] يتناول في مجالس أختامه مسائل الوسيلة، والاجتهاد، والكسب، وغيرها، مما صار موضوع أخذ وردّ بين الكاتبين منذ أربعين عاماً اهـ.

وقد ذكرنا فيما تقدّم، أنّ أغلب الأختام بتونس تقع من الجامع الصحيح للإمام البخاري، وقلّ أن تكون من صحيح الإمام مسلم. وممّن كان يختم منه العلامة أبو الفلاح الشيخ صالح النيفر، كبير أهل الشورى



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

المالكية، وكان العلامة أبو النجاة الشيخ سالم بو حاجب يختم من موطأ إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وهو أوّل من كتب على أبوابه في مجالس الأختام(م-5). واتّفق لبعض الشيوخ الختم من كتاب الشفاء للقاضي عياض. ومن ذلك الأختام التي كان يقوم بها أبو العباس الشيخ أحمد جمال الدين، بجامع المرسى، بحضور أمير عصره المولى علي باي الثالث رحمه الله. هذا ولو تصدّى أحد لجمع أختام علماء تونس، لتكوّن لديه عدّة مجلّدات في مسائل شتى من الكتاب والسنّة، صالحة لكلّ زمان ومكان. وقد كنت سعيت لجمع أختام الحديث الواقعة في سنة 1320 وطبعتها فجاءت في سفر جليل(م-6) استغرق أكثر من 260 صفحة في القالب النصفي أهديت منها نسخا لأصحاب هاتيك الأختام ولبعض الذوات الكرام، بنيّة استنهاض همم أهل العلم للنّسج على ذلك المنوال والتّمادي على ذلك المشروع ويلوح أنهم اكتفوا اكتفاء القنوع بما هو مطبوع.

هذا وقد جرت العادة بتونس أنّ صاحب الرواية يقوم في آخر الختم بتلاوة دعاء للمولى الأمير ولعامّة المسلمين يقرأه على رؤوس الأشهاد، والحاضرون يؤمّنون على دعائه. وهي سنّة قديمة درج عليها السلف قبل الخلف. لكن هذه الأدعية كانت في الزمن الماضي خالصة لله تعالى، مجرّدة عن التلميح لأعراض الدنيا، خالية عن التلويح، لغايات في النفس. ولننقل لك على سبيل الذكرى التي تنفع نموذجاً من أدعية بعض من سلف من الشيوخ من أيمة القرن الماضي. فمن ذلك دعاء ختم به الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الرياحي ختمه بجامع الزيتونة ليلة 27 رمضان سنة 1260 [1844]، بحضور أمير العصر، ونصّ عبارته بعد استفتاح جليل بالصلاة والتهليل:

. . . . وأسألك اللهمّ باسمك الأسمى. الذي جعلته من الإدراك في حمى أحمى. أن تتجلّى بحفظ من خفي أسراره. ولطف كامل من لطائف أنواره. على عبدك المشير الذي وفّقته لعمارة الثغور. من البحر المسجور.


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وإسراج مصابيح العلوم بهذا البيت المعمور. نور على نور. وترتيب العساكر ترتيب القلائد في النحور. جمال في الأبصار وجلالة في الصدور. وكم له من مآثر في الإسلام يعلمها العليم. ولا يطمع في إحصائها رقيم. فتبارك الذي من به على هذا الإقليم. وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم اهـ. من «كتاب تعطير النواحي».

وإليك دعاء آخر ختم به جدّي الأقرب أبو عبد الله الشيخ محمد بن الخوجه ختمه بجامع محَمد باي المرادي في 22 رمضان من السنة 1260 المذكورة، بحضور الأمير المشير. وكان موضوع الختم قوله صلّى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ وهم أهل العلم. ونصّ الدعاء بعد مقدّمة جامعة في الابتهال والتوجّه إليه تعالى بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

... وأيدّنا اللهمّ بتأييد من مننت بولايته علينا. وأسديته نعمة إلينا. أميرنا المشير. العديم النظير. الذي قام فينا بحقّ الولاية. وأدّى الينا كمال الرعاية. فأشهر بقطرنا العلم بعد الدثور. ونشر أعلامه بين الخاصّة والجمهور. وصرف الجوائز فيه. وردّ بيت المال إليه. وأكبر موسم الميلاد. وبالغ في العدّة وكمال الاستعداد. لما يتعلّق بإظهار العلم وقوّة الجهاد. فسدّ الثغور. وربط الخيول وأجرى الجواري ورتّب الأجناد. فكن اللهمّ كفيلاً له ونصيراً. واجمع له من خيري الدارين كثيراً. واجعل ذكره خيراً طيباً مأثوراً. وحديثه بين الأنام دائماً بالثناء منشوراً. وارحم أسلافه الطيّبين. واجعلنا وإياه من الطائفة الظاهرين. اللهّم اغفر أوزارنا. واختم بالسعادة أعمارنا. وأجرنا من النار وثقّل لنا الميزان. بحقّ من قال: كلمتان حبيبتان إلى الرحمن. خفيفتان على اللسان. سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم اهـ. من مجموع أختامه.

هذا ويلتحق بأختام الحديث الشريف بحاضرة تونس ختم جامع باردو دار الإمارة وختم جامع جبل المنار وختم جامع المرسى. فالختمان الأوّلان



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

سنّهما المرحوم المولى حسين بن علي مؤسّس جامعيهما. وأما ختم جامع المرسى الذي هو من مآثر الدولة الحفصية كما تقدّمت الإشارة لذلك عند التعريف بالجامع الجديد في الباب الثاني، فإنه من حسنات المقدّس المولى علي باي الثالث، والد سيدنا ومولانا الملك الموجود، متّع الله ببقائه الوجود. ولم نقف بالتاريخ على وجود ختم للحديث بجامع حلق الوادي الذي كان دار ملك في القرن الماضي، ينزل بها الأمير في زمن المصيف، والسبب في ذلك والله أعلم، هو أن جامع حلق الوادي بناه المشير أحمد باي في سنة 1269 [1852] مع قصر الإمارة القريب منه، وتمّ بناء هذا القصر في سنة 1270 [1853] وسكنه الباي أثناء مرضه. إلّا أنّ المنية عاجلته، فختم به أنفاسه في رمضان سنة 1271 [1854]. هذا وقد كان المشير محمد الصادق باي من أكثر الملوك الحسينيين عناية بختم الحديث الشريف. قال في المجلة الزيتونية(م - 7): كان تعجبه المباحثات العلمية والأخذ والردّ فيها. وكان من المسارعين فى البحث بها يومئذ من أهل العلم العلامة شيخ الإسلام أبو العباس أحمد كريّم رحمه الله. ولشدّة عناية هذا الأمير بحضور مجالس الأختام، كان يجمع أحياناً في المساء الواحد بين الختمين[1]اهـ. قلت إن المشير محمد الصادق باي كان شديد المحافظة على التقاليد والسّنن المتبعة في بيت الملك. من ذلك كان يقيم ببيته مجلساً لقراءة دعاء عاشوراء، يقوم بتلاوته الشيخ باش كاتب وزير القلم، واتّفق لهذا الوزير في بعض السنين حصول انحراف بمزاجه منعه

---

(1) اتفق له حضور ختم الحديث بمدرسة بئر الحجار وكان بعزمه الحضور بعدها بختم جامع صاحب الطابع وطال مجلس الختم الأول ويئس صاحب الختم الثاني وهو الشيخ أبو الثناء محمود الأبيّ من قدومه وأقرأ درسه لاقتراب وقت الغروب. ومذ كان الناس خارجين من هذا الختم الثاني، قدم موكب الباي لحضور الختم لأنه سبق منه الإعلام لصاحبه بعزمه على المجيء اليه. فأنكر الباي استعجال صاحب الرواية وعدم انتظار قدومه لآخر لحظة، ومن أجل ذلك أمر بعزله وأسند خطّته لفقيه غيره. قال المؤرخ الشيخ ابن أبي الضياف(م - 8) إنه عزله عن الإمامة ولكنه أبقاه على خطة التدريس بجامع الزيتونة.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

عن إتمام ذلك، فاستناب الشيخ الوالد للقيام مقامه، فقرأ الدعاء بين يديه بالقصر السعيد، بينما كان سموّه مكشوف الرأس، باسطا أكفّ الضراعة لملك الملوك جلّ جلاله. هكذا سمعت من والدي رحمه الله. وأما المشير محَمد باي فلم يؤثر عنه إلا الحضور بختم الجامع الأعظم. وكان ابن عمه المشير الأول أحمد باي لا يتخلّف عن أختام معلومة، منها ختم جامع الزيتونة وختم الشيخ الجدّ بجامع سيدي محرز وختم الشيخ محمد بن سلامة وختم الشيخ محمد بيرم الرابع بالمدرسة العنقية. وكان والده المولى مصطفى باي يحضر بضعة أختام، منها ختم قاضي الجماعة الشيخ محمد البحري بن عبد الستار وختم المفتي الشيخ محمد بن سلامة وختم جامع الزيتونة، واتّفق له حضور ختم المدرسة الباشية، خلافاً لجميع من تقدّمه من آل بيته، لأنها من مآثر الباشا علي باي الأوّل خصيم جدّهم المقدّس المبرور الباي حسين بن علي تركي. واعتماداً على هذه السابقية جاز لابنه المشير أحمد باي زيارة ضريح علي باي المذكور، فيما حكاه عنه الشيخ أحمد بن أبي الضياف في تاريخه(م - 9).

ومن مشاهير أختام العصر الحسيني في القرن الماضي ختما الفحلين النيّرين بهجتي الأوان، اللذين اتفق على فضلهما القلم واللسان، الشيخ محمد بن عاشور والشيخ الطاهر بن عاشور. وكذلك أختام العلامة القدوة الشيخ أحمد بن حسين القمار، والعلامة الفهامة الشيخ محمد بن حمزة الشاهد، والعلامة الدراكة الشيخ محمد النيفر. وهذه الأختام لم تزل مشهورة في نوادي أهل العلم يرجع إليها أهل التحقيق والفهم.

وفي الأزمنة المتأخرة كان المولى محمد الهادي باي كثير الاهتمام بأختام الحديث، حتى إنه قام بحضور مجالسها كلّها في عام 1320 [1902]. وكان ابن عمّه المولى محمد الناصر باي يحضر ختم المفتي الشيخ محمد النجار بجامع حرمل وختم شيخ الإسلام الشيخ محمد بن الخوجة بجامع صاحب الطابع، وختم جامع الزيتونة، ثم صار يحضر في



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

26 رمضان ختم الشيخ أحمد بيرم بجامع يوسف داي مع ختم جامع الزيتونة وتخلّف عن الجميع في سنة 1340 [1921] قبيل وفاته. وكان ابن عمّه المولى محمد الحبيب باي يحضر في مبادىء مدّته سبعة أختام، ثمّ اقتصر في آخر مدّته على حضور ختم جامع يوسف داي من الجوامع الحنفية وختم جامع الزيتونة من الجوامع المالكية. وأما وليّ النعم سيدنا ومولانا أحمد باشا باي الثاني خلّد الله ملكه، فقد ذكرنا عنايته بمجالس الحديث فيما تقدّم من الكلام وهو مسك الختام.

وإليك الآن برنامج جميع أختام الحديث التي تقام بتونس في هذا الزمان، وهي التي عليها أوقاف جارية للرواية من صنيع أهل الخير. ومنه تفهم أن الجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة التي لا يقام بها ختم الحديث، ليس عليها أوقاف خاصّة لرواية الصحيح، أو كان لها ذلك في الزمن الماضي وتناولها التلاشي والاضمحلال. والأيّام التي نذكرها لبيان انعقاد تلك الأختام بعضها موافق لما عيّنه الواقفون وبعضها تناوله التغيير كما سبقت الإشارة لذلك في الأبواب المتقدّمة. وإنما هي في الجملة كلّها موافقة لمواعيد الأختام المصطلح عليها في هذا الزمان.

| محل الختم | تاريخ انعقاد الختم | تنبيهات |
|---|---|---|
| جامع أبي محمد | يوم 8 من رمضان | يحضره المولى الامير |
| جامع حرمل | يوم 11 منه | يحضره المولى الامير |
| جامع الحلق | يوم 14 منه | يحضره المولى الامير |
| مسجد سيدي بو حديد | مثله | |
| ضريح سيدي معاوية | مثله | |
| المدرسة الجديدة | يوم 16 منه | |
| جامع حمودة باشا | يوم 17 منه | يحضره المولى الامير |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| محل الختم | تاريخ انعقاد الختم | تنبيهات |
|---|---|---|
| جامع السبخاء | مثله | |
| تربة الباي | مثله | |
| مسجد الطراز | يوم 18 منه | |
| المدرسة المرادية | مثله | |
| المدرسة المنتصرية | يوم 19 منه | |
| جامع صاحب الطابع | يوم 20 منه | يحضره المولى الامير |
| مدرسة بئر الحجار | مثله | |
| جامع سيدي محرز | يوم 22 منه | |
| ضريح سيدي منصور | مثله | |
| المدرسة المرجانية | مثله | |
| جامع يوسف داي | يوم 23 منه | يحضره المولى الامير |
| الجامع الجديد | يوم 23 منه | |
| جامع باب الجزيرة البراني | مثله | |
| مدرسة حوانيت عاشور | مثله | |
| جامع القصر | يوم 24 منه | |
| مدرسة النخلة | مثله | |
| المدرسة الباشية | يوم 25 منه | |
| المدرسة العنقية | مثله | |
| المدرسة السليمانية | مثله | |
| جامع الزيتونة | يوم 26 رمضان | يحضره المولى الامير |
| جامع باب البحر | يوم 27 منه | |
| جامع القصبة | مثله | |
| جامع الهواء | يوم 28 منه | |
| جامع سبحان الله | يوم 29 منه | يحضره المولى الامير |



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| محل الختم | تاريخ انعقاد الختم | تنبيهات |
|---|---|---|
| زاوية سيدي أحمد بن عروس | مثله | |
| جامع المرسى | مثله | يحضره المولى الامير |
| جامع باردو | مثله | |
| جامع جبل المنار | مثله | |

تلك جملة الأختام التي لا يتخلّف انعقادها في هذا العهد بتونس وأحوازها، ولها أوقاف جارية لرواية الحديث بالجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة التي ينتظم بها سلك تلك الأختام، وواسطة عقدها كعبة العلم جامع الزيتونة عمّره الله بدوام ذكره.

هذا ما بلغ إليه جهد المقلّ في مقام التعريف ببيوت العبادة ومدارس العلم وأختام الحديث الشريف. ممّا كان القصد من تدوينه جمع أخبارها بما احتوت عليه من كلّ تالد وطريف. كتبته احتساباً لوجه الله تعالى، والله وليّ القبول. وقد وافق الفراغ من تحريره يوم السبت لخمس ليال خلت من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف وصلّى الله وسلّم على خير خلقه سيّدنا محمد وآله.


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

# التعاليق

(م ـ 1) المؤنس ص 318.

(م ـ 2) ذيل بشائر أهل الإيمان ص 173.

(م ـ 3) المؤنس ص 317.

(م ـ 4) «الأختام بتونس».
(المجلة الزيتونية) ـ المجلد الأول ـ الجزء الثالث ـ نوفمبر 1936 ص118.

(م ـ 5) يقول فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر في محاضرة ألقاها بتونس سنة 1984 بعنوان «الأختام في تونس» ما يلي: «إن أول من ختم في الموطأ الشيخ حسن الشريف المفتي المالكي خلافاً لما ذكره صاحب «معالم التوحيد». وعندي ختم بخطه...».
(انظر «مجلة الهداية» عدد/1 ـ سبتمبر/أكتوبر 1984 وعدد 2 ـ نوفمبر 1984).

(م ـ 6) كتاب «أختام تونس وضواحيها لسنة 1320هـ» صدر في سنة 1321هـ، بدون إشارة إلى اسم من جمع تلك الأختام.

(م ـ 7) «الأختام بتونس» المرجع السابق.

(م ـ 8) «الإتحاف» ج 8 ص169 — 170.

(م ـ 9) «الإتحاف» ج2 (النشرة الثانية) ص 173.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

# التقاريظ



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

# عبارة الخطّ الملكي الشريف
# المطرّز به صدر التأليف

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد فقد اطلعنا على هذا الكتاب الذي لم ينسج قبل على منواله. في بديع أسلوبه وغزارة فوائده وعميم أنقاله وأقواله. كيف لا ومؤلفه ممن غرف من بحر العلم واستفاد. ونبغ في الإحاطة بأخبار مملكتنا ومآثرها وأجاد. نعني به الهمام الأحظى العالم المؤرخ أمير الأمراء ابننا سي محَمد ابن الخوجة مستشار الحكومة التونسية. أسبغ الله عليه نعمه. وأعانه على ما توفّق له من نشر مفاخر السلف. ليستفيد بمطالعتها الخلف. فنشكره عن هذا السعي الجليل. والصنيع الجميل. والسلام من الفقير إلى ربّه تعالى عبده أحمد باشا باي صاحب المملكة التونسية وفقه الله. وكتب في 6 جمادى الثانية وفي 24 يولية سنة 1939/1358 .



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

# تقاريظ الكتاب

الحمد لله. بعد أن صدّرنا هذا التأليف بـالخط الملكي الشريف نختمه بنشر ما تفضّل به علينا بعض الإخوان والخلّان من أصحاب المعالي الـوزراء الفخام، وأربـاب الفضيلة العلماء الأعـلام، وغيـرهم من ذوي الحيثيات والمظاهر العالية، ومن كان لهم علينا في مقام التّحبيذ والتّنشيط المزية الخالدة والمنّة الباقية، لما واصلونا به من التقاريظ الفاخرة، التي جعلت جوارحنا لهم شاكرة، وألسنتنا بفضائلهم ناطقة وذاكرة.

**[تقريظ السيد الهادي الاخوة]:**

فمن ذلك ما كتبه مقام عضد الإمارة، ويمين الدولة وصدر الوزارة، شـامخ الحسب، شـريف النسب، صاحب الأخـلاق الزكيـة، والسياسـة المرضية، والمساعي المشكورة، ومآثر الخير المذكـورة، نادرة الـزمان، وقطب دائرة الأوان، الفـذّ الذي أشـرقت في أفق المعالي أنـوار بدوره الطالعة، واكتست ببهجة الكمال، ورونق محاسن الخصال، مظاهر شموس عزه الساطعة. الهمام الأفخم، والملاذ الأكرم، أخي الحميم، ومستودع ودادي في الجديد وفي القديم، جناب المولى الوزير الأكبر أمير الأمراء سيّدي الهادي الأخوه لا زال سعيداً زمانه، رفيعاً مكانه.

وهذا نصّ كتابه:

جناب الهمام الأعز الأحظى نخبة الأعيان، ومفخرة الزمان، أخونا أمير



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الأمراء سيدي محَمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية أدام الله حفظه، وأجزل من السعادة حظه، السلام عليكم ورحمة الله. وبعد: فقد تناولت بيد الممنونية والإعجاب هديتكم الثمينة التي هي مؤلفكم الموسوم بتاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد، فألفيته مصدر إفادة، وعنوان إجادة، قد حسن فيه التركيب والتبويب، وحوى من عيون الأخبار التاريخية أوفر نصيب، خصوصاً وقد تناول غرضاً شريفاً ألا وهو حديث تأسيس المعالم الدينية، بهاته الإيالة وما هنالك من وثائق تاريخية، كشفت في هذا الموضوع الستار، عن جليل الأخبار، ودلّت على عناية أهل هذا القطر السعيد، بمعالم التوحيد، فأعظم به من سفر أسفر عن معلوماتكم الغزيرة، وآرائكم المستنيرة، ودلّ على ما لكم من علوّ الكعب في التحرير والتحبير، وإني لمبتهج غاية الابتهاج، بهدّيتكم القيّمة التي سلكتم فيها أحسن منهاج، وختاماً أدعو لكم بالإعانة على الاستزادة في هذا السبيل الذي برزت فيه براعتكم، وظهرت براعتكم، ودمتم بحفظ الله. والسلام من الفقير إلى ربّه تعالى أمير الأمراء الهادي الاخوة الوزير الأكبر وفّقه الله تعالى. وكتب في 9 جمادى الثانية وفي 27 جويلية سنة 1939/1358.

**[تقريظ السيد عبد الجليل الزاوش]:**

ومنها ما كتبه عين الأعيان، وزينة العصر والأوان، صاحب المساعي الفاخرة، والفضائل الكثيرة الباهرة، الهمام المفخم، والمقام المعظم، ركن المعالي، وبهجة الأيام والليالي، ومفخرة تونس في السابق والتالي، ديباجة المعارف، المتجمل بتليدها والطارف، أخونا أمير الأمراء سيدي عبد الجليل الزاوش وزير العدلية، صانه رب البريّة.

وهذا نصّ كتابه:

جناب الهمام الأعز أمير الأمراء أخينا سيدي محَمد بن الخوجه مستشار الدولة التونسية دام إسعاده بمنه تعالى. أما بعد تقديم أزكى السلام



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

عليكم ورحمة الله، فقد تشرفت بهديتكم السنية، وتحفتكم المرضية، أعني تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد لتاريخ الجوامع والمساجد العتيقة بالحاضرة. فوجدته على غاية ما يرام من التدقيق، ونهاية ما يرغب من التحقيق، بارك الله فيكم وأكثر من أمثالكم سيما وقد كان أخوكم عند حضوره مع الحضرة العلية دام لها العز والبقاء في أختام رمضان ببعض جوامع الحاضرة يودّ أن يطلع على تاريخ تلك الجوامع ويتأسف ككلّ تونسي على عدم وجوده ولو باختصار، وقد تمّ ذلك الآن والحمد لله. وليس هو إلا بحزمكم وعنايتكم بتاريخ هاته الديار، دام عمرانها. فندعو الله أن يمتعكم بالصحة والعافية ويعينكم على مشروعاتكم التاريخية الجليلة، والسلام من حافظ ودكم أخيكم فقير ربّه عبد الجليل الزاوش عفي عنه. وكتب في 3 اوت 1939.

**[تقريظ السيد أحمد بن الرايس]:**

ومنها ما كتبه الهمام الأحظى، والشهم الفخيم الأرضى، صنو المعالي، الممتاز بكريم أخلاقه وفضله المتلالي، صاحب المساعي الحميده، والآراء الرشيده. نخبة الأعيان، من أهل الرفعة والشان، المحبّ لخير الوطن، المتجمل بحلّة الذكر الحسن، صديقنا أمير الأمراء سيدي أحمد بن الرايس باش كاتب ووزير القلم والاستشارة حرس الله بهجته.

وهذا نصّ كتابه.

الحمد لله فاتح أبواب الكمال، ورافع راية العلم فوق هام الرجال، أهل الإصلاح والرشاد، وناشري الفضائل بين العباد، والصلاة والسلام على من أسس أول مسجد جمع فيه الناس للعبادة، وعلى الآل والأصحاب، نجوم الاهتداء وبدور السعادة، وبعد: فقد طالعت هذا التأليف الثمين، والمنهل العذب المعين، الذي أقيمت قواعده على التوحيد، وسمّاه مؤلفه العلامة بمعالم التوحيد، فكان خير كتاب أخرج لأهل هذه البلاد، ونشر به



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

صاحبه معالم الفضل والإرشاد، كيف لا ومؤلفه صديقنا المحقق الجليل، والمؤرخ الفاضل النبيل، سليل المجد والكرم، من أمطرت سماء بيته من سماء العلوم أعظم الديم، أمير الأمراء سيدي محَمد بن الخوجه دام عاملاً في سبيل إسراج نور بلاده، ومفيداً بالتأليف كلّ قاصده، ونفع بتأليفه المفيد كلّ الإخوان، على ممرّ العصور والأزمان، حرّره الفقير إلى ربه أحمد بن الرايس وزير القلم والاستشارة في 10 جمادى الثانية وفي 28 جويلية سنة 1939/1358.

**[تقريظ الشيخ محمد بن يوسف]:**

ومنها ما كتبه شيخ الشيوخ، وطود الرسوخ، صدر الشريعة، وركن ساحتها المنيعة، وحامل رايتها الرفيعه، ليث العرين، ومن ليس له في العلم قرين، علم الأعلام، وبهجة الإسلام، إمام الأيمّة. ومرجع أهل الرأي في كلّ مهمة، بقية السلف، وبركة الخلف، العلم الهمام، الحجة أفضل الفضلاء الشيخ سيدي محمد بن يوسف شيخ الإسلام الحنفي بالمملكة التونسية أدام الله وجوده للأنام. تفتخر به تونس على الدوام.

وهذا نصّ كتابه:

الحمد لله الذي يسّر أقلام البلغاء لنفائس الآداب، وأظهر من ودائع سطورها نوادر الأخبار، وذخائر الآثار، بصائر للناس وذكرى لأولي الألباب، والصلاة والسلام على نخبة الأصفياء، وخاتم الأنبياء، سيدنا ومولانا محمد أفضل من نطق بالصواب، وأوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب، وعلى العترة الطاهرة وسائر الأصحاب، وبعد: فقد وقفت على هذا التأليف المبارك الوحيد، والطالع السعيد، بل العقد الفريد، في معالم التوحيد، وسرحت الطرف في نواحيه، وتوجهت تلقاء مناحيه، فأبصرت موضوعا شريفا عاليا، ومجموعا منيفا بالفوائد حاليا، استوعب المعاهد الدينية بالحاضرة التونسية، والتعريف بمؤسّسيها، وأرباب وظائفها ومتولّيها، إلى



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

شذرات فقهية، ونفثات أدبية، وصفحات تاريخية، فهو المستودع الفسيح الرحب، والمشرب الحلو الحلال العذب:

تخـالفت الآراء في نعت حسنـه فكـلٌّ لـه فيمـا انتقـاه طـريق
فقـال فريق إنـه الـزّهـر ضـاحكـا وقـال بـل الـزّهـر النّجـوم فـريق

وعندي وأنا ثالث الفريقين أنه:

كتاب كوشي الرّوض خطت سطوره يـد ابن هلال عن فم ابن هـلال

بارك الله لنا في منشيه، ومدبّج حواشيه، حامل لواء البيان المؤرخ الكبير، والأثري الناقد البصير، سعادة الهمام المفخم أمير الأمراء سيدي محَمد بن الخوجه المستشار، ومن إلى فضله ببنان المفاخر يشار. وما هذه بأول حسنة من مواهبه العلمية، ومحرراته الأدبية، أدام الله إجلاله، وحرس بمنّه مجده وكماله.

حرّره الفقير إلى ربّه عبده محمد بن يوسف شيخ الإسلام الحنفي بالمملكة التونسية لطف الله به.

**[تقريظ الشيخ الطاهر بن عاشور]:**

ومنها ما كتبه حجة الإسلام، واسطة عقد الأعلام، ونادرة الليالي والأيام، الأستاذ النفاع، المنتشر فضله انتشار الشمس على يفاع، مفخرة الشّمال الإفريقي، وعنوان مجده الحقيقي، العلاّمة الإمام، ومن انتهى اليه علوّ الكعب في كلّ مقام، فخر الشريعة، الواقف على أسرارها ومحاسنها البديعة، سليل النسب الأطهر، وشامخ الحسب والكمال الأظهر، أخـونا الحميم، وصديقنا الكريم، الشيخ سيدي الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالكي بالمملكة التونسية، لا زالت ساحته محاطة بسياج العناية القدسية.

هذا نصّ كتابه:

حمداً لمن رفع لمعالم التوحيد ذكرا، وأودع في آثارها للناس عظة


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وذكرى، وصلاة وسلاماً على رسوله المرفوع اسمه بأعالي المنائر، والمخلّد شرعه بمتجدد ما يرتّل في المحاريب ويخطب على المنابر، وعلى آله وأصحابه الذين زانوا بالعلم والشجاعة مهارق التاريخ، فتضاءل دونهم في الأمرين مثل شرف عُطارد والمرّيخ، وشكراً له تعالى على أن أطلع لسماء هذه الإيالة نجوماً، وجعلهم آية مجدها فآمنها عند المفاخرة عياً ووجوماً، وبخاصة نجوم كلما انقض منهم كوكب بدا كوكب، فتألقوا تجمّعاً وتعاقباً في مطالعهم تألقاً يبهر ويعجب، أولئك الذين توارثوا المجد العلمي خلفاً عن سلف، كمثل عميد البيت الخوجي الذي ارتشف من معين العلم واغترف، صديقي الحميم، ومستودع ودّي الراسخ القديم، الهمام المجيد، والكاتب المجيد، مستشار الدولة وأمير الأمراء، وحامل راية كتابتها بلا مراء، سيدي محَمد بن الخوجه دامت أفئدة أهل الأدب من آثاره مثلوجة، فإنه لا زال بهجة البصر والسمع، أتحفني بكتاب نال ما شرط لمحامد التأليف والجمع، كتاب سمّاه تاريخ معالم التوحيد، في القديم وفي الجديد، وافاني يمتّ بسببين، سبب الأخوة المتين العرى، وسبب الصلة الأدبية، فحق له أجمل قرى، فلما تأملته مليّاً، وأعملت فيه نظراً قصّياً، وجدته قد وفّى من تعريف معالم الدين والعلم بتونس بما كان على أهلها دينا، واستحقَّ بصنيعه شكرين، إذ أرضى به تاريخاً ودِيناً، هنالك أبهجني سديد منهجه، وشكرت لمتروحه في مسير التحقيق ومدرجه، ثم عجمت يراعه، وشمت بارق نوئه وشعاعه، فإذا هو يسح وابلاً من الفوائد كانت الناس اليه عطشى، ويفيض أنهارا غشاها من الصافي المشمول ما غشى:

وحديثه كالقطر يسمعه راعي سنين تتابعت جدبا

فلله يراع لم يضر من هزه أن لا يهز مهنداً، وأنامل نرجو لها حظّاً من إشارة حديث من بنى لله مسجداً، حرره حليف ودّه، وحافظ عهده، محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالكي بتونس في جمادى الثانية وجويلية عام 1358/ 1939 .



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

[تقريظ الشيخ صالح المالقي]:

ومنها ما كتبه أقضى القضاة، وجوهرة أهل العلم المنتقاة، قطب دائرة الإصلاحات العلمية، ومن له في كلّ حركة فضيلة ومزيّة، الفذّ الذي ليس له نظير، فارس ميدان التحرير والتحبير، العلامة الهمام، فخر علماء الإسلام، الأستاذ الأكبر، والعلم الأشهر، الشيخ سيدي صالح المالقي شيخ جامع الزيتونة وفروعه، السّاهر بعين الجدّ على إنتاجه وزروعه، لا زالت عزائمه ماضية، وخدمته في سبيل العلم مرضية راضية.

وهذا نصّ كتابه:

نحمدك يا من جعلت أخبار الماضين لمن بعدهم عبرا، وقصص الغابرين لمن خلفهم أثرا، وإن في ذلك لعبرة لمن رعاها واعتبر، وذكرى لمن وعاها واذكر، تضيف إلى عمر مطالعها أعمارا، وتكسب المتبصر فيها خبرة واستبصارا، وتدني القاصي منها وإن شط مزارا، لا سيما ما كان منها من مآثر ذوي البرّ والإحسان، والمشاريع الخيريّة الخالدة على ممرّ الزمان، وعمارة مساجد إنما يعمّرها من آمن بالله واليوم الآخر، وبناء معاهد يباهى بها في نشر العلوم ويفاخر، ونصلّي ونسلّم على رسولك المؤيّد منك بباهر المعجزات، والحاثّ على وسائل بثّ العلم وجاري الصدقات، وعلى آله وصحبه أولي الفضل والمبرات، أما بعد: فقد اطّلعنا على التأليف القيّم المفيد، الموسوم بتاريخ معالم التوحيد، في القديم وفي الجديد، الذي نسجت برده يد العالم الفاضل، عين الأعيان وسليل الأفاضل، الماجد النبيل، والمؤرخ الجليل، ومن له في تمحيص صبح الأخبار الحظ الجزيل، الهمام الأعز أمير الأمراء، ونخبة الكتاب والخبراء، سيدي محَمد ابن الخوجه مستشار الحكومة التونسية، أدام الله حفظه، وأجزل من السعادة حظّه، الذي أحيا به ما اندرس أو كاد من آثار أسلافنا الأول، بما تداول عليه من العصور الخالية والدّول، وأوشك أن تنسج على تواريخه عناكب النّسيان، ويؤول بتطاول الأحقاب إلى التّرك والنّسيان، ولكن تنقيب ذلك


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

البحاثة المطلع قرّب بعيده، وقيّد شريده، فقام ـ شكر الله له ـ بهذا المهمّ الجليل، والسعي المغتبط الأجل، وليس ذلك بأول حسنة لهذا الفذّ الغطريف، والأديب الظريف، بل كثيراً ما أهدى إلينا نتائج مجهوداته، وأتحفنا ـ ولا زال يتحفنا ـ بخرائد مبتكراته، فشكراً له شكرا، وحسبي اليوم أن أقول في هذا التاريخ الجامع، الذي تحتفل له النّوادي العلمية والمجامع، إنه لتحرير جمع بين صحّة النقل وسلاسة التعبير، يمثّل في فنّه مؤلفاً جليلاً، يستوجب من المطالع له ثناءً جميلاً، قاله وكتبه بقلمه فقير ربه عبده صالح المالقي شيخ الجامع الأعظم وفروعه لطف الله به في ثاني الجمادين من عام ثمانية وخمسين وثلاثمائة وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف.

**[تقريظ الشيخ الطيب بيرم]:**

ومنها ما كتبه فخر الأعلام النّاسج في سلوكه على منهج أسلافه العظام، من أقطاب أيمّة الإسلام. الفذّ الذي اشتهر فضله بالآفاق، وأحرز قصب السبق على الإطلاق، طود الفتوى، وساعدها المتين الأقوى، المتحلّي بطريف المجد وتليده، الممتاز بقلادة العلم في جيده، الهمام العلاّمة النّحرير، والفذّ الذي ليس له نظير، التّقيّ النّقيّ صديقنا الشيخ سيّدي محمد الطيب بيرم المفتي الحنفي وأستاذ التعليم العالي بجامع الزيتونة، لا زالت طلعته آمنة مأمونة.

وهذا نصّ كتابه:

جناب الشّهم الهمام، العالم الإمام، عريق النسب، وصاحب المجد والحسب، صديقي المفضال، وبالغ ذروة الكمال، من جواهر علومه مزجوجة، أمير الأمراء الشيخ سيدي محَمد بن الخوجة، مستشار الحكومة التونسية، حفّه ربّ البريّة، بألطافه الظّاهرة والخفية، وبعد التحية العاطرة الزكية، فقد تشرّفت من جنابكم بأعظم هدية، ألا وهي ذلك الكتاب الذي



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

طابق اسمه مسمّاه، ولم يكن في بابه من حذا حذوه وتوخّاه، وبتصفّحه وجدناه جديراً بالتّمجيد، وحقّ له أن يسمّى بتاريخ معالم التوحيد، في القديم وفي الجديد، إذ إنه احتوى على تحرير مفيد، وتحقيق يروي المريد، ولا يقول مطالعه بعد هل من مزيد، فهو الدّر المكنون، والعقد المصون، فجازاكم الله تعالى خيراً عن هذا القطر المحروس، إذ خدمته خدمة تحيي النفوس، وترفع الرؤوس، حتى يقال لا عطر بعد عروس، والله تعالى يديم نفعكم، ويحرس مجدكم، والسلام من حافظ ودّكم الفقير إلى ربه تعالى عبده محمد الطيب بيرم المفتي الحنفي، حفّه الله تعالى بلطفه الظّاهر والخفيّ. تحريراً في جمادى الثانية وفي جويلية سنة 1358/1939 .

[تقريظ الشيخ محمد العزيز جعيط]:

ومنها ما كتبه أوحد العلماء العظام، محرز قصب السّبق في كلّ مقام، العلّامة الهمام، وحسنة الأيام، بحر العلوم الزّاخر، ومصداق كم ترك الأوّل للآخر، عمدة أهل الرّواية والدّراية، ومن عليه الاعتماد في كلّ غاية، المحقّق النّقّادة البصير، الذي هو للجانب الشّرعي ولدوحة العلم أعظم نصير، الفذّ الذي به تاج الإمامة قد نيط، الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط، المفتي المالكي وأستاذ التعليم العالي بجامع الزيتونة، لا زالت فضائله مذكورة، ومساعيه في سبل الخير مشكورة.

وهذا نصّ كتابه:

الحمد لله الذي أولى بيوته العامرة بذكره مزيد العناية، وجعل المتعلّقين بها في ظلّ الكرامة وكنف الرّعاية. والصّلاة والسّلام على سيدنا محمد مطلع الكمال ومنبع الهداية، وعلى آله وصحبه بدور الرّواية وأقطاب الدّراية، أما بعد: فقد طالعت التأليف الموسوم بتاريخ معالم التوحيد، في القديم وفي الجديد، فوجدته جنّة إفادة دانية القطاف. وكعبة إجادة واجبة المطاف، يتنقّل مرتاده من طريف خبر، إلى عظيم أثر، ومن لطيف فكاهة


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

إلى سديد نظر، ومن تعريف واف بمعالم العبادة، إلى بيان مفصّل لمرابع الإفادة، ومن ترجمة أمير أو وزير، أو عالم خبير أو وليّ لله كبير، أو فاضل ذي شأن خطير، إلى تقييد شاردة توارت بحجاب الاستتار، وتسجيل فائدة خلت منها بطون الأسفار، فجدير أن يوصف هذا العلق النفيس بأنّه قيد الأوابد، ومظهر الخرائد ولله درّ مؤلفه الذي أحيا ما اندثر، وأظهر ما استتر، وصيّر ما كان دون الوصول إليه خرط القتاد، سهل القياد في متناول كلّ مرتاد، والله يجزيه الجزاء الموفور، على هذا الصّنيع المشكور، الشّاهد بما تعورف به هذا العلّامة الوحيد، من الباع الطّويل في العمل المجيد، لا زال مورداً عذباً للمستفيد، ولا برح جامعاً بين الفضل الطّارف والتليد، كتبه الفقير إلى ربّه عبده محمد العزيز جعيط المفتي المالكي أخذ الله بيده وحرّر في جمادى الأخيرة عام 1358.

**[تقريظ الشيخ محمد بن الخوجة]:**

ومنها ما كتبه علم البيت، وفخر حيهم والميت، أليف العفة وحليف التّقوى، وحبل الله المتين حول هيكل الشّريعة والفتوى، حفيدي في الطبقة، وأخي في العمر والدّم والشفقة، الإمام العلّامة، الغنيّ بشهرته عن التّعريف والعَلاَمه، الهمام النّحرير، المتحلّي من الكمالات بالقدر الوفير، الشّيخ سيدي محمد بن الخوجه المفتي الحنفي وأستاذ التعليم العالي بجامع الزيتونة أسبغ الله عليه نعمة العافية، ورزقه السّلامة والسّعادة الوافية.

وهذا نصّ كتابه:

الحمد لله الذي جعل من تعلّق قلبه بالمساجد من السّبعة المظلّلين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا ومولانا محمد ذي الجاه العظيم والشّفاعة الكبرى يوم الدّين، وعلى آله وصحبه والتّابعين، لهم بإحسان إلى يوم اليقين، وبعد: فقد تصفّحت من هذا الكتاب القيّم ما سبرت به غوره، واستجليت به نوره، فإذا هو آية إبداع، وطرائف عرفان وإمتاع، قد دبّجه



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

يراع صنونا العلم الهمام ذي الثّقافتين، المتلقي لراية المجد باليمين، الخطيب الأكتب الذي كلّما خطّ أو خطب امتلك الأبصار والأسماع، المشتهر في العالم العلمي شهرة تنقطع عندها الأطماع. أبي عبد الله أمير الأمراء الشيخ سيدي محمد بن عم أبينا المقدس المبرور الشيخ سيدي البشير بن الخوجه. لا زالت سبله في المعارف منهوجة. وصدور الحقائق بتحاريره وتحابيره مثلوجة. والأمل في الله تعالى أن يفتح له من المعارف أبوابها. وأن يذلّل لعلي همته صعابها. حتى يردف هاته الحسنة بأخواتها. وتشعّ أنوار مصابيحها من مشكاتها. ما سحر الألباب حسن البيان. وحمدت العواقب بما حوت من إحسان. والسلام الأتم الازكى عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته من كاتبه فقير ربه عبده محمد بن الخوجه المفتي الحنفي لطف الله تعالى به وكتب في 15 جمادى الثانية وفي 2 اوت سنة 1358/ 1939.

[تقريظ الشيخ بلحسن النجار]:

ومنها ما كتبه العلامة الجليل. والدراكة الفهامة النبيل. يمّ المعارف الذي لا يدرك منتهاه. وخضم الفضائل الذي بلغ به الزمان مناه. زينة النوادي العلمية. ومرجع أهل الفتوى بتحقيقاته الفقهية. المقتفي في سلوكه خير المسالك. المعتزّ به في ساحة الشريعة مذهب مالك. الهمام النقادة. ومظهر الإجادة ومحلّ الإفادة. الشيخ سيدي بلحسن النجار المفتي المالكي وأستاذ التعليم العالي بجامع الزيتونة لا زالت فراديس العلم بأنواره زاهية. قطوفها دانية.

وهذا نصّ كتابه:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه..

أما بعد فإن البحث عن خطط حاضرة تونس ناحية من نواحي الآداب التونسية حرية العناية. ولكن أغفلها اهلها وكانوا فيها من الزاهدين.


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

فكان ديناً على حملة الأقلام من أهل العلم القيام بهذا المهم إلى أن توجهت إليه همة العلامة النبيل والبحاثة النحرير أمير الأمراء سيدي مَحمد ابن الخوجه مستشار الدولة التونسية وهو من عرفه الناس بدراساته المفيدة وأبحاثه النافعة. في مختلف المواضيع بفكر ثاقب وتجربة الحكيم. فألف كتابه القيم (معالم التوحيد. في القديم وفي الجديد) فجاء سداداً للدين ووفاء بذمّة الأدب.

الكتاب هو كاسمه في التعريف بالمعالم الدينية التونسية وما إليها ويتخلّص مؤلفه أمتع الله به بالمناسبة إلى ما تهمّ معرفته من لطائف تاريخية، ونكات أدبية وأبحاث علمية، من كنز ذخائره النّفيسة وأعلاقه المنتقاة ودليل على اللبيب اختياره.

ولولاه لبقيت تلك الفوائد الثمينة في طيّ الخفاء، فشكراً له شكراً.
حرّره بلحسن النجار في 22 جمادى الآخرة سنة 1358.

**[تقريظ الشيخ محمد المختار بن محمود]:**

ومنها ما كتبه الفذّ الذي طلع في سماء العلم نجماً، وتشخص في نواديه تحقيقاً وفهماً وحزماً، زعيم أهل العلم من النشء الفالح، الدّارج في سلوكه على سنن السّلف الصالح، أمين الفتوى، ونصيرها في السرّ والنجوى، الهمام المبرز في ميادين التّحرير والتّدوين، ناشر راية الفضل المبين، وعنوان الرّقيّ الزّيتوني بلامين، العلاّمة المدرس من الطبقة العليا الشيخ سيدي محمد المختار بن محمود المفتي الحنفي لا زالت رايته العلمية خافقة، ودروسه بالإجادة والإفادة ناطقة، ولا زال محلّ الوداد والإخلاص من أصدقائه المعجبين بكمالاته، المبتهجين بمواهبه وفضله وآياته.

وهذا نصّ كتابه:

الحمد لله الذي يدّخر من فضله ما يقوم به الدليل على أنّ نعمه لا



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

تنفد، وأنّ آلاءه كلّ شيء عليها يشهد، والصّلاة والسّلام على الرّسول الأكرم الأمجد، الذي اختصّ في السماء باسم محمود وفي الأرض باسم محمّد، وعلى آله وأصحابه الذين اتهم كل واحد منهم في المعالي وأنجد، ولأن في السلم وفي الحرب أبرق وأرعد، وكلّ من تبعهم من العلماء والفضلاء إلى يوم لا ينفع فيه إلاّ عمل يقدّمه الإنسان بين يديه وبه يسعد، ويفوز بالنّجاة من العذاب الشّديد والعيش الأنكد، أما بعد: فإنّ أفضل عمل يخلّد به الإنسان ذكره، ويسجّل به على مرور الأيّام شرفه وفخره، ويستحقّ به التّقدّم والأوّلية، بين أصحاب المكارم والمراتب العليّة، العمل العلمي الذي لا يفنيه طول الزّمان، ولا يبليه تكرّر الحدثان، وقد كان العلماء ـ ولا يزالون ـ يجعلون من أثر العالم دليلاً عليه، وعملاً صالحاً يقدّمه بين يديه، فمن أجل ذلك توجّهت همم العلماء المحقّقين، ورجال الفكر النّابغين، إلى تصنيف التآليف وإبداعها، واستنباط فنون الكلام واختراعها، فارتفع شأن المكتبة العربية على اختلاف القرون، حتّى كانت أغنى مكاتب العالم وحتى أمكن لأعداء الإسلام أن يتخذوا من أسفارها جسراً يمرّون عليه بخيلهم ورجلهم في بعض الفنون، هذا وإنّ بلادنا التّونسية، صانها الله من كلّ بلية، ووقاها من كل رزيّة، وأدام عزّها وأمانها. وأيّد سلطانها ودعّم أركانها، كانت من قديم الأزمان منبتاً للمكارم والفضائل، ومرتعاً خصيباً للآثار الجلائل، فسوق العلم فيها نافقة، وأهل المكارم على أبوابها متسابقة، وعلى منوالها ينسج النّاسجون، وإلى الوصول إلى مثلها الأعلى يعمل العاملون، ومعالم الدّين فيها مشيّدة الأركان، عظيمة الشّان، تتيه على عواصم الإسلام وتجرّ ذيل فخرها، بجامع الزّيتونة الأعظم الذي هو رمز عزّها وواسطة قلادة نحرها، ذلك الجامع الذي أسّسه الصّحابة عند فتح هذه البلاد، وإشراق شمس الإسلام على كلّ حاضر فيها وباد، ثمّ وقع إتمامه على يد من جاء بعدهم من التّابعين، حماة الدّين وليوث العرين، رضي الله عنهم أجمعين، مصداقاً للسّعادة العظمى التي كتبت له في الأزل، أنّه صار أكبر جامعة من جوامع الإسلام وصارت به


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

البلاد التونسية في ميدان العلوم والمعارف الإسلامية مضرب المثل، تشدّ إليه الرّحال من جميع الجهات، للكرع من مناهله العذبة والأخذ عن أيمّته الثّقات، أدام الله عمرانه بدوام ذكره، ووفّق أهله للعمل الصّالح حتى يكونوا ممّن قدّر فضل الإنعام بشكره، ولكن رغماً عمّا اشتملت عليه البلاد التونسية، من الآثار الدّينية. والمفاخر الجليّة، فإنّه لم يتصدّ أحد لجمع تلك المآثر من جميع نواحيها، والإحاطة بأخبار مؤسّسيها، وإفاضة القول فيما مرّ بها من أطوار، وما أبقت من معالمها يد الإعصار، اللهّم إلا نتفاً مبثوثة في صفحات بعض التّواريخ التّونسية، أو الرّسائل الخصوصيّة، تسلّي العليل، ولا تشفي الغليل، وقد بقي أمر تلك المآثر على ما وصفناه، من إهمال لحفظ تاريخها من بدايته إلى منتهاه، حتى توفّق إلى سدّ هاته الثّلمة، ومعالجة هاته الكلمة، حضرة الهمام الأعزّ، وذخر المعالي المكتنز، ومن به هذا القطر يتباهى ويعتزّ، نخبة الأقران، وصفوة الأصدقاء والخلّان، جامع الفضائل على اختلاف أصنافها، ومخرج اللآلي من بطون أصدافها، من ألقيت إليه مقاليد مهمات الوظائف الدّولية، فزانها بعلومه ومعارفه ونفسه الكريمة الأبّية، الجامع بين شرف الحسب والنّسب، وكرم النفس والأدب، من لم تزل بيتهم كعبة العلم المحجوجة، صاحب المعالي المستشار سيدي محَمد بن الخوجة، أدام الله إسعاده، وبلّغه مراده، فإنّه حفظه الله قد قام بأعباء هذا العمل ذي العبء الشّديد، المتوقّف على بسطة في العلم والرّأي الرّشيد. فألّف هذا الكتاب الذي سمّاه (تاريخ معالم التّوحيد، في القديم وفي الجديد) فكان موفّقا في عمله غاية التّوفيق، مؤيّداً بحسن النّيّة إلى سلوك أقوم طريق، فجاء كتابه فذّاً في بابه، إماما في محرابه، بسط في تاريخ الجوامع بالعاصمة التّونسية من تاريخ الفتح الإسلامي إلى هذه الأيام، بأسلوب على غاية من الدّقّة والإحكام، وسلك فيه مسلك فحول المؤرّخين، ينقد بعض الأخبار والحوادث وعدم قبولها بسلامة الأمين، وكان يمزج ذلك ببعض النّكات اللّطيفة، والتّعريضات الشّريفة، مما يدلّ على علوّ الكعب ورفعة المقدار، وسرعة البديهة وحسن



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الاستحضار، ومن لطائف هذا الكتاب، أنه اشتمل على خمسة أبواب، فكأنّ مؤلّفه أعزه الله استمدّ هذا العدد الثّمين، من عدد القواعد الخمسة التي هي أركان الدّين، ولا غرابة في ذلك فموضوع الكتاب يتعلق بمواضع إقامة أهمّ تلك الأركان، ألا وهي الصّلاة التي هي أعظم قواعد الإيمان، وإنا لنرجو من الله لمؤلّف هذا الكتاب الجليل، الثّواب العظيم والأجر الجزيل، لأنه وإن فاته ثواب من شيّد الجوامع وبناها، فلن يفوته ـ بحول الله ـ نوع من ذلك الثّواب لأنه حفظ ذكرها من التّلاشي بحفظ معناها ومبناها، فإذا يسّر الله له فيما يستقبل تأسيس بيت من بيوت العبادة، ودخل في منطوق: من بنى مسجداً لله ثبتت له السّعادة، فإنه يكون جامعاً بين الأجرين. ومحرزاً على كلتا الحسنيين، والله الموفّق وعليه الاعتماد، والهادي إلى طرق الخير وسبل الرشاد، ليس لمنته غاية، ولا لفضائله نهاية، وإنّما غاية ما يرجو الإنسان من ربّه ذي الكرم والإنعام، أن يمنّ عليه ببلوغ الأماني وحسن الختام. والسلام ـ صح محمد المختار بن محمود المفتي الحنفي كان الله له.

رادس يوم الأحد في 26 جمادى الثانية وفي 13 اوت سنة 1358/ 1939.

**[تقريظ السيد مصطفى صفر]:**

ومنها ما كتبه الفذّ الممتاز بعزّة النّفس وخفّة الروح، الذي انتشر جميل ذكره في البلاد انتشار يوح، الشّهم الهمام، والحسنة التي تتباهى بها الأيام، المقتفي في مسالك التّجديد الصّحيح منهج أبيه، الباذل في ذلك السّبيل صالح مساعيه، معدن الذّكاء والثقافة، وعلوّ الكعب والنّيافه، صاحب الرأي الحصيف، الغنيّ بفضله وشهرته عن كلّ تعريف مقام الابن الرّوحي المحبّ الأودّ. ومن لأبيه عليّ فضل الوالد على الولد. أمير الأمراء سيدي مصطفى صفر شيخ المدينة، لا زالت طلعته محروسة في الحاضر والآتي، والقدر مساعد والزّمان مواتي.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وهذا نصّ كتابه:

سيّدي وأستاذي الأعزّ

وافاني تأليفكم الجديد (تاريخ معالم التوحيد) فابتهجت به روحي قبل أن أتصفّحه، وشغف به فكري قبل أنّ أطالعه، ولا تحسبوا أنّ الخواطر التي أثارها في نفسي مجرّد مشاهدة الكتاب كانت صادرة عن عامل الوفاء بالعهد المتوارث أو عن تأثير الاعتراف بالجميل الذي ما انفكّ عالقاً بفؤادي منذ تغذّيت في فجر شبابي بتلك الدروس الفائقة التي كنتم تلقونها بمدرسة الترجمة العليا والآداب العربية، ومنذ امتطيت بإشارتكم وتحت رعايتكم متن الوظائف الدولية، فإنّني أحقّق لكم أن طربي سلفاً لتأليفكم كان ناشئاً عن كونكم تشخّصون في نظري خاتم فئة قليلة مباركة من المفكّرين التونسيين استفادة في دور عزّت فيه طرق الاستفادة، وأفادت في عصر تعسّرت فيه وسائل الإفادة، فوقفت ما خولتها إيّاه الأقدار الإلهيّة، من الخصال الغريزية، وما أحرزت عليه في الميادين العلمية، على خدمة وطنها وملتها مازجة القول بالعمل مدركة أن الوطنية لا تنحصر في شكلها السلبي من تأوهات وترجيّات، بل إنّها قبل كلّ شيء عنصر إيجابي أسّه الدّراية وقوامه الإنتاج. هذا زيادة على ما أعتبره في ذاتكم من الثّقافة التّاريخية، لا سيما فيما يخصّ بلادنا التونسية، تلك الثقافة التي لم تكن قاصرة كما عهدناه في جلّ مؤرّخينا على سرد تواريخ، والإشارة إلى حوادث، بل كانت شاملة لثمرات أبحاث عميقة، وتحقيقات متكرّرة، وتأمّلات متناهية في كافّة مظاهر الحياة الماضية بما تضّمنته من حوادث ذات أهميّة، وحركات فكرية، وعوامل اجتماعية، واقتصادية، وآثار خالدة، وعوارض بائدة، ومنابع عوائد لم تزل سائدة، بحيث يتجلّى تاريخ القطر في نظركم وفي نظر مستمعيكم وقرّائكم كلّ عصر بما احتوى عليه من المميّزات كما لو عشتم أو عاشوا أطواره، وتتيسر هكذا طرق الاستخلاص المنتج، والمقارنات المفيدة، ويمكن إدراك كنه النّتائج بالوقوف على المقدّمات. فلا غرو إن ظننت



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

بتأليفكم خيراً قبل مطالعته، ولا عجب إن تأيّد حسن ظنّي بوقوفي على جمة فوائده، فكلّ فصل من فصوله يجسّم لقارئه صحيفة تاريخية من أفيد الصحف، على ذكر معالم التّوحيد التي جاد بها السلف، وإنّ ضيق مجال هذه الرّسالة الوجيزة لا يسمح لي بأن نأتي ولو بالتّلميح على ما حواه كتابكم من مظاهر التّاريخ الصحيح. جزاكم الله خيراً على إحيائكم وتخليدكم ذكر مآثر الأوائل، وشفائكم غليل كل مستطلع وسائل، وأبقاكم منبعاً للعرفان، في سعادة وأمان، وعليكم أزكى السلام وعاطر التّحيّة من محبّكم ومجلّكم فقير ربه تعالى وراجي عفوه وغفرانه مصطفى صفر- تحريراً في جمادى الثانية 1358 وفي اغشت 1939.

**[تقريظ السيد محمد سعد الله]:**

ومنها ما كتبه معدن السّؤدد والكياسة، وحامل راية الفخر والرّياسة، فصيح اللسان والقلم، الممتاز بأصالة الرأي التي جعلته كنار على علم، السّاعي في إحياء مجد بلاده بعزم لا يعرف الملل، وحزم لا يتطرّق ساحته الفشل، نصير الأوقاف، الذّائد عن حياضها بسلاح الحقّ والإنصاف، مفخرة الزّمان، النّاطق في كلامه بلسان البيان، الشّهم الهمام الأوحد، النّصوح الغيور الأنجد، ودودنا وصديقنا أمير الأمراء سيّدي محمد سعد الله مدير الأوقاف وآغة بيت المال، شكر الله سعيه، وأدام حفظه ورعيه.

وهذا نصّ كتابه:

الهمام النّحرير، والبحاثة الشهير، العلاّمة الأفضل، والفهامة الأمثل. الآخذ من كلّ علم بأوفر نصيب، والرّامي للمعالي بكلّ سهم مصيب، أمير الأمراء سيّدي محَمد بن الخوجه مستشار الحكومة التّونسية، لا زالت رباع الفضائِل بنتائِج فكره عامرة، وأندية المحاسن بالثّناء عليه عاطرة، السلام عليكم ورحمة الله. وبعد: فقد وجدت عند رجوعي من الدّيار الفرنساوية، تلك التّحفة السّنية، بل الدّرّة البهيّة، التي تفضّلتم بها عليّ فوقعت عندي



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ألذّ وأجلّ موقع لما كنت فيه من شديد الشّوق للوطن العزيز ولخصوص مجلسكم الجليل، ولما سرّحت الطرف في رياضها اليانعة، وارتشفت من سلسبيل حياضها الرائعة، تذكّرت أولئك الأفـذاذ المصلحين الأوّلين من رجال النّهضة الإسلامية الأخيرة كالوزير عبد الله فكري باشا والوزير خير الدين والشيخ محمد عبده ووطنينـا البشير صفـر رأس النهضة التـونسية العصرية، فهؤلاء الأعلام الذين سبقونا للدّار الآخرة كانت لهم اليد الطّولى في النهوض بالأمة الإسلاميـة. وأرى أنّ صاحب تـأليف (تاريـخ معالم التوحيد، في القديم وفي الجديد) جدير بأن يلحق اسمه بقائمة أولئك المصلحين الذين خلّد لهم التاريخ جميل الذّكر وجليل الآثار، لأنه إذا نظرنا إلى أدوار حياته ـ أطال الله في السّعادة عمره ـ ألفيناه كما عرفه النّاس من أهل الكدّ والجدّ، والبحث والتّنقيب، والتّحقيق والتّدقيق، للعمل المفيد والخير المزيد، والإنتاج الجديد.

فأحسن ما يؤمّله التّونسي المحبّ لخير البلاد وسعادة العباد، هو أن يسعى أبناؤنا المثقّفون من أهل هذا الجيل ـ وهم رجال المستقبل ـ للنّسج على منوال إخوانهم السّابقين الذين منهم صـاحب هذا الكتـاب، وفخر الأدب المنتاب.

وبالاطلاع على «معالم التوحيد» يبتهج القارىء بتوفّق المؤلّف لسدّ فراغ أسيف في تاريخ المعاهد الدّينية التّونسية، إذ برهن بتأليفه الجليل على سعة مداركه ودقيق أبحاثه، وانقطاعه للمحافظة والسعي لإحياء آثار السلف الصّـالح والمجـد التونسي الـذي كان ولا زال يهـدده الإهمـال والنّسيان، فأيقظ الله همّة المؤلف وغيرته العلمية لتلافي الحال، فقد صنّف وأجاد، ولما كتب وفّى بالمراد، وحوى تأليفه من المسائل ما لم يحـوه كتاب، فقام أدام الله سعادته بخدمة جليلة فيها أعظم الفوائد للباحثين عن حقائق التاريخ التونسي، ولخصوص جمعية الأوقاف المناط بعهدتها القيام بشؤون تلك المعاهد المقدسة، فيكون ذلك التأليف مرجعاً وعمدة ليس



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

فقط لأهل التاريخ بل لأهل الإدارة على الإطلاق، وخصوصاً لجمعية الأوقاف بالاتّفاق.

فأتقدّم لسعادتكم بوافر الشّكر وجزيل الامتنان، داعياً لسيادتكم بطول البقاء، متمتعاً بتمام العافية والهناء، وتفضّلوا بقبول تحية مجلّكم وودودكم المخلص محمد سعد الله عفي عنه وكتب في 27 جمادى الثانية سنة 1358.

**[تقريظ الشيخ البشير النيفر]:**

ومنها ما كتبه شمس المعارف المتحلّي من العلم بحلّتي التّليد والطارف، فخر علماء تونس، وناشر آيات مجدها وحديثها المونس، محرز الفضل عن خير أب وجدّ. البالغ في نبوغه إلى أبعد حدّ. يمّ الفنون والعلوم. وراوي أسانيدها بالمنطوق والمفهوم. الجامع بين علوم الشريعة وبين الآداب العربية. الضارب فيها بسهم مصيب عند كل ناحية وثنية. الإمام العلامة النقادة. نور المصابيح المضيئة الوقّادة. صديقنا الشيخ سيدي البشير النيفر أستاذ التعليم العالي بجامع الزيتونة أدام الله به النفع. دوام الوتر والشفع.

وهذا نصّ كتابه:

الهمام النحرير. إمام التحرير والتحبير. ونصير العلم والمجد وحسبنا به من نصير. أبو عبد الله أمير الأمراء ومستشار الحكومة التونسية سيدي محَمد بن الخوجه وكفى بالنسب الخوجي مستقر. مجد ثابت الأركان. شامخ البنيان. محفوظ بعناية الله ما طلع النيران. السلام عليكم ورحمة الله. وبعد فقد حظيت بهدّيتكم الجليلة وأثر يراعكم المبارك كتاب معالم التوحيد. ذلكم الكتاب الذي خدمتم به تاريخ معالم الدين بالحاضرة. خدمة يقدرها قدرها كل ذي نفس شاعرة. وتنطلق ألسنة الناس وأولي العلم حامدة لها شاكرة. فقد نشرتم من تاريخها الحفيل. وحديثها الجميل. ما قبرته الأيام من أمد طويل. ولا عجب أن تنطلقوا بما آتاكم الله من همة



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

علية. وغيرة علمية. إلى تدوين تاريخ هـذه المعاهـد على أسلوب لم يسبقكم إليه أحد ـ فيما نعلم ـ فكم لكم في عالم التدوين. من بدايع أثر مبين. أبرزتم به الحقائق. وسلكتم فيه أقوم الطرائق. وجمعتم بين ما وعته الأسفار. وما تقصّه ألسنة الصادقين من رواة الأخبار. وحفظة الآثار. أنسأ الله في أثركم. وبارك في همتكم ويراعتكم. وزادكم عناية بمعاهد دينه وعلومه التي لا تزال مآثر آل بيتكم فيها مرفوعة الراية. محكمة الآية. وأنتم تقومون لها بـما يتطلبه نسبكم الرفيع. ويقضي به علمكم الوسيع. وإنا نرجو بشكركم أن تزيدونا مـن أمثال هذا المؤلف البديع. الذي نبدي القول فيه بالثناء ونعيده. ونعرف فضلكم في تدوينه ونشره ونرى مجال القول في التنويه به متّسعاً والله يحوطكم برعايته. ويمدّكم بإعانته وعنايته. وكتبه حافظ ودّكم محمد البشير النيفر في 17 جمادى الآخرة عام 1358.

**[تقريظ الشيخ محمد مخلوف]:**

ومنها ما كتبه الفاضل النحرير. الممتاز بطول الباع في عالم التأليف والتحرير. جامع شتات الطبقات المالكية. في شجرة النور الزكية. ومرصّع تاج الحكمة العربية. بجواهر الأسرار المازرية. العالم العامل. والفقيـه الضليع الكامل. ودودنا الهمام الشيخ سيدي محمد مخلوف باش مفتي المنستير أدامه الله للعين قرّة. وللنفوس مسرّة.

وهذا نصّ كتابه:

إلى حضرة العالم المتضلع المؤرخ البارع الهمام العمدة أمير الأمراء ونبراس الفضلاء سيدي محَمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية أخذ الله بيده في يومه وغده سلاماً وتحية. وبعد فقد تناولت بمزيد السـرور والفرح والحبور السفر الجليل الذي أسميتموه «تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد» الموجه إليّ من معاليكم بعنوان تذكار المودة القلبية والرابطة العلمية وتلقيته برسم هدية ثمينة وتحفة نفيسة وثمرة يانعة جنتها



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

يدي من ثمار أشجاركم العلمية الظليلة. وتصفّحته وأمعنت النظر فيه فألفيته كتاباً نفيساً وفقتم لتأليفه وفزتم بقصبات السبق في وضعه في مثل هذا الزمان مع مسيس الحاجة إليه إذ إنكم أحييتم به معالم وبعثتم مدارس كاد أن يأتي عليها العفاء. ولا غرو فقد خطته يراعة صاحب الفكر الثاقب والرأي الصائب السياسي المحنك جوهرة سلالة البيت الخوجي المشهور بالجلالة والعلم والعدالة والتحرير والتحبير كابراً عن كابر. كم تشرفت بهم المساجد واهتزت بمواعظهم المنابر. ولا عيب فيه سوى أنه جمع ما ألف لأجله فأوعى واختط طريقاً للناشئين في تأليف خطط تونسية كالخطط المصرية للمقريزي والخطط الشامية للأستاذ كرد علي يستدرك نقص المكتبة التونسية ويدفع العار الملصق بعلماء هذا القطر لعدم اعتنائهم بمعالمه وتقصيرهم في حقّه، إذ إني لم أطلع فيما وقفت عليه من كتب التاريخ والخطط وإن كان قلا على تأليف في الغرض يشفي الغليل بتخطيط المعالم التونسية. وأنتم شكر الله سعيكم بعملكم هذا وأمثاله قد ربحتم الصفقتين ونلتم الحسنيين. أمدكم الله بروح منه ووفقكم لتأليف ما ينشأ عنه إعلاء شأن هذا القطر ونشر ما له من المزايا في ظل الحضرة الشامخة العلية دام لها العز والبقاء. حرّره فقير ربه وأسير ذنبه عبده محمد بن الحاج محمد مخلوف باش مفتي المنستير لطف الله به في 18 جمادى الآخرة سنة 1358.

**[تقريظ الشيخ الناصر الصدّام]:**

ومنها ما صاغته قريحة الشاعر المطبوع. السابح في بحر العلم بالسند المرفوع زنة المحافل الأدبية. وركن الدوحة العلمية. وفخر النوادي النعمانية. ربيع الأبرار. وزينة فضلاء هذه الديار. الإمام الخطيب. الضارب في كل ميدان بسهم مصيب. العالم النحرير. وفارس التحرير والتحبير الشيخ سدي محمد الناصر الصدام المدرس من الطبقة العليا بجامع الزيتونة والإمام الثاني بجامع باردو المعمور، لا زال مصدراً لآيات الكمال. محفوفاً بالإكرام والإجلال.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

وهذا نصّ خريدته:

أوميض برق لاح من أمزانه ... أم كوكب بالأفق في خفقانه
أم ضاء در بالطروس منظماً ... قد صاغه الإبداع من سحبانه
ذي المنطقين (محمد بن الخوجه) ... الممتاز بالتحرير في تبيانه
علم الفضايل والفواضل من به ... صين الفخار وقر في أوطانه
جمع الجوامع معلما (بمعالم) ... رفعت بتقوى[1] الله مع رضوانه
لله ذا السفر البديع فانه ... مستوعب للكل في حسبانه
صنع الحكيم أخي المروءة والحجى ... ذي السبق والتبريز يوم رهانه
شهم سري أريحي ماجد ... ذي همة كالدهر في حدثانه
خبر الحقايق فاستبان سبيلها ... وأضاف أزمانا[2] الى أزمانه
قاد (الكتائب) سيفه ويراعه ... فاسلم وفز من كفه ولسانه[3]
فله الجيوش من الجنود بواسلا ... وله الجحافل من جنود بيانه
لا زال بحرك طول دهرك لافظا ... لفرائد الياقوت لا مرجانه
يا أوحد الأمراء دمت برفعة ... في ظل مولانا مليك زمانه
فخر الإمامة (أحمد الباشا) الذي ... قصرت ملوك الأرض عن إحسانه
جمع الفضايل والمحامد سعيه ... فمحاسن الثقلين في ميزانه
لا زال محروس الجناب مؤيدا ... بالله والأسرار مع قرآنه

* * *

وإليك من سحر البيان خريدة ... تروي بديع الشعر عن حسانه
لبست من النسج البليغ غلالة ... أزرت بقوس السحب في ألوانه

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى: أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانه خير الآية.
(2) إشارة الى قول الشاعر:
ومن وعى أخبار من قبله ... أضاف أعماراً الى عمره
(3) إشارة الى حديث المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

قصـرت عن السير السـريع لأنهـا مقصـورة لم تـدر مـا وخـدانـه
فافتح لها (دار السلام)[1] وفز بها في ظـلّ نعمـة منـعم وأمـانـه

والسلام الأتم معاد عليكم ورحمة الله من كاتبه أخيكم محمد الناصر الصدام كان الله له في جمادى الثانية وفي اوت سنة 1358 / 1939.

**[تقريظ الشيخ علي النيفر]:**

ومنها ما نظمه الفـاضل الـزكي الأديب. والعالم المتفنن الأريب. المبرز في ميادين النظم والنثر. حامل راية القريض باليمين ولا فخر. محرز قصب السبق في حلبة البراعة. بما أوتيه من فصاحة اللسان وبلاغة اليراعة. المقتفي في سبل العلم مسلك سلفه. المتحلي بين أقرانه بتليـد مجده ومطارف شرفه. المدرس من الطبقة العليا بجامع الزيتونة الشيخ سيدي علي النيفر ابن المقدس شقيق الروح. منذ سطره قلم الأزل في محفوظ اللوح. لا زال ذكره عاطراً. وللفضائل مبدئاً وناشراً. قال لا فضّ فوه.

كم لبـني الإسـلام مـن مـأثـره أربت على الـعـدو من مـفخـره
لم يبلهـا الـدهـر وقـد أخلقت ديـبـاجـتـيـه وطـوت أعـصـره
آثـار فـخـر خـلدت عـنـهـم ذكـرى بـعـليـآئـهـم مـخـبـره
عـنـوان عـز وعـلا بـاذخ آيـات مجـد لم تـزل مـبصـره
صحـائف من عسجـد سـطرت بـكـفـهـم لله مـا سـطره
تـقـرؤهـا في كـل مـا أتـلوا مـن مـعـلم إبـداعـهـم صـوره
مـن جـامـع للمنتقى جـامـع من كـل شكـل حسن المنـظره
ينبىء عمـا أحـرزوا من عـلا في أعصـر كـانت بهم مـزهـره

---

(1) فيه لطيفة ظريفة وهي التورية بدار السلام الاسم الذي تخيره المؤلف لدار سكناه مع ما في آخر المصراع الثاني من التلميح الى براعة الختم لما تعورف بالديار التونسية من التحية عند الانصراف بقولهم: في أمن الله.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ومسجد في كل حي شدا بشكر من شاده أو عمره
قوم غذوا منذ الصبا بالتقى جادت ثراهم سحب المغفره
ومن رباط كان ردء لذا الـ ـقطر به نار الوغى مسعره
يرد عن تونس كيد العدا بكل ماض عزمه قسوره
أو دمنة يأوي لأكنافها ذو عاهة رائحة مبكره
أو مورد للعلم تنمو له عطشى بغيث العلم مستمطره
مدارس ما برحت للورى كعبته الشماء أو مشعره
معاهد قمن لمن شادها شواهداً بالفضل والمقدره
لله من نسق أنباءها بسمط تأليف له حبره
ضم به أخبار ما شيد الإ سلاف في الخضراء من مأثره
من مسجد أو جامع شيد او مدرسة انفس من جوهره
فجاء بدعاً في التواريخ لم تنسج على منواله الجمهره
حوى شتيتاً عز أن يجتلى بغيره من كتب نيره
اطال فيه نفساً قد غدا التـ ـمحيص في أبحاثه عنصره
قضى به دينا لأسلافنا كانت به أظهرنا موقره
فلو تطلعت إليهم لأبـ ـصرت نفوس القوم مستبشره
قد أيد الخبر به مخبراً والشيء لا تدريه أو تخبره
أعجب من طالع آياته وشامها مثل الدمى مسفره
فراح يبدي الحمد منه لما أورده الجهبذ أو أصدره
محمد بن الخوجة الندس من أضحت لعلياه النهى مكبره
من معشر منذ دهور غدوا للعلم في تونس هم معشره
حازوا أفانين العلا صاغراً عن كابر أعظم بها مفخره
وقد خطا ذا الشهم في منهج لهم غدت عنه الخطى مقصره
فكم له من أثر خالد في العلم من أمثاله لم نره
لا سيما هذا الكتاب الذي بدا كمثل الروضة المزهرة
رمت بنزر القول تقريظه مستمنحاً من ربه المعذره



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

بـطبـعـه عـم انـتـفـاع بـه فـقـلت أرخ: اضـيـا انـشـره
1256 002
1358

حافظ الود المستمسك بالعهد علي النيفر.

**[تقريظ الشيخ محمد الهادي بن القاضي]:**

ومنها ما كتبه نخبة أقرانه المفكرين من نـشء العلماء العـاملين. الباذلين جهودهم في إحياء ما اندرس من مجد تونس القديم. بنشرياتهم ودراساتهم وأبحاثهم مـع سلوكهم الصراط المستقيم. الـدراكة الفهـامة. والعالم العلامة. الضارب في ميدان البراعة والنبوغ بسهم مصيب. الزكي الذكي الأريب. المدرس من الطبقة العليا بجامع الزيتونة الشيخ سيدي محمد الهادي بن القاضي أحسن الله له في القابل كما أحسن في الماضي.

وهذا نصّ كتابه:

الحمد لله الذي أقام لدينه الحنيف معالم ثابتة الأركان. عالية البنيان. وقيّض لها في كل عصر ومصر أفذاذاً لها مشيّـدون. وعنها منـافحون. ولإحياء ما اندرس من تراثها وآثارها معلنون ومجاهدون. من كل غطريف همام. ونحرير قمقام. وعالم باحث عن مناقبها وأحوالها ليجمعه في مصنف أو ديوان. حتى تكون أخبارها وأنباؤها متداولة حيّة ماكر الجديدان. ويجدها الكل على طرف الثمام. وممن توفق للكشف عن هذه المآثر الحسان. ذات الأنجم اللامعة والأقمـار النيرة مهمـا خفقت فوق ربـوعنا رايـة الإسلام والأمان. في زماننا هذا الذي كثر فيه الشاغل. والتفتت العيون مصروفة عن الآجل لاكتساب العاجل. وتقاصرت فيه الهمم. عن الاجتهاد في تحصيل كل مبهم. ربّ المجادة والإحسان. إنسان عين البيان. ومفخرة هذا العصر بلا منازع أو معاند. الجامع في بابي العز والسؤدد بين طريفهما والتالد. ذو الثقافتين. ومن ملأ وطابه من المعارف الرائجة الصفقتين. فكان مرجعاً


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

للمستفيدين. وموضع اقتداء الباحثين المجدين مؤرخ بلادنا التونسية وحامل راية الفخر باليمين. صاحب الآثار الخالدة فينا خلود المعالم. العالم ابن العالم ابن العالم. أمير الأمراء وزين الكبراء. سيدي محَمد بن الخوجة مستشار حكومتنا التونسية. وعين الدولة الأحمدية لا زال ملحوظاً بعين العناية الربانية. وملجأ لكل مستفيد أو مقتنص للؤلؤة درية. فقد توفّق لما لم يتوفق إليه سواه. وأنّى لغيره أن يبلغ شأوه أو مداه. من جمع ما تناثر عقده. وتشتت جوهره ونضده. من مختلف أخبار جوامع ومساجد ومدارس حاضرتنا التونسية. وخضرائنا الطيبة الزكية. من مبدإ الفتح الإسلامي الى يومنا هذا في مصنف عظيم القدر. جميل الذكر. كبير الفائدة. جم العائدة. سهل العبارة. ظاهر الإشارة. موجز اللفظ من غير إخلال. غزير المادة في غير إملال. مع مراعاة ما يقتضيه الحال. من بسط أو إجمال. أو احتراس أو تتميم أو إكمال. فهو جنة قطوفها دانية. وأنوارها لمجتليها متدانية. كم فيه من نكتة شريفة عالية. وكائن من يتيمة نفيسة غالية. لا يحتوي ما فيه كتاب يقصد ويراد. ولا يجد نوادره باحث ولو خرق السبع الشداد. ولكنها همة مؤرخنا جمعتها. وفكرته الوقادة اقتنصتها. فاحرص أخي على أن ترشف زلاله. وتبري غلتك من بارد شرابه ولو بعلاله. فهو السلسبيل المورود. من هذا الباب الموصود. وقد اختار له من الأسماء (تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد) وهو اسم ظريف شريف ينبىء عن كونه من السعي المشكور والعمل المقبول الذي يرجو صاحبه عند الله وعند الناس بلوغ المأمول. وهو حسبنا ونعم الربّ المسؤول ـ كتبه فقير ربه خادم العلم بجامع الزيتونة المعمور محمد الهادي بن القاضي كان الله له يوم التقاضي ـ في جمادى الاخرة وفي اوت سنة 1358 / 1939.

**[تقريظ الشيخ الشاذلي بن القاضي]:**

ومسك الختام في هذا المقام ما كتبه واسطة عقد النهضة العلمية



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

الحديثة. الساهر على ترويج حركتها المباركة بمساعيه الصالحة والحثيثة. صاحب المجلة الزيتونية ومنشيها. وشارح متونها ومهذب حواشيها. الفاضل الأعلم. البحاثة النقادة أوحد الألبآء نجدة وكياسة. وفكاهة آداب عطرت أنفاسه. فرع دوحة المجد والعلم والتقوى من أهل القضاء والفتوى. ناشر جواهر التفسير. من قلمه فصيح التحرير. في أندية العلم وعلى صفحات الأثير. الإمام الخطيب. الضارب في كل ميدان بسهم مصيب. الشيخ سيدي الشاذلي بن القاضي المدرس من الطبقة العليا بجامع الزيتونة لا زال للفضائل مصدراً. وللمفاخر مظهراً. وهذا نصّ كتابه:

الحمد لله الواحد الأحد. والصلاة والسلام على رسوله العلم الفرد. وعلى آله البدور الأيمة. وأصحابه هداة الأمة. وبعد فإن حفظ التاريخ وتدوينه هو الشرط الأول لحفظ الأمة والداعي الأسمى من دواعي نموّها وسموّها. فمتى شعرت الأمة بأن لها مجداً تالداً. وعزّاً من الزمن الغابر. لاستدامة ما هو قايم بين يديها واستكملت ما تحسّ بـه من نقص في مختلف الميادين. وبقدر ما تكون الأمة واعية لتاريخها مدركة لما أقامه سلفها من معالم شامخات ومؤسّسات نفعها شامل ودلالتها على الشرف والسؤدد ناطقة. تكون معتزة بنفسها فخورة بماضيها بـانية على قـواعده حاضرها ومستقبلها.

وهذه أمتنا أعزّها الله وسلمها من نوائب الزمن وحوادث السنين قد مرت عليها عصور وأدهر شيدت فيها ما يدلّ على مجد متأصل وعلوّ مقام وتمكن في العلوم والفنون حتى بلغت شأناً عظيماً. وقد تكفّل التاريخ فأرجع على الخلف ما أقامه السلف. ولو ما التاريخ ما علمنا من ذلك شيئاً. فلا جرم إذا قلت إن التاريخ في مقدمة علوم العمران.

ولعمري إن التاريخ الذي يحفظ للأمة مجدها. هو ما عبر عن مبلغ الأمة في الحضارة والعلوم والفنون المصوّر للأجيال المتلاحقة والسلائل


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

المقبلة ما وصلت إليه الأمة من المعارف والصنائع ومدى اهتمامها بمقوّماتها ومشاريعها ففي ذلك دلالة وأيّ دلالة على تأصّل الأمة في الحضارة والمدنية وبعدها عن الحياة الوحشية وأهم من سرد الغارات وتسجيل الفتوحات ذكر المنشئات والمخترعات.

ومن هذا القبيل ما اهتم به عالمنا الهمام. الحايز من شرفي العلم والنسب أعلى مقام. الجهبذ الصنديد. والعالم البحاثة النحرير، من ضرب بسهم صائب في مختلف العلوم وتبرز أمير الأمراء المستشار سيدي محَمد ابن الخوجه في مباحثه التاريخية التي يتحف بها الجمهور بين آونة وأخرى وكتبه القيمة التي يصدرها الفينة تلو الفينة. فعرفه الخاصة قبل الجمهور بتحاريره النافعة وأبحاثه النيرة، فكان مرجعاً في تاريخ البلاد التونسية وبوأه الناس المقام الأسمى وعدّوا ما يقدّمه للمجتمع خدمة للأمة التونسية ودولتها السنية أعظم منّة. وكتابه هذا من هذا القبيل جليل القدر سامي الموضوع غزير الفائدة عظيم النفع، جمع بما اشتمل عليه تاريخ معالم التوحيد في قاعدة المملكة وما يتّصل بتاريخها من كل طريف وتراجم من سجل أسماءهم من علماء أعلام وجهابذة فخام وأدوار النهضات العلمية ومدارس العلوم في مختلف العصور القديمة الى عصرنا الحاضر، ومقدار عناية الدول التي حكمت المملكة بالمؤسّسات الدينية وعلى الخصوص جامع الزيتونة. فكان الكلام عليه من جهات متعددة نظراً الى كونه أعظم مسجد جامع في قاعدة المملكة وجامعة علمية ثقافية تعدّ أقدم جامعة في العالم الإسلامي أنجبت أيمة أعلاماً خدموا الإسلام في هذه البلاد وغيرها خدمات جليلة وتبرزوا في سائر العلوم وقامت على سواعدهم نهضات متتابعة. وبذلك جاء (معالم التوحيد) فريداً في بابه بما سجله من التاريخ الحافل بجلايل المهمّات سيما إذا ضممنا لذلك ما بذله جناب أمير الأمراء من أبحاث وتحقيقات يعزّ الحصول عليها وقد عرفناه حفظه الله ذا همة صادقة وعزيمة لا تثنيها الصعاب فكان أعزه الله موفقاً إلى أبعد حدود التوفيق.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

فأحبب به مهدياً وأكرم بكتابه الذي أتحفنا به هدّية. ولا برح يوالينا بالطرف من تاريخه وعلمه بارك الله لنا في حياته وأعز به العلم ورجالاته إنه سميع مجيب.

المخلص محمد الشاذلي بن القاضي



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

# الفهـــارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس الكتب والدّوريات.
- فهرس الأعلام.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

# فهرس الآيات القرآنية


| الآيـــة | السورة | الآية | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ | يونس | 62 | 206 |
| ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمـنـت إلى أهلها﴾ | النساء | 58 | 275 |
| ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ | الفتح | 1 | 227 |
| ﴿إنما يعمر مساجد الله من ءامن بالله واليوم الآخر﴾ | التوبة | 18 | 172 |
| ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يـأولي الألبـاب﴾ | البقرة | 197 | 230 |
| ﴿سبحـن ربك رب العزة عما يصفون﴾ | الصافات | 180 | 228 |
| ﴿سبحـن الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بـركنا حولـه لنريـه من ءايـتنا إنه هو السميع البصير﴾ | الإسراء | 1 | 301 |
| ﴿فسبحـن الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ | الروم | 17 | 143 |
| ﴿فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ | الأنبياء | 7 | 206 |
| ﴿فمن بدّله بعدما سَمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه إن الله سميع عليم﴾ | البقرة | 181 | 318 |
| ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغـدو والأصال﴾ | النور | 36 | 139 |




مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

| الآيــة | السورة | الآية | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿قلْ لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى﴾ | الشورى | 23 | 73 |
| ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ | آل عمران | 185 | 170-169 |
| | | | 316 |
| ﴿كلّا لا تطعه واسجد واقترب﴾ | العلق | 19 | 144 |
| ﴿لكل أجل كتاب﴾ | الرعد | 38 | 76 - 10 |
| ﴿اللهمّ ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وءاخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾ | المائدة | 114 | 229 |
| ﴿لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا فسبحٰن الله رب العرش عما يصفون﴾ | الأنبياء | 23 | 176 |
| ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيِّين وكان الله بكل شيء عليماً﴾ | الأحزاب | 40 | 225 |
| ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريّين أن ءامنوا بي وبرسولي قالوا: آمنّا وأشهد بأنّنا مسلمون﴾ | المائدة | 111 | 228 |
| ﴿وإذ بوأنا لإبـراهيم مكان البيت أن لا تشـرك بي شيئاً﴾ | الحج | 26 | 230 |
| ﴿وأوحى ربك إلى النّحل أن اتّخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ | النحل | 68 | 286 |
| ﴿وإن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾ | الجن | 72 | 239 |
| ﴿وما أرسلنٰك إلّا رحمة للعـٰلمين﴾ | الأنبياء | 107 | 189 |
| ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ | الفتح | 3 | 227 |
| ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذّكر إلّا أولوا الألبـٰب﴾ | البقرة | 269 | 206 |
| ﴿اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ | يوسف | 92 | 229 |




مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

# فهرس الأماكن والبلدان(*)


ـ أ ـ

أريانة: 197 - 201.
أروبا: 122 ـ 248 ـ 286.
أزمور: 41.
اسبانيا: 57 ـ 83 ـ 142 ـ 203 ـ 204.
الأستانة: 169 ـ 173 ـ 190 ـ 203 ـ 214 ـ 247.
الإسكندرية: 107 ـ 132 ـ 165 ـ 301.
إسلانبول: 185.
أصبهان: 303.
إفريقية: 153 ـ 154 ـ 155 ـ 165 ـ 168 ـ 203.
الأنبار: 153.
الأندلس: 142 ـ 158 ـ 205 ـ 279 ـ 288.
إيطاليا: 169 ـ 205.

ـ ب ـ

باب البحر: 41 ـ 123 ـ 124 ـ 144 ـ 292.
باب البهور: 46 ـ 78.
باب الجديد: 138.
باب الجزيرة: 129 ـ 132 ـ 134.
باب الربع: 241 ـ 307.
باب السواقين: 201:
باب السويقة: 127 ـ 137 ـ 291 ـ 297.
باب علاوة: 324.
باب العلوج: 121.
باب الفكة: 78.
باب قرطجنة: 121 ـ 240 ـ 292.
باب المنارة: 307.
باجة: 130 ـ 157.
باردو: 247 ـ 275 ـ 344.
باريس: 123 ـ 128 ـ 158 ـ 188 ـ 203 ـ 244.
بجاية: 286.
بحر الزقاق: 142.
برلين: 203.
بسكرة: 166.
البصرة: 270.
بطحاء القصر: 166.
بغداد: 33 ـ 35 ـ 201 ـ 223 ـ 279.
البغدان: 214.


* لم نر فائدة في فهرسة الأماكن التي ورد ذكرها في الكتاب مرّات عديدة، كتونس وجامع الزيتونة مثلاً.



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

بلاد القرنة: 169.
بلنسية: 142.
بنزرت: 142 ـ 157 ـ 257.
البيت الحرام: 75.
بيت المال: 74.
بير الحجار: 314.

ـ ت ـ

تبرسق: 57.
تربة الباي: 248 ـ 309 ـ 323.
ترشيش: 242.
تستور: 142 ـ 143.
تلمسان: 142.
توزر: 157.
تينجة: 242.

ـ ج ـ

الجبل الأشكل: 242.
جبل المنار: 244 ـ 344.
الجزائر: 142 ـ 203.
جزيرة جربة: 145 ـ 330.
جزيرة سان بيره: 223.

ـ ح ـ

الحجاز: 42 ـ 190.
الحجامين: 145 ـ 293 ـ 328.
حديقة البلفيدير: 147.
الحفصية: 243.
الحلفاوين: 157 ـ 223 ـ 325.
حلق الوادي: 70 ـ 71 ـ 223 ـ 345.
حمام الرميمي: 253 ـ 255.
حوانيت عاشور: 279 ـ 303.
حومة السّبخاء: 146.
حومة العمران: 147.
حومة القشاشين: 130 ـ 279.
حومة اليهود: 204 ـ 240.
(الحارة الإسرائيلية): 304.

ـ خ ـ

الخلدونية: 103 ـ 302.

ـ د ـ

دار الأشياخ: 291.
دار آغة الوجق: 245.
دار البارود: 243 ـ 312.
دار الباشا: 74 ـ 240 ـ 245.
دار الباطان: 169.
دار الضيوف: 124.
دار العشرة: 169.
دار القايد جعفر: 196.
داغستان: 124.
درب ابن عبد السلام: 255 ـ 289.
درب العسال: 255 ـ 295.
دمشق: 203 ـ 338.

ـ ر ـ

رادس: 71.
رأس الجبل: 157.
ربض باب الجزيرة: 33 ـ 146.
ربض باب السويقة: 32 ـ 218 ـ 301.



www.almaktabah.net
مكتبتنا العربية

رحبة القموح: 248.
رومة: 231.
رياض أبي فهر: 47 ـ 289.

ـ ز ـ

الزاوية البكرية: 198.
زاوية سيدي إبراهيم الرياحي: 198.
زاوية سيدي علي بن زياد: 198.
زاوية سيدي فتح الله: 198.
زاوية سيدي منصور: 198.
زاوية السيدة المنوبية: 198.
الزاوية العروسية: 156 ـ 182 ـ 198.
الزاوية القادرية: 198 ـ 326.
الزاوية القشاشية: 299.
الزاوية المحرزية: 156 ـ 185 ـ 197 ـ 199 ـ 298.
زغوان: 47 ـ 157 ـ 324.
الزّلّاج: 58 ـ 291 ـ 302.

ـ س ـ

سبتة: 182.
سراية المملكة: 124 ـ 125.
سردانيا: 223.
سلا: 158.
سليمان: 142.
سوسة: 157.
سوق البلاط: 279 ـ 312.
سوق البلغاجية: 285.
سوق الحلق: 285.
سوق السكاجين: 251.
سوق السلاح: 140.
سوق الشماعين: 285.
سوق الطيبين: 279 ـ 309.
سوق العطارين: 279 ـ 286 ـ 290.
سوق النحاس: 251.
سوق الكتبية: 279.
سيدي أبو سعيد: 60.

ـ ش ـ

الشام: 226.
الشرق الأدنى: 330.
شمال إفريقيا: 142 ـ 205.

ـ ص ـ

الصباغين: 156 ـ 305.
صان بتر سبورج: 203.
الصحراء الغربية: 339.
صفاقس: 122 ـ 157.

ـ ض ـ

ضريح إبراهيم الرياحي: 260.
ضريح أبي زمعة البلوي: 181.
ضريح أحمد بن عروس: 260.
ضريح عقبة بن نافع: 168.
ضريح علي بن زياد: 239 ـ 249.
ضريح علي شيحة: 260.
ضريح علي محسن: 260.
ضريح سيدي إبراهيم السرياحي: 260.
ضريح سيدي مردوم: 248.
ضريح محرز بن خلف: 260.


www.almaktabah.net
مكتبتنا العربية

ـ ط ـ

طبرية: 142 ـ 143.
طرطوشة: 57.

ـ ع ـ

العالية: 142.
العراق: 42 ـ 154.
عنابة: 142.

ـ غ ـ

غار الملح: 157 ـ 223.
غرناطة: 72.

ـ ف ـ

فاس: 142 ـ 199 ـ 203.
فندق البقل: 127.
فندق الخلّ: 308.
فندق الزّبيب: 309.

ـ ق ـ

قابس: 57.
قاشان: 303.
القاهرة: 301.
قرطبة: 279.
قلشانة: 59.
قرطجنة: 43 ـ 201.
قزنبالية: 142.
القسطنطينية: 205.
قسنطينة: 142.
القصبة: 157 ـ 171 ـ 312.
القصر السعيد: 198.
قصور بني خراسان: 168.
قفصة: 157.
قمرت: 257.
القيروان: 41 ـ 42 ـ 121 ـ 154 ـ 203 ـ 302.

ـ ك ـ

الكاف: 157 ـ 326.
كتاب سيدي الرصاص: 127.
الكتبية: 130.
كرسيكة: 156.
الكعبة المشرفة: 33 ـ 210.
كنيسة باب قرطاجنة: 121.

ـ ل ـ

ليون: 315.

ـ م ـ

ماطر: 256.
مالطة: 124.
متحف أوتان: 280.
مجاز الباب: 142 ـ 143.
محكمة ابن عصفور: 97.
المحمدية: 256.
مدرسة ابن تفراجين: 280.
مدرسة البنات المسلمات (تونس:) 241.
مدرسة ترشيح المعلمين: 290.
مدرسة ترشيح المؤدبين: 290 ـ 321.
مدرسة الحرب بباردو: 198.




www.almaktabah.net
مكتبتنا العربية

مدرسة الرياض: 279.
المدرسة العصفورية: 255.
المدرسة الصادقية: 163.
المدرسة العلوية: 284 ـ 290 ـ 328.
المدرسة النظامية: 279.
مراكش: 158.
المرسى: 107 ـ 197 ـ 201 ـ 210 ـ 250 ـ 324 ـ 342 ـ 344.
مرسى المبطوح: 132.
المركاض: 321.
المستشفى الصادقي: 305 ـ 312.
المشرق: 155.
مصر: 35 ـ 153 ـ 154 ـ 165 ـ 198 ـ 226 ـ 301.
مضيق سبتة: 142.
المطبعة الرسمية: 244.
معهد ابن خلدون: 94 ـ 284 ـ 289.
المغرب (الأقصى): 41 ـ 142 ـ 154 ـ 157 ـ 158.
المقام الشاذلي: 198.
مقبرة بني خراسان: 172.
مقبرة الزّلّاج: 160 ـ 173 ـ 302.
مقبرة السلسلة: 160.
المكتبة الأحمدية: 97.
المكتبة الصادقية: 91.
المكتبة العبدلية: 97 ـ 98 ـ 129.
مكة المشرفة: 210 ـ 226 ـ 270 ـ 288 ـ 301.
الملّاسين: 204.
المنستير: 157 ـ 301.
المنيهلة: 298.
منوبة: 196.
المهدية: 47 ـ 155 ـ 157 ـ 330.
الموصل: 155.

## ـ ن ـ

نابل: 157 ـ 158.
نابلي: 205 ـ 223.
نهر السين: 123.

## ـ هـ ـ

الهند: 124 ـ 125.

## ـ و ـ

وادي مجردة: 216.
وادي مليان: 218.
واحة ولات: 339.

## ـ ي ـ

اليمن: 226.



مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

# فهرس الكتب والدوريات


ـ أ ـ

ابتسام الغروس: 60 ـ 256.
الأجوبة عن أسئلة الطرطوشي: 57.
الأحكام السلطانية: 267.
أختام الحديث بتونس: 343.
إرشاد الساري: 340.
الأسدية: 154.
إسعاف الحكام في الفرائض: 324.
ألفية ابن مالك: 103 ـ 301.

ـ ب ـ

البردة: 291.
بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان (الذيل): 132 ـ 172 ـ 177 ـ 301 ـ 311 ـ 339.
بهجة النفوس: 340.
البيان المغرب: 168.

ـ ت ـ

تاج العروس: 303.
تاريخ الدولتين: 47 ـ 57 ـ 127 ـ 130 ـ 136 ـ 137 ـ 170 ـ 324.
تاريخ ابن الشماع: 137.
تاريخ ابن أبي الضياف (الإتحاف): 56 ـ 70 ـ 221 ـ 222 ـ 256 ـ 294 ـ 306 ـ 313 ـ 323 ـ 325 ـ 345 ـ 346.
تاريخ معالم التوحيد: 27.
تذكرة القرطبي: 214.
التراجم المهمة للخطباء والأيمة: 25 ـ 160 ـ 165 ـ 171 ـ 173 ـ 174 ـ 182.
الترغيب والترهيب: 78.
الترمذي: 56.
تعطير النواحي: 71 ـ 114 ـ 220.
تفسير البيضاوي: 214 ـ 320.
تفسير الثعلبي: 197.
تفسير السيوطي: 197.
تفسير ابن عادل: 196.
تفسير ابن الفرس: 172.
تفسير أبي السعود: 160.
التواريخ السنوية التونسية: 142.
تكملة المعاجم: 303.




مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

## ـ ج ـ

الجامع الصحيح: 339.
جريدة الحاضرة: 103.
الجوشن: 203.
الجوهرة: 103.
جيش الدخيل في اللسان التونسي الأصيل: 115.

## ـ ح ـ

حاشية الحطاب: 340.
حاشية على كتاب القطر: 67.
حاشية الوسطى: 301.
حدود الإمام بن عرفة: 246.
حسن البيان: 165.
الحلل السندسية: 46 ـ 58 ـ 59 ـ 61 ـ 122 ـ 158.

## ـ خ ـ

اختصار أجوبة ابن رشد: 57.
الخطب المنبرية: 143.
الخلاصة النقية: 141 ـ 193 ـ 204 ـ 293 ـ 306 ـ 323.

## ـ د ـ

دلائل الخيرات: 319.
ديوان الباجي المسعودي: 198.
ديوان قابادو: 88.

## ـ ر ـ

الرد على المتنصر: 57.
الرزنامة التونسية: 29.
رحلة ابن بطوطة: 129.
رحلة التجاني: 155.
رحلة العبدري: 46.
رسالة ابن أبي زيد: 198.
رسالة الابتداء بالمخالف لأهل الفضلاء: 175.
رسالة المفتيين: 177.
رواية تنبيه الأنام: 88.
روض الآداب: 294.

## ـ س ـ

سمط اللآل: 188 ـ 209 ـ 279.
السياسة الإلهية: 275.

## ـ ش ـ

الشاطبية: 203.
شجرة النور الزكية: 56.
شرح خطبة المختصر: 301.
شرح خطبة المطول: 301.
شرح الدردير: 340.
شرح صحيح مسلم للشيخ محمد الأبي: 122.
شرح الطوالع ومختصر ابن الحاجب: 59.
شرح العيني: 177.
شرح القسطلاني: 98 ـ 214.
شرح المحلي على جمع الجوامع: 287.
شرح منظومة البيقوني: 301.
شرح ميارة: 68.
الشهب المخرقة: 44 ـ 134.
شهيرات التونسيات: 78 - 289.




www.almaktabah.net
مكتبتنا العربية

## ـ ص ـ

صبح الأعشى: 279.

صحيح البخاري: 43 ـ 76 ـ 177 ـ 247 ـ 316 ـ 319 ـ 337 ـ 340 ـ 341.

صحيح مسلم: 122 ـ 288 ـ 301 ـ 342.

صدر الشريعة: 197.

صفوة الاعتبار: 43.

## ـ ع ـ

ابن عاشر: 103.

عشر سنوات حول العالم: 168.

عقد الفرائد: 32 ـ 239.

عنوان الأريب: 201.

## ـ غ ـ

غرناطة: 72.

## ـ ف ـ

فتح الباري: 340.

فتاوي الشيخ عظوم: 176.

الفرائد: 339.

الفهرس العمومي لكتب جامع الزيتونة: 46.

فهرست كتب جامع الزيتونة: 47.

## ـ ق ـ

قاموس الفيروزأبادي: 165.

قانون الخوجات: 223.

قرة العين بنشر فضائل الملك حسين: 84 ـ 302 ـ 307 ـ 309 ـ 311.

## ـ ك ـ

كتاب البداية والنهاية: 338.

كتاب التهذيب: 218 ـ 325.

كتاب ابن جريح: 338.

كتاب الدعوات: 202.

كتاب الشفاء: 343.

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر: 107.

كتاب مراسلات بايات تونس: 214.

الكشاف: 197.

كشف الظنون: 202.

كنز المعاني: 203.

الكوكب المنير على الجامع الصغير: 340.

## ـ ل ـ

لطائف المنن: 126.

## ـ م ـ

المجلة الزيتونية: 97 ـ 342 ـ 345.

مجلة مجمع اللغة العربية: 303.

مختصر ابن الحاجب: 218 ـ 325.

مختصر خليل: 218 ـ 325 ـ 340.

مختصر السعد: 287.

المدارك للقاضي عياض: 41 ـ 198 ـ 201 ـ 206.

المدوّنة: 34 ـ 154.

مسامرات الظريف: 47 ـ 52 ـ 67 ـ 69 ـ 70 ـ 302.




مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

المشرع الملكي: 320.
المشرق في أدباء المشرق والمغرب: 287.
مطلع التمام ومنجاة الخواص والعوام: 59.
معجم لاروس: 142 ـ 286.
معين المفتي: 68.
معالم الإيمان: 155 ـ 203.
مفيد الحكام: 57.
مقصورة حازم: 47.
مناقب الأولياء: 170.
مناقب أبي محمد عبد الله المغربي: 129.
مناقب محمد الزّلّاج: 133.
المنتخبات التونسية: 203.
الموافقات: 312.
الموطأ: 42 ـ 75 ـ 296 ـ 338 ـ 342.
المؤنس (أو تاريخ ابن أبي دينار): 31 ـ 32 ـ 43 ـ 52 ـ 62 ـ 114 ـ 122 ـ 124 ـ 132 ـ 135 ـ 138 ـ 155 ـ 172 ـ 198 ـ 248 ـ 279 ـ 288 ـ 295 ـ 298 ـ 299 ـ 304 ـ 338.

ـ ن ـ

نزهة الأنظار: 313.
النزهة الخيرية: 322.
النووي على مسلم: 197.

ـ و ـ

وفيات الأعيان: 154.



مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

# فهرس الأعلام


إبراهيم بن أبي زكرياء الحفصي: 125.
إبراهيم بن عبد الرفيع: 47 ـ 56.
إبراهيم بن أبي يحى الحفصي: 52.
إبراهيم خان: 173.
إبراهيم الرياحي: 69 ـ 70 ـ 100 ـ 127 ـ 128 ـ 146 ـ 214 ـ 216 ـ 220 ـ 251 ـ 252 ـ 260 ـ 343.
إبراهيم الشريف: 188.
إبراهيم الشريف باشا باي داي: 188.
إبراهيم الفلاري: 188.
إبراهيم المرغني: 290.
إبراهيم النيفر: 141.
ابن أبي بكر الغوري: 257.
ابن أبي حمرة:
ابن أبي دينار: 31 ـ 32 ـ 48 ـ 59 ـ 132 ـ 134 ـ 137 ـ 138 ـ 288 ـ 295 ـ 298.
ابن أبي الضياف: 68 ـ 71 ـ 73 ـ 135 ـ 222 ـ 256 ـ 294 ـ 306 ـ 310 ـ 313 ـ 323 ـ 325 ـ 346.
ابن الأذفر: 200.
ابن جريح: 338.
ابن الحاجب: 59 ـ 216 ـ 218 ـ 325.
ابن الحبحاب: 43.
ابن حجر: 274.
ابن حنبل: 201.
ابن خلدون: 58 ـ 168 ـ 282 ـ 289.
ابن الدباغ: 291.
ابن رشد: 57 ـ 279.
ابن رشد الحفيد: 279.
ابن سعيد (عامر بن ظافر): 249.
ابن الشباط: 43 - 44.
ابن شعبان: 42.
ابن الشماع: 135.
ابن عابدين: 34 ـ 209.
ابن عادل: 196.
ابن عاشور: 75.
ابن عبد الرفيع: 56.
ابن عبد السلام: 289.
ابن عرفة: 58 ـ 59 ـ 246 ـ 287.
ابن عصفور: 97 ـ 289.
ابن القاسم: 154.
ابن كنانة: 42.




مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

ابن اللبان: 42.
ابن لهيعة: 42.
ابن ناجي: 34 ـ 35 ـ 114 ـ 154.
أبو إسحاق إبراهيم: 52 ـ 124 ـ 130.
أبو إسحاق بن عبد الرفيع: 170.
أبو إمامة: 56.
أبو بكر: 176 ـ 298 ـ 341.
أبو بكر الباقلاني: 201.
أبو بكر البكري: 64.
أبو بكر الخوارزمي: 172.
أبو بكر الرازي: 286.
أبو بكر الصقلي: 200.
أبو بكر الطرطوشي: 57.
أبو بكر العثماني: 175.
أبو ثور: 270.
أبو حديد: 240 ـ 321.
أبو الحسن: 126 ـ 313.
أبو الحسن البطريني: 292.
أبو الحسن علي بن موسى الإشبيلي: 62.
أبو الحسن علي مهاود: 134 ـ 218.
أبو الحسن علي الهواري: 170.
أبو الحسن القابسي: 198.
أبو الحسن الماوردي: 267.
أبو حنيفة النعمان: 34 ـ 115 ـ 153 ـ 201 ـ 270.
أبو زكرياء الحفصي: 35 ـ 56 ـ 121 ـ 155 ـ 157 ـ 282 ـ 294.
أبو زمعة البلوي: 181.
أبو السعود: 160.
أبو سعيد الباجي: 170 ـ 244 ـ 259.
أبو سعد بن يونس: 42.
أبو العباس أحمد بن مصطفى الطرودي: 173.
أبو العباس أحمد الكبير: 78 ـ 107 ـ 134 ـ 245.
أبو العباس الغرناطي: 287.
أبو عبد الله محمد الحفصي: 48.
أبو العرب: 42.
أبو علي بن موسى بن عصفور: 282.
أبو علي القروي: 47.
أبو عمران موسى الفاسي: 202.
أبو عمرو عثمان: 30 ـ 43 ـ 46 ـ 61 ـ 77 ـ 121 ـ 130 ـ 136 ـ 255 ـ 282.
أبو الغيث بن أبي بكر البكري: 64.
أبو الغيث بن حمودة البكري: 67.
أبو الغيث بن علي البكري: 65.
أبو الطاهر محمد الفارسي: 201.
أبو الغيث القشاش: 65 ـ 298.
أبو فارس عبد العزيز: 59 - 78 - 292.
أبو الفضل بن أبي القاسم البرشكي: 64.
أبو فهر: 47.
أبو القاسم: 34.
أبو القاسم البرزلي: 58.
أبو القاسم البرشكي: 181.
أبو القاسم البلاغ: 254.
أبو القاسم النحوي: 201.
أبو القاسم الوشتاني القسنطيني: 59.
أبو محمد عبد الله بن أبي زيد: 198.
أبو محمد المرجاني: 126 ـ 130 ـ 347.
أبو محمد المغربي: 126 ـ 130.
أبو مهدي الغبريني: 294.



www.almaktabah.net
مكتبتنا العربية

أبو يحيى بن قاسم الرصاع: 64 ـ 181.
أبو يوسف: 27 ـ 34 ـ 115 ـ 143 ـ 154.
الأبّي: 122 ـ 287.
أحمد باشا باي الأول: 71 ـ 85 ـ 186 ـ 192 ـ 216 ـ 244 ـ 256 ـ 346.
أحمد باشا باي الثاني: 27 ـ 342 ـ 347.
أحمد الباهي: 283 ـ 313.
أحمد برناز: 134 ـ 311.
أحمد بن أبي بكر الحفصي: 78.
أحمد بن أبي الضياف: 41 ـ 208 ـ 211 ـ 221.
أحمد بن أبي كرم: 78.
أحمد بن الأمين الجربي: 145 ـ 285 ـ 330.
أحمد البناني: 211.
أحمد بن تفراجين: 279.
أحمد بن حسين القمار: 128 ـ 320 ـ 346.
أحمد بن حنبل: 153.
أحمد بن الخوجة: 48 ـ 69 ـ 122 ـ 245 ـ 287 ـ 341 ـ 342.
أحمد بن الخوجة الأول: 191 ـ 287.
أحمد بن الخوجة الثاني: 192 ـ 342.
أحمد بن الرايس: 109 ـ 357.
أحمد بن شعيب النسائي: 337.
أحمد بن عبد الرفيع: 122.
أحمد بن عبد العزيز بن خراسان: 168.
أحمد بن عثمان داي: 196.
أحمد بن عروس: 60 ـ 182 ـ 256 ـ 260 ـ 349.
أحمد بن متيشة: 283 ـ 312 ـ 313.
أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي: 107.
أحمد بن محمد بن أحمد الشريف: 211.
أحمد بن مراد: 105 ـ 210.
أحمد بن مرزوق: 123.
أحمد بن مصطفى النميشي: 211.
أحمد بيرم: 104 ـ 105 ـ 106 ـ 178 ـ 180 ـ 347.
أحمد التجاني: 70 ـ 199.
أحمد (باي) الثالث: 185.
أحمد جمال الدين أبو العباس: 343.
أحمد خان الأول: 208.
أحمد زروق: 216 ـ 296.
أحمد السقا: 78 ـ 258.
أحمد الشاهد: 121.
أحمد الشريف: 73 ـ 76 ـ 102 ـ 211 ـ 245 ـ 314.
أحمد شلبي: 110.
أحمد عاشور: 101 ـ 311 ـ 312.
أحمد الغبريني: 58.
أحمد الغربي النجار: 199.
أحمد الغماد: 301.
أحمد القروي: 248.
أحمد القسنطيني: 295.
أحمد القلشاني: 61.
أحمد القمار: 128 ـ 320 ـ 346.
أحمد كريم: 345.
أحمد الكيلاني: 68 ـ 311 ـ 322.



مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

أحمد لفلوف: 182.
أحمد المرزوقي: 246.
أحمد المسراتي: 61.
أحمد النفاتي: 136.
أحمد المهدي النيفر: 123.
أحمد (بن زين العابدين) النيفر: 146.
أحمد (بن محمد) الهنتاتي شهر الشماع: 59.
أحمد الورتاني: 90.
أرمان قيون: 110.
أسد بن الفرات: 42 ـ 83 ـ 154.
الأسطا الحاج جعفر النجار: 128.
الأسطا مراد: 241.
إسماعيل بن عبد الله: 124.
إسماعيل التميمي: 287 ـ 297.
إسماعيل الصفايحي: 102 ـ 290.
إسماعيل كاهية: 169.
أنس بن مالك: 273.
(الشيخ) الأنصاري): 253.
الأوزاعي: 153.

ـ ب ـ

الباجي المسعودي: 32 ـ 71 ـ 198 ـ 239.
باديس: 201 ـ 205.
البخاري: 177 ـ 214 ـ 337 ـ 338 ـ 339 ـ 341 ـ 342.
البراذعي: 218.
البرزلي: 59 ـ 287.
البشير البكري: 65 ـ 109.
البشير صفر: 102 ـ 103 ـ 134 ـ 163 ـ 315 ـ 372.
البشير العربي: 75 - 326.
البشير النيفر: 25 ـ 44 ـ 126 ـ 139 ـ 140 ـ 146 ـ 373 ـ 374.
بكار الجلولي: 214.
بكير التركي: 160.
بلانطي (Plantet): 122 ـ 214.
بلحسن الحلفاوي: 253.
بلحسن النجار: 105 ـ 106 ـ 109 ـ 133 ـ 290 ـ 365.
البلخي: 42.
البهلول بن راشد: 42.
بو صلاح: 253.
بو عزيز بن كانة: 168.
البوصيري: 291.
بيصونيل: 142.
البيضاوي: 214.
البيقوني: 301.

ـ ت ـ

تاج العارفين البكري: 64.
تركية بنت علي باشا: 78.
تقي الدين السبكي: 202.
التهامي الزهار: 110.

ـ ث ـ

الثعلبي: 197.



www.almaktabah.net
مكتبتنا العربية

## - ج -

الجاسوسي (أبو عبد الله): 283 ـ 322.
جعفـر: 137 ـ 196.

## - ح -

حازم (القرطاجني): 47.
حسان بن النعمان: 29 ـ 42 ـ 43 ـ 44.
حسن بن أحمد الوزير: 252.
حسن بن الحاج علي حمزة المهدوي: 285 ـ 330.
حسن بن الخوجة: 100.
حسن بن عبد الكبير الشريف: 67.
حسن الشريف: 314.
حسن عبد الوهاب: 289.
حسن فرشيش: 100.
حسن قلايجي: 100.
حسن المزوغي: 297 ـ 298.
حسونة بن مصطفى: 198.
حسونة بن يوسف المورالي: 224.
حسونة التركي: 160.
حسونة النيفر: 135.
حسونة الوزير: 252.
حسين (الوزير): 169.
حسين البارودي: 101.
حسين باي بن علي تركي: 84 ـ 85 ـ 156 ـ 173 ـ 198 ـ 209 ـ 210 ـ 211 ـ 212 ـ 218 ـ 220 ـ 280 ـ 282 ـ 306 ـ 309 ـ 310 ـ 311 ـ 312 ـ 313 ـ 323 ـ 345 ـ 346.
حسين باي الثاني: 65 ـ 68 ـ 284 ـ 326.
حسين خوجـة: 177 ـ 339.
حمدة بطيخ: 326.
حمدة الخوجة: 62.
حمدة الشاهد: 288.
حمدة عباس: 101.
حمـودة باشـا: 67 ـ 134 ـ 157 ـ 173 ـ 191 ـ 214 ـ 248 ـ 295 ـ 305.
حمودة باشا بن مراد باي الأول: 32 ـ 55 ـ 138 ـ 181 ـ 324 ـ 341 ـ 347.
حمودة باكير: 173.
حمودة البكري: 65 ـ 67.
حمودة بن الخوجة: 177 ـ 191.
حمودة بن عبد العزيز: 67.
حمودة الريكلي: 66 ـ 339.
حمودة قميحة: 198.
حميدة الغمّاد: 301.

## - خ -

خالد بـن أبي عمران: 42.
خليـل: 325.
خليل بوحاجب: 105 ـ 106.
خيـر الدين (الـوزير): 72 ـ 96 ـ 246 ـ 296 ـ 372.
خير الدين بربروس: 113.
خير الله بن مصطفى: 104.

## - د -

الدّباغ: 154.

## - ذ -

الذهبي: 303.




مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

## ـ ر ـ

راغب باشا: 203.
رجب بن مامي: 283.
الرصـاع: 245.
رمضان باي المرادي: 121 ـ 122 ـ 185 ـ 186 ـ 191.
روا (Roy): 46 ـ 102 ـ 280.
روصو (Rousseau): 214.
ريني ميلي (Millet): 76.

## ـ ز ـ

الزركشي (الفقيه): 127 ـ 130 ـ 137.
زكرياء (السلطان): 47.
الزّهـري: 270.
زيادة الله بن الأغلب الأول: 154.
زيادة الله بن الأغلب الثاني: 43 ـ 52.
زيادة الله بن الأغلب الثالث: 52.

## ـ س ـ

ساسي بن فريجة: 222.
ساسي نوينة: 44 ـ 261.
سالم بوحاجب: 50 ـ 102 ـ 105 ـ 133 ـ 143 ـ 144 ـ 292 ـ 296 ـ 339 ـ 342 ـ 343.
سالم التباسي: 261.
سالم المحجوب: 133.
الإمام سحنون: 42 ـ 83 ـ 154.
الوزير السراج: 84 ـ 122.
سعدي كارنو (Sadi Carnot): 314.
سعيد المحجوز: 132.
سفيان بن عيينة: 153.
سفيان الثوري: 42.
سليمان باي: 320.
سليمان بن الأشعث السجستاني: 337.
سليمان الصباغ: 312.
سليمان المحجوب: 125.
سليمان ململي: 248.
سليمان النيڤرو: 50.
سليم خان الثاني: 64 ـ 156.
سنان باشا: 64 ـ 125 ـ 156 ـ 190.
السنوسي (محمد): 69 ـ 71 ـ 72.
السوسي (الشريف): 48.
سيدي عكاشة: 75.
سيدي مردوم: 248.
السيوطي: 197.

## ـ ش ـ

الشاذلي (الإمام بلحسن): 129 ـ 133 ـ 261 ـ 288 ـ 291.
الشـاذلي بلقـاضي: 109 ـ 182 ـ 380 ـ 381.
الشاذلي بن صالح الكبير: 100 ـ 292.
الشاذلي بن المؤدب: 134.
الشاذلي خزندار: 289.
الشاذلي صفر: 305.
الشاذلي العقبي: 106.
الشافعي: 201 ـ 269 ـ 270 ـ 271 ـ 272.
شجرة: 42.
شعبان الأندلسي: 297.
الشماع (ابن): 137.




www.almaktabah.net
مكتبتنا العربية

الشنقيطي: 339.
شهاب الدين الخفاجي: 165
شيوشيو: 256.

ـ ص ـ

الصادق أبو السرور: 110.
الصادق التلاتلي: 109.
الصادق صفر: 247.
الصادق المحرزي: 211.
الصادق النيفر: 105 ـ 342.
صالح بن شعبان: 326.
صالح بن فرحات: 324.
صالح خوجة: 96.
صالح السنان: 214.
صالح الشريف: 91 ـ 102 ـ 103.
صالح الكواش: 214 ـ 295 ـ 311.
صالح المالقي: 97 ـ 105 ـ 106 ـ 109 ـ 361.
صالح المثلوثي: 329.
صالح النيفر: 74 ـ 75 ـ 136 ـ 304 ـ 342.
صوماني (Saumagne): 109.

ـ ط ـ

الطاهر باي: 144.
الطاهر جعفر: 102 ـ 137.
الطاهر بن عاشور: 91 ـ 104 ـ 105 ـ 106 ـ 314 ـ 346 ـ 359.
الطاهر بن مسعود: 55 ـ 319.
الطاهر خير الدين: 124.
الطاهر الرياحي: 91 ـ 133.
الطاهر السقاط: 320.
الطاهر النيفر: 88 ـ 126 ـ 133 ـ 137.
الطيب بن سلامة: 246.
الطيب بيرم: 177 ـ 362 ـ 363.
الطيب الجلولي: 103.
الطيب الرياحي: 86 ـ 101.
الطيب السبعي: 144.
الطيب سيالة: 109.
الطيب المرزوقي: 246.
الطيب النيفر: 44 ـ 102 ـ 146 ـ 246 ـ 293 ـ 321.

ـ ع ـ

عائشة بنت أبي موسى عمران المنوبي: 288.
عامر البطاش: 125 ـ 249 ـ 250.
عبد الجليل الزاوش: 356.
عبد الجليل عظوم: 87.
عبد الرحمن بن القاسم: 154.
عبد الرحمن بن خلدون: 107.
عبد الرحمن البناني: 136.
العبدري: 46.
عبد السلام التونسي: 146 ـ 147.
عبد العزيز بن شعبان: 321 ـ 326.
عبد العزيز بن معطي: 172.
عبد العزيز الباوندي: 30.
عبد العزيز خان: 230.
عبد العزيز المهدوي: 160.
عبد الكبير قورصو: 160.



مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

عبد الكريم الحنفي: 160.
عبد الكريم القرشي: 322.
عبد الله بن أبي زيد: 198 ـ 202.
عبد الله بن الحبحاب: 43.
عبد الله الدرّاجي: 144.
عبد الله السوسي: 314 ـ 316.
عبد الله المرجاني: 126 ـ 127 ـ 129 ـ 282 ـ 291 ـ 293.
عبد الله المغربي: 129 ـ 282 ـ 292.
عبد المجيد خان: 230.
عبد الملك بن مروان: 44.
عبد المؤمن بن علي: 168.
عبد الواحد المحرزي: 208.
عبد الوهاب بن يوسف الشارني: 146.
عبد الوهاب الشعراني: 44.
عثمان بن أبي طلحة بن أبي شيبة: 210.
عثمان البكري: 66.
عثمان بن الخوجة: 106.
عثمان بن عفان: 340.
عثمان الحفصي: 32 ـ 77 ـ 130 ـ 136 ـ 137 ـ 255 ـ 282 ـ 295.
عثمان داي: 141 ـ 297 ـ 311.
العجمي (سيدي): 141.
العربي البشير: 75 ـ 326.
العربي المازوني: 313.
عزيزة عثمانة: 78.
عطف: 121 ـ 282 ـ 287.
عظوم: 176.
عقبة بن نافع: 166 ـ 168.
علي بن أبي زياد: 41 ـ 83 ـ 249.
علي بن أبي طالب: 153 ـ 273.
علي باشا: 316.
علي باشا باي الأول: 85 ـ 280 ـ 283 ـ 313 ـ 319 ـ 346.
علي باي الثاني: 284 ـ 311 ـ 321.
علي باي الثالث: 50 ـ 90 ـ 98 ـ 284 ـ 290 ـ 298 ـ 343 ـ 345.
علي باي المرادي: 295.
علي بن أبي بكر البكري: 65.
علي بن أبي الغيث البكري: 67.
علي بن حميدة الرصّاع: 65.
علي بن الخوجة: 212.
علي بن زياد: 42 ـ 83 ـ 154 ـ 239.
علي بن المسيب بن شريك: 154.
علي بن مصطفى: 106.
علي بن محمد بن قاسم: 158.
علي بوخريص: 140.
علي التريكي: 110.
علي ثابت: 132 ـ 133 ـ 243.
علي خوجة: 190.
علي داود الظاهري: 153.
علي الدرويش: 101.
علي السراج: 282 ـ 297.
علي السقاط: 106 ـ 321.
علي السقانجي: 88.
علي السنوسي: 105.
علي السويسي: 144.
علي شيحة: 260.
علي عبد الوهاب: 98.
علي عبّاس: 157.
علي عزوز: 242 ـ 249.



مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

علي العفيف: 101 ـ 125 ـ 296.
علي الغراب: 123.
علي محسن: 78 ـ 240.
علي المنزلي: 316.
علي النيفر: 377.
علي مهاود: 218.
عمر البكوش: 105 ـ 106.
عمر بن أبي بكر: 135.
عمر بن عبد الرفيع: 58.
عمر الرياحي: 70.
عمر زبدة: 160.
عمر بن الشيخ: 62 ـ 102 ـ 137.
عمر بن عاشور: 102.
عمر بن عيسى: 260.
عمر بن محمد القلشاني: 59.
عمر بن المؤدب: 134.
عمر بن هاشم الأستانبولي: 189.
عمر السبعي: 324.
عمر المحجوب: 55 ـ 175 ـ 304.
عياض: 206 ـ 343.
عيسى الغبريني: 58.
العيني: 179.

ـ ف ـ

فارح (الشيخ): 125.
فاطمة (الأميرة): 282 ـ 294.
الفاضل بن عاشور: 8 ـ 109.
فتح الله العجمي: 200.
فرج التميمي: 101.
فلوري (Fleury): 104.

ـ ق ـ

القابسي: 256.
قارة مصطفى: 166.
قاسم بن يوسف الجربي: 96 ـ 284 ـ 329.
القاضي عياض: 42 ـ 198 ـ 201.
القسطلاني: 214.
القشاش: 322.
القلقشندي: 279.
القمرتي: 257.
القهستاني: 34.
قودياني (Gaudiani): 106 ـ 110.

ـ ك ـ

كاعب: 130.
كرد علي: 375.
الكيلاني بن الطاهر: 225 ـ 228.

ـ ل ـ

الليث بن سعد: 42 ـ 270.
لوسيان سان: 180.

ـ م ـ

ماشويل (Machuel): 102 ـ 290.
ماضي بن السلطان: 126.



مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

مالك (الإمام): 42 ـ 153 ـ 155 ـ 201 ـ 239 ـ 249 ـ 338 ـ 343.
محرز بن خلف: 78 ـ 83 ـ 182 ـ 196 ـ 197 ـ 198 ـ 199 ـ 200 ـ 201 ـ 202 ـ 203 ـ 204 ـ 205 ـ 207 ـ 208 ـ 245 ـ 260 ـ 286 ـ 346.
محرز الصديقي: 199.
(الأمير) محمد أبو ضربة: 47.
محمد الأبّي: 101 ـ 288.
محمد الأزهري: 182.
محمد الأصرم: 105.
محمد الأندلسي: 64.
محمد باي المرادوي: 48.
محمد بن أبي بكر الونّشريسي: 60.
محمد بن عصفور: 62.
محمد البارودي: 100 ـ 247 ـ 324.
محمد باشا باي المرادي: 48 ـ 141 ـ 144 ـ 185 ـ 186 ـ 189 ـ 193 ـ 196 ـ 197 ـ 250 ـ 298 ـ 342 ـ 346.
محمد باي (المشير الثاني): 48 - 72 - 88 ـ 125.
محمد البحري بن عبد الستار: 346.
محمد البحيري: 127.
محمد برناز: 88.
محمد البريني: 146.
محمد البشير الزواوي: 172 ـ 325.
محمد البكري: 175 ـ 176.
محمد بكير: 173.
محمد بلخير الساحلي: 284.
محمد بن أبي العباس: 296.
محمد بن إبراهيم الأندلسي: 64.
محمد بن إبراهيم الزناتي: 155.
محمد بن أحمد القصري: 172.
محمد بن إدريس بن شافع: 153.
محمد بن إسماعيل البخاري: 337.
محمد البنّا: 308.
محمد بن جرير الطبري: 153.
محمد بن الحسن: 34 ـ 270.
محمد بن الحسن الشيباني: 154.
محمد بن الحسن التطاوني: 87.
محمد بن الحسن الفارسي: 198 ـ 201.
محمد بن حمزة الشاهد: 122 ـ 346.
محمد بن الخوجة: 69 ـ 100 ـ 104 ـ 106 ـ 109 ـ 185 ـ 192 ـ 275 ـ 287 ـ 344 ـ 346 ـ 356 ـ 358 ـ 359 ـ 360 ـ 361 ـ 362 ـ 364 ـ 365 ـ 366 ـ 368 ـ 371 ـ 373 ـ 380 ـ 382.
محمد بن الرايس: 101.
محمد بن سالم الخلوتي: 291.
محمد بن سلامة: 64 ـ 100 ـ 144 ـ 246 ـ 292 ـ 294 ـ 296 ـ 346.
محمد بن سلطان: 127.
محمد بن سعيد: 190.
محمد بن سليمان البحيري: 60.
محمد بن شعبان: 326.
محمد بن الشيخ صالح النيفر: 312.
محمد بن عاشور: 101 ـ 346.
محمد بن عبد الحكم: 35.
محمد بن عبد الستار التميمي: 57.
محمد بن عبد السلام: 56 ـ 135 ـ 294.
محمد بن عبد الكبير: 66 ـ 69.



www.almaktabah.net
مكتبتنا العربية

محمد بن عبد الكريم: 297.
محمد بن عرفة الورغمّي: 58 ـ 106 ـ 107 ـ 288 ـ 306.
محمد بن عصفور: 62.
محمد بن عقاب: 60.
محمد بن علي الصوردو: 249.
محمد بن علي قويسم: 258.
محمد بن عيسى الترمذي: 337.
محمد بن قاسم الرصاع: 62.
محمد بن القاضي: 102 ـ 105 ـ 106 ـ 379.
محمد بن محمد الخضراوي: 306.
محمد بن مصطفى بيرم: 43 ـ 294 ـ 317 ـ 326.
محمد بن مصطفى قارة: 160.
محمد بن محمد محسن: 74.
محمد بن مراد باي الثاني: 182.
محمد بن ملوكة: 172 ـ 288 ـ 326.
محمد بن نصر البسكري: 288.
محمد بن نيلة: 247.
محمد بن يزيد بن ماجة القزويني: 337.
محمد بن يوسف: 91 ـ 104 ـ 105 ـ 181 ـ 358 ـ 359.
محمد بن يوسف بن الحسن: 158.
محمد بن يونس: 71.
محمد بو حديد: 347.
محمد بيرم: 101 ـ 230.
محمد بيرم الثالث: 100 ـ 214 ـ 294 ـ 321.
محمد بيرم الثاني: 162 ـ 177 ـ 221 ـ 338.
محمد بيرم الرابع: 44 ـ 88 ـ 89 ـ 101 ـ 171 ـ 173 ـ 174 ـ 182 ـ 294 ـ 346.
محمد البيدموري: 128.
محمد تاج العارفين: 48 ـ 340.
محمد التطاوني: 249.
محمد جعيط: 91 ـ 310.
محمد الجلولي: 102.
محمد الحبيب باي: 55 ـ 92 ـ 180 ـ 231 ـ 241 ـ 284 ـ 329 ـ 347.
محمد الحجيج: 125.
محمد الحفصي أبو عبد الله: 48.
محمد حمدة بن أحمد الشريف: 77.
محمد حمدة الشريف: 41 ـ 74.
محمد حمودة بن محمود: 324.
محمد خزندار: 124.
محمد الخضار: 69 ـ 101.
محمد الخضراوي: 308.
محمد خورشيد: 189.
محمد دامرجي: 109.
محمد داي: 172.
محمد الدرناوي: 322.
محمد الدغري: 284 ـ 330.
محمد الدهماني: 160.
محمد رشاد الدين خان: 226.
محمد الرشيد باي: 212.
محمد رضوان: 91 ـ 105 ـ 106 ـ 275.
محمد زرّوق: 216.
محمد الزلّاج: 133.
محمد الزغواني: 109 ـ 145.
محمد الزنديوي: 130.



مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

محمد الزواي: 134.
محمد زيتونة: 125 ـ 301 ـ 302.
محمد الستاري: 101.
محمد سعادة: 84 ـ 307 ـ 309.
محمد سعد الله: 52 ـ 109 ـ 371 ـ 373.
محمد السلامي بيرم: 294.
محمد السنوسي: 9.
محمد سويسي: 55.
محمد الشاهد: 100.
محمد الشريف: 76 ـ 288.
محمد شلبي: 247.
محمد الشنقيطي: 100.
محمد شنيق: 106.
محمد الصادق باي: 55 ـ 72 ـ 91 ـ 98 ـ 110 ـ 124 ـ 173 ـ 192 ـ 198 ـ 199 ـ 231 ـ 284 ـ 287 ـ 305 ـ 326 ـ 329 ـ 345.
محمد الصالح بن مراد: 109.
محمد الصالحي: 105 ـ 285 ـ 330.
محمد الطاهر النيفر: 125.
محمد طاووس: 316.
محمد الطيب بيرم: 109 ـ 363.
محمد الطيب النيفر: 275.
محمد الطوبي: 55.
محمد عبّاس: 163.
محمد عبدة: 108 ـ 372.
محمد العذاري: 257.
محمد العربي زروق: 214.
محمد العزيز بوعتور: 101 ـ 275.
محمد العزيز جعيط: 106 ـ 109 ـ 138 ـ 140 ـ 363 ـ 364.
محمد العزيز النيفر: 331.
محمد العشراوي: 322.
محمد عظوم:
محمد علي اليمني: 124.
محمد الغربي بن القصير: 126.
محمد الغرياني: 314.
محمد الغماد: 301.
محمد الفاسي: 214.
محمد قاسم: 109.
محمد قاسومة: 100.
محمد القبايلي: 101 - 304.
محمد القصّار: 104.
محمد القلشاني: 61.
محمد قويسم: 188 ـ 209.
محمد لاز (الداي): 171 ـ 248.
محمد المازوني: 284 ـ 326.
محمد المحجوب: 125.
محمد المختار بن محمود: 366.
محمد مخلوف: 375.
محمد المساكني: 146.
محمد المستنصر: 122 ـ 288 ـ 289.
محمد المسراتي: 60.
محمد المسعود: 43 ـ 61.
محمد معاوية: 90 ـ 100 ـ 186.
محمد المازوني المغربي: 326.
محمد المنتصر: 182 ـ 198 ـ 282 ـ 295.
محمد مصطفى المراغي: 178.
محمد معاوية: 90.
محمد الناصر باي: 55 ـ 76 ـ 92 ـ 178 ـ 260 ـ 346.
محمد الناصر الصدّام: 375 ـ 377.
محمّد النجار: 133 ـ 342 ـ 346.



www.almaktabah.net
مكتبتنا العربية

محمد النيفر: 89 ـ 104 ـ 128 ـ 133 ـ 287 ـ 309 ـ 321 ـ 346.
محمد النيفر الأكبر: 133.
محمد الهادي باي: 346.
محمد الورغي: 313 ـ 316.
محمود الأبّي: 88.
محمود الأجي: 88.
محمود الاخوة: 304.
محمود باي: 32 ـ 146 ـ 196 ـ 214 ـ 220 ـ 239.
محمود بن باكير: 101 ـ 173.
محمود بن الخوجة: 209.
محمود بن سالم: 242.
محمود خير الدين الحلبي: 168.
محمود قابادو: 88 ـ 198.
محمود بن علي محسن: 73.
محمود بن محمد محسن: 74.
محمود بن محمود: 102 ـ 104 ـ 170.
محمود عزير: 124.
محمود مقديش: 313.
محمود بن علي محسن: 73.
محمود بن محمد محسن: 74.
محيي الدين بن العربي: 203.
المختار بن محمود: 109.
المخزومي: 42.
مراد باي أبو الظفر: 300.
مراد باي الثاني: 283 ـ 299.
مراد باي الثالث: 191.
مراد بن عبد الله المملوك: 283 ـ 304.
المرجاني: 130 ـ 291.
المرجاني الثاني: 291.
المرجاني الثالث: 292.
المرسي (الشيخ): 126.
المزني: 270.
المستعين بالله العباسي: 52.
المستنصر بالله الحفصي: 47.
مسلم بن الحجاج القشيري: 337 ـ 342.
مصطفى آغة: 84.
مصطفى الأزميري: 160.
مصطفى أفندي: 124 ـ 223.
مصطفى البارودي: 339.
مصطفى باي: 144 ـ 208 ـ 247 ـ 293.
مصطفى ولد حافيز: 75.
مصطفى بن إسماعيل: 241.
مصطفى بن الخوجة: 102.
مصطفى بن عبد الكريم: 177.
مصطفى بيرم: 100.
مصطفى التركي: 176.
مصطفى خزندار: 90 ـ 126 ـ 284 ـ 292 ـ 326.
مصطفى دنقزلي: 104 ـ 105 ـ 163 ـ 231.
مصطفى رضوان: 90.
مصطفى رفقي الأيوبي: 223.
مصطفى السماتي: 125.
مصطفى صفر: 106 ـ 109 ـ 369.
مصطفى الكعاك: 109.
معاوية التميمي: 110 ـ 339.
المعز بن باديس: 154 ـ 198 ـ 201 ـ 206.
منشيكور (Monchicourt): 214.
منصور بن جردان: 62 ـ 78 ـ 132.
منصور الورغمي: 110.
المنلا حاجي علي خوجة: 190.



www.almaktabah.net
مكتبتنا العربية

المهدوي: 138.
موسى الفاسي أبو عمران: 202.
ميمون: 133.

ـ ن ـ

النعمان بن ثابت: 153 ـ 154.

ـ هـ ـ

الهادي الأخوة: 105 ـ 304 ـ 355.
هارون الحميري: 56.
هانري بونصو (Ponsot): 105.
هبة الله بن عقبة: 198.
هشام بن عبد الملك بن مروان: 43.
هيثم بن بشير: 154.

ـ ي ـ

يحيى أبو زكرياء الأنصاري: 154 ـ 280.
يحيى بن المستنصر: 47.
يحيى السليماني: 31 ـ 135 ـ 136 ـ 282 ـ 295.
يعقوب بن يوسف: 170.
يوسف جعيط: 103.
يوسف خوجة: 157 ـ 216 ـ 218 ـ 221 ـ 222 ـ 223 ـ 248 ـ 256 ـ 325.
يوسف داي: 32 ـ 132 ـ 139 ـ 176 ـ 177 ـ 178 ـ 283 ـ 297 ـ 305 ـ 347.
يوسف صاحب الطابع: 78 ـ 146 ـ 214 ـ 216 ـ 224 ـ 284.



مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

# المَـرَاجع

## المراجع العربية


ـ أحمد بن أبي الضّياف:
**إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**
تونس ـ 1963ـ1968 (8 أجزاء)

ـ الباجي المسعودي:
**الخلاصة النّقيّة في أمراء إفريقيّة**
تونس ـ 1905 1906.

ـ حسن حسني عبد الوهّاب:
**مجمل تاريخ الأدب التونسي**
تونس ـ 1968.

ـ حسين خوجة:
**الذّيل لكتاب بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان**
تونس. 1326/1908.

ـ خير الدّين الزّركلي:
**الأعلام.** الطبعة الثانية دمشق 1954 - 1959 (10 أجزاء)

ـ ابن أبي دينار:
**المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس.**
تحقيق وتعليق محمد شمام ـ تونس 1967.

ـ الزّركشي:
**تاريخ الدّولتين الموحّدية والحفصية.**
تحقيق محمد ماضور ـ تونس 1966.

ـ زين العابدين السّنوسي:




مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

**محرز بن خلف**. تونس 1981.
ـ ابن الشّمّاع:
**الأدلّة البينة النّورانية عن مفاخر الدّولة الحفصية**
تعليق عثمان الكعّاك ـ تونس 1936.
ـ عمر رضا كحالة:
**معجم المؤلفين**. دمشق 1957 — 1961 (15 جزءا).
ـ محمد البشير النيفر:
**نبراس المرشدين في أمور الدّنيا والدّين**
تونس 1974.
ـ محمد البهلي النّيّال:
**الحقيقة التّاريخية للتّصوّف الإسلامي**
تونس 1965.
ـ محمد بيرم الخامس:
**صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**
القاهرة: الأجزاء 1 — 2 — 3 (1303 هـ) الجزء 5 (1311هـ)
ـ محمد التجاني:
**الرّحلة**. نشر حسن حسني عبد الوهاب ـ تونس 1958.
ـ محمد بن محمد الوزير السراج:
**الحلل السّندسية في الأخبار التّونسية**
الجزء الأول والجزء الثاني (القسم الأول) ـ تونس 1970.
ـ محمد السّنوسي:
**مسامرات الظّريف بحسن التّعريف**
( الجزء الأول) : تحقيق محمد الشّاذلي النّيفر ـ تونس 1983.
ـ محمد سعادة:
**قرّة العين بنشر فضائل الملك حسين** ( مخطوط)
ـ محمد الصّغيّر بن يوسف الباجي:
**المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**
مخطوط. المكتبة الوطنية ـ تونس رقم 18688.
ـ محمد الطاهر بن عاشور:



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

**أليس الصبح بقريب** ـ تونس 1968.
ـ محمد العزيز جعيط:
**مجالس العرفان ومواهب الرّحمان** ـ (جزءان).
تونس 1972.
ـ محمد الفاضل بن عاشور:
**تراجم الأعلام** ـ تونس 1970.
ـ محمد محفوظ:
**تراجم المؤلّفين التّونسيين**
بيروت ـ ج 1 و2 (1982) ج3 (1984).
ـ محمد مخلوف:
**شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكية** ـ القاهرة 1931 — 1933 (جزآن)
ـ محمد النّيفر:
**عنوان الأريب عمّا نشأ بالمملكة التّونسية من عالم أديب.**
**تونس** 1351/1932 (جزان).
ـ محمد بن أحمد الورغي:
**ديوان الورغي** ـ تحقيق عبد العزيز القيزاني ـ تونس 1978.
**المجلات**
ـ المجلّة الزّيتونية
ـ الحياة الثقافية
ـ المجلّة التّاريخية المغربية
ـ مجلّة الهداية


مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

# المراجع الأجنبية


ABDESSELEM Ahmed:

Les Historiens Tunisiens des 17e, 18e et 19e siècles Tunis 1973.

CHERIF Mohamed Hèdi:

Pouvoir et Société dans la Tunisie de Husayn Bin Ali (1705 - 1740) Tome I Tunis 1984.

MONCHICOURT Charles:

Documents historiques sur la Tunisie . Paris 1929.

PELLEGRIN Arthur:

Historie illustrée de Tunis et de sa Banlieue. Tunis 1955.

PLANTET Eugène:

Correspondance des Beys de Tunis. Paris 1899

ROUSSEAU Alphonse:

Annales Tunisiennes. Alger 1864

ZBISS Slimane Mostfa:

L'Art Musulman en Tunisie. Tunis 1978.




مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

# المحتـوى


تمهـيد ..... 7
ترجمة المؤلف ..... 15
خطبة الكتاب ..... 25
المـقدمة ..... 29


## الباب الأول

## في الجوامع المالكية


1 ـ جامع الزّيتونية ..... 41
ـ أيمّة جامع الزّيتونة ..... 55
ـ الأحزاب المرتبة بجامع الزّيتونة ..... 77
ـ معهد العلوم بجامع الزّيتونة ..... 83
ـ برنامج العلـوم ..... 94
ـ مشيخة الجامـع ..... 97
ـ خزائن الكتب بجامع الزّيتونة ..... 97
ـ مشائخ النّظارة والمدرسون الأوّلون ..... 100
ـ لجان إصلاح التّعليم بجامع الزّيتونة ..... 101
ـ تتمّة واستدراك ..... 111
ـ لبوس أهل العلم بتونس ..... 113
2 ـ جامع التّوفيـق ..... 121
3 ـ جامع باب البحر ..... 123

4 ـ جامع أبي محمّد ..... 126
5 ـ جامع باب الجزيرة ..... 129
6 ـ جامع سيدي يحيى ..... 135
7 ـ جامع التّبّانين ..... 136
8 ـ جامع الحلـق ..... 138
9 ـ جامع سبحان الله ..... 141
10 ـ جامع الحجّامين ..... 145
11 ـ جامع السّبخاء ..... 145
12 ـ جامع العمـران ..... 146

## الباب الثاني
## في الجوامع الحنفية

ظهور مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النّعمان بإفريقية ..... 153
1 ـ جامع القصبـة ..... 157
2 ـ جامع القصر ..... 165
3 ـ جامع يوسف داي ..... 177
4 ـ جامع حمودة باشا ..... 181
5 ـ جامع محمّد باي المرادي ..... 185
التّعريف بالشّيخ محرز بن خلف ..... 197
6 ـ الجامع الجديد ..... 210
7 ـ جامع صاحب الطّابع ..... 212
ذيل في ذكر أحوال خاصّة بجوامع الحنفية ..... 224

## الباب الثالث
## في مساجد الصلوات الخمس

## الباب الرابع
## في التّعريف بالولاية على إمامة الصّلوات

1 ـ الإمامة في الصّلوات الخمس ..... 267
2 ـ الإمامة في صلاة الجمعة ..... 269
3 ـ الإمامة في الصّلوات المسنونة ..... 271



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

4 ـ عمل ملوك تونس في ولاية الأيمّة ..... 274

## الباب الخامس
## في التّعريف بمدارس طلبة العلم

1 ـ المدرسة الشمّاعية ..... 285
2 ـ المدرسة التّوفيقية ..... 287
3 ـ المدرسة العصفورية ..... 289
4 ـ المدرسة المرجانية ..... 291
5 ـ المدرسة المغربية ..... 292
6 ـ المدرسة العنقية ..... 293
7 ـ المدرسة سيدي يحيى ..... 295
8 ـ المدرسة المنتصرية ..... 295
9 ـ المدرسة الأندلسية ..... 297
10 ـ مدرسة الزّاوية البكرية ..... 298
11 ـ المدرسة المرادية ..... 299
12 ـ مدرسة القائد مراد ..... 303
13 ـ المدرسة اليوسفية ..... 305
14 ـ مدرسة النّخلة ..... 306
15 ـ المدرسة الحسينية الصغرى ..... 309
16 ـ مدرسة الجامع الجديد ..... 311
17 ـ المدرسة المتيشية ..... 312
18 ـ مدرسة الزّاوية الباهية ..... 313
19 ـ مدرسة حوانيت عاشور ..... 313
20 ـ المدرسة الباشية ..... 316
21 ـ المدرسة السّليمانية ..... 320
22 ـ مدرسة بئر الحجار ..... 320
23 ـ المدرسة الجاسوسية ..... 321
24 ـ المدرسة الجديدة ..... 323
25 ـ مدرسة صاحب الطّابع ..... 325



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

26 ـ المدرسة البشيرية ..... 325
27 ـ مدرسة الزّاوية القادرية ..... 326
28 ـ مدرسة سيدي شيحة ..... 327
29 ـ مدرسة الشّيخ ابن ملوكة ..... 327
30 ـ مدرسة الشّيخ بلخير ..... 328
31 ـ المدرسة الحبيبية الكبرى ..... 328
32 ـ المدرسة الحبيبية الصغرى ..... 329
33 ـ المدرسة القاسميّة ..... 329
34 ـ المدرسةالدُّغْرية ..... 329
35 ـ المدرسة الحَمْزيَّة ..... 330
36 ـ المدرسة الصّالِحية ..... 330
37 ـ مدرسـة الهداية ..... 330

**الخاتمة: في تاريخ نشأة أختام الحديث الشّريف بتونس** ..... 335
**تقاريظ الكتـاب** ..... 351

## الفهـارس

1 ـ فهرس الآيات القرآنية ..... 387
2 ـ فهرس الأماكن والبلدان ..... 389
3 ـ فهرس الكتب والدوريات ..... 395
4 ـ فهرس الأعـلام ..... 399

المراجع العربية ..... 415
المراجع الأجنبية ..... 419



مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

دار الغرب الإسلامي / الحبيب اللمسي

شارع الصوراني (المعماري) ــ الحمراء ــ بناية الأسود

تلفون : 340131 - 340132 ــ ص.ب. 5787-113 بيروت ــ لبنان

الرقم 1985/8/3000/66

التنضيد : كومبيوتايبة لصف الطباعة الإلكترونية COMPUTYPE ELECTRONIC TYPESETTING

الطباعة: مؤسسة جواد للطباعة والتصوير



مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

M'HAMED BEN EL-KHODJA

# TARĪḪ MA'ALIM AL-TAWHĪD

## FĪ-L-QADĪM WA FĪ-L-JADĪD

Edité et Amoté par:

JILANI BEN HADJ YAHIA

HAMADI SAHLI

DAR AL-GHARB AL-'ISLAMI
Beyrouth

مكتبتنا العربية www.almaktabah.net

مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net

M'HAMED BEN EL-KHODJA

# TARĪḪ MA'ALIM AL-TAWḤĪD

## FĪ-L-QADĪM WA FĪ-L-JADĪD

Edité et Annoté par:

ILANI BEN HADJ YAHIA HAMADI SAHLI

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
Beyrouth

مكتبة النور www.almaktabah.net

almaktabah.net
مكتبتنا العربية
NET
AH
AB
KT
MA
مكتبتنا العربية
www.almaktabah.net